

A S.

297.48

M944A

وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلنَّاتِقِينَ
قُرْآنٌ كَرِيمٌ

طَبُّ الْفُلُوفِ

أو

صِفْوَةُ أَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِلْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ

تَالِيْفَتْ

مَحْمُودٌ مَعْقُوضٌ

المراجع بالبلديات

اطلع عليه وأقره ، أصحاب الفضيلة ، شيخ معهد أسبوط ووكيله ،
ونخبة من خيرة العلماء

وقد تفضل فأذن بطبعه ، تكميلاً لنفعه ، حضرة صاحب الفضيلة ،
مولانا الأستاذ الأكبر - شيخ الجامع الأزهر

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

الطبعة الثانية ١٣٦٩ - ١٩٥٠



مطبوعة بإعتاد مطبع حبيبي أكبر بمصر لصاحبها محمد المنصري

297.48 M944A



الإهداء

إلى ناشر العلم ، ومحبي الفضيلة ، خير من عمل على تنفيذ الأحكام الشرعية ،
وأقام شعائر السنة المحمدية ، حامي حجي الدين ، وشيخ مشايخ المسلمين ،
حضرة صاحب الفضيلة ، مولانا الأستاذ الأكبر

الشيخ محمد مأمون الشناوى

شيخ الجامع الأزهر

أحيا الله مآثره العلية ، ونفع به الأمة الإسلامية

مولاي : لقد قرأت كتاب (إحياء علوم الدين) لحجة الإسلام الإمام الغزالي
وتصفحت أبوابه . وأجهدت نفسي في فهم عباراته . عدة سنين . فوجدته بحاراً
أجراها الإمام لإرواء صدور الناس . وأدوية لشفاء القلوب من حظوظ الشهوات ،
يبد أن هذا لا يقهقه الكثير من أهل زماننا . حيث خفي عليهم ما يرى إليه ذلك
الإمام ، وجعلوا تراكيب هذه الأدوية . فأزلت بحول الله مهمات طريقه . ومهدت
بعونه تعالى سبيل الوصول إليه . وركبت أجزائه ملاحظاً قوة عقولهم . ونسبة أفهامهم ،
وجشت بزيادات من مصادر شتى تلائم أحوالهم ، وأكثر من التوضيح والتبثيل .
كي يبتدى كل قارئ إلى سواء السبيل . ومميت هذا المهمل الجديد (طب القلوب)
سهولة الوصول إلى المعنى المطلوب .

ثم عرضته قبل طبعه على نخبة من حضرات علماء معهد أسبوط ، فقرؤوه
وتصفحوه ، ثم عرضته من بعدهم على حضرة صاحب الفضيلة شيخ المعهد ، فاقنتع
فضيلته بحسن مبانيه ، وسهولة معانيه ، ثم تفضل بالتعريف المرافق .

ولما كنتم يا صاحب الفضيلة ، سباقين إلى الخيرات ، داعين للبركات ، وبخاصة
ما كان منها ، دائماً بمرور العصور ، مستمرراً باستمرار الأزمان والدهور .

تقدمت لمقامكم الجليل بهذا الكتاب ، راجياً من الله ذي العطف والجود ، أن
يشرح صدر فضيلتكم لقبوله ، وأن تفضلوا فتأذنوا بطبعه ، توطئة لنشره ، ليعم نفعه ،

وأتستفيد به هذه الأمة — إذ تعلمون فضيلتكم قدم ذلك الإمام ، الذي أوردت كتابي هذا من بحار علومه . بقاء قريب المورد . سهل الاعتراف . عذب الافادة والاستفادة ، وهذا ما تمنونه فضيلتكم لسائر الأقطار الاسلامية .

وإني أختتم لإهدائي هذا بالتضرع إلى الله تعالى ، أن يديم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم (فاروقا الأول) وأن يعز به الإسلام والمسلمين . كما أسأله تعالى أن يديم توفيق مولانا الأستاذ الأكبر . شيخ الجامع الأزهر . لإعلاء كلمة الدين . وإنارة سبيل السالكين . إنه سميع مجيب .

المؤلف

ربيع الثاني ١٣٦٩
سبتمبر ١٩٥٠

محمد محمود

جزالة المنطق - وبلاغة التعبير

في تعريف (طب القلوب)

بقلم

مفتي مصر صاحب الفقيه الأستاذ الكبير الشيخ محمد أحمد محمد

من هيئة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا رب ، ونسألك أن توفقنا للنماء عليك بما أنت أهله - ونصلي ونسلم
على رسولك الكريم سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .
أما بعد فقد اطلعت على بعض من كتاب « طب القلوب » ملخص كتاب إحياء
علوم الدين للامام الغزالي الذي غني بجمعه وتنقيقه وترتيب أبوابه ، الشاب المهند
« محمود افتدى معوض يسكر تارية المجلس المحلى بمدينة أسبوط » فوجدته بديعاً في
بأيه - سلك فيه مؤلفه الفاضل طريقة سهلة المأخذ جميلة الأسلوب غزيرة الفائدة .
يسهب في موضع الاسهاب ويوجز في موضع الاججاز ، ويقدم الأهم على المهم ،
ويلتزم في كثير من المواضع ذكر السند فيما يسوقه من أحاديث الرسول الكريم ،
لينجلي الأمر وينكشف الغامض . ويتعرض لبيان كثير من أحكام الأفعال التي تقع
من الناس وهم غافلون عن أحكامها ، جاهلون بما ورد فيها عن النبي الكريم والسيد العظيم ،
صلى الله عليه وسلم .

ومما يشرح الصدور في هذا الكتاب النافع ، ما ألزمه مؤلفه الحكم من المبالغة
في إرشاد القاري إلى ما تقصده الشريعة الإسلامية من شرع لأحوال وهو القيام
بأداء ما ترشد إليه ، والتيقظ لتطبيق أحكامها على الأعمال التي تصدر من عامة المسلمين
وخاصتهم ، فإن هذا وحده هو الذي يكفل سلامة المجتمع ، ويحفظ النظام العام ،
ويوجب الطمأنينة على الأتقى والأموال ، ويستريح به الحاكم والمحكوم .
لجزى الله المؤلف عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأحسن له المثوبة ، ووفقه
لخير الأعمال ، وجميل الخصال ، إنه سميع مجيب الدعاء .

محمد محمد محمد

شوال سنة ١٣٥٨
نوفمبر سنة ١٩٣٩

سحر البيان - وإيجاز التبيان

في وصف (طب القلوب)

بقلم

حضرة صاحب القضية الأستاذ الجليل

الشيخ عبد الرحيم العدوي

شيخ معهد فؤاد الأول بأسبوط

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذت بالأس أقلب الطرف في كتاب (طب القلوب) أمتوحي بعض معانيه ،
وأستشف بعض مرامي . فلكنى العجب . واستولت على الدهشة . إذ خلتي في
روضة أنف كثيرة الأدواح . وارقة الظلال . دانية الثمار . شذية الأزهار . تجري
من تحتها الأنهار . وتملأ النفس بهجة وسروراً . ولا عجب فهو صفوة كتاب الإحياء ،
ألفه مؤلفه ليكون ذخيرة للأحياء .

وله طريقة جميلة محبة إلى النفوس ، في عرض أدواء القلوب وطبها . تحبب إليها
التخلص من أدوائها . والتزوع إلى دوائها . وتدل على خبرة تامة بتوازع النفس
البشرية ، وما يعنورها من فساد . وحكمة سامية في تحريرها من ربقتها ، والتزوع بها إلى
آفاق كريمة من جمال الإسلام وسموه .

فهو لم يلتزم طريقة الإحياء لحسب . بل لومن الإحياء بلون جميل . أزال عنه
بعض ما علق به مما أخذه عليه بعض العلماء . وزاد عليه ما كلفه وجله . فله بذلك
فضل التنقيح والتوضيح . وسمو العبارة . ولطف الإشارة ، فكان بذلك نسيج وحده .
جازاه الله عن الإسلام والمسلمين أكرم الجزاء .

ربيع أول ١٣٦٩ هـ

ديسمبر ١٩٤٩ م

عبد الرحيم العدوي

آية العلم - ومعجزة البلاغة

في مقدمة (طب القلوب)

بقلم : حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة : الشيخ محمود أمين النواوي
وكيل معهد فؤاد الأول بأسبوط

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم باسم جعلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم من المطر ، لا يسرى أوله
خير أم آخره . وجعلت في أمة محمد ضائعة قائمة على الحق لا يصرم من مخالفهم حتى
يأتى وعد الله .

وأصنى وأسلم على محمد نبيك وصفيث وعلى آله وصحبه . ومن تبعهم وسلك
سبيلهم . وسلم كثير إلى يوم الدين . سحلك شملت قوماً ناهواهم ، لم يرب لهم
الشيطان سوءاً عملهم . هم في طاعتهم يعمهون . وفي ريبهم يترددون . على حين أحلصت
لك طائفة من خلقك ، فضلتهم في مرضاتك . وتقدم في عزتك وتجلياتك .

وما أرى ذلك عند المهدى والوفاي مؤدب ، محمود أمدى معوض ،
مرجع بلده أسعد ط . إلا أحد أولئك الذين عرفوا الحق فقرؤوا قرآنهم ، وأدركوا
الهدى فكان كل بعضهم . يتجلى ذلك فيما يرجع نفسه له . من دراهمه كتب الإسلام ،
وعكوف عليها . واتجلى لها . بصر بين دنهار . ويسر من لففت السوار . لا يمين
لسرى . ولا يسرى عن نفسه أدنى نت . حتى استهدى أسباه السقم . والله وليه
وبعه الصير

ورن حجب معجب وريح . به في من لا يريه ندين . ولا يتصل تعريف
للتقير . على أنه قد حرج من حكم سمسبه . حرج الخات . من قطع الأرض
المنحورت . فكانت ثمرات يطها من ثمرت . يفصل الله بعضه على بعض في الأكس .
وهكذا سنة الله

كتناك ياسيدي (طب القلوب) كتب عظيم . لأنه جمع من أبواب لفقه والسنن ،
وعلم الاخلاق والحرام ، ونصوف وسلوك . ما لا يسع مؤمناً يدين . للإسلام أن
يجمله . لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وبمقدار ما يتبعه بجهود ذلك الحار .
وتقليدك لأسماء تلو الأسفار . والمواهمة من تحديدها . والمواهمة يديها وبين ما يناسب

حال إحوائنا في هذه الأزمّة العصبية ، هو كفيّل أن يحسب إلى الخير والرشاد كل
أنى ، وأن يوجه إلى الدين ولتقوى كل عصى . وأن يثبت على الحادة كل بقى ، فوأن
مسافراً سافر إلى الشام لأجله ، أو قطع المفاوز المعنفة للحصول عليه ، لم يكن ذلك
كثيراً له . لأنه سيجرح إلى مجموعته من معارف الإسلام ، نوفر عليه كثير من
عناء الضرب ، وهذه قيمة خطيرة ، وميزة ليست بمسورة . من العلم كثير ، ولكن
العمر قصير ، واشتغال به ، من أراد أن يتعمق الخير والسعادة ، فهاهو كتابك
الحجة ، لم تدحر فيه وسعاً ، ولم تأله مصححاً ، لاقى ترتيباً ، ولا تبويباً

وبعد فحسباً أنك قد لخصت (كتاب الإحياء) انتهى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة
بما يرفع المؤمن ويبحثه على كل معنى عظيم - لقد لخصت هذا السفر في هذه الأوراق ،
وصممت إليها كثيراً بما يحتاج إليه أهل العصر . في كل مصر . فجاء كتابك كاسمه
(طب القلوب) بفتح الله به . فأحسن إلى مؤلفه وإلى قارئه . فذاك لاوائيل قد
قالوا - أعلم أكثر من أن يحاط به . شذوا من كل شيء طرماً - فقد كنت أنت
الذى هدى إلى ذلك المعنى ، شوقاً رباني سعيد . ففريت المثال ، وقصرت المجال ، في
أسلوبك العذب المحبب ، وتوبيخت المشرق المرنب . لا يجد قارئ فيه مللاً . وحسبك
أنت كنت موضع توفيق في إمام الحق ، وعدم وجود المجال لحاسد أن يعترض .
أو لمعت أن يحذف . وما يزيدني عطية أنك قد استكملت لتوفيق حقه . فقدمت
(طب القلوب) إلى (طب القلوب) رحل الإخلاص ولين . الناهر على صالح
العلم والمدين ، مما سار مسير الشمس . لأستاذ الأكر (الشيخ محمد مأمون لشناوى)
شبح الجامع الأزهر . قد سحاً جداً بالعمل على الأكثر من معاهد العلم بتشجيعه .
كما سحاً جداً بإرسال البعث لمن قعد بهم المقام عن التعرّف في طب العلم ، فأقرهم على
وكنائهم ، وأرسل إليهم صفوة من العلماء المبرزين المختصين . كما سهل سبل البعث
إلى الأزهر ، وأكرم وفادة لمعوثين إليه ، يتعهدهم نفسه . ويرعاهم بعينه . ليتفقهوا
في الدين وليندروا قومهم إدارحوا إليهم معلم يتحدرون . تحذوه عناية العارف العظيم .
أطال الله بقاء الشيخ وحرص عهده . في ظل جلالة مولانا حامى الإسلام ، الملك
(فاروق الأول) أيد الله ملكه ، وهدى الله أيامه .

لمعة الحق - وزهرة الأدب

في وصع (طب القلوب)

بقلم حصرة صاحب القضيبة الأستاذ الأدب الشيخ عبد الحكيم محمد حني

مراقب معهد فؤاد الأول بأسبوط

الحمد لله نعمده ويستعينه ، ويستعمره وسوء إليه ، ويعود من شرور أنفسنا
ومن ميثاث أعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ومن يصل فلا هادي له ، ولصلاة
والسلام على أشرف رسول جاء هداية الله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولى
الحمد والفخر والخاء .

أما بعد . فقد حصر لدينا معهد فؤاد الأول بأسبوط ، حصرة باصل و الأستاذ
الكاظم ، محمود امسى . عوص الموظف يسكر تارية بلدية أسبوط ، وكنت وقشد مع
محنة من حصرات أفاضل المدرسين ، فوضعنا حصرته أفنوال مؤلف قد نتج
أكثره من كتب إحياء علوم الدين خججه بإسلام لإمامه عراقى وشرح مدعرباداته
الى احتضن بها . وموقف ماسد بها ، وتوحد في عوصا جمعاً شوقاً إلى الاضلاع على
هذا المؤلف ، فاقترح بعص أن يورع على جميع ليكون قد طبعه بحسوفاً بالعضبة
مروحاً بالحكمة ، وكان حتى منه . هو تقسم انسى اشتمل على ذكر أحوال الرزح
وما بعده . فتصغحه حملة حملة في حديثه سلس العارة ، سهل المعنى ، قريب الفهم ،
حسن الترتيب ، جميل المسامات لألوانه ، شديد الملائمات في تراكيبه

وعلى الجملة فلم أحديه محالا للملاحظات فأعدته حصرته وتولاني طبع هذه الآيات

إن شئت تطيب لقلوب وصوبها	فاقرأ كتاباً موحى التقرير
وصعته أيدى من طب مام	في حيزه سماه خير نصير
فخص لعين فصع كيك تدو	خذه كتاباً سماه بالتهدير
سماه وصياً المتسوي ، لأنه	حقاً يمدوي عمة القصير
فاعم مرم ما يصعب يد حوى	نصحي سلك حائر لوقير
واصرح في رنة محب عده	أن يمحى في خطي التبصير
واطلب جزاء لانفاً بمؤلف	فله خير مكانه وفدير

عبد الحكيم محمد حني

شوال ١٣٥٨ - نوفمبر ١٩٣٩

عين اليقين - وإشهاد المتقين

في إقرار (طب القلوب)

بقلم

حضرت أصحاب القصة أسماء الأجلاء ، الموقعين على هذا

الحمد لله جلجل انعم ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد المبعوث إلى خير
الأمم ، وعلى آله وصحبه مصابيح صبر ومقاتيع الحكم .

وبعد : فقد اطلعنا على فصول من كتاب " طب القلوب ، لخصرة الفاصل
(محمود أفندي معوض) الموطع بذكر تارئة بلدية أسبوط وألفناه قد استقى من معين
كان ولا يزال حير شعاع لعنه الله أصاب دين وأعدت مهين للعدائين فقد جعل حل
عنايته على كتاب ، إحياء علوم الدين ، للإمام الغزالي .

ولعل المطلع على هذا الكتاب ، واجد فيه من المحمود ما يستلزم شكر فقد حاول
المؤلف أن يجعل أسلوبه سهلا وعباراته بسيطة عن المصطلحات التي استعجمت على
كثير من المتعلمين ، فصاغ الحكمة صوغا يستهوي القلوب ، ومرج "عقمة مَرَجًا
يُسببها على النفوس

ونحن نتمنى أن يكون هذا "كتاب كُتِبَ" حلا للثوب ، وموقفاً للنفوس ،
وباعثاً لهم . فخرى الله المؤلف خير خراء

محمد حسن فرح
من علماء معهد أسبوط

أحمد عبيد إراري شام
الأستاذ بمعهد أسبوط

محمود شهده
من علماء الأزهر الشريف

عبد الكريم حوش
الأستاذ بمعهد طحا

أنور يرد شلبي
الأستاذ بكلية أصول الدين

محمد اسماعيل بحرم
الأستاذ بمعهد أسبوط

بسطة العلم - وذروة الإيضاح

في تقرّظ (طب القلوب)

قلم رجل التقوى والعلاج الأستاذ المثقف الشيخ عبد الوهاب خلف الله
من علماء دير مواس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا عقول أوليائه بعومه اللدنية ، وأعيا نفوس أحبائه ، استطاع
إلى دانه لقدسية ، وأمار بصائرهم بمكاشفات أسراره السكونية . . . والصلاة والسلام
على مصطفاه ، زهرة الدنياه "لوحوديه" ، ومجنبيه مدعوالم لندرية - حبيبه المنقذ
وحلياه المرتضى - محمد انخار من أقدس أرومة لئى هاشم وأطيب حرائيم بني آدم
وعلى آله وصحبه أجمعين .

أى صديق محمود أفندى معوض :

لا عزة في أن تصي لشمس وبينك القمر حجاب الليل ونعتك أنت بنور
لعران ، وأنت واشمس وقمر كل يحوي بنور هفتكم وتحييتكم في هذا سواء -
بيد أن "شمس النهار" ، والشمس من "أب يدك كاه" ، وهذا فروق في الأشكال
وفي الآثار ، أما أب مكوك مستطيل ذو أصراف ورأس مفكر ، وعقل مدبر ،
تتحرك حركاته برادية نحو "عقول مدكية" ، ونحو "قلوب فهدية" ، ونحو "بصائر
فحاوها" ، فعملك لجلي يسود لادر كات والمعاني ، وأما هفا مكوك كمال مستديران ،
يتحرك حركاته فسرية فهدية ، لا يقصدان الإحصاء واللامارة ، ولكن يرسلان
الأنوار فتصل إلى الجمادات فتنبض ويرى "عيون فهدية" ذلك الذي قد ابيض .

فأعرق بذلك وسنهما كاشرق سى من غمت وخمها ، وقديم كشت "كشت"
من طور عقلك ماراً تتوهج وتتوقد وتسمع ، ويدأ بها الآن تصفو وتعود نوراً
يكاد سندرفه ، يرجع الحاسق قفاً وتماخر وياً ، لأنه مدد من أمد دانه ، وحيته صوت
بسطة علوم الدين لحجة الاسلام "العراني" - وإياه لخصم عرير - فأصابت به الدار
لفكرك الباحث - وتحييت من عرأ هو "طب القلوب" ودواؤها ، وغاية
الأسان وشفائها ، وثور الأنهار وصباؤها .

وسمك كست أنعرس ببتا القيم بأرضى عمل ، يقم لك من ويقعدهم بذكرك وشكرك

— لجهود دكانك وباهر فطمتك — ومازلت أتوقع منك ذلك حتى حققت فراستك فبك
وكنت فوق ظني بك

ها أنت أبها السيد الجليل ، حدثت ما خلق من علوم الدين ، وأبليت ما تدعه
المصور والمحدث . ألا تكون في صبي إذا أقول لك ، إنك صنعت المفاتيح المعاليق
— مفاتيح الخير مغاليق الشر ؟ كيف لا ، وكل باب من أبواب — كنائس مفتاح
لباب من أبواب الجنة معلاق لباب من أبواب النار ، كنت إلى ركن قريب أعرف
قوة سريان الكهر بام والمغناطيس ، ولكنني ما عرفت مطلقاً قوة سريان الأرواح ،
حتى شاهدت فيك روح العراني ، فعرفت إذاً أن للأرواح سرياناً كسريان الكهر بام
والمغناطيس ، ولست أدري بعد ، أهذا الجاذبية فيك أودعته ، أم لقوة خارقة
في روح ثمراني متعبية إلى رواح قريته ونحوه ومتنصبة ؟ هذا مشكل عني .
وسواء كنت أم كان في فيك عظمة على هذا الشأن .

أخي أنت تعلم أنك كم سهرت عنك وسهرت روحك وتحركت فمرك . ولم
لعت سالك مع براعتك ، حتى أخرجت المصور المدهم ، صورته من أربع وأربع
صور العراني . في لعن ولفقه وتعلمه والتعليم ، سائر فروع الدين لو كنت ممن
تشاوعني هذه الصناعة من العلم لا يقضي عن عند أول خطوه خطوتها في إحياء
هذا الكتاب المدارس . وإظهار هذا السحر المحتج في أنصح حبه وأسمى رداءه ولكن
القصص أدنى لا ينبغي ، وبمعرفة التي لا تقضي ، أن نحوض هذه المصنعة أعزل
من السلاح ، فتخرج منها ظافراً مؤبداً مصوراً . وفي يديك كتاب من النصر بطلا
السمع والقل والنصر . وبلك هي التي تسمى كرامة عينية ، أو معجزة فية ، يعجز
عن بلها أكثر من محول العبد . وهي حبة لا تتوقف على طول اجتهاد ، ولا عظيم
إحجاد . هي حكمة يُعطيها الله لمن يشاء من عباده (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً
كثيراً وما يذكر إلا أولو الألب)

لا عراة ، فلك برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة . وقد أوتي الكتاب
والحكمة على أمته وعدم دراسته (وما كنت تنو من قلبه من كتاب ولا تحطه
بيمينك إذا لا تاب المظنون) ولكنه الله صاحب العيوض والنصل والمواهب ،
يعطي ويمنع ، ويختص ويرفع ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ،
والسلام عليكم ورحمة الله ؟

هجر الوهاب فلهب الله

أبريل ١٩٢٠

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طهر قلوب أحبائه من الرجز والصلال. وأثارها بنور الإيمان فأخلصوا في الأقوال والأفعال. وأقنوا بظاهريهم وباطنيهم يرجون رحمة الكبير المتعال، سبحانه كرم بن آدم وفصلهم على كثير من المخلوقات، وشرهم بالعقل ليتفكروا في عجائب الأرض والسموات. فطوى عبدا لم تشبع له ذبيحة عن الذكر والعبادات. أحده تعالى على نعمه. وأتوب إليه من معصيته. وأستغفره من جميع الذنوب والزلات. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أذخرها ليوم المشي. وأشهد أن سيده ونبياً محمد أعده ورسوله. طيب القلوب وشفاء صدور اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، الذين برئت قلوبهم من الرجز والسجور.

أما بعد، فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: وما حققت الجن ولا الإنسان (لا يعصون). وري في الخبر عن الله عز وجل: كنت كرا محمياً فأردت أن أعرف حققت الحق في عرفوني، ومعنى ذلك أن الله تعالى لم يحق الحق، لا لمعرفته تعالى وعبارته، ولكن لا وسيلة لهذه المعرفة، ولا معين على العبادة، ولا شفاء القلوب من أمراض حب الدنيا، وسلامتها من آفات الشهوات، لأن مدبر في لطاعات عن أعمال القلوب لا على أعمال الجوارح. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (م) في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها شئ الجسد ألا وهي القلب (م) وقال عليه الصلاة والسلام: (م) لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (ق)، وقد ورد في القرآن: يوحى تطهر قلوب والعمل على سلامتها. قال تعالى: مثنياً على سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام (وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء به قلب سليم) أي سليم من آفات حب الدنيا. ومن العلائق لشاعة عن التشنل

إلى الله عز وجل . ومعنى اعني بالقلب إخلاصه لربه الإخلاص الكامل ، وقال تعالى في وصف يوم القيمة وهو يوم المرحع والمآب ، وانعرض والحساب (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وقال عز وجل في حق المنافقين ، (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) كالأطراف من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) . فنعلم لنا من نص القرآن أن القلوب تمرض كما تمرض الأبدان ، غير أن الفرق بين المرصين هو أن مرض الأبدان يعثرها فخرهما عن حد الاعتدال ويسبب العطل في أعمال الجوارح ويؤدي إلى الموت الحسي ، ومفارقة الدنيا القلبية ، أما مرض القلوب فهو بالنسبة للمنافقين عبارة عما في قلوبهم من الخجود وربع وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعده اتباع ما أرسل به ، وغير ذلك من أنواع الكفر المؤدى إلى الهلاك لأبدى ، وفوات نعم الآخرة الباقية ، والنسبة للزومين ، فهو عن بصفتهم بالدنيا وانتماهم في شهواتها أهمها كأبدانهم تحرثهم

وبعد صدقنا القرآن الكريم ووجدنا أن الله تعالى كما ذكر الإيمان فيه أصالة
أي القلب قبل تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) وقوله حين شاء (وقسوه
مطهرين) أي (مطهرين) وقال عز وجل (من آمن بالله ورسوله ولم يؤمن قلوبهم)
وقال تعالى (فمن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فليكن من الخاسرين) أي (فمن
لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فليكن من الخاسرين) وبالإيمان "تصدق" القلب وغير
ذلك من الآيات التي تدل على أن الإيمان محبة القلوب وحدث أن بعد متى آمن
وأخلص لربه ، سمعت في قلبه نور الإيمان ، وفاض هذا نور عن الخورج ولائ
وذلك للنفاسة . وعلى ذلك فكل عدم يقم بم هو معروف عليه ، وكل إنسان
عنده شيء أحب إليه من عادة الله تعالى ، فقلبه مريض ، وقسود التفريط في
الظلمات واللاهيات في المواقف ، يكون درجة المرض ، وبحسب درجة المرض ،
يكون حرمان من "شعير" بعد من حصره "العالمين"

وكتب مع وسوخ مدد حقيقه باذر إلى علاج ندم ما منى عثرتها علة من انجل،
وبدل في ذلك كل عالى، لعيش رما مقصى ناسه نه مهم طالت أيعه، كما لا يصعو

العيش فيه ولا تلم من الكدورات لداءه أما القلوب فتترك أمرها حتى صارت
موطناً لحرائيم الأمراض الفتنة ومقرات الآفات المهلكة وكان الأولى بنا معشر
المسلمين أن نأرجع إلى علاج قلوبنا ونحيط على سلامتها، لنحي حياة روحانية
لا انتهاء لها، ولا كدورة في عيها

وقد وضع حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي طب الله تراه - كتاب (إحياء
علوم الدين) بعد حجة طبية مباركة ويشرح فيه آفات القلوب وما يعتريها من أمراض
وعس، كما أوضح طرق علاجها وسبل وقايتها، ولم يترك رحمه الله أمرًا من أمور
الدين إلا تناولته شرحاً وتفصيلاً. وقسم هذا "سفر الحبل" إلى أربعة أقسام: القسم
الأول في السمات، وقد تضمن شرح ما يلزم المسلم بتصحيح عبادته، والقسم الثاني
في المعاملات وهو يتضمن بيان من شئني الله عليه وسلم وتعليمه الدنيوية وكل
ما يحتاج إليه العبد في معاشه، والقسم الثالث في الصفات المهلكات، وهو يتضمن
شرح أمراض قلوب وكيفية علاجها، والقسم الرابع في الصفات المسحيات، ويشتمل
على بيان الصفات المحموده التي أمر الله تعالى بحسنها وتجنبها شرعاً، وهي للمبادرة
بالثبوت والتكبير عن الذنوب وعيوبه. وهذا وصف وجيز جداً لموضوعات
الإحياء، وعلى حمة تأمل من يجد في إحيائه نفسه حياً، وليس فيه لقلبه من كل
داء شفاء نعم، لأن أساسه الكتب ونسبة وثبات الصحة وأعمال الصالحين،
ولا أنه قد أصبح بين طبقات المسلمين عز متداول، ويعمل به غير مستطاع، فقدم
عنه وتضمن أبوابه وعرايه مادته، فقد صعد العرش في قمر الخامس من
الحجرة ووضعته وفق عقول أهل زمانه، وهذا هو السبب في إحياء الكثيرين عن
قراءته، في هذه المرة صرحم على تصحيحه وفيه عذرة

ولما حُبِّبت إلى قارئه تكلمت على درسه كتب السلف، ومن بينها كتاب
الإحياء هذا، فتبينت مقدار ما وساهم التعاليم لهذه سبب إعراسها في هذه
الكتاب، فانبعثت في رعيه لأحرار ما فيه من الكنوز الثمينة، ونذكر ثمره عليه،
أهدىها جماعه المسلمين في وجيز يسر عيهم تناولوه والانتفع به مع ربادات من بعض

الملك رأيتها تفيد في حالتنا الحاضرة . وقد قويت هذه الرغبة بتشجيع إخواني -
سبحهم الله .

ولما كان هذا المؤلف الجديد قد اشتمل على وصف كاشف لأمراض القلوب ،
وبيان وافٍ لعلل النفوس ، وعلاج دقيق لمهلك الأمراض ، فقد سميت (طب
القلوب) وقد توجيت في وصفه الممرات سهبة والآفاظ الواضحة . بحيث يتمكن به
كل قارئ دون كد واجتهاد . وقد راعيت ذكر أساليب الأحاسار التي يحتاج فيها
الأمرك . وأعصت ذكر أساليب البعض كما هو الحال في الأصل وعلى من يريد
الاطلاع على أساليب جميعها أن يقرأ ذلك في كتاب (المعنى عن حمل الأسير في
الأسفار في خرج ما في لإحياء من الأخبار) للعراقي . وعلى حمة من أحدث بعون
الله تعالى في معالجة الإحياء لأحبه وتبديد ما يدرس منه لأحبه - فكان كتابي هذا
للإحياء إحياء ، ونشره لمرضى مني وشفي .

ولما تم تأليفه ونزول أنوابه . عرضته على بعض حضرات علماء معهد فؤاد الأول
بأسبسط فتكرموا بمرأعته ، ثم عرضته بعد المراجعة على حضرة صاحب الفصيلة
الأساذ الكبة شرح المعهد وطلع فضيله على بعض أنوابه ، وشجعني أعزّه الله على
المعنى في إحراجها ، فخرجتم الله عن لدين حبر الجراء .

وإن وقد تحسرت على 'الخصوص في هذا البحر الخضم' مع عجزى عن عو
لحنه - لأن لم أكن من أتائه الزاهر الشريف - أصب من حضرات من يرون .
أنى قد تطلعت على مؤائدم أن يكونوا كراماً ، فيقولون الله في صمى ، ويعتصرون لى
هذه الرثة . ويعلموا أنه بقدر ما وافقنى مولاي عر وحل كنت ، فما كنت
إذ كنت ، ولكن الله شاء بقدر ، فهو الذى ألهم 'قلب' وأسطق اللسان ، وهو
الذى سحر ليد وحرك 'تقلم' فمسة نمس إلى 'عبد محار' ، ولا فاعل في الحقيقة
إلا الله تعالى .

كما أدعو في رفق وحشوع من يتقدم وسع هذا كتاب . أو يستصغر مدته
لعلمية . أن يتقدم للعمل على قدر عمله وعمره مدته ، وليبدأ وسع ، وجماعه
المسكين في حاجة إلى من يمد يده يمشيهم من هاوية الغفلة ، ويظهرهم من جرائم

أمراض حب الدنيا التي تغلغل في القلوب فأمايتها ، وهذا يكون قد أدى واجباً دينياً هو في علق كل مسلم ، وفي دمه كل مطلع .

وأحب أن يكون مفهوماً عند قراء هذا الكتاب ، أن دواء الأبدان لا يكون باجماً وشافياً ، إلا إذا أخذ باعتناء وتحفظ وفق إشارة الطبيب الذي حسن النصح وعرف موطن الداء . كذلك أرحو أن تقرأ أبواب هذا الكتاب باعتماد وفهم ، وأن يعمل بما جاء بها وفق تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم وإرشاد السلف ، الذين عرفوا أمراض القلوب والآفات التي حجبها عن الله تعالى ، حتى يروى ما بها من علل وأمراض ، وتصح صالحة تفكر من حصره تعالى .

وإني حين أقدم كسفي هذا لأخواني ، لأعيركم خدم من الدروب والخطايا ما أعساه من نسي ، فأنا العبد الوحيد المذنب ، قد ضيعت عمري في اللهو واللعب ، فاستغفر الله العظيم لي ولهم من كل قول أو عمل يبعدني عن حظيرة رحمته ، كما ينتهل إليه نعي أن يتقبل عنا توبتنا ، ويسأله كما سألته أسابقون من المؤمنين ، متوسلين إليه بقوته عز وجل (ربنا لا تشرع قلوبنا بعد إذ هدانا وما كنا من المهتئين) رحمه إنك أنت الوهاب .

المؤلف

محمد معوض

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تسبح بحمده الرمال وتسجد لعظمته وكبريائه نطال . وتتصدع
من خشيته وهيبته الخصال . والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، المبعوث بالهدى والكمال ،
وعلى آله وأصحابه ، لمبرئين من لربح وأضلال .

(أما بعد) فلما نفذت الطبعة الأولى ولم تسد حاجة القراء ومضت فترة لم
أستطع إعادة الطبع بحروف خاصة ، استعنت من بيده يعون والتوفيق -- وأقدمت
على الطبع في وقت ضاعفت فيه نفقات الطبع بزيادة على رعيه لإخوان الدين لم
تصلهم الطبعة الأولى

وقد تشروع عروصت سكنت مرة ثانية على حفة من فضلاء كبار لعلماء
وفي مقدمتهم صاحب القصة الشيخ عبد الرحمن السدي شيخ معهد أسيوط
فاصنع عليه قصيدته واقتنع بأسلوبه ووصفه بكلمة براها على في مقدمة صفحات
الكتاب كما اصنع عليه حصرة صاحب القصة شيخ محمد أمين ، وكيل
المعهد ، وفصله من يعون على نشر تذييل الإسلام ، وشجعوني في إتمامها ،
وشمعه ، رب الله في نفس من ، وعمره سنة من ، فصله ،
وشجعتني على طرح هذه الطبعة في الوقت الذي خردت به من عملي ، حسن
الخرم وأمره

وم يكف قصته هذه مساعدت قيمه ، بل أن يوضح الكتاب في
علم ودرر الكمال -- فهذا هو يق تصديقه في مقام حصرة صاحب القصة مؤيد ،
الأستاذ الكبير ، الشيخ محمد عامر السدي ، شيخ اجمع لأمر وركاؤه أمدته .
وتفصل -- حفظه الله -- وقبل إهداءه ، وأذن بطبعه توجنه بشره ، وتعميما ليعه ،
ومعني بدعواته الصالحات ، فكانت هذه المكرمة كبر مشجع لي على الطبع .

ولزيادة الاطمئنان إلى ما جاء فيه من الأحاديث السوية للتريفة ، أحدثت في
مراجعتها وتعميها مرة ثانية وثالثه على كتب الحديث -- وخاصة ما أوصحه الأستاذ

العراقي في كتابه الخاص بتحريج ما في الإحياء من الأحاديث - كما استوعبت لهذا العرض أيضاً الأحاديث الواردة في مكتب (الآلَاء المصنوعة - في الأحاديث الموصوعة) للأستاذ السيوطي . وقد مررت لمخرج الحديث رموز كما هو الحال في كتاب (الجامع الصغير) وهي :

(ح) ببحارى و (م) لمسلم و (و) لآب داود و (ت) ترمذى و (هـ) لآب ماجه و (ن) بنسائى و (ق) لبهارى و مسلم و (ع) متفق عليه (أو تقدم) و (ك) للحاكم و (هـ) تيهيقي و (ج) لآب نسيم و (ط) للطبراني و (ص) لآب حبان . وما عدا ذلك فقد ذكرت اسم مخرج الحديث أما الأحاديث التي لم أدر إليها فهي الأحاديث المعروفة

كما وأنه لمادة إضلاع القريء لمكرهم أدخلت في هذه الطبعة موضوعات كثيرة قيمة ، مع شروحات مفيدة - فليست هذه الطبعة حقة جديدة من الكمال والتهديب وعلى ذلك فإن أوسم كنى هذا (الطبعة شابه) و في التخصيص ، شاملاً لكل ما يحتاج إليه المسلم .

وأرجو أن أكون قد وفقت في هذاه إحوالى المسلمين ما يسعهم ويسعدهم في إدارته . إن شاء الله تعالى ، وأما الله حكيم أن يقطعه من ويهيى خطاً من حديث الرسول حيث قال : ما من منسى من لآليه هدية أفضل من كنه تزيده هدى ، أو ترده عن ردى) (أبو قديم) ودرته عليه الصلاة والسلام (من دلت على خير فله مشى آخر فاعله) (مسلم) و (ع) والحمد لله رب العالمين

المؤلف

محمد معوض

مصادر الكتاب

- ١ - لقرآن الكريم .
- ٢ - كتب الحديث .
- ٣ - تفسير القرآن ، ذى السعود العدى .
- ٤ - احزء الاول من تفسير القرآن ، للقرطبي .
- ٥ - تفسير القرآن ، للأوس .
- ٦ - إحياء علوم الدين ، حجة الإسلام أبى حامد الغزالى .
- ٧ - كتاب الفقه ، على المذهب الأربعة (قسم الفوائد)
- ٨ - إنباط المحم فى شرح الحكم لاس عجبة (على حكم من عطاء الله السكندرى)
- ٩ - ثبوت قيمت والخواهر فى عقائد الأفكار ، للشعرافى .
- ١٠ - مطلقات الكبرى ، للشعرافى .
- ١١ - مصابيح السنة ، للبعوى .
- ١٢ - الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، للجيلانى .
- ١٣ - عوارف المعارف ، للسهروردى .
- ١٤ - المعنى عن حمل الأسماء فى الاسفار ، فى تخرىج ما فى الإحياء من الأحبار ، للعراقى .
- ١٥ - وفاء الوء بأخبار دار المصطفى ، للسهرودى .
- ١٦ - الترغيب والترهيب ، الحافظ المنذرى .
- ١٧ - تنبيه المعتزين ، للشعرافى .

باب في بيان عقيدة المؤمن

اعلم رحمك الله أنه ينبغي لكل مؤمن أن يصريح بعقيدته وينادي بها على رموس
الشهاد فإن كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى وإن كانت غير ذلك يئسوا له
فسادها ليتوب منها . وقد أشهد هود عليه السلام قومه على نفسه بالبراءة من الشرك
بالله والإقرار له بالوحدانية (قال إني أشهد الله وأشهدوا أني ترى مما
تُشركون) كما في الآية . وذلك لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله بين
يديه ويألم في الموقف العظيم الأهوال حتى يؤدّي كل شاهد شهادته وكل
أمين أمانته .

فوجب علينا أيها المؤمنون أن نُشهِدَ الله تعالى ونُشهِدَ ملائكته وأبيائه
ونُشهِدَ بعضنا بعضاً أننا نقول قولاً جازماً بقولنا أن الله تعالى إله واحد لا ثاني
له . منزه عن الصاحبة والولد . مانث لا شريك له . صانع لا مدبر معه . موجود
بداته من غير افتقار إلى موجد يوجد به . فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود
بنفسه . لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه . بل وجوده مطلق ليس بمجهر فيحتاج
إلى مكان ولا بصرص فيجوز عليه التعبير والسماء ولا يحسم فيكون له الجهة والتلقاء
مقدّم عن الجهات والأقطار . لا يحده زمان ولا يحويه مكان . بل كان ولا مكان
وهو الآن على ما عليه كان . فهو القيوم الذي لا ينام والقهار الذي لا يرام (ليس
كشأنه شيء وهو السميع البصير) . خلق العرش وجعله حدة الاستواء وأنشأ
الكرسي وأوسعته الأرض والسماء . اخترع اللوح والقلم الأعلى وأحرأه كما يشاء
بعله في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء . أبدع العالم كله على غير مثال سبق . وخلق
الخلق وسيفنئ ماخلق . أرل الأرواح في الأشباح أمناء وجعل هذه الأشباح
في الأرض حلقاء وسخر لها مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه فلا تتحرك ذرة
إلا به وعنه . خلق الكل من غير حاجة إليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن
عليه سبق فلا بد أن يخلق ما خلق . علم الأشياء قس وجودها ثم أوجدها على حد
ما عليها فلم يزل عالماً بالأشياء لم يتجدد له علم عند تحدد الإنشاء . لم تتعلق قدرته
تعالى بإيجاد شيء حتى أراد أن يردده حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد

[illegible]

الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكل أو شقياً لما كان في ذلك من شأن لكنه سبحانه لم يرد ذلك فكان كما أراد فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم المَعَاد . فتؤمن أن الألوهية أعطت هذا التقسيم وأنه من دقائق القديم فسبحان من لا تاعل سواء ولا موجود بذاته إلا أباه (والله حفيكم وما نعمون) (ولا يسأل عما يعمل وعم يسألون . فله الحجة الدالة ولو شاء لهداكم أجمعين) .

وكما أنا أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه وأشهد بعضنا بعضاً على أنفسنا توحيدَه فكذلك نشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه ويشهد بعضنا بعضاً على أنفسنا بالإيمان من اصطفاة الله واختاره واحته من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أدى أرسنه إلى جميع الناس كافة نبيراً ونذيراً وداعياً إلى الله يهده وسراجاً منيراً ، فبشع صلى الله عليه وسلم ما أرسل إليه من ربه وأدى أمته ونصح أمته ووقف في حجة الودع على من حصره من أتباع الخطب ودكّر وحوّث وحذر ثم قال (ألا هل سمع) قالوا بلى يا رسول الله فقد عبيد السلام (اللهم وشهد) وأب مؤمنون كدّنا ما جاء به عليه السلام بما عساه به وما لم يعلم كما أم كل ما جاء به الكتب والرسل من عند الله عبده أو جهنائه وأنشأ مؤمنون به إجمالاً وتفصيلاً (لا اله الا الله) (لا اله الا الله) (لا اله الا الله)

فهذه شهادتنا على أنفسنا أمانة عند كل من وصلت إليه يؤدها إذا سئل عنها حيثما كان . فعاد الله وإياكم بهذا الإيمان وثبت عليه عند الانفال إلى الدار الحيات وأحت دار الكرامة والإصوب وحال يثوبين دار سر بين أهلها قطران وجعلنا من الذين أخذوا الكتب بالآمان وثقل لهم الميزان وثبت مهم على الصراط المقدم إليه المنعم المحسن .

قصيدة أبي محمد بن أبي البطيوني في التوحيد

ولم يزل يشكر الله حمد
وإني لساع في رضاك وجاهد
عن عبادة الله بالعبادة
وإني لساع في رضاك وجاهد
وإني لساع في رضاك وجاهد
وإني لساع في رضاك وجاهد

أغيرك أدعو لى إلهاً وخالقاً
وقدماً دعا قوم سواك فلم يقم
وبالفلك الدوائر قد صل معشر
وللعقر عبادة وللنفس شيعه
وكيف يصر القصد ذو العقب والهبى
وهل فى الذى طاعوا له وتعبدوا
وهل يوجد المعول من غير عنة
وهل غت عن شيء فينكر مكر
وفى كل معبود سواك دلائل
وكل وجود عى وجودك كائن
نرت منك فيها وحدة لو منعها
وكم لك فى خلق الورى من دلائل
كى مكذباً للجاحدين موفهم

وقد أوصح البرهان أنك واحد
على داك برهان ولا لاح شاهد
وللبرهان السبع داع وساجد
وكلهمو عن منح الحق حائد
ونح الهدى من كان نحوك قاصد
لأمرك عاص أو لحقتك جاحد
إذا صح فكر أو رأى الرشد راشد
وجودك أم لم تند منك الشواهد
من الصنوع تبندى أنه لك عائد
فواحد أصناف الورى لك واجد
لأصبحت الأشياء وهنى بوائد
يراها الفتى فى نفسه ويشاهد
تحاصمهم إن أنكروا وتنعاند

باب فى فضائل القرآن الكريم

القرآن هو كلام الله القديم المبرر على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (لا يأتى الباص
من بين يديه ولا من خلفه نرى من حكيم حميد) فيه أصول العلوم الشرعية وهو
مستند السنة الصحيحة وكفيل لمعادى الدنيا والآخرة لمن اهتدى بهديه وسار على
هجه. ومن طيب كتاب الله تعالى وحده فيه شفاء ورحمة قال تعالى (ونزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) جعل الله سبحانه وتعالى أمثال القرآن عبراً لمن تدرها
وأوامره هدى لمن استصراها وشرح فيه واجبات الأحكام وفرق فيه بين الحلال والحرام
وقص فيه غيب الأحبار ولم يدع كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها قال تعالى (ما رطنا
فى الكتاب من شيء) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الرب تبارك وتعالى
تم شعث القرآن ودكرى عن مسألنى أعطيتُه أفضل ما أعطى السائلين) وقال
(وفص كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) (ت) وعن على كرم الله
وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستكون فتن كقطع اللين المظلم)

قلت يا رسول الله وما المخرج منها قال (كتاب الله تبارك وتعالى فيه بأمر قلتم
وحرر من بعدكم وحكم ما بينكم هو نقص ليس يهرل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين وبوره المين والذكر الحكيم
وهو الصراط المستقيم هو لدى لا ربيع به الأهواء ولا تنفسه الألسنة ولا تشعب
معه الآراء ولا يشع منه لعناء ولا يمه الآتياء ولا يحنق على كثرة الرد ولا تنقضي
عجائنه هو الذي لم تلبث الخن إذا سمعته أن قالوا (إنا سمعنا قرآنا عجبا) من علم عليه
سقى ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى
صراط مستقيم (ت) .

وقال عليه الصلاة والسلام (يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة إقرأ واصعد
فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه) (هـ) وقال (خيركم من تعلم
القرآن وعلمه) إذا فليتنق الله من تعلم القرآن ما أن يجعل قراءته لله وأن يخلص العمل
به لله فلا يرأى به ولا يجادل به ولا يعصى الله به . ولتكن تلاوة القرآن بحسب ما ورد
في ذلك . روى الترمذي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع
قراءته يقول (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف (الرحمن الرحيم) ثم يقف وكان يقرأ
(مالك يوم الدين) ويحب عليه نذر معاني القرآن وفهمه حتى يعلم عن الله
تعالى مراده .

وليحذر العبد أن يفسر كلام الله تعالى على غير معناه فإن في ذلك شططاً قد يؤدي
إلى الهلاك وأما من الكثير من تعاسير أئمة الدين فيبقرؤها قال عليه السلام (من فسر
القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) .

أما فضائل القرآن الكريم فيعجز العالمون عن إدراكها ولكي يحيط القاريء
بمفصل بعض سورة يذكر شيئاً مما جاء في فضائل سورة الملك ونسعى سورة تبارك
والمنجية والمنعة والمجادلة فقد أخرج لطبراني عن ابن مسعود قال كنا سميها على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناعة وأخرج الترمذي وغيره عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال صرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جباهه على قبر وهو
لا يحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى حتمها فأتى النبي صلى الله

عليه وسلم فأجره فقال عليه السلام (هي المانعة هي المنجية نجيته من عذاب القبر) وقد جاء في فضل سورة تارك أحبار كثيرة مهابا أخرجه الإمام أحمد وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شتمت لرجل حتى عمر له تدرك الذي بيده الملك) وعلى كل فأكبر القربات إلى الله تعالى تلاوة كتابه العزيز حمدك الله من أهله ونفعنا به .

لم يكن غرضي حين عزمت على وضع هذا الكتاب أن أكتب في علم الفقه لتداول كتبه ومعرفة أحكامه لكنني رأيت لإتمام الفائدة التي أرجوها أن أقدم لإخواني بياناً موجزاً عن الضروري من أمور الطهارة وكيفيةها وشرحاً وافياً لصبط أركان الصلاة وتصوير هيأتها العملية وفق ما جاءت به الشريعة السمحة عسى أن ينفعهم هذا الشرح في تصحيح عباداتهم والله الموفق .

حكم الطهارة وأقسامها

تنقسم الطهارة إلى قسمين - طهارة من الحدث وهي ثلاثة أصناف وصوء وغسل أو تيمم وطهارة من الحدث وهي قسمان أصلية وهي القائمة بالأعيان الطاهرة فأصل خلقها وعارضة وهي التي تحصل باستعمال المطهرات فالأعيان كلها طاهرة ما لم يثبت نجاستها وهي كثيرة منها احماد وهو قسمان جامد ومائع . من الجامد جميع أجزاء الأرض وأنواع الساعات ومن المائع المياه والربوب والعسل وماء الأرهاار والطيب والخمر

حكم النجاسة وأقسامها

تنقسم النجاسة إلى قسمين حكمية وحقيقية . فالحكمية ما لا جرم لها ولا طعم ولا لون ولا ريح . والحقيقية هي التي لها جرم أو طعم أو لون أو ريح وهي لعينة عند السادة الشافعية .

من الأشياء النجسة ميتة الحيوان الذي (غير الآدمي) إذا كان له دم يسيل عند جرحه أما التي ليس لها دم يسيل فهي طاهرة مثل الجراد . وميتة الحيوانات البحرية كلها طاهرة

ومن الأشياء النجسة الدم إلا الكبد والطحال ودم القمل والبرغوث والبق فهي طاهرة .

ومنها القيح والصديد والكلب والخنزير وما تولد منهما (خلافاً للبالكية) أما نجاسة الكلب فلا أمر بإرافة الماء الذي ولع فيه وغسل إنائه لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا ولغ الكلب في إماء أحدكم فببرقه) ثم يمسحه سبع مرات (وأما نجاسة الخنزير فلاه أسوأ حالا من الكلب وأن القرآن صرح على تحريمه .

ومنها المسكر المائع لأن الله تعالى قد سمى الخمر رجساً والرجس في العرف النجس وأما لشارع حكم بنجاسة المسكر المائع فوق تحريم شره تفسيراً عن الاقتراب منه

حكم إزالة النجاسة

يجب إزالة النجاسة عن بدن المصلي وثوبه ومكانه إلا ما عفى عنه لتعذر إزالته أو عسر الاحتراز منه دفعاً للحرج - أما عن ثوب المصلي فلقوله تعالى (وثيابك فطهر) وأما عن البدن فلا بد من أولي الطهارة من الثوب وأما عن المكان فيقصد بها تحسين حال المصلي وقت حاجته إليه والمكان كالثوب في ذلك - أما المعفوات ففيها خلاف في المذاهب .

آداب قاضي الحاجة

يندب لقاضي الحاجة أن يدخل بيت الخلا براحه اليسرى ويخرج باليمنى وأن يقول عند الدخول (بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبثات) فإذا كان في الخلا يقول ذلك عند تشمير ثيابه وقبل كشف عورته ويقول عند الخروج (غفر الله لي ولجميع المسلمين) ولا يقصص حاجته قائماً وأن يحتج عن أعين الناس حتى لا يراه أحد ولا يسمع صوت ما يخرج منه ويعطى رأسه حياء من الله والملائكة . ويحرم عليه قراءة القرآن من وقت الدخول إلى الخروج ويحرم الدخول بالمصحف أو آية واحدة إلا إذا حمل على سبيل التبرك بشرط أن يكون داخل علاف كما يكره ذكر الله تعالى باللسان . ويحرم قضاء الحاجة فوق القبر .

ولا يجوز لمن يقص حاجته في الخلاء أن يستقبل القطة أو يستدبرها ولا يستقبل عين الشمس والقمر لأنهما من آيات الله العظيمة ومنهى عن قضاء الحاجة في الماء إراكند كما يحرم قضاؤها في منابع الماء وطريق مرور الناس ومكان استظلهم ويلحق هذه الأماكن مواضع اجتماع الناس ويكره التكلم إلا للضرورة ويكره حمل ورقة أو خاتم مكتوب فيه اسم الله إلا إذا كان مستورا ويكره البصق والتخط لا حاجة وإضاعة المكث فلا عذر ويجب تنقية المح من بول أو غائط حتى يغلب على طنته أنه لم يبق فيه شيء وهذا يسمى الإستبراء .

حكم الاستنجاء وكيفيته

الاستنجاء هو غسل ما تلوث به القلب أو الذر أو مسهما بالأحجار ونحوها ويسمى المسح بالأحجار استنجاء ويكفي إحداهما والماء أفضل لأنه يزيل النجاسة ويمحو أثرها ويندب الجمع بينهما . والاستنجاء يكون بنصر اليد اليسرى ويبل بالمد قبل ملاقة الأذى لنسب النظافة ثم تعسل اليد بالصابون أو شيء منطبل أما الاستنجاء فيكون بالأشياء الطاهرة ثلاث مرات على الأقل ثلاث أحجار أو بحجر له ثلاث أركان ومما يستعمل في الاستنجاء الحجر وقطع انطين اباس والخرق البالية ويحرم العظم وروث البهائم والورق الذي يصلح لسكنانة أو المكتوب بالحروف العربية ولا يجوز بما هو أملس كالزجاج وورق الأشجار أو الرطب كالطين

مباحث الوضوء

الوضوء هو غسل بعض الأعضاء ومسح بعضها وهي أربعة . الوجه واليدين والرأس والرجلان وكلها تعسل إلا الرأس فإنها تمسح كلها أو بعضها وقد ثبت فرضيته للصلاة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) فمن جحد الوضوء فهو مرتد عن الإسلام — أما شروط وجوبه فالبلوغ ودخول الوقت ويصح قبل دخول الوقت إلا من المعذور فإنه لا يصح .

والقدرة على الوضوء بأن يجد الماء الكافي ويقدر على استعماله فلا يجب الوضوء

على فاقد الماء ولا على من لم يقدر على استعماله كمرض بصره الماء ووجوده ناقص فلا يجب تجديده بعد دخول الوقت ما دام لم ينقص أما شروط صحته فهي عدم الحائض اذاع من وصول الماء إلى الشرة كشمع ودهن وعجين وقذى العين والأوساخ المتجمدة على العضو - والعقل فلا يصح وضوء المحزون ولا المصروع ولا المعنى عليه ولا المعتوه .

فرائض الوضوء

أولها : غسل جميع الوجه مرة واحدة لقول النبي صلى الله عليه وسلم (الوضوء مرة مرة) أما تكرار الغسل فليس بفرض .

ثانيها : غسل اليدين مع المرفقين مرة واحدة بشرط أن نعم ويجب غسل تكاميش الأناامل وما تحت الأظافر الطويلة .

ثالثها : مسح الرأس مرة وإن لم يكن عليه شعر . فالمسكية والخنايلة قالوا بمسح جميع الرأس والشامخة قالوا بمسح بعض الرأس وإن قل والخنفسة قالوا بمسح ربع الرأس .

رابعها : غسل الرجلين إلى الكعبين مرة ومهما العطلان البارزان فوق القدم ويجب العناية بعسل عقبيهما لقوله صلى الله عليه وسلم (ويل للأعقاب من النار) ويجب العناية أيضاً بعسل الشقوق التي تكون في باطن القدم عند انفلاحي .
خامسها : الترتيب بين الأعضاء الأربعة حسب ما جاء في الكتاب العزيز غير أن المالكية والحنفية قالوا إنه سنة .

سابعها : النية وهي قصد العمل ومحبا القلب وتكون في ابتداء الوضوء والحنفية جعلوها سنة وقد زاد المالكية ذلك وجعلوه فرصاً .

سنة الوضوء

وأما سنة فيها غسل اليدين إلى الرسعين والرسغ مفصل الكعب والتسعة والمصصة والاستنشاق والاستنثار وهو طرح الماء ومسح الأذنين ظاهراً وباطناً والثالث مع تعميم الماء في كل مره ونكره الريادة ورد مسح الرأس والاسبيك

في أول الوضوء وتحليل أصابع اليدين والرجلين وكيفية في اليدين أن يجعل باطن إحداهما على ظاهر الأخرى مع إدخال الأصابع وكيفية في الرجلين أن يضع حصره اليسرى بين كل أصبعين من أصابع رجله متدناً من حنصر اليمين ومنها تحريك إصبعه حتى يصل الماء تحته وتحليل شعر اللحية العريضة وكيفية أن يأخذ الماء بیده اليمى ثم يضع يده أسفل لحيته من جهة صدره ثم يعرق بين الشعر إلى أعلاه .
وتقدم اليمى على اليسرى وعمل الوجه من أعلاه واليد من الأصابع إلى المرفق ومسح الرأس من الأمام وغسل الرجلين من أطراف الأصابع إلى الكعبين ومن السنة إطالة العروة والتججيل بأن يغسل أكثر من القدر المفروض في الوجه والرجلين لقوله صلى الله عليه وسلم (إن أمتي يدعون يوم القيامة غمرًا مُحجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غمرته فليفعل) واستقبال القبلة حال الوضوء .

مكروهات الوضوء

أما مكروهاته فهي الإسراف في الماء والريادة على ثلاثة لا سيما الصائم في المضمضة والاستنشاق والوضوء في مكان متجسس والكلام حال الوضوء وترك سنة من السنن والاستعانة بالغير .

نواقض الوضوء

ينقض الوضوء أشياء منها الخارج من أحد السيلين وهي الأشياء المعتادة كالبول والمذى والودي والمني والهذى وهو ماء أبيض يخرج من قبل المرأة قبل الولادة والمغاط والريح وإما أن يكون عبر معتاد كالودود والحصى والقيح والصدید والدم . وكذا ينقض الوضوء غيبة العقل تغايط حرأ أو حشيشة وبخورها أو إغماء أو نوم ولمس من يشتهى لشهوة أو قصد . أما الشافعية فاللمس بقص أياً كان ومس الذكر بلا حائل ومس حلقة الدر أو قبل المرأة سواء كان اللامس رجلاً أو امرأة وينقص الوضوء كل ما خرج من غير السيلين كالدم والقيح والصدید

حكم وضوء المعذور

المعذور هو الذى لا يمكنه إمساكه أو استطلاق بطن أو دهلات

ريح أو استحاضة أو نحو ذلك مما ليس في الإمكان منعه . وفيما ينقص وضوء
المعذور تفصيل في المذاهب .

ما يحرم على المحدث حدثا أصغر

يحرم عليه الدخول في أي صلاة وكذا سجدة التلاوة وسجدة الشكر والطواف
ومن المصحف كله أو بعضه لقوله تعالى (لا يَسْمُكُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) وهذا
تفصيل مطول في المذاهب فليبر جمعه من يريد .

مبحث العسل وأسبابه وكيفية

للعسل أسباب ومرائض ومن ومندوبات وأنواع :
فأسبابه خمسة . الخيض والدمس (أو الولادة بلا دم) وموت المسلم إلا الشهيد
وإسلام الكافر والجنابة . أما الجنابة فتحصل بأمرين أحدهما نزول المني من
الرجل أو المرأة بأي سبب من الأسباب ومن رأى اللان بعد الأسباب من النوم على
الثوب أو البدن أو طاهر القل فيجب عليه العسل سواء تحقق أنه منى أو شك في
ذلك وسواء تذكر لمدة أو لا وكذا من داعب امرأته أو نظر أو تعكر فخرج منه
إلى طاهر القل في البقطة فيجب عليه لعسل بشرط أن ينمض المني عن مقره
وكذا إذا حرج لمي بعد دهاب اللدة وحب العسل أما إذا حرج بسبب مرض أو
صرقة على صله أو حمل شيء ثقيل ونحو ذلك فإنه لا يوجب العسل إلا عند السادسة
الشعبة فإنه يوجب العسل - الأمر الثاني - إيلاج رأس الأكليل في قن أو
دبر ولو بهيمة فيجب الفسل سواء أرل أو لم ينزل - أما فرائضه فالثنية عند غسل
أول جزء من البدن وتعميم الخسد والشعر بالماء ويجب إيصال الماء إلى كل ما يمكن
إيصاله إليه بلا مشقة فو بقي جزء يسير من الدن لم يصل إليه الماء فلا يصح العسل
ويجب إزالة كل حائل يمنع وصول الماء كالعجين والشمع وقوى العين ويجب أن
يرع حاتم الصيق ويجب على المرأة أن تحرك قرصها الصيق وعلى الخمة فيجب تعميم
الحشم بالماء حتى لأماكن العائرة مثل السرة ومكان الجرح أما سنن لعسل
ومندوباته فكثيرة وفيها خلاف في أسباب وملخصها لتسبعة مقرونة بنية العسل

وعسل ليدفن إلى الكوعين وعلى المداكير أولاً بمنظف ثم تعسل بنية رفع الحدث عنها والوصوء كاملاً وذلك ما تصل إليه يده من يديه وغسل الرأس أولاً ثم شقه الأيمن فالأيسر وستر العورة ولو كان بحرة وتثيت العسل وتحليل الشعر والأصابع وعدم حلق الشعر وتقليم الأظفار قبل العسل ولا يستعين بالغير إلا بعد واستقبال القبلة واستحضار النية حتى النهاية .

أما أنواع العسل فهي تنقسم إلى مفروص وغيره . فالاغسالات المفروصة أربعة . العسل من الجنابة والعسل من الحيض عقب انقطاعه والعسل من النفاس أو من الولادة بلا دم وعسل الميت . وما عدا ذلك فهو مسنون من المسنون غسل يوم الجمعة ولين غسل الميت وللعبيد ومن الإغماء والجنون وللوقوف بعرفة وعند تغير البدن بالمعرق أو الاشتعال في خم أو جبر أو دقيق أو تراب يثير منه العبار أو نحو ذلك والحضور بحال الخير وللاعتكاف وللدخول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وغسل العبي إذا بلغ .

ما يحرم على المحدث حدثاً أكبر

الحدث الأكبر هو الجنابة والحيض والنفاس والولادة بلا دم ويمتنع به ما يمنع بالمحدث الأصغر من الأمور السابق ذكرها ويزيد عليها أن الحدث الأكبر يمنع قراءة القرآن ودخول المسجد كما يحرم على الحائض والنفساء الصوم والصلاة فإن صامت فلا يتعقد صومها ويجب عليها قضاء ما فاتها من الصوم بخلاف الصلاة فإنها لا تقضى ويحرم قربان المرأة حتى تظهر من ابتلى بذلك فقد أثم ووجبت عليه التوبة فوراً ويحرم الاستمتاع ما بين السرة والركبة أثناء ذلك .

مبحث التيمم وكيفيته

التيمم طهارة تراهية تشمل مسح الوجه واليدين وثبت بالكتاب والسنة والإجماع وله شروط وأسباب وموانع وسنن وكيفية ومبطلات .

من شروطه دخول الوقت فلا يصح التيمم قبله ومب النية وطلب الماء عند فقد

وعدم وجود الحائل على عضو من أعضاء التيمم ومنها الخلو من الحيض والنفاس ووجود سبب من الأسباب التي ستذكرها بعد .

أما أسبابه فهي ترجع إلى أمرين . أحدهما فقد الماء بأن لم يجدّه أصلاً أو وجد ماء لا يكفي للطهارة - ثانيهما عدم القدرة على استعمال الماء في حال وجوده أو كان يقدر ولكنه يحتاج إلى الماء لشرب وعين وبخوها ومن أسباب العجز أن يغلب على ظنه حدوث مرض باستعمال الماء أو زيادة مرض أو تأخر شفاؤه إذا استند في ذلك على تجربة سابقة أو إخبار طبيب مسلم أو غير مسلم عالم بالطب ومنها خوفه من عدو في طريق الماء سواء كان هذا العدو آدمياً أو حيواناً مفترساً ومنها فقد آلة رفع الماء ومنها خوفه من شدة رودة الماء شرط أن يعجز عن تسخينه .

أما فرائضه فمنها النية وهو أن ينوي اسباحة الصلاة ويصلي بهذه النية فرساً واحداً أو ستة من السنن وهناك خلاف في المذهب في كيفية النية وما يستباح فعله بها وكذا وقت النية ومنها الصعيد الطهور الذي لم يمسسه نجاسة وهو عند الشافعية التراب الذي له غبار والرمل إن كان له غبار وسواء كان لترات محترقاً أم لا وعند الحنابلة هو التراب الذي له غبار وغير محترقاً . وعند الحنفية هو كل ما كان من جنس الأرض مثل التراب والرمل والحصى والحجر ولو أُمس وعندهم لا يجوز التيمم على أجزاء الأشجار والإجاح والمعادن المنقولة .

أما المعادن التي في مقرها فيجوز التيمم بالتراب الذي عليها وبالطوب المحترق . أما المالكية فعندهم التراب والرمل والحجر والشح والطين الخفيف والمعادن إلا الذهب والفضة والجواهر والطوب المحترق ويجوز عليه قبل حرقه . لم يختلط بجس وكذا لا يجوز التيمم عن الخشب وعوّه . ومن فرائضه مسح جميع الوجه بما فيه اللحية ومسح اليدين مع المرفقين ويجب أن يزرع ما ستر شيئاً منها كالخاتم والأساور وراد بعض المذاهب فروصاً أخرى فراجعها أو مل عنها عنا مذهبك .

أما سننه فمنها التسمية والترتيب والقيام واستقبال القبلة . وكيفيته هو أن يمسح وجهه بضرية ثم يصرب ضرية ثانية يمسح بها يديه من أصابعه فيضع أصابع يده اليسرى سوى الإبهام على ظهر أصابع اليمنى سوى الإبهام

ويمر ٣ على اليمنى فإذا بلغ الكوع ضم أطراف أصابعه إلى حرف الذراع ويمر بها إلى المرفق ثم يدير باطن كفه إلى ناص الذراع ويمر بها عليها رافعاً إصبعه فإذا بلغ الكوع أمر إصبع اليسرى على ظهر إصبع اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح إحدى كفيه بالأخرى وأن يفرح بين أصابعه في أول كل صرته ولا يرفع يده حتى يتم المسح .

أما مبطلاته فهي مغطات الوضوء ولدى يمين عن حدث أكبر لا يعود محدثاً حدثاً ذكر لا بما يوجب الغسل وتزد مبطلاته ثم آخر وهو روال العذر المسح يعم كأن يجد الماء بعد فقد أو يقدر على استعماله بعد غمره

مبحث فاقد الظهورين

من فقد الماء والصعيد بأن حس في مكان يسره مظهر أو غمر عن الوضوء والتيمم معاً لمريض ونحوه فيجب عليه أن يصلي في وقت حرمة ثم يعيد الصلاة متى قدر على الوضوء أو التيمم على تفصيل المذاهب .
فأشبهه قالوا يصلي صلاة حنيفة والحنث بقراءة فاتحة فقط وبعد الصلاة عند وجود الماء . والحنثية قالوا يصلي صلاة غير حنيفة أي يشبه فقط بالمصلي فلا يقرأ ولا ينوي ثم يعيد الصلاة . والمالكية قالوا المعتمد في فاقد الظهورين أن الصلاة تسقط عنه أداء وقضاء فلا يصلي ولا يقص . أما الحنابلة فقدوا يصلي صلاة خفيفة مقتصرة ولا يعيدها .

مبحث المسح على الخبيرة ونحوها

الخبيرة ما يصعب تحريكه أو يطيب على نكسها المكسر ومثل الخبيرة الدواء الذي يوضع على الالام وكذا تعصبيه والمسح عليها بدلاً من غسل لنحو المريض بشرط أن يكون الغسل مضرأ فإن ضر الغسل مسح وإن ضر الغسل والمسح معاً فرض المسح على خبيرة مرة واحدة يعممها جميع عن المريض . وبما يطل المسح على الخبيرة سفوفها عن موضعها أو رعاها عن مكانها وضاد . مسح على الخبيرة صحيحة ولا يعيدها .

مبحث الحيض ووقته

وقته من بلوغ الأنثى تسع سنين إلى سن الأس فإن رأت الدم قبل بلوغ تسع سنين أو رآته بعد سن الأس لا يكون دم حيض بل هو دم فاسد ولون دم الحيض الحمرة والصفرة والكدر (وهي بين البياض والسواد) وأن يكون لرحم حائلاً من الحيض أما مدته - الشافعية والحنابلة قالوا يوم وليلة - والحنفية قالوا أقل مدته ثلاثة أيام وثلاث ليال - والمالكية قالوا أقل مدته يوم أو بعض يوم - وأكثر مدته خمسة عشر يوماً وعاليه ستة أيام أو سبعة وأقل مدته طهر خمسة عشر يوماً ولا حد لأكثره . والبقاء من الدم في أيام الحيض يعتبر حياً فو رأت يوماً دماً ريوماً بقاء تعتبر حائضاً في الكل وما ينقص عن مدة الحيض أو زاد على أكثرها فهو استحاضة .

مبحث النفاس

النفاس هو دم يخرج مع الولادة فقال المالكية يخرج مع الولادة أو بعدها وقال الحنابلة الدم الذي قل الولادة بيومين أو ثلاثة مع علامة الطلق وما بعد الولادة يعتبر نفاساً . والشافعية قالوا الدم الذي يخرج بعد زوال المولود فقط . والحنفية قالوا الدم الذي يخرج عند خروج أكثر الولد .

وعلى ذلك فلو شق بطنها وخرج منه الولد لا يكون نفاسه . أما السقط ولو كان عتقة أو مصة فالدم الذي بعده نفاس . ولا حد لأقل النفاس فيتحقق بلحظه فإذا ولدت وانقطع دمها عقب الولادة أو ولدت بلا دم انقضى نفاسها وروح عسب ما يجب على المذاهب . أما أكثر مدته فهي أربعون يوماً عند الحنفية والحنابلة أما عند الشافعية فأكثره ستون يوماً وعاليه أربعون يوماً وعند المالكية أكثر مدته ستون يوماً .

وأما بقاء من الدم أثناء النفاس فعند الحنفية يعتبر نفاساً وعند الشافعية إن كان خمسة عشر يوماً فصاعداً فهو طهر وما بعده حيض . وينقص عن هذه مدة الحمل نفاس . وعند المالكية إن كان نصف شهر فهو طهر والدم النازل بعده حيض .

وعند الحائطة النفس المحتل بين دماء النفس طهر فيجب عليها في أيامه ما يجب على الطاهرات

مبحث الاستحاضة

هي سيلان الدم في غير وقت الحيض والنفاس فكل ما زاد عن أكثر مدة الحيض أو النفاس أو نقص عن أقله أو سال قبل من الحيض فهو استحاضة إلا عند المالكية فالدم النازل قبل من السوء فهو دم غلة وفساد .
ولا تمنع الاستحاضة شيئاً مما ينعمه الحيض والنفس مما سبق تفصيله والله أعلم .

فضيلة الوضوء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من نوصاً فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه بهما شيء من الدنيا حرج من دونه كيوم ولدته أمه) (ان المبارك) وقال عليه السلام (ألا أنتم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسعوا الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) ثلاث مرات وقال (من نوصاً فأحسن الوضوء ثم رفع يديه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة ثمانية يدخل من أيها شاء) من حديث عقبة بن عامر

باب في الصلاة

إعلم أن الصلاة هي أهم أركان العبادات بعد الشهادتين والمحافظة عليها تقود الإنسان إلى أداء باقي العبادات وكذا تنهاه عن جميع المعصيات قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وهي خمس صلوات مفروضة على كل مسلم ومسلمة . الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح . وقد فرضت بمكة ليلة الإسراء قبل الهجرة ستة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام المبينة في قول النبي صلى الله عليه وسلم (بنى الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً) (ف)

وقد ثبت فرضيتها سكتة والسنة والإجماع . قال الله تعالى (وأقيموا الصلاة)
 وقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا حافظوا على الصلوات) (ر) الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (أن موصفاً مؤمناً
 وقال تعالى (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) (إلى غير ذلك من الآيات .
 وأما السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خمس صلوات افترضهن الله
 عز وجل من أحسنهن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن وأتم ركوعهن وحشوعهن
 كان له على الله عهد أن يعتمر له ومن لم يعتمر فبين له عهد الله عهد إن شاء
 غفر له وإن شاء عذبه) (د) وقوله صلى الله عليه وسلم للمعدوم بعثه إلى لين
 (أخبرهم أن الله قد فرص عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة) (هـ) ولم يحذف
 في فرضيتها أحد من المسلمين . فالصلاة معلومة من الدين بالضرورة وجاؤها
 مرتد عن دين الإسلام تجري عليه أحكام المرتدين .

أوقات الصلاة

أما أوقاتها فمعرفة ولا يصح بد قدمت عنها كما يحترم تأخيرها بعد عذر
 شرعي وعلى ذلك يجب أداء الصلاة بأركانها وسببها وهياتها في أوقاتها والأفضل أن
 تؤدى في أول وقتها بقول النبي صلى الله عليه وسلم (أفضل الأعمال لصلاة في أوقاتها)
 (ق) وسئل جابر رضي الله عنه عن مواقيت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان
 عليه الصلاة والسلام يصلي الظهر بالحرارة والعصر والشمس حية والمغرب إذا وجبت
 والعشاء إذا كثرت النجوم وإذا قلوا أحر والصح بطل - أي عند الاسفار .

استقبال القبلة

أما استقبال القبلة فشرط في صحة الصلاة لقوله تعالى (فول وجهك شطر المسجد
 الحرام) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا قمت إلى الصلاة فأصبح الوضوء ثم
 استقبال القبلة وكر) (م) .

باب في شروط أدائها

تؤدى الصلاة قياماً لقوله تعالى (وقوموا لله قانتين) وقوله صلى الله عليه وسلم

من حديث عمران بن حصين (صل قائماً فان لم تستطع فقاعداً) ويجب أن يكون متصباً معتدلاً ولا يبصر أن ينحني قليلاً من ذلك أقرب للخشوع ومن لم يقرأ الفاتحة فلا صلاة له لقوله صلى الله عليه وسلم (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) . (ق)
أما هياتها فإليك ما رواه أبو هريرة في الرجل الذي عبد النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة لما أحل بها فقال عليه السلام (إذا قلت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة ثم كبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم رفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) (م) . وعلى من سمع الإقامة أن لا يسرع في المشي ولا يهرول لقوله عليه الصلاة والسلام (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وبعيكم السكنة فمأدركنم صلتوا وما فاتكم فأنموا) (م) . والعرض من ذلك أن الإنسان إذا أسرع في المشي ووقف في الصلاة فلا يمكنه أن يستحضر قلبه لأن سرعة المشي تحدث اضطراباً في القلب . وعملاً بهذا الحديث أتوجه إلى إخوان الدين يسرعون بالذهاب إلى المسجد فيحدون الإمام راكعاً فيطلبون منه التأيي بقولهم (إن الله مع الصابرين) ثم يأتون باليه وهم في حالة إسراع شديد لا يتأني فيه حصول الاستحصال المطلوب ثم يركعون وربما أتوا بتكثير الإحرام حال الركوع وهذا مبطل للصلاة لأن محلها القيام فتصيح للدين تضادهم هذه الحالة أن لا يطلبوا من الإمام التأيي ولا يدخلون الصلاة إلا في حالة اطمئنان وخشوع ولو أدى ذلك إلى عدم إدراك الركعة التي وحدوا الإمام فيها وسلك تبع تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم . ويشترط أن يكون السجود على يأس تستقر الجهة عليه وأن يكون السجود على أعصائه السبعة الواردة في قول النبي صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجهة واليد والركبتين وأطراف القدمين) (ق)

باب في الأعمال الظاهرة في هيئة الصلاة

يُسَّ للصلي إذا مرع من الوضوء أن يقف مستقبلاً القبلة وأن يساوي قدميه ولا يضمهما بل يفرج بينهما من الأمام بقدر شبر ومن الخلف بقدر نصف شبر وينظر لموضع سجوده ثم ينوي الدخول في الصلاة بقوله — أؤدّي فرض الظهر

له — فيميز الأداء عن القضاء والفريضة عن النفل والظهر عن غيره ولتكن معاني هذه الألفاظ حاضرة بقلبه لأن هذا هو أصل النية ويحتهد أن يستحضرها إلى آخر التكبير فإذا لم يعين الأوقات لم تنعقد صلاته ثم يكبر تكبيرة الإحرام بقوله (الله أكبر) باللغة العربية وتجويز باللغة التي يعرفها المصلي إذا لم يقدر على نطقها باللغة العربية وينطق بالتكبير بصوت يسمعه هو ، أما الأحرص فبكي أن ينوي ذلك بقلبه . ويشترط أن يمد لام الجلالة مدأ طبعياً وأن لا يأتي بها وبين الكلمتين بأن يقول (الله وأكبر) . ولا يبدأ بالتكبير إلا بعد هراغ الإمام معها ويقرأ دعاء الاستفتاح (م) ثم يقرأ الفاتحة آية آية قراءة واضحة تمام حروفها ولا يصلي لعط (آمين) بقوله (ولا الصالحين) . ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا إذا كان مأموماً ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن ثم يركع قائلاً (الله أكبر) ويمدّها إلى أن ينهي من الركوع ويضع كفيه على ركبتيه وأصابعه ممدودة على الساقين ، وأن يصب ركبتيه ولا يثنيهما ويمد ذراعيه وسلك يستوي الظهر مع الرقبة والرأس ، ثم يقول سبحان ربّي العظيم ثلاثاً والربادة إلى سبعة أو عشرة آمين . ثم يعتدل قائلاً (سمع الله لمن حمده) ويطمئن معتدلاً إلى أن يعود كما كان قبل الركوع ويقول (اللهم ربنا لك الحمد ، كثير أطيأ مبارك) — أما إذا سجد قبل تمام الاعتدال طلت صلاته ، ثم يهوى للسجود مكبراً ويضع خفيه مكشوفة على الأرض ويضم أصابع اليدين ويضعها خذاه منكبيه ويحاذي الرجل مرفقيه عن خفيه ويحاذي طئه عن خديه ويهرّج بين رجله (أما المرأة فضم) وتكون يطل أصابع الرجلين على الأرض وأطرافها لجهة القبلة ولا يقترش ذراعيه كما يقترش السبع ، ويقول سبحان ربّي الأعلى ثلاثاً والربادة حسنة . ثم يرفع من السجود مكبراً فيجلس على رجله اليسرى وتبقى اليمنى منصوبة على يطل الأصابع ويضع كفيه على خديه والأصابع ممدودة لجهة لحيته مصمومة صماً طبعياً ويطمئن حالها ، ويقول الدعاء الوارد في ذلك ، ثم يعيد السجود فيعيد رجله اليسرى كما كانت بحيث تكون منصوبة ويطل الأصابع على الأرض كما تقدم ولا يصح تركها مثبّتة ، ثم يشرع في القيام بعد تمام السجدة ثالثة قائلاً (الله أكبر) ثم يمدها بحيث تستغرق حركة القيام وأن يقوم مستنداً على يديه إذا شاء ولا يحسن أن يكون عجزه

أعني من أسه حال القيام . وهكذا بعض في ركعة ثانية ثم يحسن تشهد فإن كانت الصلاة ثلاثية أو رباعية جلس على حلة ليسرى كما تقدم . ثم إذا كان تشهد الآخر فإنه يجلس على ركعة الأيسر ويحس قدم رجليه ليسرى خارجا من تحت ساق رحله اليمنى مع نصب القدم اليمنى ثم يستلم بعد إخراج من التشهد ولا يمد السليم . ونوى به لتسليم على الملائكة ورحال الله الصالحين

باب في المكروهات

يكروه في الصلاة الوسوسة واللب القليل باليد في الملامس أو التمس بدون حاجة وقرعة لأصابع وتشريكها ووضع اليد على الخصرة والانتداب بمب أو يسارا وإلقاء وهو وضع الإصبع على الأرض ونصب الركبتين بقول أن هريرة رضي الله عنه هي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بكره تشمير الكتفين عن المذرعين والإشارة بالعين أو الحاجب أو اليد - إلا إذا كانت الإشارة لرد السلام - وكراهة إتمام قراءة سورة حال الركوع أم إتمام قراءة صلاته حال الركوع فمطل للصلاة - وإيصال لفظ (الله أكبر) بعد تمام الاستعاذ أو يقول (سمع الله لمن حمده) بعد تمام الاعتدال ويكره تمهيص العينين إلا انقضاء لشغوليته وضع البصر إلى السماء وقراءة سورة أو آية في الركعة الثانية أطول من قرأ في الأولى وتكرار سورة أو الآية في ركعة واحدة أو في ركعتين إذا كان يحفظ غيرها وأن يكون بين يدي المصلي (قرب) أو كالقرب فيه حجر وأن يصلي في صف وأمامه صف فيه فرجة والصلاة في المراحل والمجرورة وقارعه الطريق ولحام ومبارك الأسود ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصعد وهو قرن القدمين والصفين وهو الارتكاز على إحدى الرجلين أثناء القيام دون الأخرى (ت) ونهى عن صلاة الخائف للبول والخفق للعائط (هـ) والخارق صاحب الحنف الصيق (ت) فإن كل ذلك يمنع من الخشوع وفي معناه الخنع والمهتم لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا وضع عتد أحدكم أقيمت الصلاة فابدؤا بما عتدوا ولا يعمل حتى يفرغ منه) (ق) ونهى عن صلاة لمقطب وأعضاء وعن ستر الوجه

والصبر في الأرض عند الجود وتسوية الحصى والإستاد حال القيام على حائط
وأما مندوبات الصلاة فمئة نكت الفقه يجب اطلاع المصنف عليها لمعرفة
مايجب منها .

باب في الصلاة في البيت

وأفضل مكان يصلي فيه لوجه القبلة نكت بقوله صلى الله عليه وسلم (صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ
فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنْ أَفْضَلَ الصَّلَاةُ صَلَاةً لِمَرَّةٍ فِي سِتِّهِ لَا الْمَكْتُوبَةُ) (أَيُّهَا النَّاسُ) (١) (٢)
ويستثنى من ذلك صلاة الربيع فإن صلواتها في المسجد أفضل .

باب في فرضية صلاة الجمعة

صلاة الجمعة ركعتان ، روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال - صلاة الجمعة ركعتان
تمام غير قصر على سائر يومكم صلى الله عليه وسلم - وهي فرض عين مستقل وليست
بدلاً عن الظهر غير أنها لو فاتت فرست صلاة الظهر أربعاً ، وقد نكت فرضيتها
بالكتاب والسنة والإجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بُدِئَ
بِالصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ) وأما السنة فهذا حديث عمر
المتقدم ، وأما الإجماع فقد اتفقت الأئمة على فرضيتها . أما شروط وجوبها وشروط
صحتها فمئة نكت الفقه على تفصيل في المداهب .

باب في مندوبات صلاة الجمعة

نظر آلاءة صلاة الجمعة وفصل يومها يذكر فيها بي ما يجب على المسلم أن يعمل
في ذلك اليوم . إعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وحسن به المسلمين قال
تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بُدِئَ بِصَلَاةِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) فحرم الاشتغال
بأمر الدنيا بكل ما يلهي عن السعي إلى الله . فما يجب على المسلم عمله في هذا اليوم
أن يحسن هيئته أن يتقلم أطعمته ويقص شاربته ويرش شعر الإبط وشعر الأذن
وشعر الألف ويعتسل ويتطيب ، والغسل أهميه كبرى ووردت فيه أحاديث كثيرة قال
عليه السلام (من اغسل يوم الجمعة وتطهر بما مستطاع من طهر ثم أدهن أو مر من

طيب ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له ثم إذا حرح الإمام أنصت غفقر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى (ق) ومعنى حرح الإمام أى جسس على المنبر للخطبة، ومن المندوب في هذا اليوم قراءة سورة الكهف والإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام: (أكثرُوا من الصلاة عني يوم الجمعة) (ق) والإكثار من الدعاء لقوله عليه السلام: (إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه) (ت) وأشار بيده بقلها، ومنها لما دارة الذهاب إلى المسجد، ومنها التطيب ليعلم به الروائح الكريمة والترين بأحسن الثياب وأحبا إلى الله تعالى البص، ومنها المداورة والصلاة في نصف الأول، واعلم أنها لمسلم رحمك الله أن إخوانك من المسلمين في القرب الأول من الإسلام كاتب ترحمهم هم الصقات قبل الحجر وهذه عند الذهاب والاصراف من المساجد كأيام الأعياد، ولكن قد اندرس هذا، وفي أول بدعة حدثت في الإسلام ترك الكبير إلى المساجد كيف لا يستحي أيها المسلم إذ رأيت اليهودى والنصراني يكثر إلى الكنيسة يوم السبت أو الأحد، وطالب الدنيا يكثر إلى الذهاب للأسواق ليربح قليلاً أو كثيراً من مال فلم لا يساقطهم طاب الآخرة ليال الأحرار العظيم والرحم الحسيم ومنها عدم تحطى رقاب الناس وعدم المرور بين أيديهم فقد ورد وعد شديد في تحطى رقاب، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يتحطى رقاب المصلين فقال له بعد انصراف من الصلاة (ما منعك أن تصلني معاً) قال ألم ترني يا رسول الله؟ فقال عليه السلام (رأيتك تأتيت وادبت) (د) أى تأخرت عن السكور وادبت الحصور، وفي ذلك إشارة إلى أنه أحط عمله يتحطى الرقاب، وأما المرور بين يدي المصلي فقد قال عليه الصلاة والسلام: (لأن يقف أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي المصلي) (البرار) والقرب من الإمام أفضل، ومنها الإصبات إلى الخطبة وعدم التكلم أثناءها قال عليه السلام (من قال لصاحبه والإمام يحط أنصت أو سمه فقد لعنا ومن لعنا فلا جمعة له) (ت) وهذا يدل على أن إسكات الغير عن الكلام يكون بالإشارة لا بالطلق، وكذا يكره اللعب بالمسحة أثناء الخطبة

لهذا وغيره من السنن أتوجه بهذه الكلمة إلى الذين يأتون يوم الجمعة ثياب قنرة متسحة يتأذى منها المصون، وإلى الذين يهاوون في نظافة أرحمهم فتصاعد من بين

أصابهم رائحة كريهة خصوصاً في ر من الصيف ، وإلى إخوان الدين يلبسون الجوربات
فتبقى أياماً بدون غسل ويحضرون بها يوم الجمعة وهي ممتة فيؤذون من يصلي
بحوارهم ومن حلفهم وهم بهذا قد حالفوا سن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعملوا
بقول الله تعالى (يائي آدم حذار بئكم عند كل مسجد) ولعبوا أن هذه الأمور
تفسد على المصلين صلاتهم لأن المصلي إذا تأذى بها لا يمكنه أن يتصرف فيه ولا يطمئن
في الصلاة - فليكن طبع الله ورسوله وترنس عند الذهاب للمسجد لتقف بين
يدي الخائف العظيم كما ترنس عند الذهاب إلى محلاتهم أو لمقابلة الخلق الأثيم .
وكذا أقدم بالرجاء إلى المستويات بنطاق المساجد أن ينموا سطوتها لاسيما في يوم
الجمعة ، ولعبوا أن عدم النظافة شيء يأم من المصون - وعلى طائفي ثواب الآخرة
من المؤمنين أن يذهبوا في تجديد فرش المساجد ويبادروا إلى ترميمها وتعميرها
في ذلك الخير والعلاج ومضاعفة لأجر يوم لا ينفع الإنسان إلا ما قدمت يداه .
قال تعالى (يا يعشُرُ مسحوا من آمن بالله واليوم الآخر وأقم الصلاة وآق
الزكاة) جعلنا الله منهم .

باب في صلاة الجماعة

صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد لقوله عليه الصلاة والسلام (صلاة الجماعة تفضل
صلاة الفرد سبع وعشرين درجة) (ق) أي المفرد ، وقال عليه السلام (من صلى العشاء
في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والمغرب في جماعة كان كقيام ليلة) (ق)
إلى غير ذلك من الفضائل - وتسقط الجماعة بعدد من الأعداء الآية - المطر الشديد
والبرد الشديد والوحل الذي يتأذى منه والمرض والخوف من ظلم والعمى إن لم يجد
الاعمى قنءاً أو لم يجد نفسه وغير ذلك مما هو مفصل ذكره الفقهاء .

باب في الخشوع

قال تعالى (قد أضح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) فخشوع فمرة
الإيمان ونتيجة ليقين المحصل في قلب بجلال الله عز وجل ، ومن رُرق ذلك فإنه
يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في كل حركاته ومكثاته لأن باعث

الخشوع هو عبدك بأن الله تعالى مطلق عليك في السر والعلن . قال عليه الصلاة والسلام
 (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (ق) وإنما جعل الخشوع في الصلاة
 لأن العبد في الصلاة يناجي ربه فوجب حصول الخشوع في هذه المناجاة . واعلم أن
 الخشوع في الصلاة بمثابة الروح من الجسد ، وكما أنه لا فائدة في جسم بلا روح فكذلك
 لا فائدة في صلاة بغير خشوع ، وقد ورد في الحديث على الخشوع أحوار كثيرة . منها
 ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل كان يوصيه (وإذا صليت فمض صلاة
 مودع) (هـ) أي مودع لنفسه مودع لغيره مودع بغيره سائر مودع موله ، وقال
 عليه السلام (لا ينظر الله إلى صلاة لا يحصر الركن فيها فقه مع بدنه) (ق) ورأى
 صلى الله عليه وسلم رجلاً يبعث بلحته في الصلاة فقال (لو خشع قلب هذا خشعت
 جوارحه) (ق) ومن ذلك يبين أن الحركة في الصلاة تدل على عدم خشوع المصلي وقال
 ابن عباس رضي الله عنهما ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيم بنية القلب
 وقال عليه السلام (إن الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة وركوعهما
 وسجودهما واحد وأن من صلاتيهما ما بين السماء والأرض) وأشار إلى الخشوع ،
 (ابن أبي أسامة) وقال (ليس للعبد من صلاته إلا ما عقق منها) (ق) وغير ذلك
 مما يدل على فضائل الخشوع .

باب في بيان الدواء النافع للحضور القلب في الصلاة

إعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظماً لله عز وجل وحائفاً منه وراجياً به
 ومستحيماً من نقصيره في أداء حقوقه فاعلم كما ذكرنا هذه الأحوال في الصلاة لا يسب
 له إلا تمريق الفكر وتشتت الخاطر وغلبة القلب عن المناجاة والعقلة عن الصلاة
 ولا يلهم عن الصلاة . لا الخواطر الواردة لشاغبه ، فالسواء في إحضار القلب هو دفع
 تلك الخواطر ولا يدفع شيء إلا بدفع سببه ، وسبب موارد الخواطر على القلب
 إما أن يكون أمر أحراراً أو أمر باضاً أما أحرار فبما يفرغ السمع أو بغير
 للنصر وهما أقوى أسباب الخواطر الظاهرة التي تشغل القلب وقت الصلاة ، وعلاج
 ذلك قطع هذه الأسباب بأن يعيّن صوته أو يصلي في بيت مطهر ولا يصلي على
 الشوارع ولا على الفرش المصوغة بالألوان .

أما الأسباب الباطنة فهي أشد من تشعث به الموم في أردية الدنيا لا ينحصر فكره في أمر واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وعلاج ذلك أن يرد نفس قهراً إلى فهم ما يقرأه في الصلاة وبتشعبها به عن عمره وبعينه عن ذلك أن يستعده قبل الدخول في الصلاة بأن يحدد كراهة الأجرة وهو الموقوف بين يدي الجدار وحظر ما حجة المولى سبحانه وتعالى، ويفرع قلبه من التكبر عما يسمعه فلا يترك لنفسه شعلاً يلتفت إليه خاطره. قال عليه الصلاة والسلام لعثمان بن شبة (إن سميت أن أقول لك أن نحمد بقدر الذي في البيت فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم) (د) فهذا طريق تمكين الأفكار، و علم أن الشهوة القوية لا تزال تجدك وتجدد ثم بعد ذلك وتنقص جميع صلواتك في شعب المحادة، وشهوات الدنيا كثيرة فلا يحلو عند منها ويحتملها أصلاً واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان. ومن طوى رطبه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها فلا يطمع أن يصغر له نداء المحادة في الصلاة فإن من يصرح بالدنيا لا يفرح لله عز وجل. وهمة الزحاح مع قرة عينه أي مع ما يسهره. فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا يحاله إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المحادة ورد القلب إلى الصلاة وتقبل الأسباب الشائعة فهذا هو الدواء المر، ولمراته استبشعته لطماع وقت العزة مرمة. وحسن الرحمن العاقل هو الذي يصبر على مرارة الدواء كي يحصل نفسه الشفاء

باب في فضائل الصلاة

ما ورد في فضيلة الصلاة من الأحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم (حسن صوات كنتم الله على العباد من حاد من ولم يصنع من شيئاً استجف فأحقهم كان له عند الله عهد أن يسحله الجنة ومن مات من فليس له عند الله عهد إن شاء عبده وإن شاء أذبحه الجنة) (ابن عبد البر) وقال (مثل أصوات الحسن كمثل مهر عدب عمر بن أبي بكر فتحكم فيه كل يوم خمس مرات فأتروا ذلك يعني من دره) (قائوا لا شيء قال) (إن الأصوات الحسن سذهب الدوب كما سذهب الماء للذن) (م) وقال

(إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبر) (م) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ فقال (الصلاة لمراقبتها) (ق) وقال (من حافظ على الخمس بركات ظهورها ومراقبتها كانت له بوراً وبرها يوم القيامة ومن ضيعها حُشر مع فرعون وهامان) حمد وقال (مفتاح الجنة الصلاة) (ت) وقال (ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة وبوكل شيء أحب إليه منها تعبد به ملائكته منهم راعى ومنهم ساهى ومنهم قنط وقاعد) (ك) وقال (ليس يجزئ البزار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس ومن عروها) (ل) معنى الصبح والعصر. وقال صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي ولله عدي. فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال تعالى حمدني عبدي. وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجّدني عبدي فإذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى قوّصني عبدي. فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هدني بيني وبين عبدي. فإذا قال اهْدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال الله هذه لعدي وللعدي ما سأل) (م) ولا يزال المصلي يتدبر حتى ربه وصب قلبه حتى يتمكن المحبة من قلبه. فهذا كله حب منه لك خُصرته. واستخراج منك لشكره - عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل.

باب في وظائف الإمامة

أما الوظائف التي على الإمام. فمنها أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه. وإذا حُير المرء بين الأذان والإمامة فيسعى أن يختار الإمامة فإن بكل واحد منهما فضلاً ولكن المجمع مكروه. وأن يراعى الإمام أوقات الصلوات فيصلي في أوائلها ليذكر رضوان الله سبحانه. ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة انتظاراً لكثرة الجماعة. وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر للصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم فاستد رسول الله صلى الله عليه وسلم دكةً فقام يفصليها ثم قال (قد أحسنتم هكذا فافعلوا) (ق) وأن يؤم بمخاض الله تعالى ما لا يأخذ عليها أجر. فإن أحد فلا حرمه في ذلك ولكنه مكروه. ويجب أن يكون الإمام طاهر الباطن عن الفسق والكبر والإصرار على الصعتر فإنه كالشميع للقوم فدبى أن يكون خيراً منهم.

فإذا أحدث وهو في الصلاة فلا يستحي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخفيه. وأن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليبتغى يميناً وشمالاً فإن رأى حلاًلاً أمر بالنسوة، وأن يرفع صوته تنكيرة الاحرام وسائر التكرار والله أعلم

باب في آداب المسجد

يدخل الإنسان المسجد بحلة النبي ونزدي تحته قبل الخوض لقول النبي صلى الله عليه وسلم (إدخلكم المسجد فلا يركع ركعتين قبل أن يجلس) (ق) ثم يجلس مستقيلاً لقصة نبي الخشوع وذات، وما دام في المسجد منظر الصلاة فكأنه في صلاة فلا يشك بين أصابعه ولا يبرقعها ولا يعثر بمسحته ولا يشغل قلبه إلا بالذكر الله تعالى والتفكير في أهوال الموت وذكر الآخرة ويكثر من الاستعمار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه شوائب الدنيا القابية. وإذا رأى أحداً يحس في صلاته برشده إلى اصلاحها، وإذا سمع أحداً يتكلم بكلام الدنيا ينهيه عن ذلك، وليحسن لنفسه ورداً يقرأه وهو في المسجد كأن يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له به الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. مائة مرة، وسبحان الله وحمده مائة مرة. أو يقرأ القرآن كي يستفيد بالخوض في المسجد، ما يدا برك لذكر استولى للشيطان على قلبه أو بعينه 'نوم، فإذا قصص الصلاة فنسك تحريم من يخرج. واحتم صلاتك قبل الخروج واسأل الله تعالى من فضله عسى أن يقل صلاتك لأنت لا تدري أقببت الصلاة أم ردت في وجهك، ثم أخرج برحلك ابصر ولا تزحزح نصفك عقب لصلاة في مجلس اللهو والصحة من هذا يسبب ما كنت فيه من الخشوع ويعود قلبك للجفاء كما كان.

باب في فصيلة الأذان

كما ورد في فصيلة الأذان قول النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاثة يوم القيامة على كتيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فرع حتى يسمعوا نوحاً مما بين الناس رجل يقرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم يقوم وهم به راضون، ورجل أدن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله، ورجل أشلى بالرق في الدنيا فم يشعله

ذلك عن عمل الآخرة (ت) وقال (لا سمع نداء لمؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهده يوم القيامة) (ح) وغير ذلك من الفصائل .

باب في الزكاة

الزكاة فرض عين على كل من روت فيه شروطها وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والإجماع قال تعالى (وآتوا الزكاة) وقال عمر وجل (في أموالهم حتى معصوم نسائل والمحروم) وشروطها وأواعها مدونة تفصيلاً في كتب الفقه فعلى من بحث التفاصيل الخاصة بالزكاة أن يسأل العلماء حتى يخرج من مسئولية التفسير لأن الجهل في الأمور الدينية مؤاخذ عليه ، والزكاة ركن من أركان الإسلام الخمس ، فمن أداها فقد أتم دعائه الإسلام وحسب تاركها رجراً أقوله تعالى (وإذا نكروا ذهب وأصصه ولا تقونوا في سبيل الله فيسرفهم بعذب اليم ، يوم يحصى صليها في رحيم فشكوى بها حياء وحنوهم وطهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فصدقوا ما كنتم تكفرون) معنى الإلهاء هذا أداء الزكاة ، وقال أبو ذر انتبهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فمارتني قال (هم الأحسرون ورب الكعبة) فقلت ومن هم قال (الأكرهون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من من يديه ومن حلقه وعن عنقه وعن شحمه وقيل ما هم ما من صاحب إن ولا مقر ولا عم لا يؤدى زكاته إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمته تنطقه بقرونها وظاه بأطرافها كلها عدت أحراره عدت عليه أولاهها حتى ينفق بين الناس من الصحيحين .

باب في فضيلة الاحسان

ما ورد في فضيلة الصدقة قيل لابي صبي الله عليه وسلم (صدقوا ولو شجرة فلها تسد من الخائع ويطوى احطينه كما يطوى ثار الماء) (ان لم أدركه) وقال (انقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكملة طيبه) (عدى) وقد ذكرت في باب دم السخن وفصل استحسان من هذا الكتاب كثيراً مما ورد في فضيلة الزكاة والصدقة فراجع .

باب في الصيام

انصروه معروف وأقربه وشروطه ومقتلته معينة في كتب الفقه والذي يهمنا

منه هو أن يعرف كل مسلم مكلف أن صوم رمضان فرض عليه بذليل الكتاب والسنة والإجماع ، وقد فرض في شعبان في السنة ثمانية عن الهجرة قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام إذا كان عروجهن (من شهد منكم الشهر فليصمه) وأنه ركن من أركان الإسلام الحقة ، ومكر الصوم كافر كمنكر الصلاة وركاة والحج .

باب فيما يجب على الصائم

يُس الصيام فقط كف للنظر وتفادح عن الشهوة وإتلاف هلك أمور يجب على العبد الذي يريد سلامة صيامه ونيل أجره أن يحافظ عليها منها عص البصر عن كل مايكره لنظر إليه شرعاً وعن كل مايسبى القلب وأن يحفظ لسانه عن العبث وجميعه ولسانه والشم والحدال ويبرمه لسانه والاشتغال بذكر الله تعالى واللاؤة لقرآن ، قال عليه السلام (إنما الصوم جنة فلا يتركها ولا يحمل وإن امرؤ قاتله أو شتمه فليصم) (ق) ، وأن يكف السمع عن الأصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم سماعه وأن يحفظ بنية الحوارح عن الآثم ويكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار أن لا يفطر إلا على طعام حلال لا تكون فيه شبهة أصلاً ، وأن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه لأن المقصود من الصوم كسر الشهوة وضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان وأن يكون قلبه بعد الإفطار مضطرباً بين الرجاء والخوف إذ ليس يدرى أين يقص صومه فهو من المقربين أو يُرَد عنه فهو من المفقوتين .

باب في فضائل الصيام

كما ورد في فضائل الصيام أنه ربيع الإيمان ، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم نصف الصبر (ت) وأن الصبر نصف الإيمان (ج) وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه عز وجل (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) والخسنة بعشر أمثالها إلى مبعثاته صعب (ق) وقال عليه السلام (والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم

أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما ينذر شهوته وطعامه وشرابه من أجل الصوم لي وأنا أجزى به (ت) وغير ذلك من المعصائل .

باب في الحج

الحج واجب على كل مسلم ومسلمه مرة في العمر بالشروط المبينة بكتب الفقه ، وقد ثبتت فريضته بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) وهو خامس أركان الإسلام المبينة بالحديث ، فنكر الحج كافر ، والحج واجب على الفور للاستطيع ، من استطاع في عام ثم أحره لعام آخر فهو آثم

باب في فضيلة الحج

الحج هو عمادة العمر وحتام الأمر ونتمام الإسلام وكمال الدين ، فيه أنزل الله عز وجل قوله (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وقال عليه السلام (من حج البيت فلم يرفث ولم يمتنع خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) (ق) وحير ذلك من المعصائل العظيمة بسأل الله تعالى أن يكتبها لنا ولجميع المسلمين .

باب في آداب زيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال عليه الصلاة والسلام (من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي) (ط) وقال (من وجد سعة ولم يعد إلي فقد جفائي) (ابن عدي) من قصد زيارة المدينة فيصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثير أو ليعنسل قبل الدخول من ثمر الحرمه وليتطيب وليلبس أظف ثيابه فإذا دخلها فليأمر بأصعاً معطراً وليقل باسم الله وعلى منة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ، ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجانب المنبر ركعتين ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ويقول للسلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله وغير ذلك من التوسعات ، ثم يقول أشهد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأميته وسفيه وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوئك وهديت أمتك وعصت ربك حتى أتاك اليقين ، وإذا كان قد أوصى بنبييع سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر لصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على لعازوق عمر رضى الله عنه لأن رأسه عند منك أبي بكر رضى الله عنه ثم يقول اللهم إياك قد فلت وهولك الحق (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستعمرهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) اللهم إياك قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وفصدنا نبيك مشفقين به إليك في دنونا وما أنقل ظهورنا من أورار ، نبي من لنا معرفين بحضرتك ونقصير ما كتب اللهم علينا وشقة نيك هذا فينا — ثم يأتي الروضة فيصلي بها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع ، ويستحب أن يخرج إلى البقيع ويورق قبر عثمان وقبر الحسين علي الدعاء ما استطاع ، ويستحب أن يخرج إلى البقيع ويورق قبر عثمان وقبر الحسين علي وقبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضى الله عنهم أجمعين ، ويصلي في مسجد فاطمة رضى الله عنها ويورق قبر إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة الرسول فذلك كله في البقيع ، وكذا يقصد الأماة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوصاً ويعتس ويشرّب منها وهي سبع آبار للترك والشعاب ، وإن أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة حرمتها ليفعل فله فضل عظيم فإذا عزم الرجوع فيستحب أن يأتي انقبر الشريف ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة ويسأله السلامة في سفره ويصلي ركعتين في الروضة الصغيرة ويخرج برجله اليسرى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد ببيك وحط أورار بريارته واحمني في سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالماً يا أرحم الراحمين ، ولتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر ما يستطيع .

باب في الرجوع من الحج

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من غزو أو حج أو عمرة

يكره على أنس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول (لا إله إلا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو كل شيء قدير آمين) فانصتوا عبيد
ساحدون (يا حادون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وكل
شيء هائب إلا وجهه) (يا أيها الذين آمنوا) (يا أيها الذين آمنوا) (يا أيها الذين آمنوا)
الله صلى الله عليه وسلم ، كما ينبغي له أن يرسل إلى أهله بحج ثم يقدمه ولا يدخل عليهم
بعته ولا يطرأهم بيلا ، فإذا دخل بيلا فليقصده المسجد أولا ونحو ركعتين فإذا سقر
فلا يمس ما أعظم الله به عسفه من بيرة بيته وحرمة وفقر بيه صلى الله عليه وسلم
فيكفر بهك نعمته بأن يهود في لعنة ونحو واحوص في المعاصي في ذلك علامة
الحج لمروا من علامة الحج لمروا أن يهود راها في الديار أعاني الأحرار منها
بقية رب الله قد بقية

باب في سنن النبي صلى الله عليه وسلم

يشتمل هذا باب كثيرا من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ونعاليه التي وصعها
لأئمة حمته بقصد العلم بها والعمل بمقتضاها - قال عليه الصلاة والسلام (من
رغب عن سنتي فليس مني) (ق) وروى عن علي كرم الله وجهه أنه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن سنة في احصارة فقال (المعرفة رأس مالي والعقل أصل
ديني ولحب أسس والشوق مركبي وذكر الله أيسر وأثقة كبرى والخرن رفيق
والعلم سلاحني ونصر ردائي والرضى عيني والحفر خري والره حرمي واليقين
قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسن والجهد خلقي وقرعيني في الصلاة) (لابن عجيبة)
وقد على كرم الله وجهه فت يا رسول الله أي لطرق أقرب إلى الله وأسبغها على عباد
الله وأفضلهم عند الله تعالى فقال عليه السلام (يا علي عليك بمداومة ذكر الله) فقلت
كل الناس يذكر الله فقال (يا علي لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض
من يقول الله) فقلت كيف أذكر يا رسول الله فقال (تحمس عيبك واسمع مني
ثلاث مرات ثم قل مشها وأنا أسمع) فقلت عليه السلام (لا إله إلا الله) ثلاث مرات
معصا عبيته ثم قل عني كذلك ثم لفتها على الحس أنصري وهكذا (لابن عجيبة)

فهذه طريقه الذكر ، والواجب على العبد أن لا يفعل عن ذلك .

وأما السنة في شئون الأكل ، فكان عليه السلام متواصلاً في كفه فكان يضع الطعام على الأرض ، ولا يأكل وحده ، وكان لا يشبع ما كولا إذا أعجبه أكله ولا تركه ، وهي عن النصح في الطعام ، حذر . وكان يأكل من الثمر وترأ ، وهي عن الشرب منكثاً ، وكان لا يشرب قائماً ، وكان يمشي سكوناً ، وهي عن التمسك في الإياه . من كان يُسجيه عن فمه باخذ ويرده ، لمسية ثلاثاً ، وكان يقول بعد الشرب (حمد لله الذي جعله عدواً فرناً رحمة وم يجعله ملأحاً حاجاً يدوننا) وكان يتحرى ما يأكله فلا يأكل ما به شبهة وقال (كل لحم كنت من حرم النار أولى به) (ق)

وكان عليه السلام كريماً وأوصى بإكرام لصيوف وإطعام الصدم ، وقال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم صبيته) وهي عن اشكاف للصيف ، لا عند المقدره . وأوصى عليه "سلام بإحادة الدعوة فقال (لو ذعبت إلى كراع لاحت ولو أهدى إلى ذراع لقبلت) (ق)

ومن السنة المبادرة بالتزويج قال عليه السلام (النكاح سنن من رغب عن سنن فقد رغب عن) (ق) وقال (من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا) (ق) وقال (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أعصر للهصر وأحص للفرح ، ومن لا يستطيع فليصم فإن الصوم له وجاء) (ق) وقد أوصى بالتزويج من صاحبات الدين ، وقال (تشكك المرأة لماله وحملها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك) (ق) ونهى عن التزويج بالخميلة التي تمت نباتاً ميتاً ، فقال عليه السلام (إياكم وخضراء الدين) فقيل ما خضراء الدين ، قال (المرأة لحساء في المنبت لسوء) وقال (تحيروا لطفكم فإن العرق دساس) (ق) وقال (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأطهرهم مأهله) ولكن لا ينسبط في العناية إلى حدٍ يُفقد أخلاقها ويُسقط هيئته عندها ، ولا يساعد على المنكرات التي تأتيها الروحة ، وليكن الروح غيوراً على أهل بيته ، وهو أن لا يتعامل عن الأمور التي تحشئ عواثيها ولا يبالغ في إساءة الطربس ، وقد هي عليه السلام عن تتبع عورات النساء وتطلب عثراتهن ، والطريق المعنى عن ذلك أن لا يدخل عليها الرجال ، وهي لا تحرج إلى الأسواق ، قل عليه السلام لا يتهافتمة

رضي الله عنها (أى شيء خير للمرأة) قالت أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فصمها إليه وقال (درية بعضها من بعض) وكان عليه السلام قد أدب النساء في الخروج للمساجد للعبادة، وإعمال آل العكس الحلال، فذكرت اسمه العيادة وخرجن للأسواق والتزهة متبرجات متزيئات، وقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لو علم النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ومن السنة الاعتدال في النفقة فلا ينبغي تنقيع عسى ولا يسعى الإسرار.

ويجب على المتزوج أن يعلم من أمر الحبيص وحكامه ما يحترق منه الاحترار الواجب، كما يجب عليه أن يعلم روجته الصلاة وأمور الدين، لأنه مكلف بذلك شرعاً ومستول عنه قال تعالى (فرا أنفسكم وأهليكم نارا) وعدم الاعتدال بين الزوجات، حرام بنص القرآن، والعدل هو في الاتفاق والمبيت أما الحب والواقع فهذا عمل قلبي لا يدخل تحت الاختيار، وكان عليه السلام يعدل بين زوجاته في الاصدق والبيوتة في المبالى ويقول (اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طفة لي فيما تملك ولا أملك) (ق) يعني الحب - ومن السنة أن الرجل إذا أتى أهله يقول (اللهم جنبي الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا) (ق) فإذا وقع فليغتسل عقب لوقع حتى لا يثم حباً، وإذا لم يتيسر له الغسل وأراد لنوم فليتوضأ، فمن عمر رضي الله عنهما قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أيام أحده وهو جنب، قل (مع يداتوضأ) ولكن قد ردت فيمرحصة عند الاضطراب بحديث عائشة رضي الله عنها حيث قالت، كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام حنأ لم يمس ماء.

أما ما يهم الرجل من أمر الواقع معلوم، ولكي أشير إلى مسألة واحدة، وهي العزل، فقد وردت فيها أحاديث كثيرة، منها ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه، فقال إن لي حارية هي غادمت وساقيناقى الحبل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل، فقال عليه السلام (عزل عنها إن شئت فإنه سيأتها مقدر لها) ومن السنة حسن تربية البنات وتأديبهن، وقد نص على ثواب ذلك وفصله - ومن السنة أن يؤذن في أدب المولود ويختنه في اليوم السابع ويسميه إسمائاً حسناً، وأفضل الأسماء، عبد الله وعبد الرحمن.

ومن السنة أن تطيع المرأة زوجها في كل ما يطلبه منها في نفسها بما لا معصية فيه، قال عليه السلام (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) (ق) وقال (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأنت فأت غنضاً عليها، لغنتها الملائكة حتى تصبح) (ق). وكان رجلاً قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تبر من لعل إلى السفل، وكان أبوها في الأسفل، مرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في أن يرسول إلى أبيها، فقال عليه السلام (أصيمي زوجك) قالت أبوها فتأذنت في الرسول فقال عليه السلام (أطيعي زوجك) فدوس أموها، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد عمر لأبيها بطاعتها لزوجها، وقد (إذا صدقت امرأة حمها وصامت شهرها وحفظت فرجها وطاعت زوجها دخلت جنة ربها) فوصف طاعة الروح إلى ماني لإسلام - وجهد فاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت إلى فتاة أحبط فكره ترويح لما حق الروح على المرأة، قال (لو كان من مفرقه إلى قدمه صديد فلحنه ما أدت شكره) قالت أفلا أتروح، وب (من تروحي فاه خير) وقال (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن يسجد لزوجها من عظم حقه عليها) ولقول الجامع في أدب المرأة أن تكون قاعدة في بيتها قليلة الكلام مع جيرانها تحفظ كرامتها وروح في عينه، وتعمل على مسرته عند حضوره، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن أذن لها فتكون محتصة، وتمشي في المواضع الخالية من الناس، وتحذر أن يسمع صوتها غريب، كالتسكّر أمام صديق زوجها، وتحافظ على صلاتها وصيامها، وإذا طرق الباب أحد في عتبة زوجها فلا ترد معه الكلام وتقتنع من زوجها بما رزق الله، ولا يقع بصر زوجها عليها إلا في حاجة طرفة، بل تكون مستعدة في أي وقت ليتمتع بها، مشقة على أولادها ولا سكر شتمهم وصرهم، ولا تطيل الكلام مع زوجها جدلاً، فإذا مات زوجها وعدها أولاد ولا فصل عدم التروح وتمكف على تربيتهم. ففي ذلك خير كثير

ومن آدابها أن لا تتفاخر على الروح بما لها إن كانت أعنى منه، ولا يجالها إن كان هو غير حسن الوجه، أو به عاهة أو مرض، بل تنظر إليه دائماً بعين الاحترام والتعظيم ففي ذلك الخير الجسيم.

وعلى العبد أن يسعى دائماً في طلب المعيشة من أسباب مشروعة؛ قال عليه السلام (من الدواب دواب لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة) (ق) وليس معنى هذا أن طلب المعيشة يقوم مقام العبادات المفروضة — كما يفهم العوام الذين لا ينشؤون واجب الطاعة معتقدين أن اشغالهم في طلب المعيشة يبيح تأخير ما هو مفروض عليهم، وهذا خطأ، وإلا إذا كان ذلك صحيحاً لما تعذر أحد لأن جميع الخلق حتى الأغنياء مشغولون في طلب المعيشة فلفهم ذلك — وقال عليه السلام (أحل ما أكل العبد كسب يداً صاعاً) (ق) وقال (التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين) ويجب أن لا يحتكر تاجر أصناف الطعام انتظاراً لعلها فإن هذا ظلم عام فال عليه السلام (من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم تصدق به لم يكن صدقته كفارة لإحتكاره) (ن) وقد حدثت لتجار هذا الشريع وجعلوا يحررون العلال انتظاراً لارتفاع الأسعار فعاقبهم الله تعالى بالخسارة والدمار، وإلى التجار أسوق هذه الحكاية التي أوردها لعل في الإحياء؛ وهي أن رجلاً من السلف كان يشتر في العلال لمدة واسطة شهر سفينة حنطة وأرسلها إلى البصرة وكتب إلى وكيله مع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تترحمه إلى غد، فوافق سمعه في السعر؛ فقل به التجار لو أخرته جمعة يجب فيه أصعاه، فأخره جمعة فخرج فيه أمثله، وكتب إلى صاحب الحنطة بذلك؛ فرد عليه بقوله يا هذا إنا كنا فتننا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنا قد حالفت وما يجب أن نرجع أصعاه بذهاب شيء من الدين؛ فقد جئت عليك جدياً؛ فإذا أتاك كتابي هذا اخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة؛ ولبنى أمجو من إثم الإحتكار كفافاً لآل ولا على

كما أن العيش في البيع حرام، روى أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يبيع طعاماً فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللاً فقال (ه هذا) قال أصابته السماء، قال عليه السلام (فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشاً فليس منا) (ق) ونهى صلى الله عليه وسلم عن التحش وهو أن يأتي الرجل أمام المشتري ويريد الشراء لنفسه سعر مرتفع، ليعرى المشتري وهو لا يريد الشراء فعلاً، وليكن التاجر سهل المعاملة وصاحب الدين رحيماً بالمدين للمصر؛ قال عليه السلام (رحم الله امرأً سهل البيع

سهل لشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء) وقال (من أبطر معصراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيراً) وفي لفظ آخر (أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله) .
ومعنى من أبطر معصراً ، أى انتظر على المدين المعصر حتى يبرره الله تعالى وإن تصدق به كان خيراً وأبقى . وقد ورد لقرآن ذلك . وكذا من السنة رد الدين وتوفية الدين حقه : قال عليه الصلاة والسلام (خيركم أحسنكم قضاء) وقال (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله) (ق) .

وعلى المد أن لا ينظر إلى الحرام بل لا يجحد عن طلب الحلال من الرزق ، قال عليه السلام (من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ؛ ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء) وقال (من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر ، وكان إصره عليه) وقال (الحلال يئس والحرام يئس وبينهما أمور مشبهات لا يعبها كثير من الناس . فمن اتقى شبهات فقد استبرأ لعرصه ودينه ، ومن وقع في الشبهات واقع الحرام كالزاعج حول الحمى يوشك أن يقع فيه) (ق)
ونهى عليه السلام عن إعاقة العالم .

أما السه في الصحة فقال عليه السلام (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وقال (ما رار رجل أحاً في الله شوقاً إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ؛ وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً) فاطر كيف جعل الإيمان جزاء الصحة والإسلام جزاء الحوار

ومن السنة أن تسلم على أخيك المسلم إذا لقينته وتحييه إذا دعاك وتشمته إذا عطس ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ؛ وتبرئ فسمه إذا أقسم عيبك ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه يظهر العيب إذا عاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وسكره له ما تكره لنفسك ، فجميع ذلك وردت به الأحاديث ، وقال (لا يحل لمسلم أن يشر إلى أخيه نظرة تؤذيه) ومنها أن لا يتكبر على مسلم ويتواضع له ، فإن الله لا يحب كل مختل فخور . قال عليه السلام (إن الله تعالى أرحم إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد) وقال (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يستقيان

فيمرض هذا ويعرض هذا وحيرهما الذي بدأ بالسلام (ق).
ومن لسة أن يحسن إلى ناس ويتودد إليهم قال عليه السلام (رأس العقل بعد
الدين التودد إلى ناس وصطاع المعروف إلى كل شر وفاجر) (ه).

ومنها أن لا يدخل على أحد إلا بإذنه ؛ ويستأذن ثلاث مرات ، فإن لم يؤذن به
انصرف ؛ وقد جاء ما تقدم ذكره ، وقال عليه السلام (الاستئذان ثلاث ، فالأول
يستنصتون ، والثانية يستصالح ، والثالثة تدبون أو ردون) ومنها أن يحرم العله ،
وإرحم الصعفاء والصدبان - ومنها أن نصف الناس من هه ، ومنها أن يكرم كل
من يستحق الأكرام ، قال عليه سلام (إذا أناكم كريم قوم فاكرموه) (ق)

ومن لسه أن يصلح ذات النبي من المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(ألا أخبركم بأصل من درجة لصلاة والصوم والصدقة) قالوا بلى قال (إصلاح
ذات النبي وفساد ذات النبي هي الحالقة) أعنى حاققة الدين .

ومنها أن يستر عورات المسلمين جميعهم ؛ قال عليه السلام (من ستر على مسلم
ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة) وقال (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان
في قلبه لا تعتابوا المسلمين ولا تبتغوا عوراتهم فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع
الله عورته ومن ينفع الله عورته بمصحه ولو كان في خوف بيته) ومنها أن يشفع
لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ؛ ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر
عليه . ومنها أن يبدأ كل مسلم بالسلام ويصاحفه قبل أن يكلمه وقال (إذا انتهى أحدكم
إلى مجلس فليسلم فإن له أن يجلس فيجلس ؛ ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق
من الآخرة)

ولا بأس بتقيل يد الرجل الصالح للترك ، أما الإحتناء عند السلام فمنه عنه ؛ قال
أنس رضي الله عنه قلنا يا رسول الله أينحنى بعضنا لبعض ؛ قال (لا) قلنا فيقبض
بعضنا بعضاً قال (لا) قلنا فيصاح بعضنا بعضاً قال (بعم) ورد السلام أثناء
الوصوء مهي عنه ، ويكره السلام على من يقضى حاجته أيضاً ؛ والقيام للقدم منهى عنه
قال عليه الصلاة والسلام (إذا راينعوني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم) وقال (من
سره أن تيم له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار) وهذا دليل مهي التواضع والمساواة

بين الناس أما تشيب العاطس فقد ورد أن لعاطس يقول : الحمد لله على كل حال ، ويقول الله يشمت به رحمة . ورد عليه لعاطس فيقول يهديكم الله وينصح بكم . ورد على رجل وهو ينص حاجته بحمد الله في سره ، ومما عدا رآه من يخاف شربه أن يشرب لئلا يشرب من يشربه فيمنعه الله . قال عائشة رضي الله عنها استأذن رجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (تدبو له فئس رجل العشرة هو) لما دحس لآل له يقول حتى طبت أن به عده مرة وما خرج فت له لما دحس قت الذي قت ثم أشت له تقول فقال (يا عائشة إن شر الناس عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء خشفه) .

ومن السنة أن يختلط بالمكبر ويحس إلى الأيتام . أما العطف على اليتيم من أهم القربات إلى الله تعالى قال عليه السلام خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يشاء إليه) .

ومن السنة قضاء حوائج المسكين والسعي فيها بقدر المستطاع . ومما إعاة المظلوم قال عليه السلام (من مرّح عن مغموم أو أعان مظلوماً عمر الله له ثلاثاً وسبعين معفرة) وقال (نصر أحاك ظمأ أو مظلوماً) فليل كيف ينصره ظمأ قال (يمنعه من الظلم) ومما أن يعود المريض ويحفف الجلطة ويدعو له بالعافية أما المريض فيبغى أن لا يشكو مرضه لرواه

ومما تشيع الجندرة لقضاء حق المسكين والاعتبار بجلال الموت واستعاء الأجر . قال عبة السلام (من شيع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن الله قيرطان) (ق) وفي الخبر القيراط مثل جبل أحد . وآداب تشيع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث والمشي بسكينة وملاحظة الميت والتفكير في أهوال الموت والاستعداد له .

ومن السنة حسن الجوار قال عليه السلام (الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق . فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك) (ق) فانظر كيف

أثنت للشرك حقاً بمجرد الخوار قال عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم جاره) (١ ق) ويكنى ذليلاً على عصب الله تعالى على من يؤدى جاره قوله عليه
السلام في حق المرأة التي كانت تصل وتصوم وتؤدى خيرها (هي في النار)
وحلة حقوق الحار هو أن يعودته في مرضه ويشاركه في حالتي لفرح والحزن
ويصفح عن رلاته ولا ينطلع من السطح إلى عوراته ، وإذا سمع أحداً يتكلم في حقه
يدافع عنه ، ويرشده إلى ما به صلاح دينه ودياره ، وأن يكون معه على أعدائه وإذا
طلب منه متاعاً يعطيه له ، ولا يصع شيئاً يصايقه في طريق بيته ، وإذا كان الجار فقيراً
فلا تسمى أن تجود عليه بشيء مما يحتاجه ، وإذا طمحت فاعطه منه ؛ قال عليه السلام (إذا
طمحت فدرأ فأكثر ماء ما ثم انظر بمن أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها) (م)
ومن لسة صفة الرحم والتودد للأقارب ؛ قال عليه السلام (من سره أن يثمد له في
عمره ويوسع له في رزقه فلينق الله وليصل رحمه) :

ومنها بر الوالدين والإحسان بهما وقد جاء بذلك القرآن ، أم السنة فقد ورد
فيها كثير ؛ منها قوله عليه السلام لرجل جاءه فقال ان أشتى إحد ولا أقدر عليه
فقال عليه السلام (من بقى من والديك أحد) قال أمي قال (قاس الله في برها فإذا
قبلت ذلك فأت حاج ومعتزم) وليس المر في حياتهما فقط فالبر في حياتهما وبعد
موتهما ، وقال مالك أس ربعة بيما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءه
رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقى على من بر أبوى شيء أبرهما بعد
وفاتهما قال (نعم الصلاة عليهما والاستعفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صبيهما
وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما) كذلك بر الوالد لولده . سأل رجل النبي صلى
الله عليه وسلم من أين قال (ير والديك) فقال ليس لي والدان فقال عليه السلام
(بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقاً كدنت لولدك عليك حق) وقال عليه السلام
(حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده) ومن أثن أن يودع الإنسان
أهله وأصدقائه عند السفر ، قال عليه السلام (إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوته
فإن الله تعالى يجعل لهم في دعائهم البركة) فإذا ركب الإنسان الدابة أو غيرها من
المركبات فليقل — بسم الله الله أكبر — توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

العظيم ماشاء الله كان وما يشأ لم يكن ؛ سبحانه لدى سحر لنا هذا وما ك له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، فإذا وصل المكان المقصود فليصل فيه ركعتين فذلك سنة .

ومن السنة أيضاً أن يتناول الرفقاء الذين يستوفى خراج مازلهم الخراسنة ، خافه أن يصدفهم عدو أو يصرفهم وحش إذا ناموا جميعاً

ومن السنة الرفق بالبدانة فلا يحمسها ما لا تطيق ولا يصرها في وجهها ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة .

ومن السنة أن يحمل الرجل لأهل بيته شيئاً من الطعام أو لعاكفة عند قدومه لأن الأعراب تطلع إلى القادة من لسر والقلوب تفرح به ولا يتم هذا إلا برؤية ما يحمله إليهم .

ومن السنة عدم سفر المرأة وحدها قال عليه السلام (لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا معها دى محرم منها أو روحها) وقال عليه السلام (لا يسافر امرأة تؤمن بالله وليوم الآخر أن تسافر مسفرة يوم وبنة إلا مع دى محرم منها) وفي رواية مسفرة يوم وفي أخرى مسفرة ليلة .

ومن السنة عدم استصحاب الكلاب والأحراس في السفر ، عدم وضع الخرس في رقبة الإبل أو البغال أو الخيول وغيرها قال عليه السلام (لا تصحب الملائكة رفيقة بها كلب أو حرس) (ق) وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأحراس أن تقطع من أعناق الإبل يوم بدر . ومن السنة عدم وضع الخلاجل في أرجل الأطفال . ومن السنة عدم تعليق القنائم والحرير المعروف (بالحجاب) ونحوه لكي تدفع عنهم الآفات وهذا الاعتقاد جهل وصلاة إدا لا دافع إلا الله وحده .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجلوس بسوء قبل عليه السلام (إما مثل الجلوس الصالح والجلوس لسوء كحامل المسك ونافح الكير ، كحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تتنازع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) (ق) (يحذيك) أى يعطيك : ومن السنة عدم الجلوس في مكان رجل آخر ، قال عليه السلام (لا يقيم أحدكم رجلاً من مجلسه ثم

يجلس فيه ولكن توسعوا وتمسحوا بصبغ الله لكم) وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لا يجلس فيه، وقال عليه السلام (إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به) وهى صلى الله عليه وسلم عن الجوس على الطرقات، يقال (رباكم والجوس على الطرقات) قلوا مالاً بدياً ما هي بحاساً نتحدث فيها قال فإذا أنتم إلا بحس فاعطوا نحرى حطباً قلوا وما حق لطريق قال (عصر بصر وكف لادى ورد سلام وأمر بالمعروف وهى عن المنكر) (ق) وهى عليه السلام عن النوم على سطح يس له حر . وعن ركوب الحر حال احتياجه، ومن السنة استقبال لقيه فى الجلوس .

وهى عليه السلام عن الجوس على المفار . وهى عليه السلام عن كسر عظام الميت، ومن السنة لشفقة بثر الحيوانات، قال عليه السلام (ببئر حن يمشى فاشد عليه العطش فربل بثرأ فشرب منها ثم حرج فإذا هو بكل يلهث يأكل الترى من العطش فقال لقد منع هذا مثل الذى بلغنى فلا خفه ثم أمسك بيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له) قلوا يا رسول الله وإنا لنا فى الهائم أحرأ قال (فى كل كبد رطبة أحر) (ق) .

ومن السنة فن الحيات والعقارب حيث روى فى الخبر (حسن فواسق يقتلن فى الحرم، وفى غير الحرم، القردة والعقرب والحدأة والعراب والكلب العقور) ومن السنة أن من أمم التعاليم الدينية التى أوصى بها صلى الله عليه وسلم ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنهما أنه قال، قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا بى إن قدرت أن تصح وتمى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال (يا بى وذلك من سننى ومن أحيأ سننى فقد أحيأنى ومن أحيأى كان معى فى الجنة) (قال الترمذى هذا حسن عريب) . هذا الحديث الذى أحتم به هذا الباب وأصح ولا شك أن دخول الجنة مع سيد الخلق صلى الله عليه وسلم هو تمام نعمة الله على العبد وهو مطلب كل مؤمن ولا يتال هذا الفصل الكبير والشرف العظيم إلا من أحيأ سننه صلى الله عليه وسلم واتبع تعاليمه : قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحبكم الله) وقال عز وجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله) اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

باب في أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد ولد آدم عليه سلام بلا شك وهو رب عالم
الانبياء وحظيهم وشيعتهم يوم القيامة. حشاه الله تعالى في جنته ثلث آلاف نبي وهدى
إلى الدين ورحمة للعالمين. كان عليه الصلاة والسلام وسماً تسعة رابعة في لحيته
ليس بالطويل الناعم ولا بالقصر القصير. صحبه رأس ذو شعر ناعم ولا سط
شديد سراده مبطوط الخشن يوق حاجباً سبعين موضعاً مصدقاً واسع العين
أدعجها، تشوب بياضهما في جانب حمرة خفيفة وتزيد في قوة حديدتهما ودوام
ظرفتهما أهداب طوال حوافك، مستوى ذات دقيقة، مصحح الأسنان، برسر دق
كثفة، على العنق جميلة، عريض الصدر، رجب الساحب، أرمر اللول، شش لكفين،
والقدمين، (أي عليطهما) يسير ملتقياً حشاه إلى الأمام، مسرع الخطو، ثمة، على ملاحه
سبح لتفكيره ولتأمله، وفي طريقه سلطان الأمر الذي يجمع الناس لأمره وكان عليه
الصلاة والسلام كثير الصراعة، دائم السؤال من الله تعالى أن يريه بمحاسن الآداب
ومكارم الأخلاق، فكان يقول في دعائه (اللهم حسن خلقى وحلقى) وكان يقول
(اسم جننى منكراً من الأخلاق) فاستجاب الله له وأدبه بالقرآن، فكان حلقه القرآن،
فهو عليه السلام المقصود الأول بآداب القرآن وتهذيبه، ثم منه يشرق السور على كافة
الخلق، قال عليه السلام (سعت لأنم مكارم الأخلاق) ولما أكل الله خلقه أنى عليه
بقوله تعالى (وبك لى حق عظيم) وقد أوصى أمته بالتخلق بها ودعاهم إلى مكارم
الأخلاق، أما مكارم أخلاقه ومحاسنها وإجمالاً حسنها وردت به الأخبار، فكان عليه
السلام أحلم الناس وأشجع الناس وأعدل الناس وأعف الناس، لم تمس يده قط يد مرأه
لا يملك رقبه أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم، وكان أسخى الناس لا يبيت
عنده دينار ولا درهم وإن حصل شيء ولم يجد من يعطيه وجاء الليل لم يرجع إلى
منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ بما أماءه إلا قوت عامه من أيسر
ما يجد من الثمر والشمر، ويضع جميع ذلك في سبيل الله لا يسأل شيئاً إلا أعطاه
وكان يحصف النمل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله.

وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجب دعوة العبد والخير،

ويقس الهدية ولو حرقطين ويكافئ عليها، ويأكل منها ولا يأكل الصدقة ولا يستكر
عن إجابة الأمة والمساكين، يعض لونه ولا يعض لنفسه يتعد الحق وإن عاد عليه
ذلك بالصرر أو عن أصحابه وكان يعصب الحجر على بعثه من الجوع وإن وجد
عسلاً أكله وإن وجد لساً بعرجه اكتب به؛ وإن وجد طيحاً أو رطباً أكله، لم يشع
من حبر قح ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله تعالى إيثراً على نفسه لا فقر أو لا بحلا؛
وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز، ويمشي وحده بين أعدائه فلا حارس، أشد الناس
تواضعاً وأسكنهم في غير كبر؛ وأبلغهم في غير تطويل؛ وأحسهم بشراً لا يهوله شيء
من أمور الدنيا، ويلبس ما وجد من المساح، وغنمه فضة بلسه في خنصره الأيمن
والأيسر؛ يردف خلفه عبده أو غيره؛ يركب ما وجد؛ ركب العرس والسمل والبعر
والحار وكان يمشي راجلاً خافياً لا لرداء ولا عمامة يحب الطيب ويكره الرائحة الردئة؛
ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين؛ ويكرم أهل الفضل ويتودد أهل الشرف بالبر
لم يمس دوى رحمه لا يجمعو على أحد يقل معدرة المعتد إليه، يصحك في غير قهقهة،
يرى اللعب المباح فلم ينكره بسابق أهله وتزوع الأصوات عليه فيصير وكان له نخل
وعنم يتقوت هو وأهله من ألبانها، وكان له عدد لا يرفع عنهم في مأكل ولا ملبس،
ولا يمسى له وقت في غير عين الله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه لا يحقر
مسكيناً لفقره ورماته ولا يهاب ملكاً للملكة بدعي هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً
ما شتم أحداً من المؤمنين إلا حصل لها كفارة ولا لعن امرأة ولا خادماً وما ضرب
بيده إلا في سبيل الله وما خبّر بين أمرين إلا احتار أيسرهما وما كان يأتيه أحد
حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته وما عاب مصحفاً إن فرشوا له اضطجع
وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض، وكان لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله
وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته، وكان أكثر جلوسه أن ينصب
ساقيه ويمسك بيديه عليهما، وما روى ماداً رجله بين أصحابه، وكان أكثر جلوسه
مستقلاً لقلة، وكان يكرم من يدخل عليه ويقدم له الوسادة التي تحته، وكان أهد
الناس عضاً وأسرعهم رصاً، وكان أرف الناس بالناس وخير الناس للناس وأقنع
الناس للناس، وكان لا يأكل الطعام الحار ويقول (إنه غير ذي بركة وإن الله لا يطعمنا
ناراً فأبردوه، وكان يأكل حبز الشعير غير منحول، وكان يأكل القثاء بالملح، وكان

أحب الفواكه إليه العنب، والطبخ وكان يأكل البطيخ والحار؛ وكان أكثر طعامه الماء
والتمر؛ وكان أحب الطعام إليه اللحم، وكان يأكل الثريد، وكان يحب لقرع؛ ويأكل لحم
الطير، ولا يصيده؛ وكان يحب من الشاة الذراع، والكف، ومن التمر للعحوة؛ ومن
النقول لقرع والرجة، وكان يكره من اللحوم الكلبين والذئبين والمثاقم والعدد
والحباء، وكان لا يأكل الثوم ولا بصل، وكان ينفى لصو يطحن ولا يجرمها، وكان
يلتصق لصاحبه بأصابعه وكان يلتصق أصابعه بعد الأكل واحدة واحدة، وكان إذا أكل
الحار واللحم حاسة غسل يديه غسلاً جيداً، ثم يمسح بفصل إصبعه على وجهه، وكان
لا يسأل أهل بيته طعاماً، وكان إذا قام فاحذمياً كفه أو يشربه نفسه، وكان أكثر
لنسه ليس، وكانت ثيابه مشتمرة فوق الكعبين، وهي عن سبل الأزار (الملابس)
وقال عليه السلام (من حر ثوبه حبله لم ينظر الله إليه يوم لقيمه) وكان له ثوبان
للجمعة حاجة وربما صلى في بيته في أزار واحد مفتوحاً به، وكان يمس لقلانس تحت
العامة ويعير عمامة، وربما رجع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم صلى إليها،
وكان إذا لمس ثوباً لنفسه من قبل ميامنه، وإذا رعه أحرجه من ميامنه وكان إذا لمس
جديداً أعطى القديم للسكين، وكان له فراش يحشو ليفاً، وكانت له عمامة تفرش
تحتها طفتين وكان ينام على الحصى ليس تحته شيء، ودرجته فكانت أفعاله كلها تراصفاً
وأدباً صلى الله عليه وسلم.

أما معجزاته فمما استحق "لقمر لما سأله فريش آية، وأضعم ثمانية من أرمعه
أمدد شعير وولد المعر، وأضعم أكثر من ثمانية رجلاً من أفراس شعير حمب أس
في يده، وأطعم الجيش من نمرير، ومنها سح الماء من بين أصابعه عليه السلام وشرب
لعسكر كلهم وكانوا عطاشاً، وتوصأوا من قدح صغير، وأهرق عليه السلام وصووه
في عين سوك ولا ماء فيها ومرة في ثمر الحديبية فقام بالماء فشرب من نبوك أهل
الحش وهم ألوف وشرب من ثمر الحديبية ألف وحمياته ولم يكن فيها قبل ذلك ماء،
وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعائة راکب من تمر كان مقداره
موضع برك الشعير فزودهم كلهم وبني منه، ورمى الجيش بقبضة تراب فعميت عيونهم
وزل بذلك القرآن، وأبطل الله الكهانة بمعهته عليه السلام، فعمدت، وحنه له الجذع

الذي كان يحض عليه لما علم له المير حتى سمع منه مثل صوت الإبل فضمه إليه
فكس، وأحمر أن الحسن يصيح الله به بين حائضين من المسلمين فكان ذلك . واسع
مراقبه . حدث فاحت قدماءه في الأرض وتبعه دحان فاستعك فدعا له عليه
السلام فاطلقت الفرس وخرج عني مائه من قريش ينتظرونه فوضع التراب على
رموسه فلم يده . وشكا إليه شعير وتدن له بحسرة . أحماته . ودعا شجرين وأتاه
وحتمف ثم أمرهم بالفرار . وكله الميراع مسموم لدى قدمه له اليهودية . وأحمر
أدته فاطمة رضى الله عنها أنها أول أهل به لحق به فكان كذلك . ومسح صرح شاة
لأبى فيها فصرئت وكان المير سب إسلام أن معود رضى الله عنه . وتغل في عين
عنى رضى الله عنه . وهذا يوم جبر فصيح من وقته . وكانوا يسمعون تسبيح الطعام
من يديه حتى الله عليه وسلم . وفي ذلك الحين قدى جميع ما في مكان شيء يسير جداً
فدعا به الحركة ثم أمرهم فأحوا فمريت . وفى المعسكر . لا مية . إلى غير ذلك من
آدبه ومعجزاته عليه السلام . أما معجزه "القرآن" وهى المعجزة الكبرى الدقية بين
الحق إلى ما شاء الله تعالى وليس لى معجزة دقية سواه رضى الله عنه وسلم . د تحدى
ها بلعام الحق وفصحاه بعرب وحريره بعرب إذ ذلك ملوءة بآلاف منهم والفتصاحة
صنعتهم وبهاهون وبها تنافسون . وكان عليه السلام نادى بينهم أن يأتوا بمثله
أو بعشر سور مثله أو بسورة من مثله إن شكوا فيه وقال لهم (قل لأن اجتمعت
الإبل والحمل على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً) وقال ذلك تعجيراً لهم فعجزوا وانصرفوا عنه حتى عرصوا أنفسهم للقتل
وساء لهم ودرينهم للشى . وما استطاعوا أن يعرصوا ولا أن يقدموا في جرالته
وحسنه وبلاغته . ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العلم شرقاً وغرباً قرأ بعد قرن وعصر آ
بعد عصر وقد مضى اليوم تسعة وستين وثلاثمائة وألف سنة فلم يقدر أحد على
معارضته . فما أعظم غماوة من يطر في أحواله عليه السلام . ثم في أقواله ثم في أفعاله .
ثم في أخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في أقطار
العالم ثم في إدغال ملك الأرض له في عصره وبعد عصره . ثم ينادى في عدم تصديقه
والإيمان بما جاء به عليه السلام . وما أعظم توفيق من آمن به وصدقته وانبعه - نسأل

الله تعالى لك ولكل من طالع هذا أو سمعه التوفيق للاقتداء به في الأحلاق والأقوال والأفعال وجميع الأحوال بمشيئته وسعة جوده به نعم السميع ونعم المجيب .

باب في فضيلة العلم والتفقه في الدين

قال عليه الصلاة والسلام (من يرد الله به خيراً أفقته في الدين وبهيمه رشده) (ط) وقال (العباد ورثة الأنبياء) (د) وقال (فصل العلم على العباد كمصطفى على أدنى رجل من أصحى) (ت) وقصر كف جعل عنه السلام لعلم في درجة السوء . وقيل يارسول الله في الأعمال أفضل فقال (لعلم بالله عز وجل) فقيل أى العلم تريد قال (العلم بالله سبحانه) فقيل له سأل عن العمل ويحب على لعلم ، فقال (إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله ، وإن كثير العمل لا ينفع مع الخبل بالله) (ابن عبد البر) ومن هذا ينبر أنه لابد للسلم من تعلم لعلم الذى يصحح به عبادته ، لأن العبادة الصحيحة هى الصادرة عن علم بالمعود عز وجل — واعلم أن عذاء انقلب العلم والحكمة ، وبهما حياة ، كما أن عذاء الجسم التلغام ، والإنسان الذى يهمل العلم يقلبه مريض وموته محقق ولكنه لا يشعر به لأن حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه بمرض قلبه ، فإذا نزل به الموت وفرغ من أعزاء الدنيا أحسن بهلاكه ونحسر تحسراً عظيماً ، ثم لا يسمعه ذلك ، فعودته من يوم كشف العطاء ، فهو يوم يفتق فيه الناس فاهم اليوم بياض . وقال عليه السلام في طلب العلم (من سلك طريقاً يطلب فيه عبداً سلك الله به طريقاً إلى الجنة) (م) وقال (العلم خزان مفتحها السؤال ألقاها) فإنه يؤجر فيه أربعة الناس والعالم والمستمع وواعب له) (د) وقال عليه السلام (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبینه وبين الآباء درجة واحدة) (د) .

باب في فضيلة التعليم

وخم كتمان العلم

قال عليه الصلاة والسلام (إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى الذئبة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير) (و) وقال

عنه السلام لمعاد لما بعثه إلى النبي (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من
حمر النعم) (ن) وقال في حق من يكتم العلم (من علم علماً فكتمه أبغضه الله يوم القيامة
بديح من نار) (ق) وقال (ما أتى الله عالماً علماً ولا واحد عليه الميثاق ما أحد على
المسيين أن يبيوه مناس ولا سكتوه) (ح)

باب في بيان العلم الذي هو فرض عين وما هو فرض كفاية

قال عليه السلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم) (ق) وختلف الناس في العلم
الذي هو فرض على كل مسلم ، وورد فيه أقوال كثيرة ، ذكر منها ما قاله أبو طالب
المكي رحمه الله . قال هو العلم ، تضمنه الحديث الذي فيه مناس الإسلام وهو قوله
عنه السلام (بي الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله ، أحديث لأن الواجب
على العبد من خمس فحسب تعلم كيفية العمل بها ، ولدى ينبغي أن يقطع به لعبد هو
أن العلم ينقسم إلى قسمين علم معاملة ، وعلم متأنسه ، وبنيهما الآب هو علم
المعاملة فهو الذي كلف العبد العاقل البالغ للعصم ه وهي ثلاثة - اعتقاد وفعل
وترك فأول ما يجب على الصبي عقب البلوغ مباشرة تعلم كلتي الشهادة وفهم معامها ،
وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وبصدق بذلك ويعتقده جرماً من غير
احتلاح ريب و اضطراب نفس - أما لعم هو القيم بمرائض العبادات ، وهي
الصلاة بعد تعلم الطهارة ومعرفة شروط إقامتها وما تنصح به وما يفسدها ، والصوم
وهو أن يعلم أن شهر رمضان واجب الصوم ومسئله من طوع الفجر الصادق
إلى غروب الشمس ومعرفة ما يصححه وما يفسده ، والركاة فإن كان له مال أو تجدد
له مال وجب عليه أن يعلم ما يلزمه من الركاة في كل من الأبراع ، والحج وهو أن يعلم
أنه فرض على كل من ملك الرد والراحه ويتعلم كيفية الحج وأركانه - وأما الترك
فتعليمه بحسب حال الشخص ، إذ لا يجب على الأناكم تعلم ما يحرم من الكلام ،
ولا على الأعني تعلم ما يحرم من الطر وأندى يجب تعلمه هو ما نهى الشرع عنه فيتركه
أما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب عليها بحسب الخواطر ون حطر له شك في
المعاني التي تدل عليها كلتا الشهادة ، وحب عليه تعلم ما يتوصل به لإزالة الشك ودرأ
فالعلم الذي هو فرض عين هو علم العمل المشهور بالوجوب على المسلمين من حيث

معرفة العبادات وآدائها وما أمر به الشرع وما نهى عنه ؛ والإيمان بكل ما جاء به الكتاب والسنة والله أعلم .

أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في نظام أمور الدنيا ؛ فالطلب ضروري في حاسة بقاء الأبدان ؛ والحساب ضروري في المعاملات وحساب الوصايا والموارث وغيرهما ؛ فإذا قام به واحد في لئدة كفى وسقط الفرض عن الباقي ؛ وكذا أحوال الصناعات فهي من فروض الكميات ، كإصلاح الحياكة والسبسة والحجامة والحياطة وغيرها . أما - ممتق في العلوم فيعد نصيبه لا فريضه

باب في بيان العلوم الشرعية

أما العلوم الشرعية فمحمودة كلها ؛ وهي تنقسم إلى أصول وفروع ومقدمات ومتممات - فالأصول أربعة كتاب الله عز وجل ، وستة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وإجماع الأمة ، وآثار الصحابة . أما الفروع فهي ما فهم من هذه الأصول لا بموجب أشاطيل بل بمن نبيته لب العقول ، كما فهم من قوله عليه السلام (لا يقضى الفاضي وهو غضبان) (ق) لأنه لا يقضى أيضاً إذا كان حاقاً أو حاقاً أو جائه أو متأماً بمرص - أما المقدمات وهي التي تجرى بحرى الآلات كعلم اللغة والنحو ، فإيهما آلة لفهم كتاب الله تعالى وستة بيه صلى الله عليه وسلم ؛ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهم ولكن يلزم تعلم ما نسب الشرع إذ حامت الشريعة بعه لهرب ؛ ومن الآلات علم الخط أيضاً وهو ليس ضرورياً ؛ إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً . أما المتممات فهي في عم القرآن ؛ وتنقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم انحرافات ومخرج الحروف ، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالنفسير ، وإلى ما يتعلق بأحكامه لمرفة تناسخ ومسوح ولعم والخاص والنفس ولظاهر ؛ وأما المتممات في الآثار والأخبار فيعلم بارجح وناسمهم وأسمائهم وأسماء "صحابة وصفاتهم ؛ فهذا هي العلوم الشرعية وكلها محمودة وكلها من فروض "كسبابه والله أعلم .

باب في بيان المحمود من العلوم والمذموم منها

العلوم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام - قسم مذموم قليل وكثيره ، وقسم محمود قليل وكثيره ، وقسم محمود في مقدار الكفاية فقط ولا يحمد الزيادة عليه - والقسم المذموم قليله وكثيره ، هو ما لا فائدة فيه في دين ولا ديار كعلم السحر والتطلعات وعلم النجوم والشعر المطلق ، وعلى الخلة فإن شاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره أو كذب . وأما القسم المحمود قليله وكثيره ؛ فهذا هو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ؛ فإن هذا العلم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وبذلك المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب ، فانه البحر الذي لا يترك غوره ؛ وإنما يحوم الناس على سوا حله وأطرافه بقدر ما يسر الله تعالى لهم وما حاضه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم بحسب اختلاف درجاتهم - وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار معلوم ، فهي العلوم التي ذكرناها في فروض الكفاية في الباب الأسبق .

باب في بيان علامات علماء السوء وعلماء الآخرة وآفات العلم

علماء السوء هم علماء الدنيا الذين لم يعملوا بعلمهم وقصدوا من العلم لتتعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها ، وقد ورد فيهم تشديدات عظيمة دللت على أهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة ، قال عليه الصلاة والسلام (لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً) (ق) .

وقال (من ازداد علماً ولم يزد هدى لم يزد من الله إلا سعداً) (الدليلي) فهذا وغيره يدل على عظم خطر العلم ، فالعالم إما متعرض لهلاك الآبد أو لسعادة الآبد ، وقال في حق العالم الفاجر قال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يرقى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أقتبه فيسور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت أمر بالخير ولا أتبه وأنهى عن الشر وآتبه) (ق) وإنما يصاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصي عن علم ولذلك قال الله عز وجل (إن المواقين في الدرك الأسفل من النار) لأنهم جحدوا بعد العلم

وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كشل صخرة وقمت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخصص إلى الزرع .

أما الفائزون المقربون منهم علماء الآخرة ولهم علامات منها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فإن أقص درجات العلم أن يُدْرِثَ حقارة الدنيا وخساستها وكدورتها وعظم الآخرة ودوامها وصداها بغيرها . قال عمر رضي الله عنه إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فإن كل محب يحوض فيها أحب .

وقال الرسول عليه السلام (من طلب علماً مما يشتمى به وجه الله تعالى ليصيب به عرساً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) (د) وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بلعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والرهق فقل عرجون في علماء الدنيا وإد أحمد الله ميثاق الدين أوتوا الكتاب لتبينته للناس ولا تكتفونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً) وقال تعالى في علماء الآخرة (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أرسل إليكم وما أرسل إليهم حاشعين لله لا يشعرون آيات الله ثمناً قليلاً أولئك لم أجزم عند ربهم) . ومها أن لا يخاف قوله فعله . من لا يأمر بالنهي ما لم يكن هو أول عامر به ، قال تعالى (أما أمرؤ ناس بالمر ونسوء أنفسكم) وقال عرجون (كثير مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وقال عليه السلام (هلاك أمتي علم فاجر وعاند جاهل ، وشر الشرار شرار العلماء ، وخير الخييار خيار العلماء) (الدارمي) ومها أن يكون عايته تحصيل العلم النافع في الآخرة المرغوب في الطاعات مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ، ويكثر فيها الجدل والقيال والنقال .

باب في تعريف علم التصوف وأحوال أهله

اعلم رحمك الله تعالى أن علم التصوف ويعبر عنه بعلم الحقيقة ، هو باب الشريعة ومنهاج الطريقة ، ومنه تشرق أنوار الحقيقة في التوجه إلى الله تعالى - فلا تصوف إلا بفقهه إذ لا تعرف أحكام الله تعالى إلا منه . ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه . ولا فقه ولا تصوف إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما بدونه . فعلم الشريعة يقال له علم الظاهر ، وعلم الحقيقة يقال له علم الباطن ، وقد ينشر الإنسان ولم يتحقق ، ولكن لا يكون متحققاً إلا إذا كان منسجماً - وأساس علم التصوف هو

النفوس والقلوب والأرواح لأنه يعمل على تهذيبها وشفائها وتصفيتها ، وواضعه هو النبي صلى الله عليه وسلم ، عليه الله نالوحى ؛ فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرية فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ؛ فأول من تكلم به سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصرى وهكذا ؛ فهو باق ما شاء الله . وهو مستمد من الكتاب وأاسة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين ؛ وأما حكم لشارع فيه فقد قال العراقي رحمه الله أنه فرض عن ، إذ لا يحلو أحد من عب ، أو قلب من مرض ؛ لا الأنبياء عليهم السلام ، وقال لشمادى رحمه الله ، من لم يعمل في عينا هدايات مصرأ على "كبار" وهو لا يشعر لأن دقائق هذا العلم هي التي تصحح عادة العبد وتحفظ عقيدته من الزيع ونظير فيه من الأمراض حتى يلتقي الله وهو سليم ، وأما موضوعاته فهي الإخلاص لله في القول والعمل ؛ والصدق في النية والعزم والتوكل في كل حركة وسكون ؛ والزهد في منافع الدنيا العارية ؛ والورع عن الشهات والرعى باقتضاء "المدر" ، "والسليم في كل الأمور" ، ومحبة والشوق والنفاء عن لأعيا ؛ والتماء باوحد لمهار ، غير ذلك من الصفات المحمودة - وعلى الجملة فهذا العلم هو أصل العلوم ؛ لأن حقيقته البحث عن معرفة ذات العلية وهي أفضل على الإطلاق ؛ فالعلم الذي يتعلق به يكون أفضل عن الإطلاق أيضاً ، فهو دال بأوله على تمام شخصية الله ؛ وبوسطه على صدق معاملته ؛ وبآخره على حقيقة معرفته والإيقاع إليه تعالى . وأما بسنه من العلوم الشرعية فهو كلي لها وشرط فيها ، إذ لا علم ولا عمل لا يهدي نوحه إلى الله تعالى ، وقد اختلف في اشتقاق اسمه على أقوال كثيرة بورد منها قولين ؛ فقبل أنه مشتق من الصفاء لأن الصوفي قد صفا قلبه وشديت عنه ؛ قل أو لفتح "لوصفي" - صافي فصوصي حتى سمي الصوفي - القول الثاني ؛ أنه منقول من صفة المسجد النبوي التي كانت مبرلا لأهل الصفة ، وهم القوم الذين تركوا الدنيا لأهل ، ويتقنعوا للعبادة ؛ فخص لهم مكان في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم يتعبدون ويدكرون الله فيه ، فالصوفي تابع لهم فيما شئت الله لهم من الوصف ؛ حيث قال (واسر بسك مع الذين يسعون ربه بالعباد ونعش ؛ بسون وجهه) وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول في الصوفي - أمهاتنه ، وطهير

القلوب وتهذيب النفوس والسير إلى غلام العيوب ؛ وهو ما حرره العزالي رحمه الله في الإحياء ياناً وشرحاً شامعاً وإسهاباً وهو ما عنيت بتحقيقه واستخراج ربه في كتابي هذا - وأعلم أن التصوف مبني على ثلاث حاصل - تمتك بالفقر والافتقار والتحقيق بالذل والابتناء ؛ وترك التدبير والاحتياط - والمقصود بلفظ الفقر هو فقر الحال مع الله تعالى والافتقار إليه دائماً في الحول والقوة ؛ لا فقر المال وصيق ذات اليد كما يتوهم للناس كلاً ؛ فليس من التصوف أن تلبس الصوف وتأكل الشعير وتنام على المزابل وتترك الدنيا وتهيم على وجهك ؛ فيمكن لصاحب المال أن يكون متصوفاً متى كانت الدنيا في يده لا في قلبه ، فالتصوف حينئذ هو الفقر الباطني لا الفقر الظاهري والله أعلم .

أما حال الصوفية فإبهم يملكون إلى العلوم الالهية دون العلوم التعليمية ، ولذلك لم يحرصوا على دراسة العموم فحصل ما صنفه المصنفون والحث عن الأقاويل والأدلة كعباء الشريعة ؛ بل قالوا 'التزويق هو تقديم المعاهدة ومحو لصعاب انبشيرة لمردولة وقطع العلائق الدنيوية . ولا يقل لكل أهمية على الله تعالى ؛ ومنى حصل ذلك كان الله هو المولى لقب عبده وللمسلمين سنويرة بنور العلم ؛ قال تعالى (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال عز وجل (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) من الاشكالات والشبه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أي يعينه عبداً من غير تعلم ويعطيه من غير تجر به ؛ وقال تعالى (بأيتها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً) قيل ورا يفرقون به بين الحق والباطل ويخرجون به من الشبهات ؛ فإذا تولى الله أمر القلب فاصت عليه الرحمة وأشرق النور فيه وأنشراح الصدر وانكشف عن القلب حجاب المعرفة سطفت الرحمة وتلايلات فيه حقائق الأمور الالهية ؛ فليس على العبد حينئذ إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحصار الأهمية مع الإرادة الصادقة ؛ فالأنبياء عليهم السلام والأولياء رضوان الله عليهم قد انكشفت لهم حقائق الأمور وقاص على صدورهم النور ؛ لا بالتعلم والدراسة بل بالزهد في الدني والتبري من علائقها . وتفرغ القلب من شواغلها ، والاقبال بالسكينة على الله تعالى ، كما هو واضح من أقوالهم وآثارهم التي أوردناها في أبواب هذا الكتاب ، وحقاً من كان قلبه كان الله له .

هذه كلمة وجيزة في تعريف علم التصوف وحال الصوفية أسوقها للتلهف اليها
ومناك من عجائب هذا العلم وأحوال أهله الموجهة للدهشة ما لم يتسع لشرحها مثل
هذا الوجيز .

باب في معنى القلب والنفس والروح والعقل معاً

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة يقل من يحيط بها وباختلاف معانيها وحدودها وأوصافها
ونحن هنا نشرح معناها بما يتفق مع غرضنا مع ذكر ما يتعلق بها وما يصيبها من
الأمراض والآفات ؛ وكيفية علاجها متروحين في ذلك أقصر الطرق وأقرب المعاني
ليسهل الفهم واقه المستعان .

باب في معنى القلب

يطلق هذا الاسم على معنيين - الأول - هو قطعة لحم مودعة في الجانب
الأيسر من الصدر على شكل الصنوبر ، وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك
التجويف دم أسود قيل هو منبع الروح ومعدنه . وهذا القلب موجود في الإنسان
وفي البهائم أيضاً - المعنى الثاني - هو لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني
تعلق ؛ وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان فهي موضع الإدراك والعلم والمعرفة ؛ وبها
يخاطب ويطلب وينعم ويعاقب ؛ وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في معرفة وجه
علاقة هذه اللطيفة بهذا القلب الجسماني ؛ فإنها تشبه تعلق الأعراض بالأجسام ؛ أو
الأوصاف بالموصوفات ؛ أو المستعمل بالآلة . والذي نقصده في كتابنا هذا من
لفظ القلب هو هذه اللطيفة الربانية ؛ وهي التي سنذكر أوصافها وأحوالها ؛ بل هي
أصل هذا الكتاب وأساسه . أما قطعة اللحم فلا اعتداد بها ولا هي من أغراضنا .
لنعلم ههنا وهناك الله أن هذا القلب هو الشرف الذي شرف به الإنسان وفصل
به على أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه وتعالى ؛ التي هي في الدنيا جماله
وكأله وغمره ؛ وفي الآخرة عدته ودخره . فاستعداد الإنسان لمعرفة هذا إنما هو
بقلبه لا بجوارحه من جوارحه . فالقلب هو العالم بآله وهو المنتقرب إلى آله وهو

العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المكاشف بما عند الله ؛ والجوارح عبارة عن أتباع وحدهم وآلات يستعملها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعيه والصانع للألة . فالقلب هو المقبول عند الله إذا صار مع الله وهو المحبوب عن الله إذا صار بعيداً عن الله فهو الذي يسعد بالقرب من الله ويصنع إذا زكياه وهو الذي يحيب ويشقى إذا دنسناه وهو المطيع لله تعالى فينشر على الجوارح من المسادات أنواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى فتسرى إلى الأعضاء من العواجل آثاره وإطلاعه واستنارته تطهر بحسن الطاهر ومساويه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذي إذا جهل الإنسان فقد جهل نفسه وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه فمن جهل قلبه فهو لغيره أجهل لحيث أن أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم لأنه قد حيل بينهم وبين معرفة حقيقة قلوبهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه - فمن لم يعرف قلبه ليراقبه ويترصد أحواله فهو عن قال الله تعالى في حقهم (بل طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) - فمعرفة القلب والعلم بحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق الموحدين - وسبأني بيان حالاته وأمراته وعلاجه إن شاء الله تعالى .

باب في معنى النفس

النفس أيضاً لها معان كثيرة وبخصنا في غرضنا هنا معنيان - الأول - أنه يراد بالنفس المعنى الجامع لقوى الغضب والشهوة في الإنسان وعلى ذلك فلا بد من مجاهدة النفس وكسرها وتدليلها لأنها عدو الإنسان كما في الخبر - والمعنى الثاني - هي اللطيفة الربانية الروحية التي ذكرناها في معاني القلب ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ؛ فإذا سكنت تحت أوامر الطاعات ولارمها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة وقد قال الله تعالى في شأنها (يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) أما إذا لم تظمن بالطاعات بل فقط صارت مدافعة للشهوات ومعتصة عليها فإنها تسمى النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه فإذا أدعت لها وأطاعت دواعي

الشیطان وسلکت سبیل شهواتها فی الامارة بالسوء وهی بعيدة عن رحمة الله تعالى لانها من حزب الشیطان - والنفس فی حالاتها الثلاث یجب علاجها ولا یفنی ترکها مهمة یلعب بها الشیطان وهی تلعب بصاحبها وتودی به إلى طریق الهلاك - وسیأتی إن شاء الله تعالى بیان طرق مجاهدتها ومحاسنتها وما یصلح من شأنها .

باب فی معنى الروح

قال الله تعالى (ویألوک عن الروح قل الروح من أمر ربی) - وقد ذکر الامام العزالی رحمة الله علیه أنها هی اللطیفة الربابة العالمة المدركة من الانسان ولکننا نمسک عن الکلام فی حقیقتها لأن رسول الله صلى الله علیه وسلم لم یدکر شیئاً عنها إکنفاء بحوار الله تعالى له فی الآیة السابقة وهی أمر الله العجیب الذی حیر العقول درک معناه فسبحان علام المبوب

باب فی معنى العقل

للعقل معان مختلفة وبخصنا منها معنیان - الاول - أنه قد یراد به العلم بحقائق الأمور فیکون عبارة عن صفة العلم الذی علیه القاب - المعنى الثاني - أنه قد یراد به الشیء المدرك للعلوم فیکون هو القلب أعی تلك اللطیفة الربابة الی سبق شرحها فإدأ قد علم لما أن لهذه الأسماء الأربعة - القلب والنفس والروح والعقل - معان منها القلب الحسائی والنفس الشهوانیة أو العصبیة والروح وهو الأمر الربانی والعقل وهو العلوم وبطلی علیها جميعها معنى خامس وهو اللطیفة الربابة العالمة المدركة من الانسان فالألفاظ أربعة والمعانی خمسة ومتی ذكرت هذه الأسماء فی القرآن والسنة فیراد بها اللطیفة الربابة كما تقدم

باب فی جنود القلب

لله سبحانه وتعالى فی القلوب والآرواح وغیرهما من العوالم جنود مجسدة لا یعرف حقیقتها وتفصیل عددها إلا الله تعالى . قال عز وجل (وما یعلم جنود ربک إلا هو) ولشرح بعضها وهو الذی یتعلق بغرضنا نقول - القلب له نوعان

من الجنود نوع يُرى بالأنصار ويوع يرى بالبصائر - فأما جنوده التي ترى بالأنصار فهي اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرية فإن جميعها حدام للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها وقد حطقت بمجولة على طاعته لا تستطيع له حلاًفاً ولا عليه تمرداً - فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم . ولما كان القلب لم يخلق إلا للسفر إلى الخلق سبحانه وتعالى وقطع المتارل لبقائه وكان محتاجاً في سفره هذا إلى المركب والزاد الذي يوصله خلق الله له الدن غنائة المركب . جسم راده اعلم والتقوى قال تعالى (وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون) وقال عمر وحل (وتزودوا فإن حير الراد التقوى) . ولما كانت لديها هي المنزل الأدنى كان لابد من قطعه للوصول إلى المنزل الأعلى فإن الدب مررعة الآخرة فيها العمل وهناك الأجر . أما حكمة خلق الأعضاء وما أودعه الله في الحواس من المرايا فما يعجز عن فهمه عقول البشر . وليكتنا بقول إن جنود القلب انطاهرة تحصرها ثلاثة أصناف - صنف ناعث إلى جلب النافع اللدبد كالشهوات أو إلى دفع الصار ويعبر عنه بالإرادة - وصنف يحرك الأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عنه بالقدره - والصنف الثالث هو المدرك المتعرف لهذه الأشياء وهي قوة لبصر والسمع والشم والدوق والعس وغيرها ويعبر عنه بالإدراك - وقد يصعب القلب أمام جند الشهوات ويقادله اقباداً نأماً فيهلك ويقطع عن السفر الذي يوصله إلى سعادة الأبد - وأما جنوده التي ترى بالبصائر فهي العلم والحكمة والتفكير وكان الواجب على القلب أن يتخذ من هذه الجنود قوة تجمع جنود الشهوة وهذه عن لقلب لأنه لو ترك الاستعانة بها ونسلط عليه جند الشهوة هلك يقيناً وحسر حيراناً مييناً وبالأسف هذه حالة أكثر الخلق في زماننا فإن قلوبهم أصبحت خاضعة لسلطان الشهوات وأسيرة لها .

باب في سرعة تقلب القلب

اعلم أن القلب هدف يصاب على السوام من كل جانب . فإن نزل به الشيطان

ودعاة إلى الهوى زل به الملك وصرفه عنه فلا يكون قط مهملاً وإليه الإشارة بقوله تعالى (وَنُقَلِّبُ أَفْقَدْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ) ولا اطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنع الله تعالى في القلب وعجائب قلبه كان يحلف به فيقول (لا ومقلب القلوب) وكان كثيراً ما يدعو بقوله (اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) قالوا أو تحلف يا رسول الله قال (وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبه كيف يشاء) والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد فيهما ثلاثة أصناف - القلب الأول هو القلب السليم الذي عُمِّرَ بالتقوى وتطهر عن خدث الأخلاق تنقدح فيه حواطر الخير - فعند ما يصرف العقل إلى التفكير فيما حطر له يعرف بنور الصيرة أنه خير فيحكم بفعله ويدعو القلب إلى العمل به فيصبح هذا القلب مستقراً ملك الهداية ويتيسر الأمر عليه لفعل الخيرات وإليه الإشارة بقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) وفي مثل هذا القلب بشرق نور الإيمان حتى لا يغنى فيه الشرك الخفى ولا يدخل عليه شيء من مكاييد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحى زحرف القول غروراً فلا يلتفت القلب إليه لأنه قد تطهر من المعاصي وأصبح مأموراً بالعبادات مطمئناً لذكر الله (إلا يذكر الله تعظمين القلوب) - القلب الثاني - هو القلب المريض المشحون بالهوى المانس بالأخلاق المذمومة قد فتحت فيه أبواب الشياطين وسدّت عنه أبواب الملائكة . فعند ما يخطر خاطر الهوى في القلب يفسح الصدر به ولا يقدر على التعقل والاستبصار فهو وعطه واعظ وأسمعه ما فيه نجاته عني عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وتحركت الجوارح بفعل المعصية وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى (أرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) - القلب الثالث - قلب تبدو فيه حواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحق خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير فتبعث النفس بشهوتها إلى نصره خاطر الشر ويغف العقل في جانب خاطر الخير ويقشع فعل النفس فلا يزال القلب يتردد بين جند الشر وجند الخير إلى أن يعلب عليه ما هو أولى به . فحب المؤمن بين أصبعين من أصابع

الرحمن أى بين تجاذب هذين الجندين . واعلم أن للطاعات والمعاصى علامات يتعرف بها أرباب القلوب على سابق القضاء فمن خلق للجنة يشرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصى وسلط عليه أقران سوء . وقال له الشيطان (إن الله غفور رحيم) وأن العمر طويل (بَعْدُكُمْ وَبِمَنْتَهُمْ وَمَا بَعْدُكُمْ لِشَيْطَانٍ إِلَّا غُرُورًا) . فليحذر العبد في كل لحظة غرور الشيطان ويجهد نفسه في مخالفته حتى تكون الخيرات دِينَهُ .

باب في بيان أمراض القلب وعلاجه

إعلم أن سلامة القلب لا تتم إلا بعلاج أمراضه وعلاجها استعماله فيما خلق له . وما خلق إلا للعلم وعبادة الله تعالى ومحبة والتسليم وذكره وتفضيل ذلك على كل شهوة . هذه هى خاصية القلب وحكمة العقل الذى وهبه الله للأدى لتمييزه عن البهائم لأنه لم يتميز عنها بالقوة على الأكل والوقاع للنظر وغيره فان البهائم فى ذلك أقوى منه . إنما تميز الإنسان بمعرفة الأشياء ومعرفة موجدتها ومخترعها وهو الله عز وجل . فلو عرف الإنسان كل شئ ولم يعرف الله سبحانه وتعالى فهو جاهل لم يعرف شيئاً . وعلامة المعرفة المحقة وعلامة المحبة أن لا يفصل عليه الدنيا ولا شيئاً من محباتها . وعلى ذلك فكل إنسان عنده شئ فى الدنيا أحب إليه من عبادة الله تعالى فقلبه مريض . ومرض القلب قد لا يعرفه صاحبه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو يضاهى نزع الروح من الجسد . فان وجد الانسان من نفسه قوة الصبر على ذلك لم يجد طبيباً ماهراً يعالجه لأن الأطباء هم العباد وقد استولى عليهم المرض إلا القليل . فالطبيب فى زماننا مريض قلباً يلتصق إلى علاج نفسه ولذلك صار الداء عضالاً والمرضى مزمناً وأقس الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال ظاهرها عبادات ويباطلها مرامات وهذه علامات الأمراض .

أما طريقة العلاج فهو أن يعالج كل مريض بصدده ، ولو كان المريض البخل مثلاً فعلاجه بدل المال وإنفاقه فى سبيل البر والخيرات ولكن بعبر تبيد . فعلى الإنسان أن يعالج نفسه بنفسه بما وهبه الله إياه من العقل والتمييز حتى لا يكون له علاقة

بالدنيا إلا ما كان ضرورياً وبذلك ترشح النفس عن الشهوات وتصبح غير مستغنة إلى شيء في الدنيا ولا منشوقة إلى متاعها فتزجج إلى ربها مطمئنة راضية داخلة في مرة عياد الله المقربين . فكل من أراد النجاة سعى إليه ما استطاع ، ولا نجاة إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا من القلب السليم ، فوجب على العبد أن يفتش قلبه ويشتمل بعلاج كل مرض فيه عني التوالي . واعلم أن رحمة الله مبدولة للعباد بحكم الجود والكرم منه تعالى ولكن لا تظهر إلا في القلوب المتعرضة لشفحات رحمته والتعرض لا يكون إلا بعلاج أمراض القلب وتطهيره من الخبثات الحاصل من الأخلاق المدمومة وتخليته بالأخلاق المحمودة لأن القلوب كالآواني ما دامت تمتلئ بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بعمر الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله . قال عليه السلام (إن لعبد إذا أخطأ خطيئة كُتبت في قلبه نكته سوداء فإن هو نزع واستغفر سئلت وإن عاد ربد فيها حتى تملأ قلبه) وذلك هو الزمان الذي ذكره الله تعالى في قوله (كلا من رآه على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (ق) . ومن هذا ينبغي أن خاصية القلب هو العلم وصفاته وأعماله فقيه كمال الإنسان وبه سعاده .

باب في بيان مداخل الشيطان للقلب

الشيطان له أبواب كثيرة يدخل منها إلى قلب العبد ولكننا نشير إلى بعض الأبواب العظيمة التي تجرى فيها فتور الشياطين من أبوابه العظيمة العصب والشهوة لأن العصب عول العقل فإذا غصب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة . ومن مداخله العظيمة الحسد والحرص فقد روى أن إبليس قال لنوح عليه السلام بالحسد لعنت وطردت وجمعت شيطاناً رجماً لأنني لم أسجد لآدم حسداً . وأما الحرص فإنه أبيع لأدم الجنة كلها إلا الشجر وفاقت حاجتي منه بالحرص بأن أعوينه لئلا كل منها فأكل . ومن أبوابه العظيمة حب التزين من الأثاث والثياب والدواب والمركبات والمنارل فإن الشيطان إذا رأى ذلك عالماً على قلب العبد ناصر فيه وهرخ فلا يدعو إلى عماره الدار حتى يدعو إلى التزين بالثياب واقتناء الدواب والمركبات ويستخدمه فيها طول عمره إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو متبع للشيطان في

سبيل شهواته ويخشى عليه من سوء الحاقمة وهذا الحال هو الغالب في زماننا - ومن
أبوابه العظيمة العجبة وعدم الثقت في الأمور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى) ومن أبوابه العظيمة حب الدرهم
والدناير وسائر أصناف الأموال فإن كل ما راد عن الحاجة فهو مستقر الشيطان لأن
من ملك قوته بحسب حاجته يكره حال القلب ولكن إذا وجد مائة دينار مثلاً تولد
في قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فيطلب هذا ويطلب
هذا لانه عد لنفسه من لأعياء ويقع في هاوية آخرها عمق جهنم . ومن أبوابه
العظيمة البخل وخوف الفقر فإنه ينج من الاعداء والنصفي ويدعو إلى الادحار
والكبر والقتير وفي هذا عند النبي صلى الله عليه وسلم لقول القرآن الكريم ومن أبوابه العظيمة
التزين لبعض من يدعون العلم بأهله عده فيحملون العوام على العسكر في ذات الله
نعالي وصفاته بأمور لا ينبغي حدة عقولهم حتى يشككوا في أصل الدين فيصير هذا
المدعى هذه لغة كاذبة أو مستند وهو فرح سرور يخرج على حجة طاعة الله
أنه قد اكتشف أمر أحميداً في الدين صارياً بأقوال العلماء والعلماء عرض الحائط
وسى هذا المبرور أن قلبه يمدح بحب الدنيا حاداً في تحصيل متاعها ساعياً وراء ما
بكل "طرق وجه" أن لقلب الممدوح حب الدنيا بعيد عن تقوى الله تعالى وعن مو
العلم . فواجب على كل مسلم أن يحجب أمثاله ولا يقتدى بهم ولا يسمع لهم
ومن أبوابه العظيمة سوء الظن بالحق فيحكم الإنسان على أخيه بأشهر وهو يرى
فيتعرض لأخيه باللعنة والظن وقد هي رب المرأة حين شأته عن ذلك فتدعى تعالى
(يا أيها الذين آمنوا ، حذروا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) وقد احتذر رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ذلك كما روى عن علي بن حسين أن صفية بنت حسين
روح النبي صلى الله عليه وسلم أحرقته أنه علمه السلام كان مفتكماً بالمحبة في قلبه
فحدثت عنده وبأسميت بصرفت بضم يمش معي ثم به زحلال من ذنبا فيهما
ثم انصرفا فإداهما عبه سلام وقد بها صنية بنت حبيبي (فقال يا رسول الله
ما بطن لك حيراً فقال (يا شيطان يجري من آل ثم يجري الله من الجسد وإن
حشيت أن يدخل عليك) (ق) فانظر كيف أشفق عليه السلام على دينهما وكيف
أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحترار من الشهمة

هذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولا يقدر أحد على استقصاء جميعها وفي هذا القدر ما ينبه العبد على غيره وعلى الخلقة فليس في الإنسان صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله .

باب في علاج القلب من مداخل الشيطان

علاج القلب من مداخل الشيطان هو سد هذه المدخل بتطهير القلب من الصفات المذمومة . ثم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات فقط ولم يكن له استقرار . ويتمتع من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن الذكر لا يتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة قال تعالى (إن الذين اتقوا إدامسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مُبْصرون) خصص سالك المستقي وأعلم أن الشيطان مثله كمثل كلب جائع يقرب منك فإن لم يكن بين يديك حجر فإنه ينزجر بمجرد أن يسمع صوتك أما إذا كان بين يديك خبز فإنه يهجم على الخبز ولا ينزجر عنه بمجرد الكلام لشدة جوعه . فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد ذكره أما الشهوات إذ عشت على القلب ذهبت الذكر إلى خارج القلب واستقر الشيطان في سويدائه فغرت المتغيب خالية من الهوى والصفات المذمومة لذت في الشيطان بطرق لا للشهوات بل لخواصها من الذكر ساعة العفلة فقط وإذا عاد إلى الذكر حس الشيطان ودبيل ذلك قوله تعالى (فاستعد بالله من الشيطان الرجيم) واليك ما روى عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان شيطان يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فأتاه جبريل عليه السلام فقال له قل (أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن برء ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها ومن في الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارق يطرق بخير يا رحمن) فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه فيجب علينا أن نتعوذ بهذا .

واعلم أن التطاردين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالنطاردين في النور والظلام . قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان واضع

حُرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى حُدَس وإن نسي الله تعالى
 (النتقم قلته) (ق) ومعلوم أن منهي ذكر ك الصلاة مراقب قلبك حتى لا يجذبه
 الشيطان إلى الأسواق ويخطر بآلك جميع أمورك في الوقت اليسير الذي قُت فيه بين
 يدي ربك فالصلاة يحك القلوب فيه تظهر محاسنها ومساوئها وهي لا تقبل من القلوب
 المشحونة بأمور الدنيا ، فإن أردت الخلاص من الشيطان فداوم على الذكر بفر
 منك كما فر من عمر رضى الله عنه - وكذا أن الله تعالى قال (أدعوني أستجب لكم)
 وأنت تدعوه ولا يستجب لك فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد
 شروط الذكر والدعاء - قبل إبراهيم بن آدم ما لنا يدعو فلا يستجاب لنا؟ قال
 لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء وهي : عرقتم الله ولم تؤدوا حقه . وقرأتم القرآن
 ولم تعملوا به . وقلتم بحب رسول الله صلى عليه وسلم ولم نعملوا بسنته . وأكتم
 نعمة الله ولم تؤدوا شكرها . وقلتم إن الجنة حق ولم نعملوا لها . وقلتم إن النار حق
 ولم نهربوا منها . وقلتم إن الشيطان عدوكم ووضأتموه على المعاصي . وقلتم إن الموت
 حق ولم تستعدوا له . وإذا قلتم من النوم افترشتم عيوب الناس وسبتم عيوبكم . ودفتم
 موتاكم ولم تعتبروا بهم . فشرط قبول الذكر والدعاء بهذه الخصال - واعلم أيها
 القارئ أن أعداءك من جنود الشيطان كثيرون . كما أن للشيطان جنوداً كذلك
 للإنسان جنود هم الملائكة الموكلون به فاتخذ منهم أيها العبد دروعاً تتق بها مكاند
 الشيطان واعلم أن ذكر الله تعالى يذهب وساوس الشيطان لأن كل شيء يعالج
 بعنده وجميع وساوس الشيطان ضدها ذكر الله وهو الاستعادة والتبرؤ عن الحول
 والقوة وهو معنى قولك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله
 العلي العظيم .

باب في وساوس القلوب وما يؤاخذ به العبد وما يعفى عنه

اعلم أن هذا أمر عام قد ورد فيه أخبار متعارضة ومندكر متحصصا . قال
 رسول الله صلى الله عليه (عفى عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل
 به أو تعمل به) وقال (إن الله تعالى يقول للحفظة إذا هم عبدوا بسيرة فلا تكتبوها

فإن عملها فاكثبوها سيئة وإذا هم بحسنة فلم يعملنها فاكثبوها حسنة فإن عملها
فاكثبوها عشراً وفي لفظ آخر (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن
هم بحسنة فعملها كتبت له سبعائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن
عملها كتبت) (ق) فكل هذا يدل على العفو عن وسوسة القلب حين يهيم بالسيئة ولم
يعملها أما ما يدل على المؤاخاة قوله تعالى (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخموه
يحاسبكم به الله فاعلم لمن يشاء ويعذب من يشاء) وقوله تعالى (ولا تقف ما ليس
لك به علم إن السمع والبصر والعزائم كل أولئك كان عنه مثولاً) فدل على أن عمل
القلب كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في
أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وهذا ما دلت عليه الآيات . وأعلم أن
هناك أربع أحوال يقف قبل العمل بالجوارح أولاً . الخطر وهو حديث النفس .
ثاني الميل إلى العمل ثباتاً . الاعتقاد . رابعاً . أهم . أما الخطر فلا يؤاخذ به
لأنه لا يدخل تحت اعتبار تعبد وهو عبادة عما يهجن في نفس ولا يشمه عزم
على العمل فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تعالى (إن تبدوا
ما في أنفسكم أو تخموه يحاسبكم به الله) جاء ماس من الصحابة إلى النبي صلى الله عليه
وسلم وقالوا كلفنا ما لا يطيق إن أحداً ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه
ثم يحاسب بذلك . فقال عليه السلام (لعلمكم تقولون ما قالت اليهود سمعت وعصينا
قروا سمعنا وأطعنا) فقالوا سمعنا وأطعنا فأمر الله النرج بعد سنة بقوله تعالى
(لا يكلف الله شيئاً إلا وسعها) فظهر بذلك أن كل ما لا يدخل تحت لواسع من
أعمال القلب لا يؤاخذ به الإنسان . وكذلك الميل لأنه لا يدخل تحت الاعتبار
والوسع أبصاً وهما المرادان بقوله عليه السلام (عني عن أمي ما حدثت به
نفسها) وثالث وهو الاعتقاد أي حكم القلب بوجوب العمل فهذا إما أن
يكون اضطراراً أو اختياراً . فالاحتمال منه وهو ما يدخل تحت وسع لعدم يؤاخذ
عنه أما الإلصقاري وهو ما لا يدخل تحت وسعه فلا يؤاخذ عليه مثلاً إذا نظر
الإنسان إلى امرأة أجنبية اضطراراً لم يؤاخذ بل ينبغي نظرة أخرى اختياراً
أو أخذ . الرابع أهم وهو العزم على العمل مؤاخذه به فإن ترك العمل خوفاً من الله

تعالى وتندم على عزمه كنت له حسة لأن مجرد العزم على الفعل يعد سيئة وامتناعه ومجاهدة نفسه فيه يعد حسة أما إذا ترك الفعل بعائق من العوائق أو لآى عذر خلاف تقوى الله تعالى فإن العزم يكتب عليه سيئة نحتاج إلى تكفير لأنه كان اختيارياً من القلب والترك كان إيجابياً للعوتى التى اعترضته والله أعلم .

باب فى معنى تهذيب النفس

تهذيب النفس هو محو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجب الفصائل والأخلاق الحميدة إليها مثال البدن فى علاجه فإنه إذا كان مريضاً يعالج بمحو العلل عنه وحب الصحة إليه ، وكما أن البدن فى الاستداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمن ويقوى بالتربية فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للتكمال ولا تكمل إلا سعيها وبغيتها بالعلم وذلك أن تعرف رذائل الأعمال فتجتنبها وحسناتها فتتبعها . ولكن لما كان علاج أمراض الأبدان لا يكون عادة إلا باستعمال ما هو مصاد لمرض وفى هذه الحالة لا بد من احتمال مرارة أسواء وشدة الصبر بالكف عن المأكولات . فكذلك الخبث بالنعم ومرض البخل بالتسعى ومرض الطمع بالقناعة ومرض الكبر بالتواضع وهكذا وفى هذه الحالة أيضاً لا بد من احتمال مرارة مجاهدة والصبر لإقناع النفس عن شهواتها . وأولى بها فى الواقع بل الواجب المحتوم عليه معاهدة القوت لأن مرض البدن يخص منه صاحبه بالموت أما مرض القلب بدوم بعد الموت ويشقى فيه صاحبه أبداً الأبد . ولذلك وجب على الإنسان إذا كان جاهلاً بمحدود الشرع أن يتعلم أولاً الطهارة والصلاة بأركانها المسوية ويؤزم ظواهر العادات ويتجنب ارتكاب المعاصى فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهرت حواريه من المعاصى ينظر بعد ذلك فى تهذيب نفسه .

باب فى مجاهدة النفس

قد علمت أن الطريق فى معالحة أمراض القلب هو ترك الشهوات وأن أصل أمراضه هو اتساع الشهوات — فمن أراد مجاهدة نفسه عليه أن يقف أولاً على علل قبح وأمراته وعلاجه ودوائه وذلك يحصل بنور العلم والإيمان فإن عجز عن

تحصيل العلم فلا يهوته التصديق والإيمان ومتى آمن بالله واتقاه عليه الله . قال تعالى (واتقوا الله ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) وليعلم أن درجة الإيمان والتقوى قبل درجة العلم فالمؤمن باح ولو بعير علم ولا ينجو العالم بعير إيمان وتقوى — فحالفه الشهوات هو الطريق إلى الله عز وجل فمن صدق بذلك ولم يطمع على سببه وسرته فهو من الذين آمنوا وإذا أطلع بعين البصيرة عليه فهو من الذين آمنوا العلم وكلاً وعد الله الحسنى وما جاء في القرآن والسنة عن وجوب مجاهدة النفس أكثر من أن يحصر قوله تعالى (وهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن بين خمس شذائد مؤمن يحسده ومنافق يُبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضلّه ونفس تنازعه) فمن أن النفس عدو يجب مجاهدته وقال عليه السلام تقوم قدموا من الجهاد (مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر قال (جهاد النفس) (ق) وكان أبو العباس الموصلى يقول لنفسه يا نفس لا فى الدنيا مع أبناء الملوك تنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تتعبدين كأنى بك من الجنة وإنذار تحسبن يا نفس ألا نستحيين . وقال الحسن ما الدابة أحموح بأحموح إلى اللجام الشديد من نفسك . فإذا لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بهى النفس عن الهوى ومجاهدتها فى محالفة الشهوات ولا يتم ذلك إلا بالصبر أباماً قلائل فقد ينحمل الإنسان مشقة السفر والنصب لينعلم صناعة يعيشها مدة حياته وهى معدودة والأولى أن يتحمل مشقة مجاهدة نفسه ليحيا حياة لا حد لها واعلم أن طريق المجاهدة يتحدث باختلاف أحوال الناس والأصل فيه أن يترك كل واحد يفرح به من متاع الدنيا لأن الفرح بمتاع الدنيا والاطمئنان بها مهلك ومبعد عن طريق الحق تعالى ثم إذا ترك الفرح بالدنيا وجب عليه أن يعترف الناس ويرافقوه ويذكر دونه ولا يشتمن إلا بذكر الله تعالى فى ذلك بحمد روى عن عفة بن عامر قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما الرجاء قال (أمتك عليك لسانك وتيسعك بيتك ودينك على حبصتك) ومتى تم به ذلك وجب عليه أن يقطع أصل الشهوة متى طهرت لأن لكل شىء أصلاً ولا يروى ولا يقطع ذلك الأصل وليعلم أن ذلك عليه عمره وليس للجهاد آخر إلا بالموت .

باب في مراقبة النفس قبل العمل

حكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند ما يعم بفعل شيء أو يسمي
بجوارحه في شيء وكيفية المراقبة أن يتوقف عن العمل وعن السعي ويتفكر أولاً في
نتيجة ما سيفعله فإن كان لله تعالى يعمى فيه وإن كان طوى في نفسه يتقيّه ويترجم
القلب عن التفكير فيه فإن الفكرة الأولى إذا لم تدفع أو ورثت الرغبة والرغبة
تورث العزم والعزم يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت . فينبغي حينئذ أن
تتختم مادة لشر من منعه الأول فإن أشكل على العبد ذلك وعجز عن التفكير في
أموره بنفسه فعليه أن يستعين سور العلماء العاملين وإرشاد أهل الدين وليفر من
العباء المصطنع والمقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشد . فيجب أولاً على من
يرغب في مراقبة نفسه أن يحمل منه معرفة ما يصره وما يتفهمه قال صلى الله عليه
وسلم (إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشهوات والعقل الكامل عند هجوم
الشهوات) من ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصير نافذ في الشهوات .
وواقع أن العلم بأفات النفوس وأمراض القلوب قد ائدرس في هذا الزمان لأن
الناس قد تركوا الاشتغال بهذه العلوم واشتغلوا بعلوم دنيوية لا توصلهم لمعرفة
حقيقة الأمر . من لم يوقف نفسه عن الإقدام على العمل متى حصل الاشتباه في
صوابه كان متبعاً لهواه معجباً برأيه وكان ممن وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله (فإذا رأيت شعثاً مضطرباً وهوى متشعباً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك
بخاصة نفسك) وكل من حاص في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى (ولا
تقف ما ليس لك به علم) وكان الصديق يقول في دعائه - اللهم أرني الحق حقاً
واررقتي اتباعه وأرني الظل ظلاً واررقتي احتسابه ولا تجعله متشبهاً عني فأنتع
الهوى - وقال عيسى عليه السلام - لأمر ثلاثة أمر أسأل ربه فاتبعه وأمر
مندان عيه واجتنبه وأمر أشكل عليّ بكسه إلى عمله .

أما المراقبة عند شروع في العمل فهو أن يقص حق الله فيه ويحس البية في
نفسه ويؤدبه عي أئمن مملكته ويلازم ذلك في جميع أفعاله فإذا راقب نفسه في
جميع حركاته فقد قدر على عبادة الله تعالى وأعم أن مره ثلاثة أقسام المراقبة

في الطاعات وهي الاخلاص فيها وإكمالها وحراستها من الآفات - والمراقبة في المعاصي وهي التوبة والتندم والاقلاع عنها - والمراقبة في المباحات وهي مراعاة الآداب فيها بما يتفق مع اشرع - فعلى العبد أن يتفقد نفسه في جميع أوقاته ويتلبس حدود الله تعالى في جميع أعماله قال تعالى (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وكل ذلك يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مصت لا تعب فيها فقد مصت سواء في مشقة أو راحة وساعة مستقبلية لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش اليها أم لا ولا يدري ما يقص الله فيها وساعة راحة ينبغي أن يجاهد نفسه فيها ويراقب ربه فيها فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحصر على موات الساعة الأولى وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى في الأولى وهكذا - وليعتقد أنه دائماً في آخر أفعاله حتى إذا جاءه الموت وهو على هذه الحالة كان لا يكرهه ولا يكره لقاء ربه وكان عاملاً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يكون المؤمن طامعاً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرئته لمعاش أو لذة في غير محرم) ولكن الناس في زمان هذا قد استهانوا بأمر الشرع فلا يراقون أنفسهم ولا يحاسبونها من تركوا أمر الدين وراهم طرياً قال ابن المقفع . الناس إلا قبلاً من عصم الله مدحولون في أمورهم ففائلهم باع وسامعهم عتاب وسائلهم منعوت وبغيهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله فافعل وموعوظهم غير سليم من الاستحفاف والأمين منهم غير محتفظ من إتيان الحياث والصدوق غير محتراز من حديث الكذب وذوى الدين غير متورع عن تقريظ العجزة والحارم منهم غير تارك لتوقع الدوائر . يتناقصون البناء ويترقبون الدمول ويتعابسون بالهمر مولعون في الرخاء بالتحاسد وفي الشدة بالتحادل - نسأل الله تعالى السلامة .

باب في محاسبة النفس بعد العمل ومعاقبتها

ينبغي أن يكون للعبد ساعة في آخر النهار يحاسب فيها نفسه على جميع ما فعلته في يومه كما يفعل التجار مع شركائهم في آخر كل يوم حرصاً منهم على منافع الدنيا بأن يطر في رأس المال فإن وجد ربحاً شكر شريكه وإن وجد خسارة طالبه بئادها كما في المستقبل فكذلك رأس من العبد في دية القرائن وريحه الدوافل والفضائل

وحسابته المعاصي وموسم هذه التجارة طول النهار فليحاسب نفسه على الفرائض أولاً فان أداها على وجهها الأكمل شكر الله تعالى ورغب في منها وإن صيغها طالب نفسه نقصائها وإن أداها ناقصة كلفها يكاملها بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بمقوتها وتعديها للمستوفى ما فرط منها كما يصنع كثر جر شريكه ، فاد حسب نفسه على كل ذلك فقد أدى الواجب عليه ثم ينبغي عليه أن يحاسبها على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة في جميع الأعياء الطاهرة والباطنة فإذا تم للعد محاسبة نفسه وجب عليه معاقبتها على التقصير في العبادة وعلى ارتكاب المعصية ويعاقب كل طرف من أطراف بدنة بمنعه عن شهوته هكذا كانت عادة سالكى طريق الآخرة فقد روى عن طلحة رضى الله عنه قال انطلق رجلى ذات يوم فزرع نياه وتمرع في الرمضاء فكان يقول لنفسه دوفى وبار جهنم أشد حرأ حيفة بالليل نطالة بالنهار ، فيبها هو كذلك يدهر بالنبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأناه فقال غلتنى نفسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (ألم يكن لك نداء من الذى صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد نامى الله بك الملائكة) ثم قال لأصحابه (تزودوا من أخيك) فجعل كل واحد يقول يا فلان ادع لى يا فلان أدع لى فقال لى صلى الله عليه وسلم (عَمَّهم) فقال اللهم اجعل التقوى رادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي عليه الصلاة والسلام يقول (اللهم سدده) فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأثمهم - والعجب أن الإنسان يعاقب ولده أو خادمه على سوء خلقه أو على تقصيره في أمر من الأمور بخافة إن أهمله يجرح عن حدود الأدب ويظلم عليه ثم يهمل نفسه وهى أعظم عدو له وأشد طغيان عليه من ولده وخادمه - أما إذا استمرت النفس حجة للمعاصي فيجب أن يتفكر عنها الأوراد ويشعلها بأنواع الطاعات ويتدارك ما فرط منه فقد عاقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة مرة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم . وأحضر عبد الله بن عمر مرة صلاة المغرب حتى طلع كوكبين في السماء فأعق رقبتين وكان بعضهم يعاتب نفسه بصوم سنة أو الخبز مائتاً أو التصديق بجميع ماله - فان قلت إن نفسى لا تطاوعنى على المجاهدة والمواظبة فما سبيل معالجتها . فطريق

معالجتها أن تسعها ماورد في أحبار الصالحين وأحوال الطائمين وما أعده الله تعالى لهم من النعيم في الجنة وما يلاقيه المعاصي من العذاب الآليم في النار وقد ذكرنا في أبواب هذا الكتاب ما لو تأمله المطلع وعمل به لكل كافياً لعلاج نفسه . وإن لم يكفك ذلك فابحث عن عبد من عباده الله محتجب في العساة صاحبه واقتد به في عر وجوده في زمانه فالأفضل المواظبة على سماع أحبار السابقين فلا شيء أرفع للناس وأشقى لها من سماع أحبارهم ومعرفه أحوالهم وما كانوا عليه حالاً ونساء وقد انقطع عنهم وبنو ثواهم وبصيرهم إلى ما شاء الله فلا أعظم ملكهم وما أشد حسره من لا يقتدى بهم وإليك بعض أحوال المجتهدين .

قال الحسن أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولم يكأث أهن في أعينهم من التراب الذي تطأونه بأرجلكم فقد كان أحدهم يعيش العمر كله ما طوى له ثوباً ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جلس بينه وبين الأرض شيئاً وأدركتهم عاملين بكتب الله وسنة نبيه إذا أتى الليل فقام على أطرافهم بهرثشون وجوههم تجرى دموعهم على حدودهم يناجون ربهم في مكانك رقابهم إذا غموا الحسنة فرحوا بها ودأبوا على شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة أحرثهم وسألوا الله أن يعصمها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلوا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمعصية . وقال أبو الدرداء لو لا ثلاث ما أحييت العيش يوماً واحداً . لطمأ الله بالهواجر والسجود لله في خوف الليل ومحاسبة أقوام يتقون أطايب الحديث كما ينبغي أطايب التمر

وكان أبو مسلم الحولاني قد علق صوباً في مسجد بنه يخوف به نفسه ويقول أبطأ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأروا له دواً كلاً والله إني أراهم عليه زحاما حتى يصعدوا أنهم قد حلقوا وراهم رجلاً هذا قليل من كثير من أعمال الرجال الصالحين المجتهدين وسند ذكر شيئاً من أحوال بعض لساء المحببات أيضاً حتى تقارن بين نفسك وبينهم فقد روى عن حبيب العدوية أنها كانت إذا صلت صلاة العشاء قامت على سطح لها وشدت عبيها درعها وحارها ثم قالت إلهي قد عارت الجحوم ونامت العيون وعلقت الملوك أبوابها وخلت كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين سيك

ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدير وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقيمت مني ليلتي فأهنا أم - ددتها على فاعري . وعريك لهذا دأني ودألك ما أقيمتني وعزتك لو انتهرتني عن بك ما برحت ما وقع في نفسي من حودك وكرمك . وقال عند الله بن الحسن كاسى جاريه رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي تأمه إلى حنى فادسنت فالتستها فلم أحدها ففقت أطلتها فذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما عفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولى بحبك لي ولكن قولى بحبي لك . فقالت لا يا مولاي بحبي لي أحرجني من الشرك إلى الإسلام وبحبي لي أبسط عبي وكثير من خلقه نيام . وقال ابن العلاء السعدي كانت لي أمة عم يقال لها بريرة نعدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكى فلم ترل تنكى حتى ذهبت عينها من البكاء فقل نزعها انظفروا بنا إلى هذه المرأة حتى نعد لها في كثرة البكاء قال فدحلا عليها فقمتا باريرة كيف أصبحت قالت أصبحتنا أصيافا منبحين بأرض عربية ينظر متى تدعى فحجب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عينك منه فقالت إن يكن لعمري عند الله خير مما يصيرهما مذهب منهما في الدنيا . وإن كان لما عند الله شر فزيدهما بكاء أحول من هذا ثم أعرضت عما فقت لقوم قوموا بها فهي واقفة في شيء غير ما نحن فيه . وقال أبو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة العدوية رحما الله فقامت إلى عراب لها نصلي وقت أما إلى ناحية من البيت فلم ترل فائغة إلى السحر فب كان السحر قست ما حرام من قواها على قيام هذه الليلة قست جزاؤه بصوم له عداً وكانت كثيرة البكاء والحرى وإذا سمعت ذكر النار نكت وعشى عينا رماها وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول مالي حاجة بالدنيا . وغيرهن كثيرات وقد اكتسب مما ذكرناه من أحبار الرجال وأحوال النساء فعيك أيها المريد إن كنت من رافضين أنفسهم ويحاسبونها أن تطالع مثل هذه الأخبار في كتب الصالحين ليبحث نشاطك ويقوى عندك الميل للعبادة ويردد عندك الإجهاد حتى تسوي امرأه يوم القيامة . أفلا تسحى أن تكون النساء في درجات الجنة وأنت في ذرئ جهنم معذب ليست هذه شهامة عربية ولا إدراك عقول بشرية - إياك يا أحمى أن تنظر إلى أسماء هذا العصر وإياك أن تقول إن الناس قد أصبحوا

الدين عافين وعن العبادة متقاعدين وهن أنا إلا واحداً منهم فإدافعلت ذلك حسرت
وهلكت مع الهالكين ولو كانوا أهل عصرك أحمين فهل نسيت أن الجبار العظيم
بعد نعت الرسل لا يبالي إذا هلك العالم وأنت معهم فأوصيك أن لا تجارى أقرانك
ما داموا فى معصية ونسك بحبل التقوى ولا تحش فى ذلك لومة لائم فعداً تراهم
بأدميين متحسرين يسحرون منك اليوم ويهرؤن بك وأنت غداً أشد سخرية منهم
وامتراء بهم يوم يساقون إلى النار وتزف أنت إلى الجنة - فصع هذا نُصّب عينيك
أيها المسلم وحاسب نفسك ولا تفعل عن ذكر الله لحظة واعلم أن العبادة لا تمتنعك
من أعمال معيشتك كما يتوهم الدين لا معرفة لهم بالدين فمن أراد أن يذكر الله ذكره
فى كل عمل وفى كل قول وفى كل حركة وفى كل سكون وهو فى بيته وهو فى طريقه
وهو فى ديوانه وهو فى مصنعه وهو فى متجره وهو فى مررته وما كان الدين بمابع
عن طلب الرزق أبدأ - وقد روى (اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك
كأنك تموت غداً) فلا تهمل أمر دينك حتى تكون عالة على الخلق ولا تعرض فى
أمر دينك حتى تنسى الموت وما بعد الموت

باب فى تويخ النفس ومعاينتها

قد علمت أن أعدى أعدائك نفسك التى بى جنيتك وقد حُصفت أماره بالسوء
مباله إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتطهيرها وتهذيبها وأمرت بأن تقودها
سلاسل القهر إلى عبادة ربها وحالفها ومنعها عن شهواتها وإبعادها عن لذاتها فإن
أهملتها حمت وشردت منك ولم تقدر عليها بعد ذلك وإن لارمتها بالتوبيخ والمعاينة
والمحاسبة والملامة كانت نفسك هى النفس اللوامة التى أقسم الله بها ثم رجوت بعد
ذلك أن تصير نفسك النفس المطمئنة التى دعيت لتدخل فى زمرة عباد الله راضية
مرضية - فاعبد الله لاتعفل ساعة عن تذكيرها ومعاينتها - والطريق فى ذلك أن
تعترف وتقرر أمامها جهلها وعلاوتها وتقول لها أما تعرفين بأنفس ما هو أمامك
من جنة وبار وأنت صائرة إلى احدهما عن قريب فمالك تفرحين وتضحكين وتشتعين
باللهو واللعب وأنت مسافة لهذا الخطب العظيم فمالك أبتهت العس لا تستعدين للموت
وهو أقرب إليك من كل قريب - أما تدبرين قول الله تعالى (اقرب للناس حسابهم

وعم في غفلة معرضون ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون
 (لا هبة قلوبهم) وبحك يا نفس إن كانت جرأتك على معصية الله لا اعتقادك أن الله
 لا يراك فما أعظم كفرك وإن كانت جرأتك على المعصية مع علمك باطلاعه عليك
 فما أشد وفاحتك وأقل حياءك أفنظن أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات جري نفسك
 إن أهلك الطر عن عذابه فقربى أصمك إلى النار أو اقصى يدك على الآخرة مدة ساعة
 لينين لك مقدار طاقتك على العذب وهيهات لا نسة مطلقاً بين هذا وبين عذب
 الآخرة — أم تعزى يا نفس بكرم الله وفصله واستغفنه عن طاعتك وعبادتك
 فتعزى على كرم الله تعالى في مهمات ديناك فإذا احتجت إلى درهم لتجلبى به شهوة
 من شهوات الدنيا نزعت في طلبه الروح فلم لاتعزى إلى على كرم الله تعالى حتى يسحر
 لك عدداً من عبده يحمل اليك ماتمناحين إليه من غير سعى ولا كد. أحسب أن
 الله كريم في الآخرة وليس كريماً في الدنيا كلا فإن رب الآخرة هو رب الدنيا وأن
 سنة الله لا تبدل لها — ألم يش لك مولاك في أمر الدنيا (وما من دانه في الأرض
 إلا على الله وزقها) وقال في أمر الآخرة (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فقد
 تكفر لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعى فيها فكذبته بأفعالك وأصحت
 تنكاسير على طلبها تكالب المدهوش المستهتر — ووكل أمر الآخرة إلى سميك
 فأعرضت عنها إعراس المعرور المستحقر ولو أن طيباً مجوسياً أخبرك أن بوعام
 أنواع الأطعمة اللذيذة مصرٌ بصحتك لسمعت نصيحته وامتنعت عن تناوله وجاهدت
 نفسك فيه. فما أراك يا نفس تتواين عن الطر في ذلك إلا لكفر حتى أو حق
 حتى. أما الكفر الخفى فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر
 الثواب والعقاب. وأما الحق الخفى فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات
 إلى مكره تعالى واستدراجه وبهذا الجهل تستحقين لقب الخافقة من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حيث قال (الكئوس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والآخر من
 أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمان) فلو كان الأمر بالتمنى دون العمل ما تعبدت
 الأنبياء بعد أن اصطفاهم الله تعالى من بين خلقه بل هم صلوات الله عليهم لمعرفتهم
 بحقيقة الأمر كانوا بضنون أجسامهم في العبادة ولا يفكرون عن ذكر مولاهم صرفة

عين ولا يأتون مكره وأنت أيتها النفس النجسة المعرورة تنامين ثم تطمعي في العفو
يوم تقوم الحساب ويحك يا نفس أما تعلمين أن كل من بلغت إلى ملاد الديار وبأس
بها مع أن الموت من ورثه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وأنه يتروى من
السم المهلك وهو لا يدري ألم تنظري إلى الذين مصوا كيف بنوا وعوا ثم ذهبوا
وحبوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم وأموالهم أعداءهم أما ترى الجلاء كيف
يجمعون مالا بأكون وبمون مالا يسكنون ويؤمنون مالا يدركون بنى الواحد
قصراً مرفوعاً إلى السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق وغرور
وحمل أعظم من هذا - يعمر الواحد دياره وهو مرتحل عنها بقيناً ويحرب آخرته
وهو صائر إليها - فبادري يا نفس فقد أشرقت على الهلاك واقترب الموت
وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا
يطلب رضا حائقت عنك بعد الموت ، ويحك يا نفس أما تعلمين أن أيامك محدودة
وأن أنفاسك معدودة وهي بضاعتك وقد ضيقت أكثرها ، فلو سجدت بقية عمرك
ما وفيت بحق ربك فكيف إذا صيبت البقية الناقبة وأصررت على عنادك .

فأترى إليك يا نفس أن تعملي لجناتك وترجعي عن غيبك واعتراك وتحاسبي
نفسك على الرغبات وتنادري إلى العمل قبل العورات واعلم يا نفس أنه ليس للدين
عوض إذا حسرتيه ولا للإيمان بدل إذا افتقدته ولا للحسد خلف إذا ابتغيته -
ومن كانت مصيته الليل والنهار فإيه سائر لا يشعر فانهطى يا نفس هذه الموعظة واقبلي
هذه النصيحة الخالصة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضى بالنار وما أراك بها
راضية فإن كانت قسوة قلبك تمنعك عن قول الموعظة فاستعيني عينا بدوام الصلاة
وتلاوة القرآن فإن لم ترأى فالمواصلة على الصيام فإن لم ترأى فمقه المحالطة وقلة الكلام
فإن لم ترأى فسدوت فاعلم أن الله قد صبح على قلبك وأقص عليه وأنه قد تراكت
طمة لتفوس على ظاهره وباطنه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فوطئي
نفسك على ليل وسعدى نعصب الجبار فقد خلق الله تعالى الجنة وخلق لها أهلاً
وخلق النار وخلق لها أهلاً فكل مسر لما خلق له - فانظر أيها القاريء المسكين
هل تحزن على هذه المصيبة التي انبأت بها وهل تسمح عينك الجامدة بدمعة على

فست فإني سمحت فادخر فإن الدمع من بحر الرحمة وأعلم أنه قد بقي عليك أمر لرجاء
 فاستعت بأرحم الراحمين لعله يرحم ضعفك ويبعثك فإن مصيبتك قد عظمت وتماديك
 قد طال فافزع إليه بالتضرع واحتشع في نصرتك على قدر كثرة ذنوبك لأن الله
 يرحم المتضرع الدليل ويبعث الطالب الملتجئ ويحيي دعوة المصطر والمطلوب منه
 كريم والمستعاث به ردؤف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقن
 بأرحم الراحمين أما المذنب المصير أما الخزي الذي لا أرتدع أما المتأدي الذي
 لا أستحي هذا مقام المتضرع المسكين والناس الفقير والمالك العريق فعجل إغاثتي
 وهرجي وأرني آثار رحمتك وأدقي برد عموك ومعبرتك وارزقني قوة عصمتك
 يا أرحم الراحمين .

باب في تربية الطفل وتهذيبه

إن علم أن تربية الطفل وتهذيبه من أهم الأمور فإن الطفل أمانة عند والده فقله
 الطاهر جوهره نفيسة عذبة من كل عمل ، وهو قان لكل ما يمسئد إليه ومائل لكل
 ما يسحول به إليه . فإن عود الخير وتعلمه نشأ عليه وتعد في الدنيا والآخرة وشاركه
 في ثوابه وأواه وإن عود الشر وأهم إهمال الهائم شقي وهلك وكان الورى في رقعة
 القيم عليه والوالى له قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)
 فكما أن الوالد يصون ابنه ويحافظ عليه من نار الدنيا فأولى له أن يصونه ويحفظه من
 نار الآخرة بأن يبه التربية الدينية الصحيحة ويعلمه أمور دينه ويحاسب الأخلاق
 ولا يستعمل في إرضاعه إلا امرأة صالحة تأكل الحلال فاد أرصته امرأة بأكل
 الحرام امتحنت طينته من الخث فيميل طبعه إلى الخث . واعلم أن أول ما يعتب
 على الصبي من الصفات شره الطعام فيسعى أن يؤذ فيه وأن يفهم أن كثرة الأكل
 مصرة وأن المقصود منها تقوية جسمه على لتعليم وعادة لله تعالى وما خلقت الخلائق
 إلا لذلك . كما يفهم أن الدنيا كلها لا تفيده وإن الموت يقطع نعيمها . وأن الآخرة
 هي الباقية وبعيها دائم . ثم يلحق بمعاهد التعليم لاسيما المعاهد الدينية كي يحفظ القرآن
 ولحديث وحكايات الصالحين وأحوالهم لينعز من في قلبه جهنم كما يمنع من محالطة

الدين لا يهمهم أمر الدين وكذا يمنع من قراءة الروايات المنتشرة في السوق المحشوة بالخيالات والصور المبتذلة لأن ذلك يفسد في نفسه بذور الفساد ويبيده عن طريق الهدى والرشاد ويهمهم أيضاً بأن لا يعتخر على أقاربه بشيء مما يملكه والداه أو طعامه وملبسه لأن هذا يورث فيه منكرة الكبر والعجب من يعود بالتواضع والكرم بكل من عاشرهم والتعطف في الكلام معهم . ويبدى أن يهمهم بأن لا يصدق ولا يتمحط في حصرة من هو أكرمه سنأ . ويمنع كثرة الكلام ويعود على عدم حلف اليمين مطلقاً حتى لا يعتاد ذلك . ويمنع من التكلم بالفحش والسب ويمنع من مخالطة من يتكلم بهذه الألفاظ ومن مخالطة ذوي الأخلاق الرديئة لأن الطفل إذا أمس في بادئ الأمر نشأ كدناً سروقاً حسوداً بل الأصل في تهدئة الأولاد أن يمنعوا من مخالطة أهل الفجور والفساد لاسيما إذا كانوا أكرمهم سنأ . فإذا بلغ الولد سن التمييز يعلم الطهارة ويؤمر بالصلاة ويصرب عليها ثلاث عشرة سنة . وأن يؤمر كذلك بالصوم في بعض أيام رمضان حتى إذا قدر عليه صامه كله . ومتى قارب البلوغ (وهما مرحلة الشيطان) بهم مصار هذه الأمور بطريقة حكيمة وتشدّد عليه الرقابة ومتى حبب إليه التردد على بيوت الجيران والأقارب التي لها نجات من سنه يمنع عنها فوراً قبل أن يلعب الشيطان بقلبه كما يعمل ذلك بل أشد منه مع الفتيات لأن بذور الشر لا تنبت إلا في بيوت الجيران والأقارب ولا تنسى إلا بآباء (رفع التكليف بين العائلات) الذي استلزامه هذا الرمان — وعلى الوالدين أن يقيما الشعائر الدينية أمام أولادهما وأن يكثر من ذكر الله تعالى والخشوع لعظمته وكبريائه على مرأى ومسمع منهم لأنه إذا كبر الطفل رجعت به ذاكرته إلى ما كان يراه أو يسمعه من والديه فإن رأى وسمع صالحاً نشأ صالحاً وبالعكس لذلك يجب على الوالد المرنك أن يتوب عن فعلته الشنعاء متى كانت له ذرية وأن لا يرتكبها أمامهم أو على علم منهم لأن ذلك يشجعهم على إتيان مثنها إن لم يكن في الحال فعندما يقدر على فعلها وهذه الحالة هي التي جعلت شأن الرمان لا يهتمون بأمر الدين لما رأوا آباءهم قد أهملوه — فعلينا معشر من آمن بالله ورسوله أن ربنا أولادنا التربية الدينية الصحيحة لأن الطفل بجوهره خلق صالحاً للخير والشر جميعاً وإنما أبواه يميلان به إلى أحد

الأمير حتى في الإيمان والكفر لا في الطاعة والمعصية فقط قال عليه الصلاة والسلام
كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (ألا فليعلم
الأنوان انهما مسئولان عما يشب عليه اولادهما امام الله تعالى في عرصات القيامة

باب في طريقة معرفة الإنسان عيوب نفسه

إعلم أن الله عز وجل إذا أراد عبده خيراً أبصره بعيوب نفسه فلم تحب عليه
فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج . ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم
يرى أحدهم القدي في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه . فمن أراد أن يعرف
عيوب نفسه فله أربع طرق : الأول - أن يجلس مع عالم بعيوب النفس مطع على
حقايب الآفات ويتبع إشارته كشأن التلميذ مع استاده . الثاني - أن يتخذ صديقاً
متدناً فيجعل رقيباً على نفسه ليلاحظ أحواله وفعاله فذاكرة من أخلاقه وأفعاله
وعيوبه الباطنة والظاهرة به عليه . الثالث - أن يستعيد الإنسان معرفة عيوب
نفسه من ألسنة أعدائه ولعن انتفاع الإنسان بعدو مشاح له يذكره عيوبه أكثر
من إسفائه صديق مذهب يثنى عليه ويمدحه ويحكي عنه عيوبه كما هو حاصل الآن
الرابع - أن يحاط الناس ليقف على أفعالهم فكل ما رآه مدموماً من أفعالهم يتناقد
هو عنه فإن المؤمن مرآة المؤمن وإذا يمكنه أن يرى عيوب نفسه من عيوب غيره .

باب في بيان أقسام الذنوب

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة ولكن تنحصر صانع الذنوب في أربع
صمات : صفات بهيمة - وصفات مسيئة - وصفات شيطانية - وصفات ربوبية
- وذلك لأن طنة الإنسان تجت من أخلاق مخلقه . فاما الصفات البهيمية -
وهي التي ينشعب منها الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه ينشعب
الزنا واللواط والسرقة ، أكل مال الأيتام وجمع الختام بديوية - والصفات
السيئة منها ينشعب الغضب والحقد وانهج على الناس بالضرر والقتل
واستهلاك الأموال وينفرع منها خمسة ذنوب - والصفات الشيطانية منها ينشعب
الحسد والبغى والحيلة والخداع والأمر بإعساد وإسكرو وفيه يدخل العشق والعقد

والدعوة إلى البدع والصلال — وأما الصفات الربوبية فإن الإنسان يترفع إلى الكبر والفخر والجرية وحب المدح والثناء والغرور والعتى وحب دوام البقاء وطب الاستعلاء على كافة الناس وهذا ينشعب منه حملة من الدوب — والدوب نوعان — نوع بين العبد وبين الله تعالى ونوع بين العبد وبين سائر الخلق . فأما ما يتعلق بالعبد خاصة فهو ترك الصلاة والواجبات الخاصة به — وما يتعلق بحقوق العباد كترك الزكاة وقتل النفس وكل ما يختص بالغير — واعلم أن الدوب في جهاتها تنقسم إلى صغائر وكبائر لأن الله تعالى يقول (إن تحسنوا كنتم منتهون عما كفرتم عنكم سيئاتكم ويدخلكم مدخلا كريماً) وقال صلى الله عليه وسلم (صلوات الله وسلامه عليه) والجمعة إلى الجمعة يكفرون ما بينهم إن اجتنبوا الكبائر) (ق) فثبت هذا أن الدوب كبائر وصغائر وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر فقلت طائفة كل ذنب يعمه الإنسان عمداً فهو كبيرة وقال بعضهم كل ما أوعد الله عليه مائة فهو من الكبائر وقيل إنها مائة لا يعرف عددها كيلة القدر وساعة يوم الجمعة . وقال أبو طالب السكي الكبائر سبع عشرة جمعها من الأحاديث ومن أقول الصحابة ويصاحبها أربعة في القلب : الشرك بالله والإصرار على معصيته والتفتوت من رحمته والأمن من مكروهه . وأربع في النفس شهادة الزور وقذف المحصن والتمس العموص وهي التي يحق بها اضلالاً أو بطلاناً بها حقاً وسميت عموصاً لأنها من صاحبها في السر وسحره هو كلام يعير الإنسان وسائر الأقسام عن أصل الخلق وثلاثة في البطن شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل من البنيم طراً وأكل الرما وهو يعم . وثلاث في الفرج لزنا واللواط والفتن في ليلتين بفسق وسرقة وواحدة في الرحين بفساد من الرحف الواحد من الإثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع بدن وهي عقوى الواسين وجميع عقوى ما أن يصيب عليه في حق فلا ير قسمها وإن سألها حاجة فلا يعطيها وأن يسأل قبضتها ويخونها فلا يعطيها وهذا قريب . وخلق أن شرع ما بعد الكبائر ولم يحدده . فما قصد بذلك إيهام كقولنا تعد على حد . فلا يجرؤ على مكاتب لصغائر عباداً على أن يسوء أحسن مكثها . وعلى أن اجتنب الكبائر يكفرها أيضاً وهذه حكمة بالغة أراد بها شرع عبادها — فمن أحسن الكبائر

يكفر الصغائر فهو إن اجتمعا مع القدرة خوف من الله تعالى كمن يتمكن من امرأة
فيكف نفسه عن لوقاع مخافة الله مقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة هذه ما كف
عن الوقوع أشد تأثيراً في قلبه من إقدامه على النظر أو اللمس فهذا معنى التكفير .
أما إذا كان امتناعه بسبب قهري أو سبب آخر غير مخافة الله فهذا لا يصح للتكفير
أصلاً . واعلم أن لصغيرة تكبر بالموظنة على فعلها وكذا المباح يصير صغيرة بالمواظنة
عليه كدائمة المنع المباح أو التزام العتاء وغير ذلك وأن الصغيرة تكبر بالإصرار
عليها ولذا قيل — لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استعصار — فكبره واحدة
لو مصت ولم ينسها مثله كان العفو عنها أرجى من صغيره يواطىء العبد عليها — مثال
ذلك أنه لو صب قطرات ماء على حجر على الثواني مده من الزمن تؤثر فيه ولكن
إذا صب هذا القدر من الماء على الحجر دفعة واحدة لا تؤثر فيه وكذلك تأثير
الأعمال في القلوب .

باب في حقيقة الدنيا

إعلم أن الدنيا عبارة عن الأرض وما عليها وقد خلقها الله تعالى مهاداً للآدميين
ومسكناً ومستقراً لهم ولهم فيها حطوط ولهم فيها شعور فخطوطهم فيها عبارة عن مدن
ومطعم ومشراب ومنكح ويحتاج كل ذلك إلى عمل ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام
المعادن والنبات والحيوان - فالمعادن لازمة للآلات والآواني كالبحار والبرصا
والحديد والتعامل كالذهب والفضة . أما النبات فلازم للغوت وللتداوي . وأما
الحيوان فيقسم إلى الإنسان والبهائم ويصنف من "بهايم خومها" إلى كل وأناسها بمشرب
وأصنافها للسلع وطهورها للذك والربة وحمل الأثقال وفيها كثير من المنافع
والعوائد . هذه هي الأعيان التي يعرف بها الدنيا وقد جمع الله تعالى في قوله (يبت
نفس من حيث يشهد) من لسان واللسان وتصانير المقنطرة من الذهب والفضة
وحمل المسومة والأثقال واخرت ذلك متاع الحياة الدنيا) فالنساء والشيوخ من الإبل
التي هو نوع من الأحياء . وتصانير المقنطرة من الذهب والفضة من الجواهر
وهي من المعادن وفيه شيء من الأكل واليوافق والحيل المسومة والأثقال

هي البهائم والحراث هو النبات وسائر الزرع - وللعبد مع هذه الأعيان علاقتان -
العلاقة الأولى مع القلب وهي حبه لمتاع الدنيا وانصراف همه إليها ويدخل في هذه
العلاقة جميع أمر أص القلب مثل الكبر والعن والحسد والرياء وسوء الظن وحب
الجاه وحب التكاثر والتفاخر وحب القاء ويمر عن هذا بالدنيا الباطنة . والعلاقة
الثانية هي استعماله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وهي عبارة عن حملة الصناعات
والخرف التي شغلت بها الخلق حتى نسوا أنفسهم وعما عن سوء منقلبهم بهاتين العلاقتين
علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف الإنسان حقيقة الدنيا وحكمة
سرها علم أن كل ما عليها لم يخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى وأعلى
بإدانة البدن ولو عرف الإنسان سبب الحاجة إلى هذه الأشياء واقتصر عليه لم
يشغله أمور الدنيا وإنما شغلته الدب واستولت عليه لجهله بها وبحكمتها فتناعت
الأشغال عبه وانعص بعضها بعض وأصبحت لا نهاية لها ولا حد فته في كثرة
مشاعها وهي في متاعها . وقد خلق الإنسان بحيث لا يعيش وحده في هذه الدنيا بل
يحتاج إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك ليدل - أحدهما : حاجته إلى النسل
لقاء جنس الإنسان ولا يكون ذلك إلا بالاجتماع الذكر والأنثى - ثانيهما : تعاون
الإنسان مع غيره لإعداد طعامه ومسكنه وما يلزمه . واعلم أن أمور الدنيا لا يفتح
مها باب إلا ويفتح بسببه أبواب أخرى فكأنها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في
هاوية منها سقط في أخرى وهكذا على التوالي . ولكن الدس في أثناء استعمالهم
بأمور الدنيا نسوا أنفسهم ومصيرهم فتاهوا وصلوا وتحيلوا بقولهم الضعيفة بعد أن
كدرتها رحمة الاشتغالات خيالات فاسدة فاقسمت مذاهبهم واحتضت آراءهم .
فصانعة عليهم الجهل وتعمل في قلوبهم مرض العلة فقالوا المقصود أن يعيش أياماً
في الدنيا فسكند حتى يكسب القوت ثم يأكل حتى يشوى على الكسب فيأكلون
ليكسبوا ويكسبون ثم يأكلوا وهكذا على الدوام وهذا سفر مستمر لا يقطع إلا
بالموت . وطائفة رعموا أنهم فضنوا للأمر فقالوا ليس المقصود أن يشقى الإنسان
بالعمل ويحرم من التمتع في الدنيا بل أسعاده في أن يمنع شهوات البطن والفرج
فيؤلا نسوا أنفسهم وصرفوا همهم إلى اتباع الشهوات فيأكلون كما تأكل البهائم

وبصرفون شهوتهم كما يصرفها أحس الحيوانات . ويطنون أنهم قد أدركواعية سعادة
 فتعلمهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر . وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة
 المال فسهروا ليلهم وأتعبوا أنفسهم في نهارهم جمعه فيه تشغول في الأسفار ويرددون
 في الأعمال الشاقة غير مبالين بالشغاب والاحطار حتى في سكسب والإدحار ولا
 يأكلون إلا بقدر الضرورة فيحسبون على أنفسهم وعلى أولادهم مخافة أن تنقص أموالهم
 وهذه لذتهم وفي ذلك ذأهم إلى أن يذركهم الموت فيبقى ما هم أسدى اندحروه تحت
 الأرض حتى يعثر عليه من يصرفه في لشهوات والذات فيكون نتج جمع المسكين نعمة
 ووباله والآكل لذته وبعبه . فهذا شأن المهمكين في أشغال الدنيا . وقد تله لذات
 طائفة فلبه فأعرضوا عن الدنيا فخدم الشيطان وأصلبهم حتى انفسوا هم أيضاً إلى
 طوائف فطئت طائفة أن الدنيا دار بلاء وبحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها
 سواء تعبد أو لم يتعبد ولله ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يحرقون
 أنفسهم ونار ويطنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا . وطئت طائفة أخرى
 أن القتل لا يكره بل لا بد من إيمانه الصفات البشرية وأن السعادة في قطع الشهوة هائياً
 ووراء هذا مذاهب باطلة وصلالات هائلة يطنون إحصائها وأن اندجى منها السادة
 ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه رصون الله عليهم فكانوا على اسبح
 تقصد وليسين واصح ففهم كانوا يأخذون الدنيا بذهب ، بل كانوا يأخذونها للدين ،
 وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكتابة وما كان لهم في الأمور تعريض ولا
 إفراص ، بل كان أمرهم بين ذلك قوماً وذلك هو عدل والوسط بين الطرفين وهو
 أحب الأمور إلى الله تعالى والله أعلم .

باب في صفة الدنيا

يعلم أن الدنيا ليست بدار قرار ، والإسلام فيها على صورة مسافر قلوب منارته
 من منه . وحر منارته حذره ، ودموضه وقراره ومكثه استقراره بعد ما بكل
 سنة تقضى من عمر الإنسان كالمرحلة ، وكل شهر يقضى منه كاستراحة المسافر ، وكل
 سبع كقرية يمر عليها . وكل يوم كميل ينطعه ، وكل نفس كخطوة يحطوها ، وبقدر

كل نفس ينزع بقرتها من الآخرة . هذه الدنيا قفزة من الآخرة . من غير
القنطرة واشتد حرها من فيها . من النار . من النار . من النار . من النار .
حدها غير عاقل ، لأن له من يد لا يمشي في حبه إلا بأعداءه ولعمري لا يمشي
مها بقدر حاجته ، فجميع ما جمعه من فوق كفايته يكون سببا قاتلا ويتمنى أن تكون
حرارته وسائر أموره رطبا لا يفسد ولا يدها . يعلم أن حالات الإنسان ثلاث ، حالة
لم يكن فيها شيء وهي ما قبل وجودك في الأرض . وحالة لم تكن فيها مشاهداً للدنيا
وهي ما بعد موتك في الآخرة . وحالة متوسطة من الأبد والأرض وهي أيام حياتك
في الدنيا . فانظر إلى مقدار طولها وقس على طرق الأرض والأبد حتى تعلم أنه
أول من استراحة قصيرة في سفر بعيد . لا ابتداء لأولها ولا انتهاء لآخره . من رأى
الذي يهده العين من ركن إليها . ولم ينال كيف انقضت أيامه في صر وصرق ، أو في سعة
ورفاه . لذلك عرو وبناء وشرو . ونقصان وروا . ونقصان وانتقال . قد
أول من كان قبلك . وهي عائده عليك وعلى من بعدك من ركن إليها صرعه . ومن
وتنق بها حده . ومن أمم كدسه . ومن رجع حده عرها دل . وعدها ففر
والسعد من ترك شي فيها من أثره . وعده أنه لا شيء فيها يروى . ولا على ما
هي . قال الحق لا شيء . لأن كل إنسان لا يشع قلبك بها فانت لم تخلق لها وما
خلق الله خلقاً فهو عنه . والله لم يخلق بعباده ناساً . ولا لآله عفو به
للعصيان . والله يوفى عبده من الله عنه . ومن سأل ولا يسأل من الله
وقال عنه السلام . من من صاحب الدنيا كالمشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في
الماء أن لا يمشي قدمه . من من صاحب الدنيا كالمشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في
في يوم الدنيا . نداهم وقرهم مقطعة عبا عن عافه تشهوا بها . وهذا لا اعتقاد مكيدة
من الشيطان . لأنه لو زال منه فيه من عيهم لو حزنهم أعظم المفجعين بفراقها . فكما
أن المشي على الماء يقص من التقدم حتماً . فكذلك تتبع بالدنيا يحدث ظلمة في القلب
بل علاقة الدنيا بقلب تمنع حلالة العادة . وأعم أن الأيام خمسة يوم مفقود ويوم
مشهود ويوم مودود ويوم موعود ويوم معدود . والمقصود أمست الذي ذلك مع
ما مر طبعه . والمشهود يوم ملك الذي است فيه من وديته من الطاعات . والمودود هو عدك

لا تسرى من هو من أمك أم لا . والموعود هو آخر أيامك من أيام الدنيا
فاجعله نصب عينك . والمسود هو آخرت . وهو يوم لا انقضاء له فاهتم له غاية
اهتمامك . فيه إما ربيع دائم أو عذاب محدد

باب في دم النبي

[illegible][illegible]

روى يروى عن الإمام شافعى رضي الله عنه أنه قال :

ومن يندق الدب في طعمتها وسبق إلى عذبتها وعذابها
فلم أرها إلا عرودا وبطلا كما لاح في طهر القلا سراها
وما هي إلا جيفة متحيلة عليها كلات ممتن اجتدائها
فان تحتها عشت سلماً لأهلها وإن تجدها ناهضتك كلابها

باب في شهوة العرج وفضيلة مخالفتها

اعلم أن شهوة الوقاع خلقت في الإنسان لعندته - رحماها يدرك لذتها
فيقيس بها لذات الآخرة لأن هذه الوقاع أقوى لذات الجسد - الهائلة الماسة بقدر
نفس ودوام الوجود وكل مع هذا آفات يهلك بها الدين والديان لم يصط وبقهر
يقول إن هذه الشهوة هي أقوى الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند
الهيجان ، إلا أن مباشرة معها قبيح يستحي منه ، فامتنع أكثر الناس عن فعلها إما
للعجز أو خوفاً من آدمي أو خياء ونس في ذلك نور - وفقط تنبذ هذه العوائق
في دفع الزم عن عده - من ترك أربا المدفع عنه يؤمها كانت التمس -
مداعية للترك - وبما القصص والثوب الجرب في تركه خوفاً من الله تعالى مع قدره
عليه وعدم وجود الموانع - أما تركه بعد خرك الشهوة فهو درجة الصديقين -
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاشق فعف مكترفات فهو شهيد الله وقال
(سبعة يظفر الله في عنقه يوم لا ظل ولا ظله) (في أوعد منهم) (من صسته ذات
منصب وجمال في ربي أحسن الله) وقصه سيدنا يوسف عليه سلام ومنتدعه
عن رليحاء مع المدة ومع عيبتها معروفة ، وقد نبى الله عليه في كتابه تحرير ، فيوسف
عليه السلام ، ما سأل من وفق في مجاهدته شيطان في هذه الشهوة العقيمة ، وروى
أن سبيل - من خرج من المدينة يريد الحج ومعه زعفران حتى رلا مالاً يؤم
فقد رعبته وروى أن سبيل - من سباع شدة وحسن سليلين في خدمه وكان أحسن
النس وجهاً ، وأنه يعر به من فقه حسن فأحدثت إليه فارت حمال وجهه جاءت
حتى وقفت بين يديه وعيها برفع ، وكانت على حجاب عصيم من حمال فكشفت عن
وجهها فكأنه فلقه فمر ، وقالت رعتي فضل أحب ريد طعاماً ، فقدم إلى فضل نكل

ليعطيه إياها ، فقالت لست أريد هذا ، إنما أريد ما يكون من الرجن إلى أهله ، فقال
 حشرتك الشيطان إلى ، ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأحد في الحبيب فلم يرل بيكي ، فب
 رأت منه ذلك سدلت الرقع على وجهها واضربت راجعة وجاء رفيقه فرآه وقد
 انصرفت عيناه من السكاه وانقطع حقيقه فقال ما ييكك . قل حير . ذكرت أولادى . قل
 لا والله إلا أن بك قصة . بما عهدت . أولادك مد ثلاث أو نحوها ، فلم يرل به حتى
 أحبره حير الأعرابية فوضع رفيقه الطعام وجعل يكي بكاء شديدا ، فقال له سليمان
 وأنت ما ييكك . قال أما أحق منك بالسكاه لأن أختنى أن لو كنت مكانك لما
 صبرت عه . فلم يرالا يكيك . فب انتهى سليمان إلى مكة سعى وطاف وأقى الحجر
 الأسود فاحتجى ثوبه فأخذته بحبه فنام ، وإذا برجن وسيم له صورة حسنة ورائحة
 طيبة فقال له سليمان رحمك الله من أنت . قال أما يوسف . قال يوسف الصديق
 قال نعم . قال إن فى شألك وشأن امرأة العرب . ففهم . فقال يوسف شئت وشأن
 صاحبة الإبواء أعجب .

هذا فصل من تمكك من قبح الشهوة بحافة الله تعالى بعد نبذة أساليب . و عمن أن
 شهوة العين تقرب من هذه الشهوة لأن العين مدأ الرما . فحفظها وحب ولكنه عسير
 يستدعى محادثة . وقد يستهان بالنظر والآفات كلها منه فالنطرة الأولى إذا لم تقصد
 لا يؤاخذ . بها والمعاودة يؤاخذ بها . قال صلى الله عليه وسلم (لك الأولى وعليك
 الثانية) (ق) فحب على بعد أن يحفظ بحبه حتى يسدع عن منه كثير من الآفات
 وقد أفردت بابا خاصا بقوية الرما فاضره .

باب فى مرض الكبر وعذابه

لم كان الكبر داء مهلكا والمنكر منه مرض وتنفوت عنه الله تعالى ، فقد دمه
 الله عز وجل فى كثير من كتابه العزيز ، منه قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين
 يتكبرون فى الأرض بغير الحق) وقوله تعالى (به لا يحب المستكبرين) وقوله تعالى
 (يا الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وغير هذا كثير . وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (نفس العبد عبد نجير واعتدى ونسى الجمار الأعلى .

نفس العدد عدد تحجر واحسان ونسى الكبير المتعال ، نفس العدد عدد عمن وسها ونسى المقابر والى ، نفس العدد عدد عتا ونسى المدأ والمنهى (ت) واعلم أن الاحتيال وإظهار آثار السكر في المشى مدموم أيضاً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ينظر الله إلى رجل يجر يده سطرّاً) (١) وفل عليه لسلام (من تعظم في نفسه واحتال في مشيئه لقي الله وهو عليه عاص) (ط) .

باب في علاج مرض السكر

قد علم لنا أن السكر من أمراض المبهكات ولا يجبو أحد من الخلق عن شيء منه ، وإداله مرض عن عي تأليسان ، لا يروى ، لا للمعاجزة وفي معاجزه يأس - أحدهم سبباً أسد من وقع شعره من معرجه في ثوب - والثاني دفع العاص من ماله سبباً في شكر يأس - فإس الأول وهو استئصال أصله علاجه عمن ومعى أما عمن فهو أن يعرف الإنسان منه ويعرف به تعالى وبكلمة دة في به حكر فيه ، إذا عرف نفسه علم أنه أد من كل شيء في الوجود وأمن من كامن ، أنه لا يأسق به ، لا تواضع والدلة ، ودا عرف به علم أنه لا تليق العصمة والتكرمة ، لا بالله سبحانه ومعنى أن معرفته به وعظمته وعده فاقول به حصول وهو منبى عم لمكاشفه ، وأما معرفة نفسه فهو بطول أيضاً ولكننا سلك من ذلك ما سفع في إثارة تواضع ولذة وبكلمة أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله عى ، فإن في التفسير أن عم الآيتين والآيتين لم شى فده وفتحت بصيرة . فقد قال تعالى (قل الإنسان ما كرهه من شى حبه من بطفه حقه فقدره ثم تسبب سبه ثم أهله وقدره ثم - شه أنشه) فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى حر أمره وإلى وسطه فيبصر الإنسان ذلك ليفهم معنى آية شريعة

أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً من كان في حير لعدم وأى شى أخس من العدم ، ثم خلقه الله تعالى من أحقر الأشياء فقد خلقه من تراب ثم من بطفه ثم من عطفه ثم من مضعة ثم جعله عظيماً ثم كسا العظم حر . فهذا بداية وجوده .

من كان هذا مدته من أين له البطر والكبرياء ، وهو على التحقيق أحسن الأحساء
وأضعف الصعفاء ، نعم لو أكله وفوص أمره إليه وأدام له الوجود باختياره ، لجاز
أن يطفى وينسى المبدأ والمنهى ، ولكنه سقط عليه الأمراض الهائلة ولافت المحتمة
يهدم البعض من أجزائه البعض شه أم أب رضى أم منقط ، فيجوع كرهاً ويعطش
كرهاً ويمرص كرهاً ويموت كرهاً ، لا يملك نفسه ولاصرراً ولا حراً ولا شراً ،
يريد أن يعلم الشيء فيحله ، ويريد أن يدكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء فيتدكره ،
فلا يملك قلبه ولا نفسه ، همه شئ شئ وربما يكون هلاكه فيه ، ويكره لشيء
وربما تكون حياته فيه ، لأن من في خلقه من شه وهام أن يسب سمعه ويهرده ، وتشت
أعضاؤه ، ويختس عقله ، وتختص روحه ، وتسلب جميع ما هو فيه في دياره وأما آتاه
ومنتاه ، فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى (ثم نمته فأنشده ثم إن شاء أنشده)
ومعناه أن يسب روحه وهو محمد كما كان أول أمره ، ثم يوضع في البراء فيصير
حسنة منده ويرد كما كان في الآل خلقه وقد تم من أعضائه وسقطت أحرأؤه وتحر
عنه وعنه ومن رفته ، بل أدور آخره ، فمدته تحذفه فيقضمها وعنده
فيقطعها ، وبشر أحرأته فيصير روحاً في أجواف النسان ويكون حيلة يرب منه
الخيول ويستقده كل نسان ، ثم يحبه بعد طول النسيان شديد سلا ، فيخرج من
فرد بعد جمع أحرأته المتفرقة ، في هو الشيمة فيطير في عيامة ، فائمة وسما مشقة ،
والرصد منه ، وحده مسيره ، ونحوه مسكره ، وملائكة غلاط شه ، ويرى صحايف
مشوره ، فيسأله قرأ كذا ، يقول وما هو كتابي ، فيقال كل فرد وكل ناس في حياتك
التي كنت تخرج بها وتتكرر نعيمها وتصحر نساها ، فكان رقيال بكس عليك
ما سطق به أو نعمته من قيس وكثير وصغير وكبر ، فهو على احصاء واستعد للجواب
أو تنس إلى دار العذاب فيقطع فده فرعا من هول هذا الخصال ، قبل أن تنشر
لصحيته ويثهد ما بها من محبة نادا شهدها (ياويلنا ما هذا الكتاب لا يعاد
صغيره ولا كبيره إلا أحصاها) فما أحر أمره ، وهو معنى قوله تعالى (ثم إذا شاء
أنشده) من هذا حده مانه ويتكرر وتعضه ، فقد ظهر له أول حانه ووسطه ، ولو ظهر
آخره ربما اختار أن يكون كلباً أو حريراً ليصير مع الهمة تراثاً ، نعم إن كان عند الله

مستحقاً للنار فالحزير أشرف منه وأطيب وأرفع ، إذ أوله التراب وآخره التراب ، وهو
 يعمرل عن الحساب ولعدد ، والكف والخزير لا يهرب منهما الخلق ، ولو رأى أهل
 آند العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ، ولو شتموا ريحه
 لماثوا من ننته ، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت
 أثمن من الخيفة . من هذا حاله في الآخرة إلا ، أن يعفو الله عنه ، فكيف يفرح وبهطر
 وكيف يتكر ويتعجب وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يرى له فضلاً وأى عيب يذب
 دماً ولم يستحق عليه العقوبة إلا أن يعفو الله لكريم عطسه ويحمر لكسر عنه ، وقد
 رجونا ذلك منه لكرمه وحسن الطي به ولا قوة إلا بالله فهذا هو العلاج العيني
 القامع لأصل التكبر .

وأما العلاج العيني فهو التواضع لله بالفعل وللسائر الحق ، بأن يواطى على
 حلاق المتواضعين وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ذكرناه في
 باب خاص .

الذات الذي وهو دمع مابعد من من الكبر بالأسباب التي يتكبر بها الإنسان
 . تلخص فيما يأتي .

أولاً القلب من يعتز به "كبر من جهة نسب الأصل ، فبداوقه أن يعرف
 أنه إذا كان حسناً في ذاته من أب يحمر حسنه بكال غيره

ثانياً التكبر باحمال ودواؤه أن ينظر الإنسان إلى باطنه ، طر العقلاء ، ولا ينظر
 إلى الظاهر طر الهائم ، فتى ينظر إلى باطنه رأى به من القبايح ما يكدر عليه تعززه
 بحاله فانه وكما له من الاقتدار في جميع أجزائه ، فحجعت العترة في أمعائه والبول
 في مشته والمحاط في أنه والذاق في فيه ونقدي في عيبه ونوسح في أدبه والدم في
 عروقه والصديد تحت جلده والصنان تحت طه . يعمل العدة بده كل يوم عدة
 مرات . كل هذا يعرف الإنسان قدارته ودلته وقد حرج من بحرى المول مرتين .
 ثالثاً التكبر بالقوة ودواء ذلك أن يعلم أن الله إذا سلط عليه العمل والأمراض ،
 ودا مرض يعرى واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل وأنه
 لو سلبه الذات شيئاً لا يستفده منه ، وأنه لو دخلت في أنفه أو أذنه غلة لقتله ولو

دحت في رحله شوكة لا عجزته ، فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم غلة ولا يقدر أن يدفع عن نفسه ذبابة ، فلا يقبض له أن يفترق بقوه ولا أن يشكر بها

رابعاً ، التكبر بالعنى وكثرة المسال وكثرة الانساع والانصار ، والتكبر أيضاً بالمناصب والرتب والتقرب من الحكام ، وهذا أقبح أنواع الكبر ، فالتكبر بالمال لو تأمل لرأى في اليهود من يريد عليه في المال ، فأف لشرف يسمونه يهودى وأف لمال يسله اللص في لحظة ، وأف لثروه تأكلها النار في ساعة ، وأف لمريرول بحسرة صنفقة ، فكل هذه الأموال معرضة للروال في قبيل من الزمن ، كذلك لا سوم سطوة المنصب ولا تدوم كثرة الانساع والانصار ، وقد نرى وتشاهد ما تفعله المناصب بأربابها المتكبرين عند عرهم منها ، فيكونون في حالة ذلة ومهانة بعد النفى والطفبان

خامساً التكبر بالعلم ، هو أعظم الآفات وأعصى الأمراض ، وذلك لأن قدر العلم أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما وللعالم في هذا العلاج أمران - أحدهما أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم يوم لقيامه أقوى من غيرهم ، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشيره من العالم ، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة علم ، لجنايته أخش وعذابه أشد ، لأنه يقص حق الله تعالى عليه في العلم وأهله التواضع ، لأمم الثاني - إن العالم يعرف أن الكبر لا يبق إلا بالله عز وجل وحده ، وأنه إذا كبر صدر عقوبات عند الله ، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له - إن لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً ، فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي - وقد زال الكبر عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذ علموا أن من بارع الله تعالى في رده الكبر به قصمه

سادساً - التكبر بالورع ولعادة وذلك فتنة عظيمة ، فعلى العبد الورع المتعبد أن يلزم قلبه التواضع لجميع الخلق كافة ، حتى ولو كان فاسقاً ، لأن العاصق قد يحرق على قلبه خوف الله تعالى وتعظمه وانحشوع له وهذا لا يراه العاص ولا يعبه إلا الله وحده فكيف الله به سبقاته ويعبر له قبل ممانه ، فإذا انكشف العطاء يوم القيامة رما نرى الذي كان فاسقاً في الدنيا فوق العابد بدرجات فإذا فكر العابد في هذا الخطر يشعر به حتماً عن التكبر على أى مخلوق مهما كانت حالته - هذا هو علاج مرض الكبر ، نسأل الله تعالى أن يكون بارعاً وشافياً

باب في مرض العجب وهذامه

العجب من الأمراض الجبينة في القلوب ، وهو فرح تعد بحال السعة وتتمم
 العجز بديه سواء في المال ، أو العلم أو العمل ، واطمئنان إلى ذلك ، وعقاده بأن له حقاً
 على الله أعطاه ماله ، لأن حيث أمم من المم سبحانه وتعالى ويخص عطاء
 وقد عجب على منه أمم بعه من الله متى شاء سبباً رأى محب عنه ، وللعجب قات
 كثيره منهم أنه يدعو إلى المكبر ، يدعو إلى بسبب لدوب ورمها ، أما فانه في
 العبد في العبد لمحب يتخرج بعد به وبين على الله بعمه ، وبين حنة لله عليه
 ما يوفق ها ، وسبب في محب مسموم في كتب الله تعالى وسه رسوله صلى الله
 عنه وسلم ، قال تعالى (ويوم حزن) ، تحذركم كثير من عبادك شيث) ذكر ذلك
 في مرض الانكار ، وقال صلى الله عليه وسلم (يحسبون أنهم يحسنون حسبه) وهذا أيضاً يرجع
 إلى لعجب بالعلم ، وقد صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة مائة مطاع وهو في مشع
 وإعجاب لمره ، به (وه) قال من عرف أن أيب الله أصبح به ، أحب إلى من
 أن يلق قنم ، وسبح معجها ، ومن لعاشقة رضى الله عنها من يكون الرجل مستناً ،
 فإذ ص ، تحس يعود الله من ذلك

باب في علاج مرض العجب

أمر أن مرض العجب هو أهل المحض ، وعلاجه المرفه وهذه المعرفة هي عنه
 أنه لا معنى لعجب له ، وعجب العلم بعبه ، وعجب الجين بجهه ، وعجب العنى
 بعبه ، وعجب تقوى بقوته ، لأن كل ذلك من فضل الله تعالى ، وعند العبد عمل لبيضان
 هذا لفصل ، ثم من تعبد به من وما صلى بها صلى ، وما رعى إذا رعى ، (ولكن
 الله رعى) فها هو الحق ، فقد حقت الله وحلق أعصاءك وحقق بها بفسره والقوة
 "صحه" وحقق لك عققس ولعلم والإرادة ، فإذا علمت ذلك كل من
 العجائب أن تعجب بنفسك ، ولا تعجب بمن بيده الأمر كله ولا تعجب بعبوده وفصله
 وكرمه في تفصيله إليك على الفساق من عباده ، إذ سلط دواعي الفساد على الفساق
 وصرها عنك ، وسلط إخوان لسوء عليهم وصرهم عنك ، وأغرقهم في بحار الشهوات

ويحدث من مريضهم بواعث الخير وهباتها - فعلى سبحانه وتعالى ذلك كله بك
مخصص بإرادته من غير وسيلة سابقة منك ولا حريجة سابقة من العاصي ، من
فصلك وصطفتك بفصله وأعد معصي وأشفقه معصيه ثم عجب إيمانك بنفسك بعد
أن عرفت ذلك فهذا هو علاج "شقي لاجل قلبك من العجب" إن شاء الله .

باب : مرض الغرور ومداؤه وعلاجه

يعلم أن الغرور مرض مهلك من أمراض القلب ، حروفته الخبيثة أظف وديت
أن يعجز الإنسان أن يعي حيزه في مدخل أو في لاجل وأكثر الناس يظنون
أنفسهم الخير وهم يخطئون فأكبر من ذلك تصورات مرض الغرور ، ويكني في ده
لغرور قول الله تعالى (فلا تفرحكم حدة البعثة ولا تفرحكم بآفة الغرور)
وقد يخفف غرور منه ما هو أشد من غيره مثل غرور الكفار والعصاة و"استأق
ومهم من عاينهم أحياء الدنيا ومهم من عاينهم بآفة الغرور ، وبين عرته بآفة الباطل
هم الذين قوا إلى يقين من شئ في الدنيا والآخرة ، فبآفة الغرور والآخرة
شكا وغدا إلى ربك شكا ، شكا من هؤلاء أشد الله تعالى بآفة الغرور ، وشكا من
أشقر أحياء الدنيا والآخرة فلا يصفهم عنهم العبد ولا لم يصبروا) وعلاج
هذا نوع هو أن يصدق الله تعالى في قوله (والآخر خير) وأن يصدق الآخرة
و يرس في حده وواجهه ، وعلى ذلك فيؤمنون ، ثم صيغوا أو مر الله تعالى التي حده بها
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم و"الآخر" تصاحبه واسعدوا شهوات وآرامكوا
المعاصي ، فهم مشاركون للكفر في هذا الغرور ، كما أنهم أثروا أحياء الدنيا على
الآخرة ، لكن أمرهم أحقر لأن الإيمان بالله يعقده معصمهم من عقاب الخلد
فيخرجون من النار ولو بعد حين ، لكن مجرد الإيمان دون العمل الصالح لا يكفي للفوز
بالعيم قال الله تعالى وهو أشد من عاصي (فمن كان يجره جوفه ربه فليعمل عملا صالحا)
وقد عر وجس (وإنني لعاصي لمن تاب) ومن وعمل صالحا ثم اهتدى) وغير ذلك كثير
فوعدا المعصية في جميع كتاب الله تعالى مرسل بالإيمان والتأمن "صالحا مع الإيمان وحده
أما الغرور بالله تعالى فعروا تكفريا وعرورا لعصاة من المؤمنين ولدى
يعلى الكلام فيه هو غرور العصاة وهو أمراض سبى دت في قلوب المؤمنين حتى

أهلكم وطمس على بصرتها فعميت عن حقيقة الأمر ، نسأل الله السلامة .

إعلم أن غرور العصاة من المؤمنين هو قولهم - إن الله كريم إن الله غفور رحيم .
 هم ينكثون على ذلك ويهملون الأعمال الصالحة ويقولون ، أين معصي العباد في محار
 رحمة ، وإنا موحدون ومؤمنون ويرجو ما يمت هذا أن سال النعيم في الآخرة ؛ فهذا
 منتهى الغرور بالله تعالى . ومثال هذا الغرور مثال من يرى أن يكون له ولد
 وهو لم يتزوج ، أو تروح وكان غنيثاً فهد معزوه ، وكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن ،
 أو آمن ولم يعمل صالحاً ، أو عن صالحاً ولم يترك المعاصي فهو مغرور . وكما أن العاقل
 إذا تروح ووطئ بني متردداً في وجود الولد ، ولكنه في هذه الحالة يرجو فصل الله
 في أن يرزقه لولد وأن يرفع الآفات عن الرحم وعن الأم إن أن يتم الحمل والولادة ،
 فكذلك كان عاقلاً من آمن وعمل صالحاً وترك المعاصي وبقي متردداً بين الخوف
 والرجاء ، ويحاف أن لا يقبل منه وأن لا تدوم عليه نعمة الطاعة ويحاف أن يحتم له
 بأسوه ويرجو الله تعالى أن يثبته ما يقول الثابت ويحفظ عليه دينه من صواعق
 سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ، فهذا منتهى الحكمة والعقل وهو علامة
 الإيمان ، وما عدا ذلك هم المغرورون بالله

فعلام الغرور يا عبد الله وقد علمت أنه لا جزاء إلا بعمل وتنظر إلى القرآن ،
 وانظر أن فيه كثير من التحذير ويكفيك قوله تعالى (من يعمل مثقال ذرة
 خيراً أره ومن يعمل مثقال ذرة شراً أره) ومن ليس من يظن أن طاعته أكثر
 من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه على المعاصي ولا يتفقد ما عدا عن طاعة حطها
 وباهى بها كالذي يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يعتك الناس ويمرق أعراضهم طول
 سهاره من غير حصر ولا عدد ولعمري لو كان الكرام الكاثرون يطلبون من
 الإنسان أجره ما يكتبون من هديه الذي راد عن نسيحاته لعجز عن الدفع ولكف
 به عن الكلام حتى في المساحات حوله من دفع أجره الكتابة ، فإعجاباً لمن يحتاط
 خوفاً على مال يدفعه ولا يحاط خوفاً من فوات الهدوس الأعلى ونعيمه . ماهذه
 والله إلا مصيبة كبرى لمن هكر فيها ، فقد دفع إلى أمرين شكك فيه كنت من الكفرة
 الجاحدين وإن صدقت به كنا من الحقى المعرورين . نسأل الله السلامة لنا وللمسلمين
 أجمعين .

باب في مرض الرياء ومنامه

[illegible]

و صلاحه على عباده وحده، ولا يبارعه لنفسه إلى طلب علم غير الله وقد ذكر فيهم
 العزايير رحمه الله في هذا المعنى كثيراً سكتي منه تقدم، وذكر ما في "إظهار" صفات
 أيضاً. قال إن في الإبرار ثلاث فوائد: بإحسان وشدة من ربه، وفي الإحسان
 فائدة لاقتداء الغير ونزول عن الناس في الخير. ولدت أي لله تعالى على السر والعلانية
 فقال (إن نسوا الصدقات فتعيا هي وإن تحفظها ونية الله "تقوا" فهو خير أسكن)
 وإظهار قسوس. أحدهما في نفس العبد، والآخر ما يحدث له من فائدة
 الأول. يظهر نفس "عبد" كالصدقة التي يعطيها للمعسر، فإما الناس "عبد" ليس
 فيها، كما روى عن أنس بن مالك أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة
 بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من سب من سب فعمى بها كان به أجره وأجر من
 معه) (م) وتجرى سائر الأعمال من سب من سب من صلاة وصيام، خير وعمره، وقد
 روى أن عمر بن الخطاب عفى عن عمل العلانية صدقة، وقد عفى عن العلانية
 إنما استمر به على عمر بن الخطاب صعباً، وهذا خلاف ما سكت به الإحسان في
 الجليل ما يقتضي به أفضل لأخيه، ونقطة بحث من العلانية ظهر، ربه وهي خير
 لأنه لم يسمع بعد تقدم عمره بعينه، بهلاكه به في هذه حجة يكون سر أفض

"عبد" الثاني ما في الحديث "عبد الله فقهه بعد إخراج منه"، حكمة حكم بإظهار
 نفسه واحترافه في الدنيا، فإشهاد الناس في إظهار نفس في الدنيا، كره، عز
 تطرق برية بعد إخراج منه في الدنيا، فهو من هذه، حجة أهون من
 تحدث بعمله قصد لا فائدة هو، عمق خير، فهو خير من صفت تامة، لأن ترتيب
 في الخير خير، سواء بالعمل أو بالحدث، وفي من من من من من من من من
 الأورياء، قال سعد بن سعد ما عرفت صلاة من أسست خدشت نفس من هو ولا سمعت
 حجارة تحدثت نفسى بغيرها، هي فائدة وما هو معقول، ولا سمعت النبي صلى الله
 عليه وسلم يقول قولاً فقه لا عيب له حق. وقال عثمان رضي الله عنه ما سمعت
 ولا غثيف ولا سمعت ذكرى يميني منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقال أبو سعيد لا هله حين حصر الموت لا تكوا عني، وفي ما أحدثت دناءة منذ أسست
 بهذا إظهار لأحوال شريفه وفيها غاية المرات إذا صدرت من يرقى بها، وفيها غاية

الترعيب إذا صدرت من يقتدى به مثل هؤلاء ، في تقدم يعلم أنه إذا توفر الإخلاص في العمل يستوى فيه السر والعلاية ، كما قال عمر رضي الله عنه لرجل ، عليك بعض العلاية . قال يا أمير المؤمنين وما من العلاية قال إذا اطعم عليك لم تستح منه وهذه درجة عظيمة لا يتأهلها كل واحد ، ولكن علينا أن نجتهد وننشئ السلف الصالح والله الموفق

باب في مرض الغضب ومذامه

لعصب مرض من أمراض القلوب يفتنه أربعة أمور ، السكر ، والحمر ، والتعزير ، والاحتية . قال يحيى بن زكريا : لهما سلام لعين عليه السلام ، أي شيء أشد ، قال عصب الله . قال فما نفر من عصب الله . قال — أن تعصب — قال فما يُبدي العصب وما يُسبته ، قال — أربعة أمور السكر ، والحمر ، والتعزير ، والاحتية — فأصول لعصب حيث هي الآفات لأربعة المتقدمه ، ولها أربع مبيحة ، وهي الزهو والعجب والحمر والمرح والمهرج وشدة الخرص على حصول المال ، وحب الجاه والرياسة ، وجمع هذه أخلاق رديئة مدمومة شرعاً ، ولا شفاء من مرض العصب مع بقائه هذه الخرائيم فلا ، إذا من إرهابها ، ويرتبطها لا يمكن إلا باستئذان أصواتها . فتلا فتتأثر به ، بالأسع ، وغيب "عجب" معرفة حقيقة نفسك ، وبميت "فخر" بأنت من حسن خادمك وأما المرح وبميه بالشعاعين "تذكر" ، وأما المهرج فتربله في طلب "المصائب" ، وأنه شدة الخرص بميه بالصبر على عيش "عش" ، فو حب على عصب أن يتباعد عن هذه الآفات ليسلم من قبه عصب . روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله مري بعين وأقبح . قال (لا تعصب) ثم أعدد عليه قال (لا تعصب) (خ) وقال عليه السلام (من شديداً صرعه ويزم شدة أذى يثبت نفسه عند عصب) (ز) وقال عليه السلام (من كظم عصبه رزق الله عورته) (ح) (أي لذيها) وقال عليه السلام (من كظم عصباً وبور شدت يعضيه أمصده ، ملا الله عليه يوم "نفي" مرصاه) (ن أي لذيها) وفي روايه (ملا الله فيه أمماً ويزمناً) ، فواجب على العبد أن يكظم عصبه لما في دمه من عصبان . قال الله تعالى في معرض المدح (وسكاطين يعيط وأنعمين عن الناس)

باب في علاج مرض الغضب

مادكرناه هو حاسم لموداعص وقطع الاسباب المبيجة له . لأن الاصل في
تهيج الغضب عند الإنسان وجوده . فبإعاج مرض الغضب عند هيجانه بدواء
العلم والعمل . فهو أن يتفكر في فضائل كبره يحبط ويحرص على نوال ثوابه ويخوف
نفسه بعقاب الله تعالى إن أمضى غصه على عدوه .

ويحذر نفسه عاقبة العداوة التي تنبع من ذلك . واجتهد العدو في الانتقام منه
، ليعلم أن بعضه يشبهه ، فكيف يغفوا . و لحليم يشبهه الأبياء والأولياء . ويحذر
نفسه من أن يشبهه الكلاب وأرسل الناس ومن أن يشبهه بأحلاق الأسياف
والأولياء هذا هو العلاج المعنى - ثم العلاج العملي - فإن يقول سيأتي . أعود
بالله من الشيطان الرحيم هكذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال عند العبط
(ق) وكان عليه سلام إذ عصيت عائشة أحد نساء وقال (يا عويش قولي اللهم رب
انبي محمد اعمر لي ديني وادهب عبط قبي وأجرني من مصلات القتن) (ابن السني) .
ويستحب أن يقال ذلك عند الغضب - فإذا لم يذهب عصبك بذلك ، فاجلس إلى كتب
قائماً ، واصطلح إن كنت جالساً ، واقترب من الأرض حتى مباحقت تعرف بذلك
دنياً نفسك ، واطب باخلوس والاصططاع الكون ، لأن سبب الغضب الحرارة ،
وسبب الحرارة الحركة . فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الغضب حمرة توقد في
انقلب أم تروا إلى انتداح أوداجه وحمرة عييه . فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن
كان قائماً فليجلس ، وإن كان جالساً فليست ، فإن لم يزل ذلك فتوضأ بالماء البارد أو
بالتل ، فإن اسر لا يطفئها إلا الماء) وفي رواية أخرى (إن الغضب من الشيطان
وإن للشيطان حقد من النار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) (ت)
من يضمن ذلك يحصل له الشفاء من هذا بلاء من شاء الله تعالى .

باب في مرض الحسد ومذاقه

وعلم أن الحسد من أمراض المملوك - والحسد

لا يكون إلا على نعمه ؛ فإذا أنعم الله على أحبك نعمة فلك فيها حالتان - إحداهما أن تكره هذه النعمة وتحب روالها عن أحبك وهذه الحالة تسمى حسداً . والحالة الثانية أن لا تحب روالها ولا تكره وجودها عند أحبك فقط نشتهى لنفسك مثلاً ، وهذه تسمى عطفة أو مناصرة . أما الحدة الأولى وهو الحسد فهو حرام ؛ إلا إذا كان على نعمة أصابها فاجر أو كافر يستعين بها على إيقاط النعمة وإيذاء الخلق فلا يصرك كراهتك له . أما العطفة أو المناصرة فليست بحرام ، وهي إما واحدة وإما صاحبة ؛ ويدل على ذلك قوله تعالى (وقرءت من المتأسرين) - وقد ورد في دم الحسد أخبار كثيرة . منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديأ كل الحسات كما تاكل الدر الحطب) (د) وقال عليه السلام : اللهم عن الحسد وأسائه وثمراته (لا تحاسدوا ولا تقاضعوا ولا تناعصوا وكونوا عباد الله إخواناً) (ق) وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث لا ينجو منهن أحد لظن ، الظنيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك ؛ إذا طمعت فلا تحقن وإذا شئت فامتنع وإذا حسدت فلا تمنع) (طب) وقال ذكر بأعنه السلام ، فإن الله تعالى الحاسد عدو لعلمي ، مستحط لقضائى .

غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى . وقال ابن سيرين رحمه الله ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأبى إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى الجنة ، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو بصير إلى النار

باب فى علاج مرض الحسد

قد علمنا أن الحسد من الأمراض العظيمة لمعروف ، ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل - والعلم نافع لمرض حسد . هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك فى الدنيا والدين ، وأنه لا ضرر فيه على المحسود لا فى دينه ولا فى ديباه ، بل ينتفع به بهما . ومتى عرفت هذا عن بصيرة ولم يكن عدو نفسك امتنعت عن الحسد لا بحجة . أما كونه ضرر عليك فى الدين فهو أنك بالحسد قد سخطت على قضاء الله تعالى ، وكرهت نعمة الله التى قسمها بين عباده ، وانتقدت

عدله لدى أقامه في منك بحق حكته ، فاستكرب ذلك ، وهذه حناية كبرى
 في عين الوحيد والإيمان . وأما كونه صرراً عيبك في الدنيا ، فهو أنك تتألم بحسبك
 وتصير في كمد وعمّ تد أعم الله تعالى نعمة على أعدائك ، ولا تزال تتعذب إذا
 صرف عنهم بلبه رلت هم ، فتبقى ممسكاً بثلك صق الصدر . ومع هذا فلا تروا
 انعمه عن المحسود بحسبك ؛ وبوكتك نؤمن بالنعمة والحب ما حسدت . وأما
 أنه لا ضرر على المحسود في ذبه ودياء فواضح لأن النعمة لا رول عنه فما قدره
 الله تعالى من رعد عيش ورفيق نعمة على عبده ، لا سوان يدوم إلى الأجل لدى
 قدره سبحانه وتعالى فلا حية في ذمه ، من كل شيء عبده بمقدار — وأما المنفعة التي
 تعود على المحسود في ذبه ، فهو أنه مضمون من حسبك به . لا سيما إذا جرّك حسد
 إلى القبول بالنية في حقه واقف به . وهتك سره وذكر مسويه ، هذه هدايا
 هديها أنت به . أعني أنك بذلك هدي إليه حسدت حتى ينفذ يوم القيمة وأنت
 مخلص محروم من حسدت أن أذهب بحسبك . فصر محروماً في الآخرة ، كما
 كنت محروماً في الدنيا — فقد عمت الحسد يعود على حسد ، لا ثم كما تقدم .
 ويأليب الأثم يذهب بالموه . من : أي إلى غضب الله تعالى وإلى عذاب النار بعد
 الموت ، لأن ندمك عن خاسد في يدي خبر أنه من أن يكون له عين تدخله النار
 ويمنعها لئيب النار . فطر بأحجى هدايا وعدك الله . كيف يسته الله من الحسد ، فعلياً
 أن نترك الحق للحاق ، ولا نضر في نعم الله على لعبه . لا يعني الاعمال وأنتم
 في صنعه تعالى وحكمته وعدله . وإذا حضر في صبره شيء من الخد ، فأكثر من
 الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وسنك لأنك تفك ولا تعص
 عيشك ولا تعص ربك .

باب في مرض البخل

نحن مرض في نقب مهك حرثوته الخرس وحمل — فهو مع الواجب .
 والواجب قسماً ، واجب للشرع وواجب لزومته وتعاذه ، فالذي لا يمنع واجب
 الشرع ولا واجب الزوم هو محج . وقد منع واحداً منهم فهو عيب ، ولكن لدى

يمنع و يجب الشرع أبجر ، كالذي يمنع أداء الزكاة . و يمنع التمتع المعتاده عن عباده
 وأهله أو يؤذيها بمصاصة نفس . أو الذي يتصدق بأحد من ماله ، كأن يعطي
 الزكاة من خالة لعلال . أو يعطي السائل قطعة من ثيابه ، أو أي نوع من المأكولات
 غير جيد ، ولا يقبل أن يعطي الطب . فهذا كله يحسن . أما واجب المروءة .
 فهو أن يعرف الإنسان ما عليه لأهله وقومه وجيرانه وأصدقائه وصيروه . فإن
 مع عهدهم ما يجب عليه إعطاؤه وسه ما عليه لكل منهم بحسب درجته ومركته ، فهو
 ليجل . وإصاح ذلك أن من معنى عيانه تقدر المعروف . ثم يصاقهم في لقمة يأكلونها
 زيادة فهو ليجل . ومن كان بين يديه طعام وحضر من يظن أنه يأكل معه . فأحس
 الطعام فهو ليجل . ومن كان يمشي شدة من متاع الدنيا وطسه حارة ليقص به مصلحته
 فأكره منه فهو يحسن . ومنع الزكاة وصدقة ولتفعه يحسن . والذي لا يؤدي ما يجب
 عليه للأقارب والضيوف وغيرهم ، حث منه الله فهو عديم المروءة . وهناك سفره
 ويعلم من هذا حاله . أن صباه المروءة أفضل من صباه لعلال . أما لكرهه فهو
 يهوى المال بحسب ما توجه تعاده والمروءة . عن صبي نفس وبعده عوص . لا
 يكون عن طمع في شكر وشكر . ولا فيه من شاعر وليس بكرم . فإذا لم يكن
 عنه . لا الثبات في الآخر . واكتساب قصه الكرم . وظهر لقلب من آفة ليجل
 فهو كريم حقاً هذا في المال . أما في الدين . فقد قال المحسن . الخاء في الدين أن
 تسبح نفسك . تنصها لله عز وجل . ويسبح نفسك بدل مهنك . وإهراق دمك
 لله تعالى لسياحه من غير إكراه . ولا تتركه من ثوابه جللاً أو جلاً . فرحم الله
 لقوم ، كانوا يحودون بالمنح وينفوس . ويحسن بحسن وآخر ونفوس .

باب في دم ليجل ومسح السجاء

قد قال تعالى (ولا يحسبن الذين ينجون ما آتاهم الله من فضله هو خير مما آتاهم
 من هو شر لهم فيضربون ما يحوا به يوم القيامة) . ومن عرف وحسن (الذين ينجون
 ويأمرون الناس بالناس ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وأعتدنا لكافرين عذاباً
 مهيباً) أي أن ممش ليجلاء كمثل لكافرين في استحقاق المنن والملازمة . وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة بخل ولا جبان ولا حاسن ولا سئ - المسك) وفي روايه (ولا حار) وفي روايه (ولا مذن) (ت) (الحب الرجل الخداع) وقال عليه السلام (إن الله عجب من ثلاث ، الشيخ زاني ، والبخل المثنان ، والمعيل المحتال) (ت) وعنه . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال (لسيء الخيول أحب إلى الله من العاقد الخيل) (ب) وقال عليه السلام (مثل المنفق والخيل كمثل رجلين عليهما حتان من حديد من لدن نديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا تبعته أو وفرت على حبله حتى نخي بئنه ، وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قُبضت ولرمت كل حقة مكانها حتى أخذت تراقيه فهو يوسعها ولا تنفع) (ق) وقال عليه السلام (الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عدد) (ن) ولقي يحيى - ركباً عليهم السلام إبليس في صورته فقال له - يا إبليس ، أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس لك . قال أحب الناس إلى المؤمن الخيل ، وأبغض الناس إلى المنافق السحى . قال له لم . قال لأن الخيل قد كفاني محله ، والمنافق السحى أخوف أن يطعفه عليه في سحاته فقله . ثم ولى وهو يقول ، لو لا أنك يحيى لما أخبرتك .

باب في علاج مرض البخل

قد علمت أن أصل مرض البخل حب المال . وحب المال له سببان - الأول حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال . مع طول الأمل في الحياة . فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم أو بعد شهر أو بعد سنة كان لا يحل بماله . لأن أقدر الله يدى يحتاج إليه من المال في يوم أو في شهر أو في سنة ، سهل وميسور - ولكن إذا كان للرجل ولد فإنه يصعب موصع طول الأمل ، أى أن الرجل يُقدَّر بقاء ولده كبقاء نفسه فيحل ليجمع له المال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الوتر محلة محبة محبة) (هـ و ك) فإذا أصيب إلى هذه الأوصاف . خوف فقر . وقلة الثقة بمحيي الرزق . قوى الحول لا محبة - السبب الثاني - إن الإنسان يحب المال لنفس المال ، مثلاً لرجل الغنى الذى عنده آلاف . وقد بلغ من العمر مائة لا ينتظر معه ريادة ، وليس له ولد ، فراء يحل على نفسه ، فلا ينفق سعة ولا يتصدق بدرهم .

بل أكثر من ذلك ، أنه لا يسمح بإففاق شيء يتداوى به من الأمراض ، فهذا النوع من الناس يحب لنفس المال عاشق له ، يتدد بوجوده في يده ، ويصرح عندما يقع نظره عليه في حراته — وهذا مرض في القلب عسير علاجه ، لا سيما عند كبار السن .

وقد يحتمل على من هذا من سوء الحائنة ، لأنه عند موته تنحصر قلبه على فوات المال ، فيقصص على هذا الحال ، وهذا هو الخطر العظيم ، أما يدري البخيل وكل من يكثر المال ، أن المال إنما هو صاحبه هو والخمر سواء سواء ، أي أن الذهب إذا وضع في الخزانة ولم يستعمل ، لم يكن في هذه الحالة دها ، بل يكون كقطع الأحجار وأحجار الفخار — أما علاج ذلك فهو التمدد ، ليسير ، وبالصبر على ترك مشتهيات النفس في هذه الحياة تقصير ، يعالج طول الأمل بذكر الموت والانشغال به ، وبما بعده من أهوال ، ويعتبر موت الأهل والأقربان بعد طول نعمهم في جمع المال وصياعه بعدم ، وهذه الحائنة تتكرر أماننا في كل يوم ، فكم من أغنياء تركوا أموالا كثيرة بعدد ما ورثاؤهم في قبور من الرمن ، أما الحسن لأحد الولد ، فيعالج بأن يعلم الولد أن الخلق إنما خلق ولده ورزقه في بطن أمه قبل أن يولد ، خلق معه رزقه وتكفل به ، فكم من ولد لم يرث عن أبيه مالا ، وحاله أحسن من حال من ورث المال ، وليتوق الإنسان بعد هذا أنه لا يصعب لولده إسعاداً ما أضر له من المال ، فقد يجمع الرجل المال يريد أن يصلح به حال ولده بعد موته ، ولكن هذا الما ينقلب على ولده شر ويكون بمثابة سلاسل تقوده إلى النار ، فالولد إن كان نقياً موقفاً صالحاً لله سبحانه وتعالى كافيه رزقه ، وموسع عليه ويمسر له ورزقه القناعة ، وإن كان شقياً فاسقاً متعاً لشهواته ساعياً وراء مهادته منقاداً لقرمات سوء — وكثير ما هم — فإن المال الذي تركه له والده ، يكون عونا على ارتكاب المعصية — في الوقت الذي يتقلب فيه الولد ، في ملذاته ، يتقلب فيه الوالد في عذابه ، فعلى الإنسان أن يعالج قلبه بكثرة التأمل في الآيات والأخبار الواردة في دم لحن ومدح السعد ، وما توعد الله به العجول من العذاب ، ويكفيه رادعاً في ذلك قوله تعالى (والذين يكثرزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سجين . الله فشرهم بعدذاب أليم يوم يحبس عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كررتم لأهكم فتوقوا ما كنتم تكفرون (فوجب إدراكه أنه لا ينبغي للإنسان أن يأخذ من المال إلا ما يكفيه ، وما يريد عن حاجته ينفقه في أوجه البر والخيرات قس موته ، ليكون مدحراً له في الحية لنافه ، فهذه أدوية علاج النفس ، ولا يتوصل الإنسان إلى معرفتها وتعاظيها ، إلا بتور العلم الذي يعرف به أن العطاء خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة ، وأن تشتغل بعده الفقر وبصده عن الصدقات . ورحم الله القائل

قدّم لنفسك خيراً وأنت مالك مالك
من قس تصح فرداً ولون حالك حالك
ولست والله ندري أي المسالك سالك
إما خير عند أوفى المهارث هالك

باب في معنى الغيبة

قيل عليه الصلاة والسلام (من بدروا ما يعبه) فلو الله ورسوله أعلم . قال (ذكرتك أحالك بما يكرهه) (م) سواء ذكرته بقص في بدنه أو بسبه أو حلقه أو فعله أو قوله أو في دينه . حتى ثوبه ودياته . أما العيبة في البدن ، فذلك قول إبه أعمى ، أو أقرع ، أو قصير ، أو طويل ، أو أسود ، وغير ذلك ولو كان حقاً وأما النسب ، فهو أن تقول ابن لفاسق ، أو ابن الكلب . وأما الخلق فذلك تقول بحسين متكبر ، أحمق ، جبان ، وما يماثل ذلك . أما أفعاله ، كأن تقول هو كذاب ، أو شرب خمر ، أو ظالم ، ويقول إنه قبيح الأدب ، وربه كثير الكلام ، وماشاه ذلك وأما في ثوبه كأن تقول ربه طويل الدين ، وسبح الثياب ، وغير ذلك . قال معاذ ابن جبل ، ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه ، فقال صلى الله عليه وسلم (إعتنم أحاكم) قالوا يا رسول الله فله ما فيه ، قال (إن قتم ما ليس فيه فقد بهنموه) (طب) وقال الحسن — ذكر العيبة ثلاثة — العيبة والبهتان والافتة وكل في كتاب الله عز وجل . أما العيبة ، أن تقول ما فيه ، والبهتان أن تقول ما ليس

فيه . والألف أن نقول ما سمعك . واعلم أنه يدخل في الغيبة الإشارة والإيماء واللمر والكتابة والحركة . وكل ما يعبر عن المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام . من ذلك قول عائشة رضي الله عنها . دخلت على امرأة فساوأت أو مأت بسدي أنها قصيرة . فقال عليه السلام (اعتبها) (اس مردویه) ومن الغيبة أيضا التمثيل ، كما ينشئ بمنزلة مشية أحبه . أو ينكلم بمنزلة كلام أحبه لبصحة الناس ، فهذا أشد من الغيبة لأنه أعظم في التصور والتعبير .

باب في ذم الغيبة

إعلم أن الغيبة مذمومة وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه العزيز . وشبه صاحبها بأكل لحم الميت فقال عز وجل (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحاً أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) (م) وقال عليه السلام (لا تمسكوا ولا تباغضوا ولا تناحشوا ولا متداوروا ولا يغتب بعضكم بعضاً . كبروا عباد الله إخواناً) (ق) ، قال عليه السلام (إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يرى ويتوب فيتوب الله عليه . وإن صاحب الغيبة لا يعفو له حتى يعفو له صاحبه) (ح) وقال الهراء . خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العوانق في بيوتهم . فقال (يا معشر من آمن بالله ولم يؤمن بقلبه لا تعانوا المسلمين ولا تبغوا عوراتهم فإنه من تسع عورة أخيه تسع عورته . ومن ينسج عورة عورته يفسده في جوف بيته) (د) ومن السنة أن ترد عن أخيك في غيبته قل عليه السلام (من ذاب عن عرض أخيه بالغيب كل حقاً على أنه أن يعفوه من النار) (ط)

باب في علاج الغيبة

اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها إما تعالج بمعجون العلم والعمل . وعلى هذا فعلاج الغيبة له وجهان : الوجه الأول على الجملة . والوجه الثاني على التفصيل . أما الوجه الأول فهو أن يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بعينه . سبب لاحتياط حسنة يوم القيامة ، فإنها تنقل حسنة في القيامة إلى من اعتابه في الدنيا ، فإن لم تكن له

حسنات نقل إليه من سيئات خصمه ، فعلى العبد أن يعرف ذلك أن يتجنب العيبة وأن يتفكر في نفسه ويشغل بعبوديتها . قال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس) (إبرار) أما إذا كان الدم في حلقه العبد فيكون موجباً لله سبحانه وتعالى ، وهذه جريمة كبرى ومصدرة عظمى ، فإن من دم صنعة فقد ذم صانعها - مثلاً إذا صنع لك الخياط قبضاً فوجدت فيه عيباً ودمه فانك في الحقيقة دمت الخياط لا القميص ، لأن القميص ما جئته إذا كان الخياط جمعه طويلاً أو قصيراً أو واسعاً أو ضيقاً ، فكذلك العبد لا ذنب له في تصوير نفسه وتكويبه كما تراه . قال الله تعالى (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) فمن ذا الذي يجرأ على توجيه الدم لفعل الخالق حين شأنه ، إلا إذا كان محروماً من العقل السليم هذا علاج إحمالى أما التفصلى ، فعلى العبد أن يطر في السب الدعت له على العيبة . فإن كان العضف فليصلح العصب بما أوردناه في ٥٥ ، وهو أن يقول إني إذا أمصبت عصى للفعل الله تعالى يمضى غصه على سب العيبة ، إدهان عنها ٥٥ حرأت على حيه واستحققت بأمره . وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن لحهم ٥٥ لا يدخل منه إلا من شق عيطه بمصية الله تعالى) (ن) أما موافقتك الأصدقاء في عيبة أحبك ، فاعلم أن الله تعالى يعصب عليك لأنك تعرضت لسخطه في إرضاء مخلوقين - وأما لعبة قتلته بالناس لأنهم يعانون غيرهم أمامك ، فهذا منتهى الخجل ، لأنه لا يجوز لاقتداء من يركب المعاصي . فكل محرم بما كسبت بداه . وأما كونك تعتب أحبك لتهراً به وتحربه أمام الناس ، فاعلم أنك إنما تهرأ نفسك ومحرمها أمام الله تعالى . وعند الملائكة والنبين عليهم الصلاة والسلام . يوم تصاف سيئات من استهزأت به إلى سيئاتك وتساوق بها إلى الدار فلو تفكرت في ذلك لرجعت عن الاستهزاء بأي مخلوق كان هذا عقاب الاحرة - أما في الدنيا فإنك لا تأمن عقوبة الله وهو أن يهتك سترك كما هتك من أهلك - فعلاج ذلك إنما يكون بالمعرفة ولقين هذه العاقبة التي هي من أبواب الإيمان ، فمن قوى إيمانه بجميع ذلك ، انكف لسائه عن العيبة لا محالة فهدوا أيها المسنون وتوبوا إلى الله عن العيبة قبل الممات ، عسى الله أن يتوب علينا جميعاً إنه هو التواب الرحيم .

باب في الاعتذار المرحضة في الغيبة

لا يرحص في ذكر مساوي غيره إلا أعراض في شرع وهي ستة أمور - الأول - متظلم من القاصي الظلم ، أو احكام الخائر أو القادر المصل ، فالمعتاب في ذكر هؤلاء يكون عاصياً لم يكن قد وقع عليه ظم منهم ، وإن طسود فلا معصية في ذكر مساوئهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لصاحب الحق مقالا) (ق) وقال (لي الواحد يجل عقوبته وعرضه) أي نماطة القادر (د) الثاني - الاستعانة على تغيير السكر ، ورد العاصي إلى الصلاح ، فان لم يكن هذا عرص لمعتاب كانت لغيره حرام - الثالث - الشكوى كمن شكب أخاه من حرمانه ، أو روجته من داءه خنثي ، أو أخاه من سوء تصرفه معه ، وغير ذلك - الرابع - تحديق المسلم من شر ، فادب أئيب ففها يحوص في تسدح أو جارحاً على جماعة ، وحفت أن تتعدى ذلك إلى المسلمين ، فك أن تكشف لهم بدعته وفسقه ، وتخدم من محاطته ، وكذلك المستشار في الترويج له أن يدكر ما يعرفه من أمر المرأة لمن يريد الزواج ما على شرط أن يكون القول صحيحاً لا مبالغة فيه ، وأيضاً كل فاجر تحاطه بأسس وتخاف عليهم من محالطته ، لك أن تدكر لهم عيوبه حتى يعرفونه ، قال عليه السلام (أترغبون عن ذكر الفاجر ، اهتكوه حتى يعرفه الناس ، اذكروه حتى يحذره الناس) (ط) وقيل ثلاثة لا عيب لهم ، الإمام الخائر ، والمبتدع ، واجاهر بفسقه - الخامس - أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرف عنه كالأعرج والأعمش ، فلا إثم على من يقول ذلك لضرورة التعريف - السادس - أن يكون الرجل عاهراً ناعساً كالخنثي ، وصاحب المساحور ، واجاهر بشر الحمر والمرتكب لأي منكر وكان يتطهر به ، فادكرت ما يتطهر به فلا إثم عليك ، قد عليه السلام (من أتى حلتاً الحياء عن وجهه فلا عيب له) (ابن عدى)

باب في معنى التهمة ومذاها

التهمة يطلق على من ينش كلام الغير إلى الشخص الذي قيل فيه ، كما يقول لإسان فلان كان يتكلم بكذا وكذا ، وهذا يعتبر كشف ما يكره كشفه ، سواء بالقول

أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإشارة . والحقيقة أن النجاسة هي إضفاء السر ، وهناك السر ، عما يكره كشفه ، وهي آفة مدمومة ، فيجب على العبد أن لا يتكلم بما يراه من أحوال الناس ، أو يسمعه من كلامهم ، إلا إذا كان في كلامه فائدة لمسلم . أو دفع لعصية . وإليك ما ورد في ذم النجاسة . قال تعالى (هب مشاء نعيم) ثم قال (عتلى بعد ذلك رقيم) . قال عبد الله بن المبارك الرقيم ولد الرما الذي لا يكتنم الحديث ، وقال تعالى (ويل لكل هُمْزة لمرة) قبل الهُزمة ، التَّهم ، وقال تعالى (حمزة حطب) ، قيل إنها كانت دابة حذاة حديث . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يَدْخُلُ أَجَنَةُ دِمَاءٍ) (ق) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (حُبِّمُ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا ، أَمْضُونَ أَكْفَأً ، سِيَّانُ لِقُونَ وَيُؤَلِّفُونَ ؛ وَإِنْ نَعَصَكُمْ إِلَى اللَّهِ انْشَامُونَ دَهْبِيَّةً ، الْمَرْفُوقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ ؛ الْمُتَصِمُونَ لِلْبِرِّ آمِ الْعَثَرَاتِ (ط) وانبت من حديث عبد الله بن عمر ، ولا يَدْخُلُ أَجَنَةُ مَنْزِلٍ وَلَا عَاقٍ وَلَا مَدَمٍ حَمَرٍ) ، وفيه : (ط) حكي سمعة فرسح في سبع ثلاث ، فما قدم عليه قال ، إني حنكك لندى آذاك الله ما من العبد ، إجموع عن السماء وما أنفق منها ، وعن الأرض وما أوسعها ، وعن الصحراء وما أقربها ، وعن النار وما أحرها ، وعن الزمهرير وما أبردها ، وعن البحر وما أعنى منها ، وعن اليمس وما أذل منه . فقال له الحكميم : هتدي على آية أنفق من السماء ، والحق أوسع من الأرض ، وقلب الكافر أقسى من الصحراء ، واحسد أحر من النار ، والحاجة إلى القرب إذا لم تنجح بُرد من الزمهرير ، وقلب القابع أعنى من البحر ، والغمام إذا اقتضح أمره أذل من اليمس — أعادنا الله من خزي الدنيا والآخرة .

باب في خطر اللسان وفسيلة الصمت

إعلم أن خطر اللسان عظيم ولا يحده منه إلا بالصمت . ولذا كمدح الشرع الصمت وحث عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صمت نجا) (ط) وقال (الصمت حكم وقيل فاعه) أي حكمه وحرمه (حب) وروى عن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال ، قلت يا رسول الله اجترى عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك ، قال (من آمن بالله ثم استقم) قال قلت فما أتقى ، فأوماً بيده إلى لسانه .

(ت) وقال عقبه - عامر - قلت يا رسول الله ما النجاة - قال (أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسْعَكَ بَيْتُكَ ، وَابْكْ عَنِّي حَظِيئَتَكَ) (ت) وقال عليه السلام (من يتكلم لي عما من حبيبته ورجليه أتكفل له بالجنة) (ح) يعني انسان ، لفرح وهدوء بهلك أكثر الخلق ، وقدر معد من حل ، فست يرسل الله نواحيدهم يقول ، فقال (ثكلتك أمك يا ابن حل ، وهل يكب الناس في لذر عني متحرهم إلا حصاة ألسنتهم) (ت) وقال عليه السلام (من كف لسانه سر الله عورته ، ومن ملك عصه وقاه الله عدايه ، ومن اعتذر إلى الله قبل الله عذره) (اس أبي الدنيا) وعن صفوان بن سليم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أحركم بأيسر المعادة وأهوها على البدن ، أصمت وحسن الخلق) (اس أبي الدنيا) وعن إبراهيم بن عارب قال ، جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل - دلي على عن يدي حديثي الخفة ، قال (أطعم الجائع ، واسق الظمآن ، وأمر بالمعروف ، وأنهى عن المنكر - فإن لم تطلق فكف سنانك إلا من خير) (اس أبي الدنيا) ويروى أن عيسى عليه السلام قال ، لعادة عشرة أجراء تسعة منها في الصمت ، وحرمة في اللسان ، فان قلت فإني صمت هذا المفضل للكبر للصمت ، فاعلم أن هذه كثرة آفات مناس ، من الخطأ والكذب والغيبة والتمنيعة والزيف والتعاقب ومخش في القول والمراء والخدال وتركه اسمس والخصوص في سائر ونقصول في تكلام ورياء الخلق وهتك العورات حتى قولك أنا ولي وعددي . فهذه آفات كثيرة وهي سهلة على اللسان حبيبته عليه في التلطف ؛ وسكتها سلاسل بقود العبد إلى النار فلنملك اللسان بقدر الإمكان ، والله المستعان

باب في التكم في ما لا يعي

اعلم أيها العبد أن أحسن أحوال أن تحفظ لسانك من جميع الآفات التي ذكرناها ، وتكلم في ما هو مباح لا تصرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً ، فإذا تكلمت بما أنت مستتر عنه فقد تكلمت بما لا يعينك ، وبهذا قد اسيدلت الذي هو أدنى ما يدى هو خير . لأنك لو ذكرت الله تعالى لعاد ذلك عليك بالخير العظيم ، فكلم من كلمة واحدة بين بها قصر في لحنه ، وباعجب لا يدرى دم يقدر على كسب كرم من الكنوز

فبصيصه ويأخذ مكانه حصاة لا يتنعم بها ، وذلك تعظم خسارته ، وهذا حال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يفيقه ولا ينسمة فيه وإن لم يأنم فقد خسر ، حيث غاته الرج العظيم لأن رأس مال العبد أوقته فإذا صرفها فيما لا يفيقه ولم يدخرها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . قال عليه الصلاة والسلام (من حسن إسلام المرء ترك ما لا ينفعه) (١) وقد عمر رضي الله عنه لا تعرض لما لا يعيبك ولا تعري عدوك واحذر صديقك من النعم ، لا الأمان ، ولا رأس إلا من حننى الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ولا تضعه على سررك ، واستشر في أمرك الذين يعشون الله تعالى ، وحسن الكلام فيما لا عيب أن يحكم كل ما لو مكبت عنه لم تأثم ولم تنقص . في حال

باب في فصول الكلام

فصول كلام هو أن تشكر أكثر من الحاجة وهذا مذموم ، قال الأمر الذي يمكن أن يجره كلمة واحدة ، عبرت عنه بكلمات كثيرة فصول ، قال الله تعالى (لا حرج في كثير من بحوثكم) لا من مر صدقه أو معروف أو صلاح من الناس ، وقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن أمسك الفص من سانه وأشق فقص من سانه) (٢)

باب في الخوص الباطل

الخوص في الناس هو الكلام في أمور المعاصي ، كل تذكر أحوال المعاصي وصنعها وما جرى في محلات الحق وبوادي شر ، أو تبين للناس كيف يركب المعاصي ، فإن ذلك مما لا يحل خصوصه وهو حرام . قال بلال بن الحارث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ألحن لسانكم بكلمة من رسول الله ما يبين أن سبع ما يبع يركبته بها رجوعه في يوم غدقة ، ومن ألحن لسانكم بكلمة من سمعتم الله تعالى ما يبين أن سبع ما يركب الله عليه بها سحطة في يوم القيامة) (٣) وقال صلى الله عليه وسلم (أنعم الله على من خفي يوم القيامة أكثر من خوصاً في لسانه) (٤)

باب في المراء والجدال

المراء والجدال هما من آفات المهلكة. ولا يسكنن إلا في قلوب التي لم تستكمل حقيقته الإيمان — ولا يألف أجدال ولا رجل يحب لنفسه يريد أن يظهر عليه وفصله عن غيره. ولو كان يعلم للعصص معنى أو سعم صدر لما حادل أحداً. أما أصل هذه آفة الخفية هي أمراض في القلب. مثل الكبر والعجب وحب النفس. والمواظنة على الجدال تهبج لعصب. ومضى حاج العصب شمس أشجار بين المتجارلين كما تشتد الهراش بين الكلبين. فالمتعمد للجدال والمراء هو الكلب سواء. ومعنى المراء هو كل اعتراض على كلامه. إما في إعط وإما في نعي. وأما المجدلة فعبارة عن قصد إغاثم المتكلم وتعجيره وتقبضه. له في كلامه وتختيره أمام الخلق. وقد ورد في دم المراء وجدال كثير من الأحاديث. رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تمار تنك ولا تمارحه ولا تعدد وعداً فحظه). وقال عليه السلام (ما أضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أولوا الجدال). وفي غير موضع من حديثه لا تتعم العلم ثلاث ولا تترك الثلاث لا تتعمه مخاريق ولا ساهي به ولا تترافى به. ولا تتركه حياء من غده ولا رعدة فيه ولا رسة ماخين منه. وسكني مالك حيث أمم ورد في دم المراء والجدال لا يخص فيبقى الله بحسب الجاد ويكف لسه عنه حتى لا يكون من أصلهم الله. ولا يسمع وساوس شيطان حين يقول له إن هذا من الشرع. وليعلم أن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم هي عن ذلك

باب في الخصومة

الخصومة هي الخج في الكلام وأحد ورد ليستوفي به حق من الحقوق وهي مدمومة وقد ورد في دم كثير وغير حاف. تحره خصومه من يحدد العدو والعصاة في قلوبهم لا يكر إصلاحه. وقد أصبحت في زمان يرى اشتقاق فيه قد حل محل بوفاء بين الأفراد واحماء. وأصبح كل فرد متربصاً لأحبه يريد به لصرف في بدنه وفي ماله فكثرت حرئم التشن. وعم الفساد في الأرض. وصاغت ثمرة الوعط وكنت اوعاط. وما ذلك إلا لأن القلوب قد تحجرت وصارت ميادين للشياطين لخلوها من

التقوى فسدت أوامر الدين ونواهيه ، وقد أمر ما ترك الخصومات وليس الكلام
ومعاملة الناس بالحسنى قولاً ومفعلاً ، قالت عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم (إن أنقص الرجال إلى الله الألد الخصم) (ح) وقال عليه السلام (من
جادل في خصومة يعبر عظم يزل في سقط الله حتى يترفع) (روى الدين) وقد بشر
ابن عبد الله والله ما رأيت أذهب للدين ولا تنقص سريرة ولا تصع للدعة ولا
أشعن للنسب من الخصومة . فعلم بها تقديراً من الخصومة والحداد والاحتجاج كلام
مسبكر مؤد للقلب منعصر للعيش مهب للعصب موعر للصدر فلتكف عنها كي
نسلم من عواقبها .

باب في الفحش والسب وبداءة اللسان

كل هذ مدموم ومهين عنه ومصدرة حيث العبد واقفه ، والفحش هو التعبير
عن الأمور المستفحشه بألفاظ لصریحة وأكثر ذلك يجري في أفعال الوقائع
وما يتعلق به ، فإن هذه ألفاظ عبارات فاحشه يستعملونها ، وأهل الصلاح يتحاشون
عنها ، فيكتفي في ذلك بالإشارة أو عبارات مبهمه ، وكذلك لا يجوز أن تذكر
ما يختص بسائلك وأهل منك ولا تذكر أسماءهم في مجلس لرجال ، ويمكن التعبير
عن ذلك باللفظ الالفاظ — واعلم أن من به عيوب يستجى بها لا ينبغي لك
أن تعبر عنها بصريح القول ، كالحرص وقراص والواسير وغيره ، وأيضاً الالفاظ التي
يسعملها اسوقة في لشم والمزاح فهي فحش ، ويجب تنبيه عنها ، وأيضاً بعض ما ورد في
دم ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحنة حرام على كل فحش أن يدخلها)
(ابن أبي الدنيا) وقال عليه السلام (إن الله لا يحب لفاحش المتفحش الصياح في
الأسواق) (طب) وقال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني ، فقال (عيبك
بنقوى الله وإن امرؤ عيرك شيء . بعلمه بك فلا تعيره بشيء تعلبه فيه يكن وباله
عليه وأجره لك ولا تسس شيئاً) (طب) قال الأعرابي فما سميت شيئاً بعده . وقال
عليه السلام (ملعون من سب والديه) قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه ؟
قال (نسب أبا الرجل فيسب الآباء) (طب) ألا فمن رحم أبوين وتكف عن الباب .

باب في اللعن

اللعن هو عبارة عن طرد والإبعاد من رحمة الله تعالى ، وذلك غير جائز ، لا على من انصف حكمة معدة عن الله عز وجل وهو الكفر والظلم والفسق والدعة .
 ما تقول بعد الله على "ظالم أو على الكافر أو على الفسقة أو على المبتدعين .
 وكل شخص ثبت لعنته شرعاً بحور لعنته كقولك فرعون لعنه الله . لأنه مات على الكفر لكن لا يسمى لعن فاسق أو مستدع بعينه قبل موته . لأنه لا يعمد بحكم له كما لا يجوز أن يرمي مسلماً أو سعة أو كافر من غير تحقيق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرمى رجل رجلاً ما كفر ولا يرميه ناعس إلا ارتدت عنه إن لم يكن من حمة كذا) (ب) . وفيه عليه "سلام" (لا يكون المؤمن بعدة) (ب) .
 وفيه عليه "سلام" (إن المذنب لا يكونون شعاع ولا شهيداً يوم تقوم الساعة) (م) .
 وأعلم أن لعن الحيوان أو حمار مذكور . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره : يا امرأة من الأنصار على ناقه لها تصحرت مني فصنعت ، فقال صلى الله عليه وسلم : جدوا ما عنيتها واعروها في بيت مملوكة (ن) .
 فنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرص لها أحد .
 وكذا سب الأموات منهي عنه . قال عليه "صلواته وسلامه" (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) (خ) .

باب في المزاح

المزاح مذكور منهي عنه شرعاً قال صلى الله عليه وسلم (لا تمارحوا ولا تمارحوا) (ت) . فالإفراط فيه منهي عنه وكذا المداومة عليه . فإنه يستعمل بالهرل عن ذكر الله . وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك يمتد القلب وتسقط لطيف وإيقار . قال صلى الله عليه وسلم (لو نعيم ما أعم لصحتكم قليلاً وبكميم كثيراً) (ق) . وفيه عليه "سلام" (إن المزاح ولا أقول به حفاً) (و) .
 نعم ما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا حفاً . أما غيره إذا مزح كان عرصه أن يصحك "ناس فقط" . فإن قلت أيها "تقاربي" . يا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

عزح هو وأصحابه فكيف ينهى عنه فأقول . إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو أن تفرح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذى فساداً ولا تفرح عليك . وسكن من العلط أن يتحد ليل المرح حرقه بو ط عبها : ثم يتمست بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ألا فقه أن هذا من عونة الشيطان ، وإيئت من من مراح النبي صلى الله عليه وسلم . قال الحسن : أنت محجور إلى نبي صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام (لا بأس حنة محجور) فكنت فقال (إنك لست بمعجور يومئذ) قال الله تعالى (إنا أنشأناهم إناشاء فجعلناهم أكراراً) هذا من من المزاح وهو الحق الصراح .

باب في السخرية والإستهزاء

إعلم أن السخرية والإستهزاء بالناس محرم . قال الله تعالى (يأيتها الدس آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا حرأ منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن حيرأ منهن) ومعنى السخرية والإستهزاء ، الإستهانة والتحقير والتميه عن العيوب على وجه بصحت السامع منه ، وقد يكون بالنشيل في الفعل وفي القول وقد يكون بالإشارة قال ابن عباس في قوله تعالى (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يعدر صغيرة ولا كبيرة لا أحصاها) . إن الصغيرة نسيم والإستهزاء بالمؤمن وللكيرة أهمية بذلك وهذا إشارة إلى أن تصحك على الناس من جهة النبوت والكثرة . هو حب علياً أن يترك الإستهزاء بالناس وتعييرهم به فيهم ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من إستهزأ بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة يقال هلم هلم فيجيء بكره وعنه ، فإذا أتته أعقق دبه ، ثم يفتح له باب آخر فيجيء بكره وعنه ، فإذا أتته أعقق دبه ، فإذا أتته كذلك حتى أن لرحل يفتح له باب فيقال هلم هلم فلا يأتيه) (أس أن الدنيا) فلا تستهزئون عبارات الإستهزاء وتستصغرها كأن تصحك على كلام أحبك أو على أفعاله أو على مشيئه أو على صنعت أو على صورته وحلقته لأن ذلك في السخرية الملهي عنها .

باب في إفشاء السر

إفشاء السر مهمى عنه لما فيه من الخيانة و"تناهى بحق المعارف والأصدقاء . قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فبهى أمانة) (د) وقال الحسن إن الحياة أن نحت سر أحبك .

باب في الوعد الكاذب

إعلم أن اللسان سباق إلى إعطاء الوعد وقد لا تتي به ، فيصير الوعد كاذباً وذلك من علامات لفتاق . قال صلى الله عليه وسلم (أنو أى مثل الدرس أو أفصل) (ابن أبي الدنيا) والو أى الوعد . وقد أثبت الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال تعالى (إنه كان صادق الوعد) . وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمس حال) (ق) من واعد وهو عازم على الخلف فهو منافق ؛ أما إذا عزم على الوفاء فطرأ عذر فهرى منه لم يكن منافقاً ؛ ولكن عليه أن يحتاط لنفسه حتى لا يقع في الأعداء

باب في الكذب في القول وفي الخلف

الكذب في القول والخلف من فائح الدوب وموآشر العيوب قال إسماعيل ابن واسط سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحط فقال — قام فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامى هذا عام أول ثم بكى وقال (إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار) (ق) وقال عليه الصلاة والسلام (كبرت خيانه أن تحدث أحاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب) (خ) وقال عليه السلام (إن "شجار" هم "الفجار") ففسر رسول الله ألس قد أحل الله لبيع قال (نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون) (ك) وقال عبد الله ابن جراد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزيق المؤمن ؟ قال (قد يكون ذاك) قلت يا بني الله هل يكذب المؤمن قال (لا) ثم أتبعها صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى (إنما يستري الكفب امدين لا يؤمنون بآيات الله)

(ابن عبد البر) . وقال عليه الصلاة والسلام وكان متكئاً (ألا آتاكم الكبار الإشراف لله وعقوب الوالدين) ثم قعد وقال (ألا وفول الزور) (ق)
واعلم أن الكذب مباح في بعض الأمور للضرورة . روى عن أم كلثوم قالت ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يرخّص في شيء من الكذب إلا في ثلاث (الرجل يقول لقول يريد به الإصلاح . والرجل يقول القول في الحرب ، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها) (هـ) واعلم أن الكذب في المناسم مهي عنه . قال صلى الله عليه وسلم (من كذب في حُلْم كُلف يوم القيامة أن يعقد بين شمعين وليس يعقد بينهما أبداً) (ح) .

باب في ذى اللسانين

ذو اللسانين هو الذى يتردد بين المتعاديين بالكلام فيكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه وهذا هو عين النفاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث) وفى لفظ آخر (هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) (ق)

باب في علامة حسن الخلق

كل إنسان جاهل بعبود الله فإذا جاهد نفسه أقل مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن أنه قد نهى وحسن خلقه . لذلك رأيت أنه لا بد من إيصاح علامة حسن الخلق ، لأن حسن الخلق هو الإيمان ، وسوء الخلق هو النفاق . ولما كانت صفات المؤمنين هي ثمره حسن الخلق ، وصفات المنافقين هي ثمره سوء الخلق ، فقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ، وإليك بعض ما جاء به من علامات حسن الخلق . قال تعالى وهو أصدق التقى (أتتوا ليعبدوا الخاضعون لسانهم الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر وحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وقد تعالى (وعاد الرحمن الدس يمشون على الأرض هوماً وإذا خاطبهم الجاهلون قلوا سلاماً ، والذين يبغون لوجه سجداً وقباً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غمرأ ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ،

والذين إذا ألقوا لم يسرفوا ولم يقتسروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا بدعون
مع الله إلها آخر ولا يقتنون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يربون ، ومن يفعل
ذلك يبق أثاما ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب
وآمَن وعمل صالحا فأُولَئِكَ يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن
تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ، والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو
مروا كراما ، والذين إذا دُكِّروا بآيات ربهم لم يجهرنوا عليها صما وعميا ،
والذين يقولون ربنا هب سائما من أرواحنا وشريانا فزع أعين ، وأحملك البقيين بما
أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلتفتون بآية نعمة وسلاما ، خالدن فيها يحدثن
مستقرا ومقاما ، قل ما يأمركم أن تولوا دعاة كما فقد كنتم مسرفين لزاما
فن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات ، فإن وجودها جميعها عند
العد علامة حسن الحق ، وفقدها جميعها علامة سوء الحق ، ووجود البعض دون
البعض يدل على ألبعض دون البعض ؛ وهكذا فعلى عبد أن يشتغل بتحصيل
ما يقدره من هذه الصفات ويحفظ ما وحده ، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم المؤمن بصفت كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال (أكمل المؤمنين
إيمانا أحسنهم أخلاقا) (ق) وقال بعض الصالحين علامة حسن الحق هي : أن
يكون كثير الخفاء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل
قليل الزلل قليل التفصيل براء وصولا وقورا تصورا شكورا راضيا حديما رفيقا
عسيفا شقيقا لا لغاة ولا سببا ولا عسفا ولا معتاما ولا غولا ولا حقودا
ولا غيلا ولا حسودا شاشا هشاشا يحب في الله ويرضى في الله ويعص في الله
ولما كانت علامة حسن الحق تصبر على الأذى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم قل
حسبا أكرمت قريش من إسماء (لله اعقر تحوى فابهم لا يعبدن) (ق) وقيل
للأحنف بن قيس من نعمت أحيم ، قن من قن من عاصم ، قن وما منع من حبه ؛
قال يربا هو حارس في داره إذ نه حارية له تصود (حديد يشوى عليها اللحم)
عليها شواء فسقط من يدها ، وقع على ابن له صغير ثبات ، فدهشت الحارية ، فقال
له لا روع عليك أنت حرة روحه الله تعالى ، فهداه نوره من قد دلت وقلوب قد أظهرت

فأثمرت الرضى بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق — أما منتهى سوء الخلق فهو أن يكره العبد فعل الله تعالى ولا يرضى به .

باب في فضيلة حسن الخلق

اعلم أن الخلق الحسن هو صفة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأفضل أعمال الصديقين ، وهو على التحقيق شطر الدّين وثمره مجاهدة المنتقين . قال الله تعالى لئنبيته وحبه صلى الله عليه وسلم مثيا عبه ومطهرأ نعمه لديه (وإئت على خلق عظيم) وقال صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (ك) وقال عليه السلام (أنقل ما بوسع في الميراث يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق) (د) وقيل يا رسول الله ما لشؤم . قال (سوء الخلق) (ق) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى . فقال (بق الله حيث كنت) قال روى قال (أنزع السيئة الحسنه تمحها) قال روى قال (حائق اناس بخلق حسن) وقال الفصل قبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ثلاثة تصوم النهار ويقوم الليل وهم سيئة الحق تؤدى جيرانها لمساها قال (لا خير فيها من أهل النار) (ك) وقال عليه السلام (إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السجاء وحسن الخلق : ألا قريبو دينكم هم) (ق) وقال عليه الصلاة والسلام (إن أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (ط) وقال عليه السلام (ثلاث من لم تكن به أو واحدة منهن فلا تعتدوا شيء من عمله ، تقوى تحججه عن معاصي الله ، أو حلم يكف به لسعيه ، أو حق يعمر به بين الناس) وقال أنس قال لئن عصى الله عليه وسلم (إن العبد ليلع بحسن حقه عظيم درجات الآخرة وشرف لداره وإنه أضعف في العبادة) (ط) وقال عليه السلام (إن العبد ليسع من سوء حقه أسهل ذلك جهنم) (ط) وقال عطاء ما ارفع من ارفع إلا ما حق الحسن . ولم يزل أحد كانه إلا المصطفى صلى الله عليه عليه وسلم . فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق جعلها الله منهم .

باب في فضيلة القناعة وذم الحرص والطمع

يجب على العبد أن يكون قانعاً فلا يطمع في الحلق ولا يلتفت إلى ما في أيديهم ، وكذلك لا يكون حريصاً على اكتساب المال كيف ما كان ، ففي القناعة فضائل لا تحصى . كما أن الحرص والطمع آفة مهلكة ولا يمكن للإنسان أن يكون غير طامع وغير حريص إلا إذا قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والسكن وقصّر أمره في الحياة . ولكن قد حل الأذى على الحرص والطمع وقفة القناعة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو كان لأدم وديان من ذهب لا يسعى لهم ثالثاً ولا يملأ جوفه من آدم إلا التراب ويوب الله على من تاب) (ق) وقد أثبت الله تعالى ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم (طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وفتح به) (ت) وروى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال - أي عبادك أغنى - فقال - أقمهم بما أعطيت - قل فأبهم أعدل . قال من أنصف من أمته - وقال عليه السلام (كن ورعاً تكن أعتد لاس . وكن قنعاً تكن أشكر الناس ، وأحب للناس ما نصح لنفسك تكن مؤمناً) (هـ) . وقال عمر رضي الله عنه إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإن من بأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم . وكان محمد بن واسع بين الحر اليأس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد . وقال ابن مسعود ما من يوم إلا وملك بشاذى يا ابن آدم قبل يكفيك خير من كثير بطبعك .

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إدعواها وعقبوها قال لطمع وشره النفس وطلب الخوانج وقال ابن عطاء الله السكندري أنت حر لما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع - ومعنى ذلك أن الطمع في الشيء دليل على الحب له وذلك عودبة له ، كما أن اليأس من الشيء دليل على إفراغ القلب منه وعماه عنه وذلك حرية منه - فالطامع عبد والقانع حر

ونذكر هنا مثالا لتعرف به كيف تكون المهمة السنية في القناعة باليسير . قال بعض الصالحين خرجنا من المدينة حجاجا ، فلما كنا بالزاوية برلنا ، فوقف بنا رجل

عليه ثياب رثة وله منظر وهية وصورة حسنة ومروءة ، فقال من يبغى خادماً من
 يبغى سابقاً ، فقلت دونك هذه القرية فأحدها وانطق فلم يلت إلا يسيراً حتى أقبل
 وقد امتلأت أثوابه طيناً وأثرت القرية في كتفيه فوضعا وهو كالسرور الضاحك ،
 ثم قال ألكم غيرها قليلاً ، وأطعمناه قرصاً بارداً فأحذه وحمد الله سبحانه وتعالى
 وشكره كثيراً ثم اعترل وقعد يأكل أكل جائع ، فأدركتني عليه لشهقة ، فمستأبه
 بطعام طيب كان معاً وأكثر له منه ، وقت له قد عبت أنه لم يقع منك "قرص
 بموقع فدونت هذا الطعام ، فظفر في وحيي وتسلم وقت يا عبد الله ، إنما هي فورة
 جوع فلا أدبى ماى شيء ردتها عنى مرحوت عنه ، فقال لى رجل إلى جنى أنعم به
 قلنا لا قل به رجل من بنى هاشم من ولد العباس من عبد المطلب هذا ولد سليمان
 ابن جعفر المنصور كان يسكن البصرة فابخرح منها فتقدم ما عرف له أثر ، فأعجبى
 قوله ثم اجتمعت به واسته وقلت به "فتى أبا رجل من إخوانك قد بلغنى موضعك
 فأجبت الانفس بك فهل لك أن تعادلى ، فإن معى فصلاً من راحلتى ، فخرانى خيراً
 وقال بواً ردت هذا لكان لى معداً " ثم أنس إلى وحمل يحدتني فقال أبا رجل
 من ولد العباس كنت أسكن البصرة ، وكنت ذا كبر شديد ونخب وندح وإلى أمرت
 خادمة لى أن تحشولى فرائثاً من حرير ومحنة من ثبر الورد ، وبيها أنا نائم إذ بقمع
 وردة قد عفت عنه الخادمة ، فقممت إليها وأوجعت صرماً ثم عدت إلى مصحفى بعد
 لإخراج القمع من المحدة ، فأبى آت فى مابى فى صورة فظيمة فهرى ، وقال لى أبق
 من غشيتك وأبصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا حدة إني إن توشد لباً وشدت بعد الموت صم الخندل
 فامهد لعينك صالحاً تعد به فكلت من غداً إذا لم تفعل

قال فانتهت فرعاً خرجت من ساعى إلى رنى هاربا ، فهذا خبرى . قال الخاطب
 فلما مضى حديثه هذا إنحس عنى ومضى .

باب فى علاج الحرص والطمع

علاج الحرص والطمع والدواء الذى يكتسب به القناعة مركب من ثلاثة أشياء

الصبر والعلم والعمل ، وتحت ذلك حصة أمور - الأول - الاقتصاد في المعيشة .
 قل النبي صلى الله عليه وسلم (من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله ، ومن ذكر
 الله عز وجل أحبه الله) (لزار) الأمر الثاني أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه
 فلا يبيع أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقر ، وليعلم بأن الرزق الذي قدر
 له لا بد أن يأتيه . قال الله تبارك وتعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)
 الأمر الثالث - أن يعرف ما في القناعة من عز الاستعانة ، وما في الحرص والطمع
 من الذل ، قال صلى الله عليه وسلم (عز المؤمن استعاؤه عن الناس) (طب) وقيل
 - استمن عن شئت تكسر نظيره ، واحتج إلى من شئت تكسر أسيره ، وأحسن إلى
 من شئت تكسر أميره - الأمر الرابع - أن يكثر تأمله في تنعم أراذل الناس والحق
 ومن لا دين لهم ، ثم يظفر إلى أحوال الأنبياء والأولياء وسائر الصحابة والتابعين .
 ويطمع أحوالهم ثم يغير عقله ليكون مثل أراذل الناس الذين ليس لهم حظ في الحرية
 أم يقتدى بهم أم أعر الحقيق عند الله ، وليعلم أنه إن تنعم في الأكل فاحمار أكثر
 أكلامه . وإن تنعم في الوقاع فالحبر أقوى حالاً منه . وإن تزين في الملابس وركوب
 الخيل وسائر أنواع المركبات في اليهود والنحو من من هو أعلى رتبة منه أما إذا قنع
 بالقبور ورضى به فلم يشأه في رتبته هذه إلا الأنبياء والأولياء والصالحون -
 الأمر الخامس - أن يعلم ما في جمع المال من الخطر على دينه . قال تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا لا تلهمكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن بعض ذلك فأولئك هم الخاسرون)
 وقال عز وجل (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) وقال عليه الصلاة
 والسلام (سيأتي بعدكم قوم يأكلون أصابع الدين وألوانها ويركعون وراء الخيل وألوانها
 ويكحون أحسن مناء وألوانها ويلبسون أحسن الثياب وألوانها لهم بطون من انقلب
 لا تشع وأنفس بالكثير لا تقنع كفه عن الدنيا يعصون وبروحون إليها اتخذوها
 إلها من دون إلههم وربما دون ربه إلى أمرها ينهون ولها وهم يبيعون فريضة من محمد
 ابن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان عقب عقبكم وحلف حنكم أن لا يسم عليهم ولا
 يعود مرضاهم ولا يتبع جنازتهم ولا يوقر كبيرهم من فعل ذلك فقد أعان على هدم
 الإسلام) (الطبراني . وقال عليه الصلاة والسلام) (أحلأ ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه

إلى قبص روحه ، والثاني إلى قبره ، والثالث إلى محشره ، فإدى يسعه إلى قص روحه
هو ماله ، والذي يسعه إلى قبره هو أهله ، والذي يتبعه إلى محشره هو عمله (ط)
وروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته
فقال يا أمير المؤمنين صنعت صديقاً لم يصعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لم درهم
ولا دينار ، وكان له ثلاثة عشر من الولد ، فقال عمر أقعدوني فأقعدوه فقال ، أما
قولك لم أدع لم ديناراً ولا درهماً فإن لم أمنعهم حقاً لم ولم أعطيهم حقاً لعيرهم ،
وإنما ولدي أحد رجلين ، إما مطيع لله فإله كافيه والله ينول الصالحين ، وإما عاص
لله فلا مال على ما وقع ، وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع لأولون والآخرين
مثلهما للعبد في ماله عند موته ، قيل وما هما ، قال يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله ،
وقال صلى الله عليه وسلم (إذا نظر أحدكم إلى من فصله الله عنه في المال ، فليحذر
إلى من هو أسفل منه من فصل عليه) (ق) فهذه الأمور بقدر على اكتساب القعدة ،
وعناد الأمر الصبر وقصر الآمل ، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا آدم فلان لا تمنع
دهراً طويلاً ، فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء في انتظار الشفاء

باب في فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يباهي الملائكة من قل مطعمه
ومشره في لذب يقول الله تعالى انظروا إلى عذبي أنلبه بالطعام وشرابي
الدنيا فصر وتركهم شهدوا بالملائكة ما من أكلة تدعى إلا أدلتهم بمرتبة
في الجنة) (ابن عدي)

وقال عليه السلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيات
يقم صله وإن كان لا بدافعاً فذلك لصاعه وثلاث شرابه وثلاث لقمته) (ت) وقال
عليه السلام (إن الشيطان ليحرق من ابن آدم مجرى الدم فصبقوا بحريه بالجوع
ولعش) (ابن أبي الدنيا) وقال عليه السلام (إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع
في الآخرة وإن أعص الناس إلى الله المتحمسون للآلئ وما ترك عبد أكلة يشتهيها
إلا كانت له درجة في الجنة) (ط) وقال أبو هريرة ما شبع إلى صلى الله عليه وسلم

ثلاثة أيام تداءى من خبز الخنطة حتى فارق الدنيا (م) وقال أنس جاءت فاطمة رسول الله عليها بكسر حزن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (ما هذه الكسرة) قالت قرص حرته ولم تطب بصبى حتى آتيت هذه الكسرة فقال عليه الصلاة والسلام (أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام) . (الخارث بن أبي أسامة)

باب في ذم الغنى ومدح الفقر

قد احتجب الناس في الغنى الشاكر والتقير الصابر أي ما أفصل . وليكن بدل من على أن الفقر أفضل من الغنى على وجهه وأسلم للدين . ويعتصر على ذكر بعض ما قاله الخارث المحاسبي رضي الله عنه لئلا يرد على بعض العلماء الأتقياء الذين احتجوا بأغنياء الصحابة ، وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف — والمحاسبي رحمه الله خير الأمة في علم المعاشرة وإمام الباحثين عن عيوب النفس وأمراض القلوب وآفات الأعمال ومن كلامه في الرد على عباء السوء قال — بلغنا أن عيسى بن مريم عليه السلام قل يا عباء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعمون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فبأسوء ما تتحكمون تنوبون القول والأمان وتعملون بالهوى وما يعي عنكم أن سقوا حلودكم وقلوبكم دسة . بحق أقول لكم لا تكونوا كالدنجل يخرج منه الدقيق الطيب وسقى فيه السحابة كذلك أتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى العن في صدوركم يا عبید الدین کیف يدرك الآخرة من لا تنقصي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رعيته يا عبید الدین لا تعبید أقبیاء ولا كأحرار كرام تو شك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقبكم على وجوهكم ثم تكلم على مناحركم ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلككم إلى الملك الديان عراه فرادى فيوفعكم على سوائكم ثم يحريككم سوء أعمالكم ثم قال المحاسبي رحمه الله — إخواني — هؤلاء عباء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس رسوا في عرض الدنيا ورفضها وآثروها على الآخرة وأدلوها للدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعمو الكريم بقصة . ألا فراقبوا الله إخواني ولا يعرفكم الشيطان وأولياؤه فترحمون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم أموال فترين المعروفون بذكر الصحابة ليعبرهم الناس على جمع المال . ويحك أيها المفتون إن

احتجاجك بمال الصحة مكيدة من الشيطان يتعلق بها على لسانك فتهدك لأنك متى زعمت أن الصحة أرادوا المال للتكاثر والشرف والريثة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم ، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعنى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمدا والمرسلين ، ونسبتهم إلى قبه الرعة في هذا الخبر الذي رعبت فيه أنت وأصحابك ونسبتهم إلى الجبل . ومتى زعمت أن جمع المال احلال أفضل من تركه ، فقد زعمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال (ابن عدي) وقد عذبهم حينئذ ، كدست ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد كان للأمة ماصحاً وعليهم مشيقاً وبها رموا . ومتى زعمت أن جمع المال أفضل ، فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين هم عن جمع المال ، أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم بأن الفصل في جمع كذا أعم بموضع الخبر والفصل من ريب تعالى ، إقلع عن جهتك أيها المفسون ، تدرى مثلك ما دعاك به الشيطان حين ركب لك الاحتجاج بمال الصحة ويحث ما يبعث الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف ، وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يأت في الدنيا إلا قوفاً .

وقد بلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه غير من الذين فضجت المدينة صحة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها ما هذا ؟ قبل غير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فمع ذلك عبد الرحمن فأسأله فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياء ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم . لا عبد الرحمن بن عوف رأيت يدخلها معهم حوفاً) فقال عبد الرحمن إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياء (أحمد) وبه أقاويل كثيرة . ويحك أيها المفتون فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشراه بالجنة أيضاً ؛ يوقف في عرصات القيامة لسبب مال كبه من حلال وأفق منه قصداً وأعطى في سبيل الله سمحاً كريماً منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحسب في آثارهم حيواً . فما ظنك بأهلك العرق في فتن الدنيا . وبعد فالعجب كل العجب

لك يا مفتون تتمتع في تحايط الشهوات وتكالب على أوساخ الناس وتقلب في الشهوات والزينة والمجاهة وتقلب في قس الدبائث تمنح بعد الرحمن وترغم أك إن جمعت المال فقد جمعه الصحة ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والذل في سبيل الله فكسوا حلالاً وأكلوا طيباً وأشفقوا قصدوا وقدموا فصلاً ولم يمنموا منها حقاً ولم سحوا بها لئلا يكسبوا جادوا الله بأكثرها وجاد بعضهم جميعها وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً فبالله أكذلك أنت - لا .

أما أنت فتدحر المال وتجمعه خوفاً من الفقر ؛ وذلك من سوء الطن بالله عز وجل وقلة اليقين بصيانه وكفى بذلك إثماً . وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها ولقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (شرار أمتي الذين عدوا بالنعيم ورثت عليه أجسامهم) (الرار) نعم وعساك تجمع المال للتكاثر وأكلو والفخر والزينة في الدنيا وقد بلغنا أنه من طب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر بنى الله وهو عليه عصب . ويحك كس عبي يقين أن جمع المال حتى لأعمال الر مكر من الشيطان يوقعك بسب الر في اكتساب الشهوات المروجة بالمسحت والحرام .

وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من احقرأ على الشهوات أوشك أن يقع في الحرام) (ق) أي المعرور أما عمت أن حوفك من افتحام الشهوات أعلى وأفضل وأعظم بقدرك عند الله من اكتساب الشهوات وندها في سبيل الله وسبيل الر . فإن رعت أنك أنتي وأورع من أن تنس بالشهوات وإعما تجمع المال برعمك من الحلال للبدل في سب الله ويحك إن كنت كما ترغم بالعا في الورع فلا تنهر من للحساب فإن حير الصحابة حبوا المسألة وبلغنا أن بعض الصحابة قال ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأصقها في طاعة الله ولم يشعلني الكسب عن صلاة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله . قال لأنني غني عن مقام يوم القيامة فيقول : عدي من أين اكتسبت وفي أي شيء أهقت

هؤلاء المسكون كانوا في جدوة الإسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال خوفاً من الحساب وخوفاً من أن يقوم حير المال بشره . والحلال في رماسا مفقود ؛ ومع

ذلك تكاليف على الأوساح ثم ترغم أملك تجمع ائمال من الحلال . ويحك أين الحلال
فجميعه وبعد فهو كل الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند العي قلبك
وقد سمع أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه بحجة أن يفسد قبله
أفمنع أن يكون قلبك أنقى من قلوب الصحابة ولا يزول ولا يتحول عن شيء من
الحق في أمرك وأحوالك ؛ من ضمت ذلك فقد أحسنت لنفسك الأمانة
بالسوء . ويحك إن لك نصيح ؛ أرى لك أن تقنع باليسير . ولا تجمع ائمال لأعمال
البر ولا تعرض لحساب قال عليه السلام (مدح صفايت أبا حريين أجمه قس
أعنيانهم بحجة عامة) (ت)

ولقد سمع أن أبا بكر رضي الله عنه عطش فسبق في شربه من ماء وعين
فيها دافه حقه العسرة ثم سكى ونكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليسلم
وعاد في الكاء ، فلما أكثر الكاء قيل له كل هذا من أجل هذه الشربة قل نعم ، لما
أن ذلك يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منه أحد في اليوم عيرى .
فحين سفع عن نفسه وهو يقبل (يا أيها النبي) فقيل له قد كفى وأبى ؛ ما أرى
بين يديك أحداً فمن تخاطب . فقال (هذه الدنيا) ولما إلى عقبه ورأسها فقات
ما بعد حزن ، فقلت يا أيها النبي ، فقال يا أيها النبي لا ينجو مني من
بعدك ؛ لك فأخاف أن تكون هذه فحقتى نقطعي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم . يا قوم هؤلاء لا خير بكمو حوفاً أن يقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم شربة من حلال . ويحك يا أيها النبي في أروع من سم والكسبهوات من
مكاسب سحت ونسبت ولا تحش رقتناع ؛ فإني قد أعظم جهنم

وبعد فأبى لنا عيش تقوى المسحاة وورعهم ومثل ردهم وحنانهم ، وبين
من حذرهم وحسن باتهم ذهاب ورب العالمين بأمرائهم كتوب وأخطارها ،
وأوقات الخوف وأهمها ؛ وعن قرب يكون لؤلؤهم . فيسعادة لمعين يوم البشور ،
وحرر كبير لأهل التكاثر والادحار يوم لعرض على الملك حملاً قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الرحمن ليغقب في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشاً
على عرقه لصدرت رواء) (أحمد) .

باب في فضيلة الفقر

اعلم أن كل مخلوق فقير لله تعالى لأنه محتاج إلى دوام الوجود، ودوام وجوده مستمد من فضل الله عز وجل، وإلى هذا أشار قوله تعالى (والله الغني وأتم الفقراء) ولنا بقصد ما فقر العبد لله حاجة الديوبه، فإن هذا لا يسخر تحت حصر. وبما معنى فقد المال، فكل من فقد المال فهو فقير بالله ليس الذي فقده وهو محتاج إليه، كالجائع المحتاج إلى أحرر ولعاري العاقد للتوب. أما الزاهد فهو الذي يستوى عنده وجود المال وفقده، فإن وجده لم يفرح به ولم يتأد إن فقده، كحال السيدة عائشة رضي الله عنها إذ آناها مائة ألف درهم من العطاء وأخذتها وفرقتها من يومها، فتألت خادماتها ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لها بدم غلاماً فطر عليه. فماتت لو فكرتني فعلت. تسمى هذه الحالة حالة المستغنى لأنه يرى أن المال في جزائ الله تعالى لا في يده، بخلاف من يفرح بكثرة ماله فهد فقير إلى بقاء المال في يده لا غنى. وقد مدح الله تعالى الفقير فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) وقد تعالى (للمعزاة الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون صرفاً في الأرض) أسبق سبحانه وتعالى الكلام في موضع المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار، وفيه دلالة وصحة على فضيلة الفقر والأحبار الواردة في مدح "فقر أكثر من أن تحصى، منها ما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه (أي أساس خير) فقروا مؤسر من المال يعطى حق الله في نفسه وماله. فقال (نعم الرجل هذا وليس به) قالوا من خير الناس يا رسول الله، قال (فقير يعطى جهده) (نور منصور) وقال عليه الصلاة والسلام (ملق الله فقيراً ولا تلقه غنياً) (ك). وعن أبي رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فلم يجد عنده ما يصححه فأمسك إلى رجل من يهود خيبر وقال (قل له يقول لك محمد أسعنى أو معنى دمية إلى هلال رجب) قال فأنبته فقال لا والله إلا به، فأحبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال (أما والله إنى لأمين في أهل السماء أمين في أهل

الأرض ولو ناعنى أو أسلفنى لأدبت اليه ، اذهب يدعى هذا اليه فارهنه (فلما خرجت زلت هذه الآية) ولا تمد عليك بل ما تمتعته أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيه (الآية ق) وقال عليه الصلاة والسلام (من أصبح منكم معافى في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيرت له الدنيا بحذافيرها) (ق) .

ولمقات أغنياء العرب للنبي صلى الله عليه وسلم احصل لما يؤملهم يوماً ، يحيتون إليك ولا نحيي ، ونحيي إليك ولا يحيتون ؛ يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأنى دروحيات وعمار وأنى هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضى الله عنهم أجمعين ، لأنهم شكوا اليه التآدى برأحتهم وكان لباس لقوم الصوف فتصاعد منه الزوابع في شدة الحر وكره الأغنياء ذلك منهم الأقرب حابس وعينة الفرارى وعباس بن مرداس وغيرهم ، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد ؛ فنزل عليه قوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم) معنى الفقراء (تريد زينة الحياة الدني) يعنى الأغنياء (سنان) واستأب ابن أم مكتوم وكان أعمى على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من أشرف قريش ؛ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى (عسى ونؤبى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله ركى أو يذكر فتسعه الذكرى) يعنى ابن أم مكتوم . (أما من استعنى فاست له تصدى) يعنى هذا الشريف ، هانان الحدثنان تدلانا على عظيم حب الله تعالى للفقراء ، وقال عليه السلام (أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم لأيديهم لهم دولة) قالوا يا رسول الله وما دولتهم ؛ قال (إذا كان يوم القيمة قبل لهم انضروا من أضعمكم كسرة أو سقاكم شرية أو كساكم ثوباً أخذوا بيده ثم أمصوا به في الجنة) ، أرجو من القارىء المحب للنبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته رضوان الله عليهم ؛ أن يتأمل الحديث الآتى كي يفتح بجماله ويرضى عن ربه ، قال عمران بن حصص كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة يقال (يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) قلت نعم فأنى أنت وأبى يا رسول الله ، فقام وقت معه حتى وقف باب فاطمة ففرغ الباب وقال (السلام عليكم أأدخل) فدخلت أأدخل يا رسول الله قال

(أنا ومن معي) قلت ومن معك يا رسول الله؟ قال (عمران) فقدت باطمئني والدي
بعثك بالحق نبياً ماعى إلا عمدة، قال (اصنعى بها كذا وكذا) وأشار يده؛ فقال
هذا جسدى قد وارسته فكيف به أسمى، فالتق اليها ملامة كانت عليه قديمة خلقة ففان
(شدى بها على رأسك) ثم نذرت به ففصح

فقال (السلام عليكم) انت كيف أصبحت؟ قلت أصبحت والله وجمعة ورائدى
وجعاً على ما بي، انى ست أفسر عى صدم كله فقد أصر فى الجوع، فبكى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال (لا خير عى ما انت به فوالله ما دقت طعاماً منذ ثلاث، وان
لا كرم عى الله منك بوسانتى لا طعمنى، وسكى آثرت الآخرة على الدنيا،
ثم ضرب يده عى منكهم وقال لها (أشترى فوالله انت لسيدة نساء أهل الجنة)،
فانت فبين تنبيه امرأه فرعون ومريم بنت عمران، قال (تنبه سيدة نساء علمهم يوم
سيدة نساء علمهم وأنت سيدة نساء علمك، تسكن فى موت من فصب لا أدى فيها
ولا صاحب ولا نص) ثم قال لها (فدى بلس علمك فوالله لقد رزقتك سيداً فى
الدين سيداً فى الآخرة) (أحمد) و(ط) من حديث معقل بن يسار وفيه (أما نرضى
أن رزقتك فدى أنتى سلباً وأكثرهم علماً وأعظمهم حياءً) واستدده صحيح، وقال
ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حصن الأنصار
بجعل يلتقط من القم وبأكل، فقال (باس سر مالك لا تأكل) فقلت يا رسول الله
لا أشتهي فقال (سكى أشتهي وهذا أصبح رافعهم أدق طعاماً ولم أحده ولو سألت ربي
لأعطينى من فبصر وكسرى، فكيف لك يا ابن عمر إذا أقيمت فى قوم يحشون
رفق ستمهم ويضعف يقين فى قلوبهم) قال فوالله ما رزقنا ولا قنا حتى رزق
(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإنا نكم وهو السميع العليم) قال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله لم يترككم بكثر المال ولا بالناسع للشهوات،
من كثر دنس يده بها حياء فنية يربح به الله؛ ولا ورى لا أكثر ديناراً ولا
درهما ولا أحمى رزقاً بعد (ن) فتأمن ما كان عليه نبيك صلى الله عليه وسلم وأوصى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها فقال لها (إن أردت اللحق فى
فعلك بعيش الفقراء وإياك ومحاسبة الأغنياء ولا تزعجى درعك حتى ترقيع) (ت)

وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بمشرة آلاف درهم فأنى عليه أن يقبلها فأخ عليه
الرجل فقال له إبراهيم : أتريد أن أحمي إسمي من ديوان الفقراء بمشرة آلاف درهم
لا أفعل ذلك أبداً . وقال بعض الحكماء تغليب الأموال يحص حلاوة الإيمان .
وقال سفيان رحمه الله تعالى اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء
اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وحرمة الحساب واختار الأغنياء تعب
النفس وشغل القلب وشدة الحساب
وفي هذا القدر كفاية لأولى الألباب - أغناها الله وإياكم ما بقية

باب في آداب الفقير في فقره

إعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومحالطته وأفعاله يسمى عليه أن يراعي :
فأما أدب باطنه فلا يكون فيه كراهية لم ابتلاه الله تعالى به من الفقر ؛ أعنى أنه
لا يكون كارهاً فعل الله تعالى وإن كان كارهاً للفقر ذاته ؛ وهذه أقل الدرجات وهو
الواحب على كل عبد ؛ وعبر ذلك حرام ومحبط لثواب الفقير . وهو معنى قوله صلى
الله عليه وسلم (يا معشر الفقراء أعطوا الله لرب من قلوبكم تطروا ثواب فقركم
ولا فلا) (أبو منصور الديلمي) وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر نفسه بل
يكون راضياً به . أما الدرجة العليا أن يكون العبد طالماً للفقر وفرحاً به لعمه
عصار لمن ومضيلة الفقير ؛ ويكون كارهاً للريادة على تكشاف . قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (اللهم جعل قوت أهل محمد كفاً) (م) وقال عليه السلام
(طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفاً) (م)

فينبغي على العبد متى عرف ذلك أن يكون قائماً بفقره ومتأدماً في حبه الفقير .
قال علي كرم الله وجهه إن الله تعالى عقوبات الفقير ومثوباته بالفقر ؛ فمن علامات
الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عيبه حقيقه ويضيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله
سبحانه وتعالى على فقره . ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه حقيقه ويعصي
ربه بترك ضاعته ويكثر شكايته ويسخط لقضاء . وهذا يدل على أن الفقير لا يكون
محموداً إلا إذا لم ينسخط صاحبه ويرضى ويعرج به لعمه بشعره - أما أدب ظاهره

الفقير فينبغي أن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى بل يستر فقره أمام الناس قال الله تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أما العيال) (هـ) وأما أدبه في المعاملة فلا يتواضع لعنى لأجل غناه بل يتكبر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع العنى للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تبه الفقير على العنى ثقة بالله عز وجل . وأما أدبه في أعماله فانه لا يفتر عن العبادة بسبب فقره ؛ ولا يمنع أن يتصدق بقليل ما يفضل عنده فان ذلك جهد المقن وفصله أكثر من أموال كثيرة يتصدق بها العنى . روى ريد ابن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم) قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال (أخرج رجل من عمره ماله ألف درهم فتصدق بها ؛ وأخرج رجل درهما من درهمن لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف) (ن) ويدعى أن لا بدخر مالا بل يأخذ قدر حاجته ويخرج الباقي والله أعلم

باب في فوائد المال

كلنا نعرف أن المال له فوائد وهذه الفوائد تنقسم إلى دينية ودينية . أما الدينية فلا حاجة إلى ذكرها لأنها معروفة للجميع . وأما الدينية فتتضمن في ثلاث أنواع الأول — أن يتفقه على نفسه في عبادة الله تعالى أو في الإستعانة على العبادة . مثل أداء فريضة الحج والإيفاق في المطعم والملبس والسكن والزواج وما في ضروريات الحياة لأن هذه الأشياء إذا لم تبسر للعبد كل فيه مشغولا بها فلا يتفرغ لعبادة ، لذلك شدد على الأغنياء تبسر أسباب المعيشة لديهم . الثاني — ما يصرفه على الناس وهو أربعة أقسام . الصدقة والمروءة ووقية العرض . أجره الاستخدام . أما الصدقة فلا ينبغي ثوابها ويدخل فيها ما يعفقه الرجل على أولاده وأهل بيته . وأما المروءة فهي صرف المال إلى غير الفقراء وهي الصيافة والهدايا التي تقسم إلى الأحباب والآقارب والعطاء وغيرهم وكذا الأعانات التي تبدل في أمور تعود فائدتها على غير الفقراء ؛ فهذا كله من العوائد الدينية ، ويعظم ثوابه عند الله تعالى — وأما وقاية

العرض فتعني بها إعطاء المال لدفع هجو الشعراء وانقاء السنة السفهاء ودفع شرم وهذا أيضاً من الفوائد الدينية ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما وُقي به المرء عرضه كتب له به صدقة) (أبو يعلى) . وأما اتفاق المال في أجور الاستخدام فهو حلال لأن العبد محتاج إلى من يهيئ له أسباب معيشته ؛ إذ لو تولاهما بنفسه لتمذر عليه أداء الفرائض في أوقاتها - ولكن الذي لا مال عنده يضطر لخدمة نفسه بنفسه (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) . الثالث - إفاق المال في الخيرات العامة التي لا تقتصر فائدها على شخص معين ؛ كبناء المساجد وتعميرها ؛ وتعميد الطرق وإنشاء القنابر وبناء المستشفيات ودور التعليم ودور تحميط القرآن والملاجئ والاتفاق عليها ؛ وغير ذلك من الأوقاف المحصنة للخيرات والمنافع العامة - هذه هي فوائد المال لمن تأمل واستبصر .

أما صرف المال في بناء الدور للزينة والتفاخر فإليك بياه

باب فيما ورد عن بناء الدور من الأخبار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أراد الله بعبد خيراً ما ألقى إليه البنيان) (طبر) . وعن أبي العباس أن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (إهدمها) فقال أهدمها أو أتصدق شتمها ؟ قال (إهدمها) (ذو طبر) . وعن حار قال ، قال رسو الله صلى الله عليه وسلم (كل معروف صدقة وما ألقى الرجل على أهله كتب له صدقة ؛ وما وُقي به المرء عرضه كتب له به صدقة . وما ألقى المؤمن من نفقة فإن حلتها على الله والله صامس . إلا ما كان في بيان أو معصية) (ك) وقال عليه السلام (النفقة كلها في سبيل الله ، إلا الباء فلا خير فيه) (ت) وقال عليه السلام (يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا في التراب) أو قال (في البناء) (ت) ومنقرأ أن تناول البناء من أمارات السعة .

باب في حكمة خلق الدراهم

اعلم أن لكل شئ في الوجود غرضاً أحق من أجله على أن لا يعمل في غيره . فقد خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا وما فيها كي يستعين الحق بها على الوصول إليه

تعالى ، ولا وصول إليه إلا بالعادة والذكر ، ولا تحصل العباداة والذكر إلا بدوام صحة
البدن ؛ ولا يبقى البدن صحيحاً إلا بالغذاء ؛ ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء
ولا يتم ذلك إلا بخلق الأرض والسماء وحلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً ؛ فكل
ذلك لأجل البدن ، والبدن مطية القلب ، والقلب هو المطالب أمام الله تعالى بحسن
العبادة ودوام الذكر . فذلك قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)
فكل من استعمل شيئاً من متاع الدنيا في غير طاعة الله تعالى فقد كفر نعمة الله فيه .
ومن نعم الله تعالى أن خلق الدرهم والدينير وهما حيران لا منفعة في ذاتهما
والإنسان يحتاج الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان يحتاج إلى أشياء كثيرة في مطعمه
ومسكنه وسائر حاجاته ، ولا يثبث وجود جميع ما يحتاجه الإنسان عنده ، بل لابد
أن يحتاج إلى أشياء في الوقت الذي يملك فيه أشياء غير محتاج إليها ؛ كمن يملك
الغلال وهو محتاج إلى جمل ؛ أو يملك الحن ويحتاج إلى كسوة ؛ فلا يمكن حصول
الإنسان على ما يحتاجه واستغنائه عما هو غير محتاج إليه ، لابد من وجود تحكم يحكم
بين جميع الأشياء باعادل ؛ ويضع لكل منهما رتبة ويثبت قيمته ؛ لأن صاحب الحن
لا يستغنى عن جملة بمقدار من الغلال ؛ وبذلك حقق الله تعالى الدينير والدرهم
حاکمین ومتوسطین بين سائر الأشياء . وبين هذا أهل يساوي حمسين ديناراً ؛
وهذا القدر من الغلال يساوي عشرين ديناراً ؛ وبأحد صاحب حمل كمية الغلال
وثلاثين ديناراً من صاحبها ؛ وبذلك المعامضة بينهما . وهكذا في سائر الأشياء ؛
وعلى ذلك فكل من استعملهما في غير هذا فقد خالف حكمة خلقهما وذن ذنوراً شنيعاً
الله بهما ؛ ومن كفرهما فقد طيهما ونقض حكمة الله بهما ؛ لأنهما لم يخلقا لرب من لهما
خاصة حتى يحجرهما تحت يده . وذلك هي الله تعالى عن كفرهما وقت (ولعل
يكنزون ذهب وانفصه ولا ينفقوها في سبيل الله فشرهم بعدا أليم) وكذا من
انخدع من الذهب ونقصه آتية فقد كفر "نعمته" بغيره ؛ لأن أسوأ حالاً من كفر ، لأن
أنواع الخرف والجناس وغيرهما يمكن استعمالها في صناعات الأواني ولكن لا تستعمل
في عرض التداول وانتظام التعامل كما سبق ، فمن رأى عين صغيرة أو ثمل إلى هذه
الحكم لباعة وجد أن من شرب في آتية من ذهب أو فضة مكثراً يجرى في بطنه

نار جهنم كما في الحديث ، وأيضاً كل من أخذ الربا فقد كفر العمة في الدرهم والدنانير وظلماً لأنه قد اتخذهما تجارة يتشجر في ذاتهما وهو مخالف للحكمة الإلهية التي حُصِفَ لها وهذا حرام .

باب في عقوبة استعمال أو أواني الذهب والفضة

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الذى يشرب في آنية الفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم) رواه البخارى ومسلم ، وفي رواية لمسلم (إن الذى يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم) وقال عليه السلام (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم في الدنيا ولهم في الآخرة) (في) وقال عليه السلام (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة) ثم قال (لاس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة) (ك) .

باب في فوائد العزلة وآدابها

فوائد العزلة تنقسم إلى قسمين دنية ودنيوية ؛ فالدينية عبارة عن تفكير من القيم ، لطاعات والمواظبة على العبادات . وأما الدنيوية فهي تمكن الإنسان من القيام بعمله - والذي يهمها هو القوت الدنيوية . قال ابن عطاء الله السكندرى - ما ينفع القلب مثل عرلة يدحس فيها ميدان فكرة . ومعنى ذلك أن العرلة هي أفراد القلب بالله تعالى ؛ ويراد بها الخوة التي هي أفراد الجسم عن الناس ؛ لأنه لا ينعزل القلب إلا إذا انفرد الجسم بقول لا شيء أنفع للقلب من عرلة مصحوبة بفكرة لأن العرلة كاحية والفكرة كالدواء فلا ينفع الدواء من غير حية ، ولا فائدة في الحية من غير دواء . فكذلك لا خير في عرلة لا فكرة فيها ولا هو من لفكرة لا عزلة معها . فالقصد من العرلة هو ممرع القلب من المشاعر الدنيوية والمقصود ؛ من التفرغ هو سحور لأن القلب في الفكر وتحصيل العلم وتمكنه من القلب ؛ وفي هذا دوائه وفيه شفاؤه وغاية صحته ؛ وهو الذى سماه الله القلب السليم ؛ قال الله تعالى في شأن القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) فالقلب مثل

المعدة إذا قويت عليها الأحلاط مرضت ولا تنفعها إلا الحية ؛ وهي منع وصول المواد إليها ؛ وكذلك القلب إذا تراكت عليه الخواطر واستحوذت عليه الشهوات مرض وربما مات ؛ ولا ينفعه في هذه الحالة إلا الحية وهي العزلة والفرار من مواطن الشهوات . وأعلم أن في العزلة فوائد — منها السلامة من آفات اللسان ؛ فإن الإنسان إذا كان وحده لا يجد من يتكلم معه ، وحفظ البصر والسلامة من آفات البصر ؛ وحفظ القلب وصيانته عن الرياء والمداينة وغيرهما ؛ قال بعض الحكماء — من حاط الناس فقد داراهم ؛ ومن داراهم فقد رآهم ومن رآهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا — والسلامة من صحة الأشرار ومحاطة الأردال ، لأن في محاطتهم فسادا عظيما وخطرا جسيما والفرع للعبادة والذكر ، ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ للعبادة وتمكن من الإصلاح على الكتب الدينية وتحصيل ما ينفعه منها وهذا لا يتأتى في الخلطة

والتفكير أيضاً من التفكير في خلق السموات والأرض وهو المقصود الأعظم من الخلوة ؛ لأن التفكير هذا حير العبادات فهذه بعض فوائد العزلة . ويوصى بها إخوانا المسلمين ففيها الخير كله خصوصاً في هذا الزمن الذي لا يجد الإنسان فيه على الخير أعواناً أما آداب العزلة فهو أن ينوي بها كيف أداه عن الناس وطلب السلامة من شر الأشرار والتجرد بكل همته لعبادة الله ، وليعمل على عدم إكثار زيارة الناس له حتى لا يصيب وقته في مقابلتهم ، وكيف عن السؤال عن أخبار الخلق ولا يصحى إلى أراجيف اللذات ما دام لا يعنيه من هذه الأحار شيء ، فإن كل ذلك ينعرس في القلب فينبعث أثناء الصلاة ، وأهم شيء للمعتزل قطع الوسوس الصارفة عن ذكر الله ، والأخبار التي يوردها عليك الزائرون يتابع الوسوس وأصولها ، وليتحمّل أذى جيرانه ولا يصحى لما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة ، وليكن له زوجة صالحة أو جليس صالح يستريح إليه ويأنس به في عزلته .

باب في فوائد المخالطة

قد بينا في الباب السابق بعض فوائد العزلة وآدابها ، ونرى هنا إن شاء الله تعالى فوائد المخالطة

إعلم أن من الأغراض الدينية والديوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ؛ وكل ما تتحصل عليه بالمخالطة يصح بالعرلة ، وعلى ذلك فالمخالطة أيضاً لها فوائد .

منها - التعليم والتعلم - وهما أعظم العبادات في الدنيا فالاحتياج إلى التعلم ليصح عبادته عاص بالعرلة . أما إذا تعلم الفرص واشتغل بالعبادة إذا لم يقدر على التبحر في تحصيل علوم الشرع فالعرلة خير له . أما إذا استطاع التبحر في العلوم واقتصر على تعلم الفرائض ، والعرلة في حقه غاية الخسران . وعلى ذلك فاحتمل والموامنين يحسون لعادة ولا يعرفون جميع ما يلزمهم فيها فلا خير في اعتزالهم . فكما أن المريض يحتاج إلى طبيب يعالجه ويلطف ألمه ؛ كذلك القلب المريض يحتاج إذا خلا بنفسه واستغنى عن العالم يرد دلاً بحالة مرضه .

أما التعليم فيه ثواب عظيم من صحته للمعلم والمتعلم .

ومما النفع - والاشتغال - أما الاشتغال بالناس فبالكسب والمعاشة ، ولا يتأتى ذلك إلا بالمخالطة ؛ واحتياج إلى قوته مضطر لترك العرلة . أما إذا كان لديه ما يعينه عن الناس وقع به فالعرلة أفضل ؛ لا سيما إذا رأى أن المكاسب لا تتأتى إلا من طرق المعاصي والخروج عن حدود الشرع - وأما النفع فهو أن يصح الناس إما ماله أو سده ؛ يقوم بحاجتهم لأن السعي في قضاء حوائج المسلمين له ثواب عظيم ؛ وهو أفضل من العرلة . من ومن الاشتغال بالنوافل . أما من فتح الله عليه بدوام ذكر أو فكر فالعرلة أفضل ؛ لأن مثل هذه العبادات لا يعدلها شيء البتة .

ومما - التأديب والتأديب - ونعني بالتأديب رياضة النفس في تحمل أدى الخلق وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق الدين لم تهدب أخلاقهم ولم تدع لحدود الشرع نفوسهم . أما التأديب فهو أن يروى عن غيره . وهو حال الشيخ الصادق مع مرديه . فإنه لا يقدر على تهديهم إلا بالمخالطة لخاله كحال المعلم والطبيب والواعظ .

ومنها - بين الثواب وإيائته - أما التثليل فيحضور الجنائز وعبادة المرضى . وأما إيائته فهو أن يفتح باب داره لتعوده الناس وخاصة إذا كان من العلماء فينتفعوا بزيارته ؛ ولكن ينبغي أن تغفل ثواب هذه المخالطة بأفانها . فقد حكى عن جماعة

من السلف امثال مالك وغيرهم أنهم تركوا إجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز وتواروا في بيوتهم لا يخرجون منها إلا للصلاة الجمعة أو زيارة القصور للاعتبار؛ وهذا ما يجب أن يتمسك به كل مسلم يحافظ على دينه، لأن أهل هذا الزمن لا يعيرون على الخير.

ومنها - التجارب فلا تستفد إلا من مخالطة الخلق والنظر إلى أحوالهم، لأن العقل العريضي ليس كاف في تفهم مصالح الدين والدنيا؛ وإنما تفهده التجربة والممارسة. ولا خير في عزلة من لم تحكه التجارب؛ فالصبي إذا اعتزل بقى طول حياته جاهلاً. فتعمت العزلة إذا كانت وليدة التجارب؛ ونعمت التجارب إذا أنتجت العزلة؛ وهذه حالت والحمد لله فقد هدينا للعزلة بعد طول التجارب فسأل الله السلامة فيها. وعلى كل فوائد العزلة أو ضررها وفوائد المخالطة أو ضررها لا يمكن الحكم عليه حكماً قاطعاً، بل يسمى أن ينتظر إلى الشخص وحاله وإلى الخيط وحاله وإلى الساعث إلى مخالطته؛ وكل إنسان أهدى بنفسه؛ فإن فائدة فائدة بالعزلة تخرج للاستفادة، وإن صيحت عليه المخالطة وقتاً كان هو أحوح إليه ليقبض في العادة أو في أي أمر يتعلق بالدين كانت العزلة أفضل وقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في ذلك هو فصل الخطاب إذ قال - يا بوس الانقياص عن الناس مكسة للعداوة؛ والانساط إليهم مجلبة لقرناء السوء؛ ممكن بين المقص والممنعط - ولذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة بحيث تكون المخالطة في مرصاة الله تعالى والاستفادة؛ واللغو واللعب فإننا لم نخلق لداك، ونكون العزلة لاكتساب الوقت للتفكير والمادة ودراسة العلم وهو ما خلقنا له، وعلى احملة تفصيل أحد الأمرين يتوقف على المرء نفسه بعد أن عرف ذلك، ومن تفهده العزلة أو المخالطة أو هما معاً بحسب ما غلب على قلبه.

باب في معنى الأخوة في الله تعالى

إعلم أن الحب في الله عامص، ولتكشف ذلك بقول، الصلحة تنقسم إلى ما يقع مصادقة، كالصلحية بسبب الجوار والاجتماع في مكتب أو في مدرسة أو في سفر أو في سوق وغير ذلك؛ وإلى ما يقع اختياراً وبقصد وهو الذي يريد بيباه، لأن الحب

في الله يقع في هذا القسم ، والحب إما أن يكون لذات المحبوب أو لعرص الوصول إلى مقصود آخر ؛ وهذا المقصود إما أن يكون غرض من أغراض الدنيا ، وإما أن يكون متعلقاً بالله . فهذه أربعة أقسام :

القسم الأول - وهو الحب لذات الشخص . إما أن يكون لذات الصورة الظاهرة أعني جمال الخفة ، وإما أن يكون للصورة الباطنة ، أعني حسن الحلق وكمال العقل ؛ بل إن في اتلاف القلوب أمراً أغمض من هذا لأنه قد تتحكم المودة بين شخصين لا لجمال الصورة ولا لحسن الحلق ، ولكن لماسة باطنية ، لأن شبه الشيء منجذب إليه طعماً ، وقد عبر عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) (م) وقوله عليه السلام (إن أراح المؤمن ليتقيا على مسيره يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط) (احمد) .
القسم الثاني - وهو أن يحب الشخص ليتوصل بهذا الحب إلى غرض آخر ؛ فإن كان هذا الغرض حاصاً بالدنيا لم يكن حبه لله وهذا لا يكون إلا من شخص إيمانه ضعيف لأن هذا الحب مفهوم .

القسم الثالث - وهو أن يحب الشخص ليتوصل إلى عرص آخر أيضاً ولكن هذا العرص يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهو حب لله تعالى وهو محمود .
القسم الرابع - هو أن يحب الشخص لله وفي الله لا لباله عرصاً من الأعراف وهذا أدق صروب المحبة وأعلاها وهو من الإيمان بالله عز وجل .

واعلم أن الألفة والمحبة ثمرة حسن الحلق ، ولتفرق ثمرة سوء الحلق ، فحسن الحلق يشعر لتحبات والتألف والتوافق ، وسوء الحلق يشعر بالتباغض والتحاسد والتجادل ؛ وليس هذا من صعاة المؤمنين ، قال عليه الصلاة والسلام (المؤمن أليف مألوف ، ولا حبر فيمن لا بألف ولا يتوافق) (احمد وطب) وقال عليه السلام (من أخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها شيء من عمله) (ابن أبي الدنيا) وقال عليه السلام (ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر ، يصرع الناس وهم لا يفزعون ، ويخاف الناس وهم لا يخافون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (قبل من هم يارسول الله : قال (هم المحتابون في الله تعالى) (احمدوك) .

وقال عليه السلام (ما تحابا اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه) (حب و ك) وقال عليه السلام (إن الله تعالى يقول) (حقت محبتي للدين بترأرون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ؛ وحقت محبتي للذين يتبادلون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي) (أحمد) وقال عليه السلام (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) (ق) وذكر منهم (رحلان تحابا في الله اجتماعاً على ذلك و تفرقا عليه) وقال عليه السلام (إن رجلاً زار أحاً في الله فأرصد الله له ملكاً ؛ فقال أين تريد ؛ قال أريد أن أروى أحى فلاقاً ؛ فقال لحاجة لك عنده ؛ قال لا ؛ قال لقرانه بيتك وبينه ؛ قال لا ؛ قال فتعنة له عندك ، قال لا ؛ قال فبم ، قال أحبه في الله قال فإن الله أرسى رجليك بحرك أنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة) (م) وروى أن عيسى عليه السلام قال نحبوا إلى الله يفيض أهل المعاصي ، وتقربوا إليه بالتساعده منهم ؛ والتسوا رصا الله يحطهم — قالوا يا روح الله من تحالس ، قال — حالسوا من تذكركم الله رؤيته ، ومن يزد في أعمالكم كلامه ، ومن يرعبكم في الآخرة عملته — وقال ابن عطاء الله السكندري في حكمه — لا تصحب من لا يهتف حاله ؛ ولا يدللك على الله مقاله — وعلى أخيه فكل من أحب عالماً لينتفع منه أو عابداً للاقتداء به في العادة أو لينال على يديه حيراً بقرنه من الله تعالى لحبه لله وله فيه أحر . والله أعلم

باب في حقوق الأخوة والصحبة

إعلم أن عقد الأخوة بين الإخوان ؛ كعقد النكاح بين الأزواج . وكما للنكاح حقوق ؛ كذلك للأخوة حقوق . ويجمعها سبعة حقوق .
الحق الأول . هو أن الأخوة لا تتم إلا إذا توافقا في مقصد واحد ؛ وعلامة هذا ، المساهمة في السراء والضراء ؛ والمشاركة في المال والحال سواء المشاركة في المال ثلاث مراتب . الأولى وهي الأدنى أن تجمعهم كتاب لك فتقوم بحاجته هو وعياله من فضلة مالك قبل أن يسألك . الثانية أن تتركه منزلة نفسك وتسمح له بمشاركته في مالك دون غصاصة ولا صجر . الثالثة وهي العليا أن تفضله عن نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهي رتبة الصديقين ؛ ومنتهى درجة المحبين . وإذا لم تصادف نفسك حالة

من هذه الحالات مع أجبك ؛ فاعلم أن عقد الأخوة لم يتعد في الباطن ، وإن كان بينكما مخالطة في الطاهر لا وقع لها في الدين . واليك بعض أمثلة للسلف في الأخوة . قال سليمان الداراني لو أن الدنيا كلها لي ففعلتها في فم أخ من أحوافى لاستقلت بها له . وقال أيضاً إنى لألقم أحاً من إخواني لقمة فأجد طعمها في حلقى . ولما كان الاتفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء . قال على رضى الله عنه سَمِعُوا رُوِيَ عَنْهُمَا أَعْطَاهَا أَحَى فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَنْصُقَ مِنْهُ دِرْهَمَ عَنِ الْمَسْكِينِ . وَقَدْ أَيْضاً لِأَنْ أَصْنَعَ صَاعاً مِنْ طَعَامٍ وَأُجْمَعَ عَلَيْهِ إِخْوَانٌ فِي اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَقَ رِقَبَةً

الحق الثاني - أن يعين صاحبه ويسعى في قضاء مصالحه لشخصه قبل أن يسأله

ويقدمها على حاجته الخاصة مع إظهار البشاشة والسرور

الحق الثالث - أن يسكت عن ذكر عيوبه في عينه ويتجاهل عن ذلك ولا يباغضه ولا يجادل ولا يتجسس عن أحواله ، ولا يذم أحيائه وأهله وأقربيه ولا يتكلم معه إلا إذا كان لأمر بمعروف أو نهي عن منكر

الحق الرابع - أن يعفو عن المقوقات والزلزلات التي تقع منه . وهفوة الصديق إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الأخوة ، أما ما يكون في الدين بارتكاب معصية والاصرار عليها فعليك أن تنصحه بلطف بما يصلح حاله وتقل عذره إذا اعتذر إليك . و عليه الصلاة والسلام (من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إنهم صاحب المكس) (هـ)

الحق الخامس - الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل مانحة لنفسك ولاهلك ، ولا تفرق بين نفسك وبينه ؛ فإن دعاءك له دعاء لنفسك بالتحقيق . قال عليه السلام (إذا دعا الرجل لأخيه في طهر القبر ، قال الملك ولك مثل ذلك) (م) .

الحق السادس - الثبات على الحب ودوامه إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه ؛ فإن الحب إنما يراود للآخرة . فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي . روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم مجبوراً دخلت عليه ، فقيل له في ذلك ، فقال (إنها كانت تأتينني أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين) (ك) .

الحق السابع - عدم التكليف بأن يكلف أحاه ما يشق عليه سواء في مال أو في

جاء بأن يكلفه التواضع له . وعلى الخلة مواجب الأخوة أن تكون لله تعالى تبركا
بدعائه واستئناسا بلفظاته واستعانة به على دينه وتقرب إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه
وتحمل مؤنته . قيل في المثل - من سقطت كلفته دامت ألفته . ومن خفت مؤنته
دامت مودته . والله أعلم .

باب في فضيلة الحلم

الحلم أفضل من كظم العيظ ؛ لأن كظم العيظ عبارة عن نكف الحلم ؛ ولا يحتاج
إلى كظم العيظ إلا من هاج غيظه ؛ ويحتاج فيه إلى معاهدة شديدة ، ولكن إذا تعود
مدة من الزمن صار ذلك اعتياداً ؛ فلا يهيج العيظ عنده وإن هاج فلا يكون في كظمه
عيب ، وهذا هو الحلم الطيبي ؛ وهو دلالة على كمال العقل وانكسار قوة العصب
وحصوعها للعقل قال عليه السلام (حسنٌ من سُئِن المرسلين الجبَّاء والحلم والحجامة
والسواك والتعطر) (ت) وقال عليه السلام (إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى
مباد أين أهل العصب . فيقوم ناس وهم يسير ؛ فيصنقون سراعاً إلى الجنة فتتقام
الملائكة يقولون لهم إنا نراكم سراعاً إلى الجنة ؛ فيقولون نحن أهل العصب ؛ فيقولون
لهم ما كان صدكم ، فيقولون كما إذا طلب صرنا ، وإذا أسيء إلينا عفونا .
وإذا خُبل عيباً حلماً ، فيقال لهم أذهبوا الجنة فنعم أحر العاملين) (هـ) وقال
على كرم الله وجهه ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك
ويعظم حبك وأن لا تنباهي الناس عبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا
أسأت استغفرت الله تعالى .

باب في فضيلة العفو

العفو هو أن العبد يستحق حقاً عند آخر فيبسطه ويرأ عنه وهو غير الحلم
وكظم العيظ قال الله تعالى (حُدِّ الْعُصُورُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأُعْرِضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ)
وقال عز وجل (وَأَنْ تَعْمُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) وقال عليه الصلاة والسلام (ثلاث
واللهي يغفرني يده إن كنت لخالعاً عليهن ، ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ،
ولا عمار رجل عن مطلته يبتغي بها وجه الله إلا راده الله بها عراً يوم القيامة ، ولا فتح

رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب قمر) (ت) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء ، وروح من الخوار العين حيث شاء ، من أدنى ديتاً خفياً ، وقرأ دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات ، وعفا عن قاتله) (طب) قال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله ، قال (أو إحداهن) (طب) .

باب فى فضيلة الرقيق

اعلم أن الرقيق محمود وضده العنف والخذة فالعنف نتيجة العصب والرقيق نتيجة حسن الخلق ، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة لعصب ، وقوة الشهوة ، وحفظهما على حد الاعتدال ، ولأجل هذا أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على لريق وبائع فيه ، فقال (يا عائشة إن من أعطى حظه من الرقيق فقد أعطى حظه من حبيب الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرقيق فقد حرم حظه من حبيب الدنيا والآخرة) (أحمد) وفى الصحيحين (يا عائشة إن الله يحب لريق فى الأمر كله) . وهل عليه السلام (أيا وال ولى وريق ولى ، فبق الله تعالى به يوم القيامة) (م) وقالت عائشة رضى الله عنها إنها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر على مبر صعب خدمت نصرته بمساً وشتم لا تقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا عائشة عليك مارقيق فيه لا يدخلى فى شيء إلا رآه ولا يبرع من شيء إلا شانه) (م) .

وفضيلة الشفقة والرمة و ترغيب فيهما

قال عليه "صلاة السلام" (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) (ق) وقال عليه السلام (لى تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا "رسول الله كفار حريم" قال (رمة ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة العامة) (ص)

وقال عليه السلام (من من من م يوم الكبر ويرحمه نصبر وبأمر بالمعروف وبه عن أمك) (أحمد و ت) وقال عليه السلام (لا يبرح لرحمة إلا من شقى) (د) وقال رح لرسول الله على الله عليه وسلم إن لا رحم نشاء أن أدبحها ، فقال (إن رحمها رحمتك) (ك) وقال عليه سلام (من قتل عصعوراً عبثاً عجز إلى الله

يوم القيامة يقول يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة (ن و حب) وعن
 ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى
 قرية ثم قد حرقناها فقال (من حرق هذه) فلما نحن قال (إنه لا ينبغي أن يعذب
 بالنار إلا رب النار) (د) وعن عداة بن جعفر رضي الله عنهما قال أردفني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حطبه ذات يوم فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً
 من الناس ، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفاً أو
 حايث نخل قد حل حائطاً لرجل من الأصار فإذا فيه جل فلما رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم حياً ودرفت عبناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح دقراه
 فسكت فقال (من رب هذا اجل ، من هذا اجل) فجاء فتى من الأصار فقال
 لي يا رسول الله ، فقال (أفلا تتق الله في هذه البهيمة التي ملأها الله إياها فإنه شكا
 إليَّ أنك تجبهه وتدنيه) (احمد و د) - تدنيه . أي تدبمه بكثرة العمل .

وقال عليه السلام (عدت امرأة في هرة سحنتها حتى ماتت لاهي أطعمتها وسقنها
 لاهي حسنها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) (ح وعبره) خشاش
 الأرض أي حشرات الأرض . وقال عليه السلام (ما حقت عن خادمك في عمله
 كان لك أحرأ في مواريتك) (حب) وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 إن خادمي يسء ويظلم أفأصربه ، قال (تعفو عنه كل يوم سبعين مرة) (ت) وقال
 عليه السلام (من ضرب سوطاً طياً اقتصر منه يوم القيامة) (ط و البرار) وهي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوسم في الوجه والصرب في الوجه (ط و البرار)
 إلى رحمة نبيك صلى الله عليه وسلم وشفقته بالحقوق . فليكن أن تتبع تعاليمه لتكون
 في زمرة .

باب في بيان السبب المانع للخلق عن معرفة الله عز وجل

إعلم أن أظهر الموحودات وأجلاها هو الله تعالى ؛ وكان هذا يقتضي أن تكون
 معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام ، وأسهبها على العقول ، ولكنك ترى الأمر
 بصد ذلك ؛ للأسباب التي تراها فيما بعد . وحيث أن لا يفهم معنى أن الله تعالى أظهر

الموجودات وأجلها إلا بمثال يقرب إلى الأدعان فهم هذا المعنى . فهو أننا إذا رأينا إنساناً يكتب مثلاً فوجدناه عندنا ظاهر واضح بسبب قدرته وقوله للكتابة التي نراه يكتبها ، فليس أمامنا دليل على حياة هذا الكاتب وصفاته الطاهرة إلا ما يكتبه فعلاً فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سوى هذه الكتابة لم نستدل على وجود الكاتب ، فحينئذ ليس على وجوده دليل إلا هذا الدليل الواحد فقط .

أما وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته ، فيشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الطاهرة والباطنة ؛ من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وغير ذلك ، بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا . وأوصافنا وتغير أحوالنا ونقلب قلوبنا وتفاوت عقولنا وحركاتنا وسكناتنا ؛ وأظهر الأشياء في علنا أنفسنا ؛ ثم مانعنا بالحواس الخمس ؛ ثم ما ندركه بالعقل والبصر . وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ، وجميع ما في العالم شواهد ماطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصورها ومحركها ، ودالة على علمه تعالى وقدرته ولطفه وحكمته .

وعلى الخلة فالموجودات المدركة لا حصر لها . فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو حركة يده فكيف لا يظهر عندنا من كانت الموجودات كلها شاهدة عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فاعلاتنا دليلاً على حالها أنه ليس وحدها بنفسها ولا حركتها بذاتها وإنما تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك ألا تتركب أعصاناً وانتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومناات شعورنا وتشكل أجزائنا الطاهرة والباطنة فإننا نعلم أنها لم تألف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها .

ولكن لما لم يبق في الوجود شيء محسوس ومعقول ، وحاصر وغائب ، إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره ، فابهرت العقول ودهشت عن إدراكه ، ولذلك سببان ، أحدهما خفاؤه في نفسه وغوصه ، والآخر ما يتناهى وصوحه ، ومثال هذا الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار ، لا الخفاء النهار واستناره ، لكن لشدة ظهوره ، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت ، فتكون قوة ظهور النور مع

ضعف بصر الخفاش سبباً لامتناع أبصاره ، فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف . فكذلك عقولنا ضعيفة ، وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراف والإسفارة ، وفي غاية الاستعراق والشمول ، حتى لم يثد عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض ، فصار ظهوره سبب حفظه ، فسبحان من احتجب بإشراق بوره ، واخفى عن البصائر والأنصار بظهوره .

فأله تعالى هو أظهر الأمور ، ووه ظهرت الأشياء كلها . فلو كان له عدم أو غيبة أو تغير لاهدمت السموات والأرض . وبطل الملك والمسكوت ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره . لأن ذلك الفرق بين الشئيين في الدلالة . ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ، ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا يجرم أورثت شدة الظهور حده . فهذا هو السبب في قصور الأفهام . وأما من قويت بصيرته فلا يرى إلا الله تعالى ، ولا يعرف غيره ، فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ، ويدخل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وشمس وقر وحيوان وشجر . من ينظر فيه من حيث أنه تسع أو واحد الحق . فكل العلم صبح الله تعالى ، من ينظر فيه من حيث أنه فعل الله ، وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحد من حيث أنه فعل الله . لم يكن طراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا لله ، وكان هو الموجد الحق . من لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه . من من حيث أنه عبد الله . فهذا الذي يقال فيه . به في التوحيد عن نفسه ، فهذه أمور معلومة عند أولى البصائر أشكلت عليها بصعف الأفهام عن دركها ، وتقصير العباد في إيضاحها وبينها عبارة سهلة موصلة بمرص ، فهذا هو السبب أيضاً في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى .

واعلم أن الذي مد على الحق سبل الاستصاء بأوار المعرفة وسباحة في بحارها الواسعة ، هو انهماكهم في الشهوات . وعدم تنصر والتفكر في عجائب الخواقات .

باب في كيفية التمسك في خلق الله تعالى

إعلم أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو من الله وحقيقته ، وكل ذرة من السرات من جوهر وعرض وسعة وموصوف ، فيها عجب وغرث تظهر

بها حكمة الله وقدره وجلاله وعظمته - وإحصاء ذلك غير ممكن ، إلا أنا نقول ، إن الموجودات المخلوقة تنقسم إلى ما لا يعرف أصلها ولا نعتها فلا يمكن التفكير فيها . قال الله تعالى (سبحانه الذي خلق الأرواح كلها مما نبتت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) . وإلى ما يعرف أصلها ولا يعرف تفصيلها ، فهذا يمكننا أن نتفكر فيها ، وهي منقسمة إلى ما أدركناه بالصرح وإلى ما لا ندركه بالصرح أما الذي لا ندركه بالصرح ، مثل الملائكة والجن والشياطين والعنبر والكسبي وغير ذلك ، فليس للتفكير فيه مجال .

أما الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات بالصرح ، هي السموات والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكونها وكواكبها ونجومها وقرورها وحركاتها ودورها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدتها بما فيها من حال ومعاد ونهار وأنها وحيوان ونبات ، وما بين السماء والأرض وهو الخوفاء سداً سدركه بالعيون والأمطار والثلوج والرعد والبرق والصواعق والشهب وعواصف الرياح - فهذا هي الاحتماس التي نشاهدها من السموات والأرض وما بينهما وكل هذا نتفكر فيه بحال ، فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من حماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلak ولا كوكب ، لا والله تعالى هو محركها . وفي حركاتها حكمة أو حكمنا أو عشرة أو ألف حكمة أو أكثر أو أقل ، كل ذلك شاهد به تعالى بالوحداية ودل على جلالة وكبريائه . من هذه هي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث على تفكير في هذه الآيات كما قال تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب) وقال تعالى (ومن آياته) في كثير من القرآن إظهاراً لنعمته على لعباده ، وحث على التفكير فيها . والآيات بذكر كيفية التفكير في بعض الآيات (من آياته ، ما تسان مخلوق من النطفة ، وأقرب شيء إليك نفسك . وفيك من المعائب لديه عظمة الله تعالى ما تنقص الأعمار في الوقوف على عشر عشرة ، وأنت عاقل عنه قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تنصرون) وذكر أنك مخلوق من نطفة قدره فقال تعالى (قل الإنسان ما أكفره ، من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه فقدره ، ثم السيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شه أنشره) ثم ذكر أطوار النطفة فقال تعالى (ولقد خلقنا

الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ،
 فخلقنا العلقة مصعة ، فخلقنا المصعة عظاما ، فكسوا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقاً آخر
 فاعلم أن تكرير ذكر النطفة في كتاب الله تعالى ليس يسمع لفظه ويترك التفكير في معناه ،
 كلا ، فاصع لا إلى ما يقول ، وانظر إلى النطفة وهي قطرة من الماء قدرة لو تركت
 ساعة لصيرها الهواء وفقدت وأنت ، كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب
 والترات ، ثم خلق المولود وعده حتى عما وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يعضاء
 مشرقة علقة حرام ، ثم كيف جعلها مصعة ، ثم كيف قسم أحرار النطفة إلى العضم
 والأعصاب والعروق والأوتار واللحم ، ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب
 والعروق الأعضاء الظاهرة ، فسور الرأس وشق السمع والنصر والأنف والفم ،
 وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل ، وقسم الأصابع بالأصابع ، ثم كيف ركب الأعضاء
 الباطنة من القلب والمعدة والمكند والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء كل واحد
 على شكل مخصوص ، ومقدار مخصوص ، لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو
 من هذه لأعضاء بأقسام متعددة ، وركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف
 مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت سعة من صفاتها لعطبت
 العين عن الإبصار فهو ذهبا إلى وصف ما في واحدة من هذه الاعضاء من العجائب
 والآيات لا نقضي فيه الأعمار ، ثم نظر إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية ،
 كيف خلقها الله من نطفة رقيقة ثم جعلها قواماً للبدن وعماداً له ، ثم قدرها
 عقادير وأشكال مختلفة ، منه صغير وكبير ، وطويل وقصير ، ومستدير ومجوف ،
 وعريض ودقيق .

ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة في جميع حاجاته لم يجعل الله تعالى عطيه
 عطياً واحداً ، بل عطاماً كثيرة منها معاصر حتى تتيسر بها الحركة ، وقدر شكل كل
 واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وروبط بعضها ببعض
 بأوتار ، أنته من أحد طرق العظم وألصقها بالعظم الآخر كالرباط له ، ثم خلق في
 أحد طرق العظم رواتد خارجة منه ، وفي الآخر حفراً عائصة فيه موافقة لشكل
 الرواتد ، لتدخل فيها وتنطبق عليها ، فصار العددان أراد تحريك جره من يده لم يمتنع

عليه . فألف شكر الله تعالى على عطفه وكرمه . ثم انظر كيف حقق عظم الرأس وقد ركبها من خمس وحسين عظيمة مخفية الشكل الصورة . فألف بعصب إلى بعض بحيث استوى به استدارة الرأس كما تراه . فها منه تحصى "المحف" وأربعة عشر للحمى الأعلى ، واثنان لحمى الأسفل . والبقية هي الأسنان . بعصب عريضة تصلح لتأكلن وبعضها حادة تصلح للقطع . وهي الأبواب والأصرار والثنايا . ثم جعل الرقبة عماداً للرأس وركبها من سبع حررات بجوفات مستديرات . ينطق بعضها على بعض . ثم ركب الرقبة على الظهر . وركب "ظهر من أربع وعشرين حرزة" . وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة . فينصه من أسفله عظم "العصعص" . وهو أيضاً مؤلف من ثلاثة أجزاء . ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر . وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز . ثم عظم الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فلا يطول بذكر عدد ذلك . من نقول إن مجموع عدد العظام في جسم الإنسان مائتان وثمانية وأربعون عظمة . سوى العظام الصغيرة التي حتى في بين المفاصل . فطرق كيف خلق جميع ذلك من نطفة رقيقة . وليس المقصود من ذكر أعداد لعظام أن تعرف عددها فإن هذا علم يعرفه الأطباء والمشركون . وإنما نعرض أن ننظر فيها من حيث مدبرها ومخالقها وأنه كيف قدرها وديرها ومخالف بين أشكالها وأقدرها . وخصصها بهذا العدد المخصوص ولو زاد عليها واحداً لكان وبالا على الإنسان يحتاج إلى قنعه . ولو نقص منها واحداً لكان نقصاً يحتاج إلى جبره . فالطبيب ينظر فيها ليعلم وجه العلاج في حرها وأهل الدين ينظرون فيها ليمسكوا بها عن حلال حرامها ومصورها فشتان بين النظيرين . ثم انظر كيف حقق الله نعم آيات لتحريك العظام وهي العضلات . حقق في بدن الإنسان خمسة وتسعة وعشرين عصبه . والعصب مركبة من لحم وعصب ورباط وأعنية . وهي مختلفة المقدار والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها . فأربع وعشرون عصبه خاصة بتحريك حدة العين وأجفانها . لو نقصت واحدة منها اختل أمر العين . وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص . وأمر الأعصاب والعروق : الشرايين ومتابها وتضعها أعجب من هذا كله وشرحه يطول . فلهذا نذكر مجال واسع في آحاد هذه الأجزاء . ثم في آحاد هذه الأعضاء

ثم في حلة البدن وكله غائب . أم عجائب المعاني والصعاب التي لا تدرك بالحواس هي أعظم . فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصعاته فترى به من العجائب والمنعة ما يقصى به العجب ، وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة ماء قدرة ، فالذي صنع هذا في قطرة ماء ، فما صنع في ملكوت السموات وكواكبها ، وما حكته في أوصاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها ، واحتياج بعضها وتفرق بعضها ، واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومقاربها ، فلا تظن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم ، بل هي أحكم خلق وأتقن صنفاً ، وأجمع للعجائب من بدن الإنسان بل لانسبة خبج ما في الأرض من الموجودات إلى عجائب السموات . ولذلك قال الله تعالى (أنتم أشد خلقاً أم لسماء ما هارفع سمكها فسواها وأعطين ليها وأحرق صلبها) فارجع الآن إلى النطفة كانت معدومة خلقها خالقها في الأصل والرات . ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها ، وقدرها فأحسن تقديرها ، وصورها فأحسن تصويرها ، وقسم أجزائها إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظم وحسن أشكال لأعصابه وبين ظاهرها وباطنها ، ورب عروقها وأعصابها ، وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها ، وجعلها سبيبة لبقائه بباطنه ، وخلق لها الظهر أساساً لبنيها ، والبطن حاوياً لآلات عبادتها والرأس حامياً لحواسها ففتح العينين ورب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وحسنتها ، ثم حمىها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتدفع الأذى عنها . ثم أظهر في مقدم عديمة فيها صورة السموات مع الساع أكفها وتبعه أقطارها بالخط فيها ، ثم مد في الأذن وأودع فيها ماء مرأً يحفظ سمعهم ويدفع الحوام عنهم ، وجوهمهم بسدده لتجميع الصوت فترده إلى صناديقهما ، وحمل فيهما أحواجات . كحركة الصوت ، ثم رجع الأذن من وسط أوجه وأحسن شكله ، وفتح منخرته وأودع فيه حسنة ثم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته ولينشق الهواء تعبئة لنفسه وتزييناً لحرارة باطنه . وفتح الفم وأودع فيه اللسان ناضجاً ومتربحاً ومعبراً عما في الفم ، ورب الفم بالأسنان فأحكم وضعها وحدد رؤسها ويص لونها ورب صفوفها مساوية الرؤوس متساقطة الترتيب . وخلق الشعبتين وحسن لونهما وشكلهما لتنطقا على الفم ففسد

متفذه ، وليتم بها حروف الكلام . وحلق اللسان وجعله قادراً على تقطيع الصوت
فختلف الحروف وابتدع طريق النطق مع كثرتها . ثم خلق الحاسر مختلفة الأشكال
في الصيق والسعة والخشونة والملامسة ، حتى احتلت تلك الأصوات ، فلا يشاهد
صوتان بل جميع بين كل صوتين ، فإحدى يغير السامع صاحب لصوت بمجرد سماعه
ثم رين الرأس ، شعر ، ورين أوجهه بالجلية والحد حسن ، ورين الحجاب رقة اشعر
وتقويس الشكل ، وزين العين «أهداب» ثم خلق الأعضاء الباطنة وسحر كل واحد
لفعل مخصوص ، فسحر المعدة لمصم العداء والمعدة لتحويل العداء إلى الدم وسحر
الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد . ثم خلق اليدين وطولهما لقصىهما حاجتك
وعرض الكعب ، وقسم الأصابع أحسن ثلاث أصابع ، ووضع أربعة منها في جانب
والإهام وحده في جانب ، تدور الإبهام على الجمع ، ووجه لو اجتمع الأولون
والآخرون على أن ينسطوا بدقيق الفكر وحياً آخر في وضع الأصابع سوى
ما وضعت عليه من حيث تعد الإبهام عن الأربع . ونفاوت الأربع في الطول
وظمها في صف واحد لم يقدر و عليه فبجهد المدع العظيم ، ثم خلق الأظفار على
أطرافها رية للأصابع وعدداً لها من ورائها ، حتى لا تنقطع الأصابع وليحك بها
بده عندما يد ، فتأمل في الظفر الذي هو أحسن الأعضاء لو عدده الإنسان واحتاج
إلى حك بده لكان أعجز الخلق وأضعفهم . ثم أنظر كيف هدى الله اليد إلى موضع
الحك فتمتد به ولو في اليوم من غير حاجة إلى مرشد ودليل ثم حقق هذا كله من
النفقة وهي داخل الرحم في طلبات ثلاث ، ولو كشف العصب ، أخرجى والعشاء
نداحي وامتد البصر إلى مكان النفقة لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً
شئناً ، ولا يرى المصور ولا شيء ، فهل رأي مصوراً أو فعلاً يصنع شيئاً من غير
أن يمس آلة التصوير ، ومن غير أن يمس نفس المصنوع . فسبحانه ما أعظم شأنه
وأظهر هاه . ثم أنظر مع كمال قدرته إلى تمام رحته ، فإنه لما ضاق الرحم على الصبي
حين كبر ، كيف هداه إلى طريق الخروج فتكس وتحرك ، وطلب لمنقذ كأنه عاين
صير ثم لما خرج من ذلك المصيق واحتاج إلى العداء ، كيف هداه إلى التقام شدي .
ولما كان بده ضعيفاً لا يحتمل الأعدة الثقيلة ، كيف من عليه وخلق له اللبن اللطيف

واستخرجه من بين العرث والدم سائماً خالصاً ، وكبف خلق النديين وجمع بهما اللبن وأنيث منهما حلتين على قدر دم الصبي ، ثم فتح في حلبة الندي ثقباً صيقاً جداً حتى لا يخرج لبن من إلا بعد المص تدريجاً ، ويقدر الحاجة ، ثم انظر كيف هداه وعبه الامتصاص ، حتى يستخرج من ذلك الثقب الصيق لبناً يكفيه . ثم انظر إلى عطف ربك ورحمته ورأفه كيف أخر خلق الأسنان إلى تمام الرضاعة فإذا كبر احتاج إلى الطعام والطعام يحتاج إلى المضغ والطحين فأنت له الأسنان عند المروم لا قبله ولا بعده ، فسبحانه جلست قدرته كيف أخرج تلك العظام المتصلة في تلك اللثة اللينة ثم خشق قوت الوالدين عليه ليقوما بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً فيه عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجياً ، حتى بلغ وتكامل ، فصار مراهقاً ثم شاعراً ثم كهلاً ثم شيخاً ، إما كفوراً وإما شكوراً ، مطيعاً أو عاصياً مؤمناً أو كافراً ، تصديقاً لقوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .) يا خفياً الإنسان من قطعة أمشاح يتلبه جملناه سمياً بصيراً ، إما هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) فانظر إلى العطف والكره ثم إلى القدرة والحكمة نهرك عجائب الحضرة الراسية والعجب كل "عجب من اس آدم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ، ثم يعقل عن صاعه ومصوره ، فلا يدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته ، (ين الإنسان لظاوم كفار) هذه نبذة من عجائب ربك التي لا يمكن حصرها ، وهي أقرب محل لتفكيرك وأحلى شاهد على عظمة خالقك . وأنت عاقل عن ذلك مشغول بظنك وفرحك ، لا تعرف من نفسك إلا أن يجوع فتأكل ، وتشبع فتنام ، وتشتهي فتواقع وتعصب فتقاتل ، والبهائم تفكر في ذلك كله وإنما حاصية الإنسان التي أمارها عن البهائم والتي لا تشاركه فيها ، هي معرفة الله تعالى . ومعرفة لا تكون إلا بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق ، وما أودعه في الأرض من السرائر إذ بهذه المعرفة يدخل العبد في رمة الملائكة المقربين ، ويحشر في رمة النبيين والمصدقين ، مقرباً من رب العالمين وإذا عرفت أيها الإنسان طريق الفكر في نفسك ، فتفكر في الأرض التي هي مقرك ، ثم في أهلها وبحارها وجبالها ومعادها ، ثم ارفع منها إلى ملكوت السموات

أما الأرض — فمن آياته أن خلق الأرض فراشاً ومهداً ، وسلك فيها سبلاً حاجاً ، وجعلها دلو لا تمشوا في مائها ، وجعل قرة لا تتحرك ، وأرسي فيها الحبال أوتاداً لها تمنعها من أن تتحرك ثم أوسع أرجاءها حتى غمر آدميون عن سوع جميع حواشي وإن طالت أعينهم وكثر تطوافهم قال تعالى (والسماء بيناها بأبواب وإن لموسعون والأرض فرشتاها فنعم المهدون) وقال عز وجل (هو الذي جعل لكم الأرض دلو لا فامشوا في مناكبها) وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض للتفكير في عجائبا فظهر ما مقرر الأحياء ، وظهر ما قد الأمور ، قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً) ثم انظر إلى الأرض وهي مبيتة في أنزل عليها الماء اهتزت وردت واحضرت ، وأهنت عجائب النبات ، كيف أودع الماء تحتها فجبر العيون وأسأل الأنهار تجري على وجهها ، وأخرج من الحجارة الباسة ومن التراب الكندر ماء رقيقاً صافياً رالاً واجمع منه كل شيء حي ، فأخرج به الررع وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان وتطعموم بمصل بعضها على بعض في الأكل تنقي بماء واحد ونخرج من أرض واحدة ثم انظر إلى أرض البساتين تراها زاماً فدا رر عليها الماء أنتنت من كل روح جميع ألواناً مختلفة وماء متشابهة وغير متشابهة لكل واحد طعام ، ولون ورائحة وشكل يخالف الآخر ، بل نجد في الزهرة الواحدة عدة ألوان مسقة تنسيقاً بديعاً يعجز الالاس والجن عن تقديره ، ثم نظر إلى اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعها وكيف أودع الله تعالى في لعقاير المنافع العريضة منه ، فهذا النبات يعسى ، وهذا يقوى ، وهذا يصعب ، وهذا ينجي ، وهذا يقتل ، وهذا يسبح وهذا يصق الدم ، وهذا يصير دماً ، وهذا يبرح ، وهذا ينوم ، فلا تنت من الأرض ورقة ولا نبتة إلا وفيها منافع لا يقدر البشر على الوقوف على كنهها ، بل لو أردنا أن نذكر اختلاف أجاس النبات وأبراعه ومنهجه وأحواله وعجائبه لانقضت الأيام في وصف ذلك ، فكيف يمكن هذه سده لبسيرة لتدليك على التفكير في عجائب النبات ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن المستخرجة من الأرض — وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتعطيب الطعام ولو حث منه نبتة لهلك أهلها ، فانظر إلى رحة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي مسبعة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء

انصاف من المطر فيتحول مائعا ، وانما حصص إلى إصلاح طعامك إذا أكلته فيها
عشك ، فاما من حاد ولا حيوان ولا نبات . إلا وفيه حكمة وحكم . فخلق الله
شئاً عثاً ولا لئاً ولا هراً . بل خلق الكل خلقاً كما ينبغي . وعلى الوجه الذي
ينبغي . وكما سبق بحلاله وكرمه ولطفه ورحمه . أدرك قال تعالى (وما خلقنا السموات
والأرض وما بينهما إلا عرضاً ماحقناهما إلا بالحق) .

ومن آياته : استأف الحيوانات ، وانقسامها إلى ما يطير ، وإلى ما يمشي ، وانقسام
ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين ، وإلى ما يمشي على أربع ، وعلى عشر . وعلى مائة
كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في المنافع والصبر والطاع ، والأحلاق .
فانظر إلى طيور الجو وإلى وحوش البر وإلى الهائم الأليفة . ترى فيها من المعاني
ما لا تشك في عظمه حاضها . وقدرة مقدرها . واعلم أنه لا يمكن استقصاء ذلك .
من لو أردنا أن نذكر عجائب النقة أو البهية أو النحلة أو المكنوت . وهي من
صغار الحيوانات في حجمها عداها وفي إلقائها روحها وفي تدويرها لنفسها وفي مهارتها
في هندسة بناء بيتها ، وفي هدايتها إلى حاجاتها . لم نقدر على ذلك . فانصير بربى في هذه
الحيوانات الصغيرة وأمثالها من عظمة الخالق المدبر وحلاله وكمال قدرته وحكمته .
ما تتحير نفسه الألباب والعقول . فضلاً عن سائر الحيوانات . وهذا الباب أيضاً
لا يحصر له . فان الحيوانات في أشكالها وأحلافها وطباعها عبر محصورة . وإنما
صاع نعيم القلوب من لكثرة المشاهدة لها

ومن آياته الدخار العميقة المكتنفة لأفطر الأرض . حيث أن جميع المكشوف
من الوادى والجبال بالنفس البهاء كجمر صغيرة في بحر عظيم . وقد عرفنا تقدم
عجائب الأرض وما فيها . فتمن لأن يرى عجائب البحر . فان عجائب ما فيه من
الحيوان والخواهر أصعاف عجائب ما شاهدته على وجه الأرض . كما أن سمعه
أصعاف سمع الأرض . وعظم "بحر" كال فيه من الحيوانات "المنظمة" من حريرة
عند ظهورها . وليس بعيد عن الأدمن بحر عظم على نظام حريرة في شاطئ
البحر الأبيض المتوسط . وهو نوع من السمك يسبح في مياهه عشرين متراً أو ثمانية
أربعة عشر متراً . وكذلك في بوعار مدينة رشيد في يوم ٢٢ من شهر أبريل سنة ١٩٣٦

سمكة يبلغ طولها سعة عشر متراً وعرضها ثمانية أمتار وارتفاعها متران ونصف المتر، وفيها يسبح لدحلول الرجل وحده إلى حومها، فمن رأيت حيواناً رباباً بدا الحجم، واعلم أنه ما من نوع من أنواع حيوانات البر من حن أو بقرة أو طير أو إنسان، إلا وفي البحر أمثاله وأصغاره وفيه أحناس لا يرى لها نظير في البر ثم انظر كيف خلق الله الفلوق ودوره في صدفة تحت الماء، وانظر كيف أنبت المرجان من الصخور الصم تحت الماء أيضاً فهو نبات على شجر يبيت تحت الماء، ثم تأمل ما عدا ذلك من العسر وأرواع العائن التي يقدمها البحر وتستخرج منه، ثم انظر إلى عجائب السمك كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء لتجمل الانتقال ثم أرسى الرياح لتدوقها، ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها وموقيتها، وعلى الحمة فلا يمكن حصر عجائب صنع الله في البحر، ولا تسع وصفها بجلادات وأصعب من ذلك كله ما هو اظهر من كل ظاهر، وهو الماء، فهو جسم رقيق لطيف يسال شفاف، متصل بالأحراء كأنه شيء واحد، لطيف التركيب، سريع التقطيع، فهو قابل للانفصال والانصال، به حياة كل ما على وجه الأرض، من حيوان ونبات فهو احتاج لعدم شربة ماء ومعها يسال جميع حرائق الأرض في تحصيلها، ثم لو شرها ومعها من إخراجها من جسمه لسدل جميع حرائق الأرض في إخراجها فالعجب من إله آدم كيف يستعظم الدنيا والدرهم ويدنس الجوهر، ويعمل من نعمة الله في شربة ماء، إذا احتاج إلى شربها واسفراغها من جميع ما يمتد فيها، فتأمل أيها العبد المسكين بعقله لصعيف شخصه في عجائب أموره، الأنهار والآبار والبحار، وفيها منسج للتفكر، وبحال للناس، وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متصرة دافقة بلسان حالم مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال حكته

ومن آياته الهواء اللطيف المنعم من بين السماء والأرض - لا يذرك هذا الهواء بحالة الشمس ولا شرى شخصه بأحد - وهو مثل البحر متصل ماؤه فترى الطيور مخلقة في جو السماء متحة فيه بأجنحتها، كأنها تسبح في دلت البحر في الماء، وعطرب جوارحه وأمواجه عند هبوب الرياح، كما اضطرب أمواج البحر، فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً هائلة فإن شاء جعله شرى بين يدي رحمته، كما قال

تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) فيصير محركه روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتحيا وتموت ، ومن شاء جعله غذاءاً على العصاة من خلقه ، كما قال تعالى (إنما أرسناهم رجاً وصبراً) في يوم تحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز على مستقعر) ثم أنظر إلى لطف الهواء وشدة وقوته ، فإنك إذا أتيت بحمد متفوح وتحملت عليه قوتك لعمه في الماء لعجرت عن ذلك بينما الحديد الصلب تصعه على وجه الماء فيرسب في الحال فاطر كيف ينقص الهواء في الماء بقوته مع رفته ولطافته ، وبهذه الحكمة أمسك الله السم على وجه الماء .

ثم أنظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من العيوم والرعد والبرق والآهطار والاثواح والشهب والصواعق ، هذه كلها عجائب ما بين السماء والأرض قال تعالى (والسحاب المسخر بين السماء والأرض) وقد ذكر عن الرعد والبرق والسحاب والمطر في كلامه أمرير كثيراً وهذا أيضاً باب يطول الفكر فيه ، إذ لا مطمع في استقصائه ، فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه مجتمع في حوض صاف لاكدورة فيه ، وكيف يخلق الله تعالى إدا شاء ، ومتى شاء ، وإلى ما شاء ، وهو رخواونه حامل لباء الثقيل ويمسك له في حوض السماء ، إلى أن يأذن الله تعالى في إرسال الماء ، فتقطع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى ، وعلى الشكل الذي شاءه ، فترى السحاب يرش الماء على الأرض ، ويرسله قطرات منفصلة لا تلحق قطرة منها قطرة أخرى ، ولا تتصل واحدة بالأخرى ، بل تنزل كل قطرة في الطريق الذي رُمس لها لاتحول عنه ، فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم ، حتى يصل إلى الأرض قطرة قطرة مع ارتفاع المسافة ارتفاعاً لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا ما هم قطرة ، أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في ليلة واحدة أو قرية واحدة أو ما يرل في ساعة واحدة أو في دقيقة واحدة . لعجز حساب الجن والإنس عن معرفه ذلك ، فلا يعرف عددها إلا الذي أوجده . واعلم أن كل قطرة منها حُصِّصت لجزء من الأرض وحُصِّصت لكل حيوان فيها من طير ووحش وحشرات ودواب ، ومكنون على كل قطرة يحيط الهى لا يشاهد بالبصر الطاهر ؛ إنها ررق السوداء الفلالية التي في ناحية الجبل القلاني نصيبها عند عطشها في الوقت

العلائي ؛ كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ؛ ما لأحد فيه من الخلاق مشاركة ولا مدخ ، فليس لمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلالة وعظمته ؛ وليس للعيان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ؛ ثم انظر الى ارتفاع الماء داخل تجاويف الأشجار شتاً وشتاً بحيث لا يرى ولا يشاهد ، حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق في أعلى الشجرة ؛ فيمدى كل جزء من كل ورقة ، ويجرى فيها داحس تجاويف عروق صغيرة منتشرة من عروق كبرى مدود في وسط الورقة ، فكأن الكبير هـر ، وما تشعب منه جداول ، ثم ينشعب من الجداول جداول أصغر منها ، ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر ، فتسقط في جميع عرص الورقة ، فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميتها ويزينها ، وتبقى طراوتها ونهارتها ، وكذلك يفعل الماء في سائر العواكس ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب - وهو الأمر كله ، ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقاً - فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالنسبة إلى السموات قطره في بحر . بل أصغر ، ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه ، فمن سورة إلا وتشمل على تفحيمها ، وكل من قسم في القرآن بها ، كقوله تعالى (والسماء ذات الروح والسماء والطارق والسماء ذات الحُبُك والسماء وما تاتها) وكقوله تعالى (والشمس وصهاها والقمر إذا تلاها) وقوله تعالى (فلا أقسم بالجنات الجوار الكُسر) وقوله عروجي (والنجم ادا هو) وقوله (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) فقد عدت أن عجائب الطرفة القدرة وضع الله تعالى فيها عمر عن معرفته الأولون والآخرين وما أقسم الله بها ، فما ظنك بما أقسم الله تعالى به ، وأحال الأرواق عليه وأصافها إليه ، فقد تعالى (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وأثنى على المتفكرين فيه فقال (ويتمكرون في خلق السموات والأرض) ودم المرصص عنها فقال تعالى (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون) وقد خلق الله سبع سموات وورد أن بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، (ت) فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السموات ، وهي صلابة شداد محفوظات عن التعبير الى أن يبلغ الكتاب أجله . ولذلك سماها الله تعالى محفوظاً كما في الآية السابقة وقال تعالى (وبينا فوقكم سبعة شدادات) وقال

(أنتم أشد خلقاً أم السماء تأملوا رفع سمعكمها سمواها) فاطر إلى المسكوت لتزى
 عنائب العر والجرود . ولا تظن أن معنى النظر إلى المسكوت بأن تمدّ البصر
 إليه ترى رقة السماء وصوه الكواكب . فإن الهائم تركك في هذا الطر ، فإن كان
 هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم عليه السلام بقوله (وكذلك نرى إبراهيم
 مسكوت السموات والأرض) فاعلم أن كل ما يرى بحاسة البصر فالقرآن يستعمر عنه
 الملك والشهادة . وما عاب عن الأبرص فيمر عنه بالعب والمسكوت ، والله تعالى عالم
 العيب والشهادة وقبحار الملك والمسكوت ولا يحيط أحدثي من عنه إلا بما شاء ، وهو عالم
 لعب فلا يسطر عن عيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول - فمن أيها العاقل تفكر
 في المسكوت فعسى تفتح لك أبواب السماء فتحول قلبك في أفطارها إلى أن يقوم قلبك
 بين يدي عرش الرحمن ، فعند ذلك ربما يرجح لك أن تطلع ، فنة عمر من الخطاب رضى
 الله عنه حيث قال - رأتى قلبى رأتى - وهذا هو سوع لأفصى - وبلوغ الأفصى
 لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى . وأذن شيء بك نفسك ، ثم الأرض التي هي
 مقرك ، ثم الهواء المحيط بك ، ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم عنائب
 الجو ، وهو ما بين السماء والأرض . ثم السموات السبع بكواكبها . ثم الكرمى ثم
 العرش ، ثم الملائكة الذين هم حمة العرش ، وحران السموات . ثم منه تجاور إلى الطر
 إلى رب العرش والكبرى والسموات والأرض وما بينهما فامل ما هو أمامك من
 المغاور العظيمة والمسافات الشاسعة والعنائب الشاهقة . وأنت لم تعرف شيئاً عن
 القصة القرية منك وهي ظاهر نفسك . ثم صرت تعلق اللسان بوقاحتك وتندعى
 معرفتك ، وتقوى مدعوفته وعرفت خلقه . فعند ذلك وإلى ماذا تطلع ، فادفع
 الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورها وظلوعها وعرونها .
 وشمسها وقمرها . واختلاف مشاتها ومطارها . وسموها في الحركة على الدوام
 من غير فتور في حركتها . ومن غير تغيير أو اعوجاج في سيرها . من يجرى كلها في
 مدار مرتبة حساب مقدرة لا يرد ولا تنقص إلى أن يديرها الله تعالى على طي السجل
 لا سكب . وامل عدد كواكبها وكثرتها واختلاف أنواعها ، معصتها يمل إلى الحمرة
 وعصا إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي . ثم انظر كيميها أشكالها معصتها على

صورة العفريت وبعضها على صورة الختمس والثور والأسد والإنسان ، وأعلم أنه ما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء . ثم انظر إلى مسير الشمس في فنكها هذه سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سحرها له حلقها جلّت قدرته ، ولولا طلوعها وغروبها لما احتجب الليل به النهار ولما عرفت المواقيت ، ولصار الظلام على النجوم أو الصياء على النجوم . فكان لا يتميع وقت المعاش عن وقت الاستراحة . وانظر إلى راحة ربك كيف جعل الليل نائماً والنوم سائناً ، أي انقطاعاً عن الحركة . وجعل النهار معاشاً ، ثم انظر إلى إيلاحه الليل في النهار والنهار في الليل ، وإدخال الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص ، وانظر أنه تعالى أمال مسير الشمس عن وسط السماء حتى تبين نصف ذلك الصيف من الشتاء والربيع من الخريف فإذا انجمت الشمس من وسط السماء في مسيرها ورد الهواء وطهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتدّ القبط وإذا كثب فيها يهبها اعتسدل الزمان . وعذائب السماء لا مطلق في إحصاء عشر عشر حرة من آخراتها . وإن ما ذكرناه هو على سبعين التسعة فقط ، لتفكر الإنسان فيه

ولكنك قد شعلت شهوات وملذاتك وسمعت وسطك عن النظر في حلال ملكوت السموات والأرض ثم عفت عن - ثم انظر إلى حلال مالك الملكوت والملك ، وما مثلك ومثل عقبت في هذه ، لا كمن لفته تخرج من حجرها إلى حفرة في رآويه من زوايا قصر عظم من قصور الملك ، رفع ليدل حصن الأركان من الألوان وروائع شقائق ولدحج ، في أمة إذ خرجت من هذا الحجر وقبت صاحبها في روائها قصر عظيم لم تحدث ، إذ قدرت على تسطق ، إلا عن يدي وعذائتها وكيفه ادخارها أما حال تقصر وعظمه الله الذي يكن تقصر ، فهي تعمل عنه وعن التفكير فيه فكما عقلت الله مع إقامتها في التقصر عن التقصر وعن أفضله ومضغه وحيطه وسائر حارقه وبيانه . وعقلت عن ذلك عظمه سكاكه ، فكذلك أنت عاين عن بيت الله تعالى المنفرد بالسماء وحزين بالكواكب ومن ملائكته الذين هم سكان السموات ، فلا تعرف به مسكن من سماء إلا ما تعرفه أمة من سقف بيتك ولا تعرف ملائكة السموات إلا ما تعرفه أمة منك ومن سكان

يتك . ولكن عذراً للنملة فليس لها قدرة على التفكير في عجبك قصرك وبدائع صنع
صانع فيه . ولم تعط من الإدراك ما يساعدها على تعرف أمرك وأمر قومك
الذين هم سكان لقصر . أما أنت فليس لك عذر في غفلتك فقد أعطيت قدرة بالعقل
التي منحه على أن تحول في المسكوت وتعرف عجائبه ولكن الخلق حقيقة غافلون ،
لا يظن بالفرد في هذا الحال فليس له آخر ولو قطعاً أعماراً طويلة لم تقدر على
شرح ما تنصّل الله عن العباد والأولياء معرفته في عجائب خلقه ، بل إن ما عرفه
العباد والأولياء قليل ورقيق ، بالنسبة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وحجة ما عرفه الأنبياء قليل بالنسبة لما عرفه بيده وبني محمد صلى الله عليه وسلم ،
وما عرفه الأسماء جميعهم قليل بالنسبة لما عرفه الملائكة المقربون كاسرائيل وجبرائيل
وغيرهما ، ثم إن جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أصيقت إلى علم الله سبحانه
وتعالى لم تستحق أن تسمى علماً ، بل هي أقرب أن تسمى دهباً وحجارة وقصوراً
وعجراً ، فسبحان من عرف عباده ما عرف ، ثم حاطب جميعهم فقال تعالى :
(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

هذا بيان إحمال وجبر حداً عن المخلوقات التي يحول فيها فكر المتفكرين في خلق
الله تعالى ، وليس فيها فكر في ذات الله عز وجل ولكن يستمد من الفكر في الخلق
معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ، وكلما استكثرت من معرفة عجبك صنع الله
تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم وأقرب . واعلم أن النظر والتأمل والتفكير
في مخلوقات الله تعالى وفي صنعه وبدائعه لا تنهى أبدأ ، ولكن لكل عبد من حط
يقدر ما رزق من النعمة ، فالملوك سبحانه وتعالى قد أسهم علينا أولاً بالوجود ،
وثانياً بما يديم علينا هذا الوجود ، ومصلحاً على سائر حقوقه ، مما منحه إيانا من العقل
وأمانت عجائب مخلوقاته ، فمن نظر فيها نظر الطبيعيين المعتزلين فهذا سبب هلاكه ،
ودوام شقاوته . ومن نظر فيها يرى فيها جلال الله تعالى وقدرته ، فهذا يكون سبب
هدايته ودوام سعادته ، ومامن درة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يصل
بها من يشاء ، ويهدي بها من يشاء ، يعود بالله من الضلال ، ويسأله أن ينجبنا من ملة
أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله ورحمته .

باب في بيان مجارى الفكر

يقول إن الفكر قد يجرى في أمر يتعلق بالدين أو في غير الدين ، ويعتيد الأمر الأول وهو أمر الدين ، أى المعاملة التى بين العبد وبين ربه تعالى .

إعلم أن فكر العبد من الوجهة الدينية ينحصر فى أربعة أنواع : الطاعات ؛ والمعاصى ؛ والصناعات المهندكات ، والصفات المنجيات ، وستذكر لكل نوع منها مثلاً ليقبس به العبد على جميعها وينفتح له باب الفكر ، ويسمع عنه طريقته . شاء الله تعالى .

النوع الأول - وهو الطاعات ؛ فيحب على العبد أن ينظر أولاً فى المرائض المكتوبة عليه كيف يؤديها وكيف يجرسها من التقصير والتقصير ، أو كيف يجرد تقصيرها ؛ ثم يفحص كل عمو على حدة ليرى ما إذا كان يعصو يقوم بما يحبه الله تعالى ؛ فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر فى ملكوت السموات والأرض للاعتبار ؛ وكذلك استعمل فى الطاعات وأنا قادر على أن أطيعها فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإذا لا أقص . وكذلك يقول فى سماعه إنى قادر على استماع كلام ساح أو حكمة أو قراءة فإلى أعطته وقد أسمع الله على " به ومضى إياه لأشكره تعالى أكفر بعمة الله على " فيه بتصميمه وبعطيله وكذلك يتفكر فى اللسان ويقول إنى قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالذكر والمعدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وعلى الجملة فإن كل كلمة طيبة صدقة ، وكذلك يفكر فى ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بجزء منه ؛ ومتى احتجت إليه رزقى الله تعالى منه ، وإن كنت محتاجاً الآن إلى المال فأما أعداءى إلى نواب الآخرة أحوح وهكذا يمشى جميع أعضائه وسائر بدنه وأمواله وقس على هذا سائر الطاعات

النوع الثانى - وهو المعاصى فيقول يسعى أن يمتنع الإيساء فى صبيحه كل يوم جميع أعضائه ؛ فإن مرتكباً ومباشراً لمعصية فى الحال فيتركها ؛ أو كان قد ارتكبها فعلاً بالأمر فيتداركها بالترك وعدم العودة والتندم ، أو كان متعرضاً لها فى نهاده فيستعد للاحتراز والتباعد عنها ؛ مثال ذلك يظن فى لسانه ويقول إنه متعرض من بد قوع فى العيبة والكذب والاستهزاء بالغير والجدال والمزاج والخوض فى أعراض الناس وغير ذلك من المكاره ؛ فيبغى عليه أن يقرر أولاً فى نفسه أن كل هذه الأمور

مكروهة عند الله تعالى : ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها كما
سبق بابه : ثم يتفكر ثانياً في كيفية الاحتراز من الوقوع فيها ؛ وليعلم أنه لا يتم له
ذلك إلا بالعرفلة والامتراد ، أو لا يحالس إلا رجلاً صالحاً عتقاً بالتقوى فيها
عن التكلم فيها بكرهه الله تعالى ثم يتفكر في سمعه كيف أنه يصغى به إلى استماع العيبة
وعصو ، الكلام ؛ وإن ذلك إلى سمعه من يد ومن عمرو فينفي أن يحتز
من هذا الإثم ، الاعتراض وعدم التعرض في الطرقات والأسواق للحلق ؛ فيسمع من
هذا ويتحدث مع هذا بكلمته وبال وحسان ؛ ولا ينظر أن أحداً يجلس بالطرقات
أو في الأسواق أو على المقهى ولا يقع في هذه الآثام ، لأن الإبدال لا يصح
البدل وهو في داخل نفسه ، فكيف يصح أنه هو متعرض للحلق على اختلاف
مداهم ، طاعيم هيئات هيئات ، ويتفكر في بطنه أنه يصغى الله تعالى فيه بالأكل
والشراب ، فينظر من أين مطعمه وملبسه ومكسبه ، ويبحث عن طريق الحلال
فيكسبه ويحترز من حرام ، ويقرر في نفسه أن عبادته كلها عبادة مع أكل
الحرام ؛ وليستعلم أن أكل الحلال هو أساس العبادات جميعها . وهكذا يتفكر في
باقى أعضائه ويشغل عراقيتها حتى يحفظها طول نهاره .

"سورة ث - وهو الصفات المهدكات التي تحلها القلب ، يعرفها انقاريه مما
كرهه في أبواب الكبر والعجب والرياء والعصب والخص والغرور
وحطرات الناس وغير ذلك ، ويتفقد من قلبه كل هذه الصفات ؛ فإن ظن أن قد
مرددها فيمكنه في امتحانه من ذنوب نفس لتواضع والبراءة من الكبر مثلاً ،
فيصلي أن نفس تطهيرها عن كل شيء لم يسبق لها مثيل والمورد في السوق أما إذا
رأت اللحم فيعرض لعصب يناله من شخص سبه ، ثم يجربها في كظم العيظ .
وكذلك في سائر صفات التي سبقتها عن ربه عز وجل وجب عليه أن يتفكر
في طريق العلاج لإزالتها واحدة واحدة ؛ كما هو مبين في باب الأبواب من
هذا الكتاب .

"سورة الرابع - وهو الصفات الموجبات ؛ فهي التوبة والتقدم على ذنوب ؛
والعبر على البلاء ؛ والشكر على النعماء ، والخوف والرجاء والزهد والإخلاص

والصدق في الطاعات ، ومحبة الله تعالى وتعظيمه ، والرعي بفعاله والشوق إلى لقائه .
والخشوع والتواضع به . وجب على العبد أن يتفكر كل يوم في خلقه ويتفقد هده
الصفات فيه ، وليعلم أنها هي التي تقبّله من مولاه بإرادته مثلا أن يكتسب لنفسه
صفة تقوى والنعم ، فيمتنئ ذنبه ولا يتفكر فيها ، ثم لينظر في الوعيد والتشديد
الذي جاء به المشرع في هذه الذنوب . ويحقق أنه معرض لمقتل الله تعالى وعصاه
وإذا أراد أن يكتسب فضيلة "الكر" مثلا ، فينظر في رحمت الله تعالى إليه ومنه
عليه من يرم أن صورده خندا ووجهه أجدة وررقه وهو عاجز عن أسباب الرزق
بحسابه وعصاه . ثم من عبادة الله نعم ومجده التي لا تحصى فاعبد بذلك مطلقا
ياشكر الله تعالى على هذه النعم . وهكذا ينبغي على العبد أن يتفكر دائما فيما يكسبه
الأحوال المحمودة ويحذر من تصدق المذمومة . واعلم أنه لا يوجد أجمع للفكر
من قرأه للرسول يتفكر وتدبر ، فإنه جامع جميع المقامات والأحوال ووجه شفاء
العالين فينبغي أن يقرأ بعد ورد الآيات في هو جامع للتفكر فيها مرة بعد أخرى
ووصاية مره فقرء آية واحدة سكر وفهم خير من قراءة حتمه بغير تدبر وفهم
وليكن من في معنى الآية كثيرا ولو طول أميل فإن نحت كل كلمة من القرآن أسرار
لا تنحصر ولا يقف الإنسان على هذه الأسرار . لا يدقق تفكر بعد صفاء القلب
وصدى لمعنه وكذلك مطابقة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي
جوامع لكل ، فكل كلمة من كتابه بحر من بحور الحكمة ولو تأمنا لعباد حق "أمن
ثم ينقطع بها . طرده طول عمره . فشرح معاني الآيات والآخبار بطول ، فانظر
في قوته صلى الله عليه وسلم (إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحب
ميت معارفه وعش ما شئت ميت واعين ما شئت ميت محرقته) (ق) فإن
هذه الكلمات جامعة لحكم الآدميين والآخرين وهي كاهية لتأمل فيها طول العمر .
إذا لو وقعوا على معانيها وعلمت على قلوبهم عليه يقين لا ينزع عنهم ، والحال ذلك بينهم
ويبين الصفت إلى الدين بالشكليه

هذا طريق افكر من حيث العموم ، وصفات العبد من حيث أمها محبوبة عند الله تعالى او مكروهه . فاعيد اننى يريد التدحلول في طريق العبادة والتكفير عن

سيئاته الماضية . يحب عليه أن يستغرق الوقت في هذه الأفكار . حتى يزرع عن قلبه ما غطاه من المعاصي ويعمر قلبه بالأخلاق الحمودة والمقامات الشريفة ، ويبرزه باطنه وظاهره عن المكاره ، وليعلم أن هذا أفضل من سائر العبادات .
أما الفكر في جلال الله تعالى وعظمته وكبريائه ففيه مقامان .

المقام الأول - وهو المقام الأعلى ، الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا الفكر ممنوع حيث قيل - فكروا في حق الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله . وذلك لأن العقول تنحير فيه فلا تطوق به البصر إليه ، لأن أبعاد سائر الخلق بالنسبة إلى جلال الله تعالى . كحال من اختفاش بالنسبة إلى نور الشمس ، فإنه لا يطيقه البتة . بل يحنى في أثناءه فلطر إلى ذات الله تعالى بورت الخبرة والدهشة واضطراب العقل ، فالصواب بدأ أن لا يتعرض الإنسان لمخاري الفكر في ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته والقدر البير الذي صرح به بعض العلماء . هو أن الله تعالى مقدس عن المكان وممره عن الأقطار والجهات ، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ، ولا هو متص بالعالم ولا هو منفصل عنه . قد حير عقول أقوام حتى أنكروه ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه - لا تخبر عبادي بصفاي فيكروني ولكن أجبرهم على بما يفهمون - ولما كان النصر في ذات الله تعالى وصفاته خطر من هذه الوجهة اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق ، أن لا يتعرض لمخاري الفكر فيه .

المقام الثاني - وهو النظر في أفعاله ومخاري قدره وعبثات صنعه وبدائع أمره في خلقه بما شرعاه في كتاب السابق . في ذلك يدل على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعالى ، وبدل على كمال عبه وحكمته وعلى عباد مشيئته وقدرته ، فيسعى النظر إلى صفاته من آثار صفاته . لأننا لا نطبق النظر إلى صفاته . وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ، ونور من أنوار ذاته ، إذ قوام وجودها بذاته وهو القيوم بنفسه تبارك وتعالى .

باب في بيان حقيقة الشكر

اعلم أن الشكر مقام من مقامات الموحدين ، وهو يتكون من علم وحال وعمل

فالعلم هو أن تعرف أن النعم كلها من المنعم سبحانه وتعالى . والحال هو الفرح الذي يحصل للعبد وقت النعمة . أما العمل فهو القيام بما يجب عليك للنعم ويتعلق ذلك بالقلب وبالجوارح وباللسان . ومجموع هذا هو حقيقة الشكر .

ولما كانت معرفة العبد بأن النعم جميعها من الله تعالى . وأن الوسائط مسحرون ، هي عين الحمد وهي الرتبة الثالثة من الإيمان ، وجب عليه قبل هذه المعرفة أن يؤمن بالرؤية الأولى من الإيمان وهي التقديس . والرؤية الثانية وهي التوحيد . أما التقديس أن يعلم أن لا مقدس إلا ذات الواحد الأحد وما عداه غير مقدس . وأما التوحيد هو أن يؤمن بأن كل ما في العالم خالقه . أحد لا شريك له وهو الله سبحانه وتعالى . وقد عر عن هذه الرتبة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال (من قال سبحان الله وله عشر حسات ومن قل لا إله إلا الله وله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله ثلاثون حسنة) (ف) ولكن لا ننظر أن هذه الحسرات تعطى بمجرد تحريك ألسان هذه بطأت من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كله تدل على تقديس وتبريه إلهام أعلية . ولا إله إلا الله تدل على الإقرار بالوحدانية . والحمد لله كلمة تدل على معرفته لعمدة من الواحد الحق . فاحسنات تمنح بعد معرفة ذلك وتصديق قلب بها . فإذا كانت النعمة قد وصلت إليك على يد أحد من الخلق ؛ فاعلم أن الله عز وجل هو الذي سحر هذا العبد وجعله واسطة في إيصالها فإذا عرفت ذلك فقد عرفت الله سبحانه وتعالى وكنت موحداً به وقد رت على شكره ؛ بل كنت بمجرد هذه المعرفة شكراً قال موسى عليه السلام في مخاطبته إلهي خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف شكرت فقال الله عز وجل - عم أن كل ذلك مما فكنت معرفه شكراً - حينئذ لا يكون الشكر إلا بعد معرفة أن كل نعمة منه فإن حصل عندك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم تعالى . أما الحال وهو الفرح الذي يحصل للعبد وقت النعمة فيجب أن يكون مرحة فاصراً على أن الله تعالى منحه هذه النعمة عنايته به وشغفه منه عليه ، على أن لا يفرح بشيء من الدنيا إلا بما يوصله للأخرة . ويخرج من كل نعمة لله عليه عن ذكر الله تعالى وتصفه عن سبيله .

وأما العمل فهو يتعلق بالقلب والجوارح وباللسان كما قلنا أما بالقلب فقصد الخير لكافة الخلق ، وأما بالجوارح وهي نعم الله تعالى عبيده ، فاستم لها في طاعته والتوفى من الاستعانة به على معصيته . فثكر العبيد أن تسر كل عيب تراه لمسلم . وشكر لأدبين أن تسر كل عيب تسمعه ، وهكذا . وأما الشكر باللسان هو أن تُظهر الرضى عن الله تعالى بالتحميد والمدائحه . فمن صلى الله عليه وسلم لرجل (كيف أصبحت) قال بخير ؛ فأعاد صلى الله عليه وسلم "زوال" حتى قال الرجل في ذلكته بخير أحمد الله وشكره . فقال عليه السلام (هذ الذي أردت منك) (ط) وعلم أن لشكر طاعة ولشكوى معصية فبحة من أهل الدين وكيف لا ينصح لشكوى من ملك الملوكة ويبدع كل شيء إلى عبد منوك لا يقدر على شيء فلاولى بالمعدين كان لا يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأنهى به الصعق إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو الملبى وهو القادر على إرضائه "سلام .

قلنا إن الجوارح نعمة من الله تعالى على العباد . ولإيضاح ذلك يقول إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وهم في ابتداء فطرهم يحتاجون إلى اسماء الشهوات لتكمل بها أئدهم . ولكيف لا يحسنون سته لها . فيعبدون مدد عن حصرة حقيقه ولما كانت سددهم في القرب منه أعد لهم من نعم ما يقدرون على استعمالها في بل درجه القرب ، وقد عبر تعالى عن قربه وبعد بقوله (قد حشمتا الأرض في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ، لا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم أجر غير ممنون) فإذا الجوارح نعم لأهل الآلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين وقد خلقها الله تعالى ليحل أن يثقل العبد بها درجه لقرب في حال أنه سبحانه وتعالى عبيد عن العبد تعد أم فرث . فالعبد إما أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لا كنهائه محبة مولاه ، وإما أن يستعملها في معصية فيكون قد كفر ، لا رسكاه ما يكرهه مولاه ولا يصاهيه . فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية . وبطل عطلها ولم يستعملها لائق طاعة ولا في معصية فهو أيضاً كمران للنعمة بالتصنيع .

وقد بسأل القاري كيف يكون للعبد قدرة على تحريك أعضائه إما في طاعة وإما في معصية ؛ والأمر كله بيد الله تعالى وقضائه وقدره ؛ فأقول ؛ نعم إن الطاعة

والمعصية تشملها مشيئة الله تعالى . ولكن لا تشملها المحبة جميعاً ؛ والكراهة جميعاً ؛ والطاعة مراد ، محب ، والمعصية مراد ، مكروه . . قال الشيخ عبد الكريم الجيلاني في (الإنسان الكامل) وأشهد أن الله يريد الخير والشر ، ويبدد الكسر والخير ، فالخير بإرادته وقدرته ورعاه وقصاه ؛ والشر بإرادته وقدرته وقصاه لا برعاه .
 الحسنة بتأييده وهدايه ؛ والسئنة مع قصائه بشؤم العبد واغتوايه ؛ بما أصابك من حسنة من الله وما أصابك من سيئة من نفسك ؛ قل كل من عند الله انتهى . ووراء بيان هذا الأمر الدقيق سرّ القدر الذي مُنِعَ من إفشائه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ("قدرُ سرِّ الله فلا تفشوه") (حل) ولا يعلم تكييف ذلك إلا علام الغيوب .
 من قمت فلم قال الله تعالى . اعموا وإلا فأنتم معاقبون على العصيان في حالة أن لمعصية والطاعة تشتمل مشيئته تعالى ، فاعلم أن هذا القول من الله تعالى يُسبب حصول الاعتقاد بئنا ، والاعتقاد يُسبب هيجان الخوف ؛ وهيجان الخوف يسبب ترك الشهوات والنجس عن الدنيا . ومن ترك الشهوات ونجاسات عن الدنيا ، فقد تقرب إلى الله . والله تعالى في كل ذلك مسبب الأسباب ومرتبب ، فمن سبق له في الأول السعادة يُسرّ له هذه الأسباب ، حتى يقوده بسلسلتها إلى الجنة . ويعبر عن ذلك معنى قوله عليه الصلاة والسلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) (ف) ومن لم يسبق له من الله الحسنى بُعد عن سماع كلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلام المعصومين ، وإذا لم يسمع البعد لم يعلم ، وإذا لم يعلم لم يحف . وإذا لم يحف لم يترك تركوا إلى الدنيا ، وإذا لم يترك تركوا إلى الدين . يبقى في حرب الشيطان (وإن جهنم لم تعدم أجمعين) قاصراً ما جلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الطاعات . وهي تسليط العلم والخوف عليه ، وما من محذول إلا وهو مقود إلى النار بسلاسل المعاصي . وهي تسليط الغفلة والامتناع عليه . يلتفتون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ، ولا قاصر إلا الله الواحد القهار . فتصبحني لك أيها المسلم أن تشكر مولاك على نعمة الاسلام وأن تنقبه ما استطعت ولا تعصيه ثم تقول هذا مقدر علي ، وإني غير موقن ، والواقع أن هذا الاعتقاد من عمل الشيطان ، ولا تجادل كثيراً أو قليلاً في كيفية تقدير الله على عباده . بأن خلق بعضهم

للجنة وحلق بعضهم للنار . لأن البحث في ذلك ، بل مجرد التحدث به من غواية ابليس للمد لبسه ، وكيف نحاول أن نفهم سر الله في تقدير مصير خلقه ، وتقدير شئونهم ونحن عاجزون عن فهم شيء من سر أنفسنا وتقدير شئونه . فالأولى بنسأ عدم الخوص في ذلك قطعاً . وسأل الله أن لا يجمعنا من العاقبين الذين إذا ما بوا وانكشف الغطاء عن أعينهم شاهدوا الأمر على حقيقته ، وسمعوا عند ذلك نداء المنادى (لمن الملك اليوم) يقولون (لله الواحد القهار) وقد كمال الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص . ولكن للعاقبين عمو وصموا ، فلا يسمعون هذا النداء اليوم ولنعلم دائماً أنه لا حراء إلا على عمن . وكلام الله تعالى من أوله إلى آخره يحصر على الطاعة ويهوى عن المعصية ، ولم يقرأ ما يجعت بعض الله أن يكافأ على عفوه ومغفرته . يعود بالله من أجهل فإنه أصل أسباب الهلاك

باب في السبب المانع للحلق عن الشكر وتلاخ ذلك

م يمنع الخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والعلة . لأنه بمنع العبد عن معرفة حقيقة نعم ، ولا يتم شكر النعم إلا بعد معرفتها كما سبق . ثم إن الجهل الذي عرفوا نعمة طموا أن لشكر عبها أن يقال باللسان (الحمد لله الشكر لله) ولم يعرفوا أن معنى الشكر ، أن تستعمل النعمة في الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل ، فما من نعمة أنعم الله بها على عبده إلا لمرص استعمالها في الطاعة ، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هذه المعرفة إلا غلة الشهوة واسبلاء الشيطان على العبد . أما العفلة فلها أسباب ، وأحد هذه الأسباب هو أن الناس لا يعدون ما يعم الخلق من نعمه ، ولذلك لا يشكرون على النعم العامة لأنها مبرحة للجميع — مثلاً لا يجد أحداً يشكر الله تعالى على نعمة الهواء ، ولو منع عن الخلق لحظة لاحتقوا وماتوا جميعاً ، ولو وصعوا في سرفاسد الهواء لماتوا عمماً ، وسكن إذا انبلى الإنسان بذلك ثم نجأ فهو يعد بحماه نعمة ويشكر الله عليها ، وهذا غاية الجهل ، لأن شكره صار موقوفاً على أن تسلب منه النعم ثم ترد إليه ثانية ، وكان الواجب أن يشكر النعمة في مجموعها بدلاً من أن يشكر في بعضها ، ومثلاً لا ترى البصير يشكر الله على صحة بصره الذي حقق به ، ولكنه

إذا عمت عينه ثم أعيد عليه بصرها شكر الله وعده ذلك نعمة عظيمة ، ولما كان فضل الله عمياً فقد عمّ جميع الخلق نعمه وهذا غاية الجود وأقصى السخاء ولكن الجاهل لا يرى هذا المصنوع من نعمه ومثله في ذلك مثل العبد لسوء الذي يصرفه سيده دائماً فهو منع الصرب عنه ساعة عدّ ذلك منة من سيده وفصلاً ، والعجيب أما لا نشكر إلا على وجود المال فقط ، هذا إن شكرنا ، وقد سببت أن كل ما نشاهده وما نحس به وما نستعمله في حياتنا نعمة من نعم الله علينا ، حكى أن بعضهم شكوا فقره إلى بعض العرب فقال له بقل أن تكون أغني ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال فقل أن تكون حراً ولك عشرة آلاف درهم فقال لا قال فقل أن تقطع رجلك ويديك ولك عشرون ألف درهم فقال لا قال فقل أن تكون مولداً وله عبدك ثم لا تقس التبادل عليها بحسين ألف درهم ، فاقنع الفقير وحمد الله على نعمه

وب كانت الطباع مائلة إلى اعتبار النعمة أحاصه نعمة دون النعمة العامة ؛ كما أسلف ؛ وحب أن يشير إلى النعم الخاصة بإشارة وجيزة فيقول : ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله رأى أن الله تعالى عليه نعمة أو بها كثيرة نخضع لا يشركه فيها أحد مطلقاً ؛ يعترف بها كل عبد في ثلاثة أمور - في العقر والخلق وخواطر الفكر - أما عقر فقام من عبد إلا وهو راض عن الله في عقله ؛ ويعتقد أنه أعقر الناس وقدما يسأل الله لعقر كما يسأل به باقي حاجاته ، فواجب عليه أن يشكر الله على هذا الاعتقاد وأما الخلق فقام من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً بكرها وأخلاقاً يذمها ويذم يذمها لأنه ريثاً عنها وليست فيه إذا كان كذلك وجب عليه أن يشكر الله تعالى إذ تمّ عليه عس حقه واتى غيره بالخلق السيء ، وأما خواطر الفكر فقام من عبد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرده به ولو كشف العطاء حتى اطمع عليه أحد من الخلق لاقتصر

هذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل واحد وهناك طبقات أخرى أعم من هذه قليلاً ؛ فقام من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو صفاته أو أهله أو ولده

أو يردقه أو في سائر ما يحبه أموراً لو سلت منه وأعطيت لغيره لكان لا يرضى
مثال ذلك أن جعله الله مؤمناً لا كافراً - وإنساناً لا جيمه ، وسليماً لا مريضاً ،
ودامال لا فقيراً ؛ ومصاحب حرقه لا عاطلاً - فهذه نعم أجمعها الله على عبده
خاصه ، ولكن لجهله لا يشعر بها ولا يقدرها . نسبت أنه دائماً ينظر لمن هو أعلى
منه ؛ فيستحققر نعم الله عليه . ولو نظر إلى من هو أقل منه لاستعظمها وشكر الله
عليها - وبإلته يساوي بين دينه ودنياه ؛ فينظر في أمور دينه من هو أعلى منه
يقبله ؛ بل بالعكس يرسك الدنأ ثم يقول إن أكثر الناس من تكبئون ما هو
أعظم ؛ مثلاً إذا كان يشرب الخمر يقول إن فلاناً يشرب الخمر ويرقى ؛ وأنا أحسن
منه ؛ والذي يشرب الخمر ويرقى يقول إن فلاناً يشرب الخمر ويرقى ويسرق وأنا أحسن
منه ؛ وهكذا يجعل النظر دائماً إلى من هو أشد منه معصية لعرض نفسه على
ارتكاب الذنوب ؛ وبإلته ينظر إلى من هو أشد منه تدناً فيقتدى به ويجاهد نفسه
في تقليده . قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (من نظر في الدنيا إلى من هو
دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتسه الله صارا وشكر ومن نظر
في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتسه الله صارا ولا شاكراً)
(ت) - فاعلم هدايا وهداك الله أن من ينظر في حال نفسه وحده الله تعالى في نفسه بها
كثيرة ؛ لا سيما من أكرم الله عليه نعمة التوحيد والإيمان ورزقه الأمن والعافية
واليقين وغير ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كفى ما يقين عبي) (طب) ،
وقال عليه السلام (من أصبح آمناً في سربه معافى في بطنه عتده قوت يومه
فكأما حيرت له الدنيا بحدايرها) (ت) ولكن الناس يشكون ويتألمون لجهلهم
بحقيقة هذه النعم ولا يشكرون الله عليها . فإن قلت ما علاج هذه القلوب العافيه
الشكر حتى تستشعر نعم الله تعالى فعسها تشكر فأقول القلوب في ذلك انسان
قنوب بصيره وعلاجها للتأمل فيما أشره الله من أنواع النعم العامة التي تسبها بعض
الحاق ونحيا - وقنوب بلبدة لا تعتبر النعمة نعمه إلا إذا حصت . لذات ؛ وهذه
القلوب يجب على أصحابها أن يسطروا دائماً إلى من دونه من الخلق فيستريحون
ويقنعون بما هم فيه ؛ وقد كان بعض الصالحين يتوجه إلى دار المرصى ليشاهد أنواع

الأمراض ، وما أسبل الله به عباده من أنواع اللأء . ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة ويشكر الله تعالى عليها . ويث هد أيضاً عجمين والأشرار الذين يقتلون النفس مسجون . ويمدو في سجنهم بأنواع العذاب . ويشكر الله الذي عصمه من ارتكاب مثل هذه الخنات ، فإذا عرف الإنسان ذلك طلب من الله تعالى أن يهبه لأن يصرف بقيته العمر فيما حق العمر لأجله . وهو لتزود من الدنيا للآخرة . فهذا علاج القلوب العالمة ، ومما ينبغي أيضاً أن تعالج به القلوب العبيدة عن الشكر : أن تعرف أن النعم اء لم تشكر رالت ولم تعد . وقضا الله وديامكم لشكره .

باب في فضيلة الشكر

علم أن الله تعالى قرب الشكر بالذكر في كتابه العزيز . فقال عز وجل (فاذكروني أذكركم واشكروا ولا تكفرون) وقال تعالى (ما يمين الله بمداكم إن شكرتم وآمنتم) ولعن ربة الشكر من إبليس في الخلق فقال (ولا تعد أكثرهم شاكرين) وقد قطع الله تعالى ما يريد مع الشكر فقال (من شكرتم لأزيدنكم) واعلم أن الشكر خلق من أخلاق النبوة رد لله تعالى (والله شكور حلیم) وحسن الله الشكر مفتاح أهل الجنة : فقد تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) وقال (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين) وأما الأحبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر) (ت) وروى عن عطاء أنه قال دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت اخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت — وأى شأنه لم يكن عجاً : إنا في ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافى حتى مس جلدى جلده : ثم قال (يا ابنه أبى بكر درى أنعب لرى) قلت قلت إني أحب قربك : ولكى أوزر هواك فأدست له فقام إلى قرية ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره : ثم ركع فبكى : ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى : فلم يزل كذلك يبكى حتى جاء بلال فأدبه بالصلاة : فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر : فان

(أفلاً أكون عبداً شكوراً : ولم أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى على (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم) (حب) وقال عليه السلام (بضادى يوم القيامة ليقيم المحادون فتقوم رمره فيصلم لواء فيدخلون الجنة) قيل ومن المحادون قال (الذين يشكرون الله تعالى على كل حال) وفي لفظ آخر (الذين يشكرون الله على السراء والضراء) (طب) ولم ير في كثر المال ما رل في فقرآن قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه : نى المال تحب : فقال عليه السلام (يشهد أحدكم لساناً ذا كرا وقناً شكرا وده جة مؤمنة نعينه على آخرته) (ت) فهذا خير وأنبى .

باب في حقيقة الزهد وفصله

إعلم أن الزهد مقام شريف من مقامات الصالحين ، وهو أن يرهد العبد في الدين فيخرج من لقب حبها ويدخل حب الطاعة فيه : على أن تشغل العين واليد وسائر الجوارح في الطاعات ، وليس من زهد في الزمان ولا في الخلق بل الزهد الذي يترك الذرهم والدينار - لأن الخبز والترب لا يتوهمهما نفس فارهد من آتته الدين راعه صبروا عموا وهو قادر على تشبعها فبترك خوف أن يركن إليها ويأنس بها فيكون أنساً بغير الله وعمياً لما سوى الله أو يتركها طمعاً في ثواب الآخرة فيترك لطمع بأثرة الدين طمعاً في أشربه الجنة ويترك لطمع بالنساء طمعاً في الخور العيب ويترك لترو في البساتين طمعاً في سابين الجنة ويترك انطاعم اللبده طمعاً في هواكه الجنة فيفصل ما وعد به في دار النعيم على ملاد لدي حقيقه ارهد هو ترك كل شهوة وكل حظ في الدنيا والآخرة : فيبغى على تعد الزاهد أن يعلم أن الدار الآخرة خير به من الدار القابيه ، حتى يبيع دينه بأخره بعد عمه بأقصده الآخرة على الدين : ومتى قوى يقينه في ذلك كان زاهداً حقاً - كما قال الله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) ثم بين أن صفقتهم راحمة هذا البيع فقال تعالى (فاستشروا بيعكم الذي بايعتم به) .

وأما الأحبار فما ورد منها في دم الدنيا كثير . ونحن الآن يقتصر على ذكر بعض

ماورد في فضيلة بغض الدنيا وهو عين الزهد - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه وفرق عليه صبيحته وجعل فقره بين
عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه
وحفظ عليه صبيحته وجعل عده في قلبه وأنته الدنيا وهي راحة) (ه) وقال عليه
السلام (إذا رأيتم أحدًا وقد أعطى صمتًا ورهًا في الدنيا فاقربوا منه فإنه ياتين
الحكمة) (ه) ولذلك قيل من زهد في الدنيا أربعين يومًا أخرى الله يسارع الحكمة
في قلبه وايطبق بها لسانه . وقال عليه الصلاة والسلام (إن أردت أن يحبك الله
فازهد في الدنيا) (ه) فمن الزهد سبيل المحبة ، ولما قال حذيفة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم . أصبحت مؤمنًا بالله حق - فقال له (انظر ما تقول فإن لكل قول
حقيقة في حقيقته بيمانك) فقال يا رسول الله . عرفت نفسي عن الدنيا ، أي أدبرت
وهرت ، فأسهرت بيني . وأطمان بهاري . فكان عرش ربي بارأ ، وكان
أنظر إلى أهل الجنة . وروى فيها وكان أنظر إلى أهل النار يتعاونون فيها ، فقال
عليه السلام (أنصرت فالزمه . عسى وراثة الإيمان في قلبه) (ط) فانظر
يا عبد الله - هذان وهذان الله كيف بدأ ظهر حقيقة الإيمان زهد النفس في
الدنيا . فربما يلقى . وكيف رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما سئل عليه
السلام عن معنى قوله تعالى (من شر الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)
قال (إن لمور إذا رحل القلب شرح له الصدر وأمسح) قيل يا رسول الله هل
لذلك من علامته عرف به . قال نعم ليجي عن دار العز . والإرادة إلى دار
الخلود . والاستعداد سموت قيل قوله . (ك) فمن الزهد شرط للإسلام وهو
التحقيق عن دار العز

وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ألا تستطعم الله
فيطعمك قالت وبكيت لما رأيت به من اجوع فقال (يا عائشة والذي نفسي بيده
لو سألني أن يجرى معي حان الدنيا دها لأجراها حيث شئت من الأرض ،
ولكني خرت جوع الدنيا على شعبي ، وفقر الدنيا على عناها ، وحرر الدنيا على
مرحها . يا عائشة إن الدنيا لا تنبى لحمد ولا لآل محمد . يا عائشة إن الله لم يرص

لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا . والصبر على محبوبها ثم لم يرض
 لي إلا أن يكلف ما تكلفهم . فقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله مولى مد
 من طاعته وإن الله لأصبر كما صبروا يحدى ولا قوة إلا بالله) (أبو منصور
 الديلمي) فتأمل أيها المسلم في رهديك صلى الله عليه وسلم في الدنيا واسع مسته مدمت
 قد اتبعت شريعته . وقال عبه السلام (رهد في الدنيا يحث الله واره فيها في أبدى
 الناس يحثك الناس (ق) . والأخبار الواردة في مدح الرهد ودم الدنيا كثيرة فان
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما عثروا إلا بصرف الدس عن الدنيا إلى الآخرة .
 وإليه . حج أكثر كلامهم مع الحق . وفيها ذكر كعبه للمستنصر

باب في حقيقة الرضا

رضا ثمره من ثمرات المحبة . وهو من أسمى مقدمات القربين . وحقيقته تامة
 على الكثير من الحق لما مدح عليه من 'نشانه والاهم . فلا تنكشف إلا لمن عبه
 الله تعالى التوكل وفقهه في الدس . وقد حرر حبه الإسلام أبو حامد العزالي في هذا
 الباب من الإيجاب ما يلخصه فيما يأتي

يعلم أن من أحب إنساناً صلى بما يقبضه لأن الحب يوجب . صا رُفعال محبوب
 وهذا سبب . أحدهما أن الحب يطل بحاس الحب بالآلم . فإذا أصابه ما يؤله
 م يحسن به . مثل ذلك الرحن المحارب فإنه في حال عصبه قد تصببه صفة فلا يحسن
 بها ولا يدرى الدم يسيل منه . لأن غلب عني كان مشعوا لا نشي . ومسعرقا فيه
 لا يشعر به . حد من كان ما يشعله من غير حبه فكيف إذا كان الشاعل
 لتقلب من حبه المحبوب فلا شك أن يكون الشاعل أكثر . قول ذلك فيمن يحب
 أو يعشق إنساناً حمل صورته أو حسن طبعه أو فطرته . أو لايه نصينه فيه .
 أما من يكون عشقه ومحبهه خال حظه . الربوبية وجلالها فلا شك أن عشقه لا يوصف
 ومحبه لا تنتهي . لأن من ينكشف له نية من جمال الحضرة الزمانية وجلال الطبيعة
 الإلهية . قد يدشن فلا يحسن بما يقع له . أم السبب الثاني . فانه يحسن بالآلم ويكون
 راضياً به من راغاً فيه . كمن يطلب من الحجام أن يحجمه فهو يشعر بالآلم الحجامه

لكنه راض عن فعل الحجام من بغيه أحرأ على فعله ، فهذا حال الراضى عن الألم مع شعوره به . ثم ما من من أن من تصيبه طية من الله تعالى وكان عنده يقين بأن ثوابه المدخر له أعظم مما له من المصائب وسبب رضى بها ورغب فيها وأحب الله وشكره عليها — هذا إن كان ليس الثواب والاحسان — وهناك درحة على وهي أن يغلب الحب على قلة فيكون رضاء بمصائب كبرها من فعل محبوبه . وهو الله سبحانه وتعالى ويرى أن رضاء مولاة غاية مطلوبه . ويرى أن نون عليه السلام قال لجريل دلي على أعداء أهل الأرض مدله على راح قد قطع الجدام يده ورجليه وذهب بصره ، فسمعه وهو يقول . هي متعس بما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل ما رأيت وصول . فيلأحد تعارفين بالله هل ملت غاية الرضى عنه فقال أما تعالاه فلا . وسكن مقام الرضى قدس ، لو جعل جمرأ على جهنم يتعبر الخلاق على أن الله لم يملأ في جمرأ لقمه وبدلاً من حقيقة لأحدثت دلت من حكمه ورجحان من قسيمه . وكان عمران ، حصين قد مرص بالاسنق في ملق على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد . حل غبه مطرب وأجبه تعالاه فجعل مطرب يكي . ما من حبه ، فقد لم يكي . قال لأن أراك على هذه أخالة تصيبه . قال عمران ذلك في أحسنه من الله تعالى . ثم قال . أحدثت شيئاً عن الله أن يسمعك به وإكتم على حتى تموت . من لئلا كما تروني فأنس به وتعلمه من أسمع تسميها . نعم بذلك أن . لا . ليس مقوله . وهو سبب هذه العمة خديعة . ثم يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضياً به .

ولا يطيل على القاري . لأن مثل هذه لوفيق كثيرة . ثم كان يحسن عاده الله الراعين تقصاته وقدره فإذا قلت إن هؤلاء قوم ظم عزمهم وقدرتهم على احتمال مثل هذا البلاء . فاعلم أن العزم موجود عند كل إنسان . ولكن تقصه الهمة ولا إرادة التقوية . وهذا ينفق تدريجياً بعد إيقاظ القلب من غفلته . وشدهائه من غلته . ليعرف حقيقة أفعال الله سبحانه وتعالى وبحبته للعبد . وما يريد له من الخير في الدنيا والآخرة بالاتباع ولكن من م ينفق ظم الحب لم يعرف عجزه . فلهذا

عجائب أعظم مما وصفنا . ومن بداخله الشك في صدق ذلك مثاله مثال من فقد
بصره فأبكر جمال الصورة ومن فقد سمعه فأبكر لديد الأضواء ومن فقد قلبه لا بد
وأبكر هذه اللذات التي لا يحل لها سوى القلب .

باب في فضيلة الرضا

قال الله تعالى (رضى الله عنه ورضوا عنه) أو قال عز وجل (وما كان طيبة
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن ،
كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وبذكر الله أكبر) فكأن ذكر الله في الصلاة أكبر من الصلاة ، وكذلك
رضوان رب الجنة أعلى من الجنة ، بل هو عتبة مطلب سائر الحسن وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يتجلى بمؤمن فيقول سلوني
فيقولون رضاك) (ص) فسؤالهم الرضا بعد النظر إلى وجهه تعالى لما علوا أنه سب
دوام رفع الحجاب قال الله تعالى (ولدتا مرید) قال بعض المفسرين بأقرب أهل
الجنة في وقت المزيد ثلاث نعم عن عند رب العالمين : إحداها هدية من عند
الله تعالى ليس عندهم في الجنان منها ، فذلك قوله تعالى (ولا يعلم نفس ما أحيى
هم من قره أعين) وثالثها السلام عليهم من ربهم فيريد ذلك عن الهدية فصلا .
وهو قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وثالثه يقول الله تعالى - إني عكم
راض . فيكون ذلك أفصل من الهدية والتسليم ، فذلك قوله تعالى (ورضوان من
الله أكبر) أي أكبر من التسليم الذي هم فيه . وأما الآخر فقد روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه سأل طائفة من أصحابه (ما أنتم) فقالوا مؤمنون ، فقال
(ما علامة إيمانكم) فقالوا نصبر على السوء ونشكر عند الرضا ورضى بمواقع القصاص
فقال عليه السلام (مؤمنون ورب الكعبة) (ق) وقال عنه السلام (من رضى
من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العيش) (أنموذج
الدبلي) صاحب الفريش ومن وقال عليه السلام (من أحب أن يعلم ماله عند الله عز
وجل فليظفر ما لله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله

العد من نفسه (ك) وروى في الإسرائيليات أن عابداً عبد الله دهر أطول لا يرى في المنام قالاً يقول له فلانة الراعية رقيقتك في الجنة ، فسأل عنها إلى أن وجدها مستصافها ثلاثة أيام ليظهر إلى عملها فكان يست قائماً وتبت نائمة ، ويص صائماً وتطل مفطرة ، فقال أما لك عمل غير مارأت ، فقالت ما هو والله إلا مارأيت لا أعرف غيره ، فلم يرب يقول تذكرى ، حس قالت حصيبه واحدة هي في ، إن كنت في شدة لم أتم أن أكون في حلم ، وإن كنت في مرض لم أتم أن أكون في صحة ، وإن كشت في الشمس لم أتم أن أكون في ظل ، فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه حصيلة هذه والله حصنة عظيمة يعجز عنها العباد ، قد قرأت أيها المؤمن ما جاء في فضل الرضا بقضاء الله وقدره وعسى أن رضى الله تعالى عن العبد أعظم من جنات عدن ، ولا ينال العبد هذه المروجة إلا برضائه هو عن فعل ربه . نسألك التوفيق لنيل رضاك يارب العالمين .

باب في حقيقة الصبر

اعلم هذان وهذان الله أن الصبر مقام عظيم من مقامات الدين ، ومدر من مدارج السالكين . فمقامات الدين تنقسم انما من ثلاثة أمور : معارف ، وأحوال ، وأعمال فالمعارف هي الأصول وهي ثوبت الأحوال ، والأحوال ثمر الأعمال ، وقد يطلق اسم الإيمان على كل ذلك ، فالصبر لا يتم إلا بمعرفة سابعة ، وهو خاصية الإيس فلا يكون الصبر في الشهائم والملائكة - أما الشهائم فليغص بها ، وأما الملائكة فليكلمها ، وليبان ذلك بقول إن الشهائم قد سيطرت عليها شهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس في الشهائم قوة تصدم الشهوة وتردها ولا معرفة لها أيضاً بعواقب الأمور ولا هداية لها إلى أمر دون الآخر . وأما الملائكة عليهم الصلاة والسلام فانهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والانهاج بسرجه القرب منها فلا تسلط عليهم شهوة تصدمهم عن حصرة دى الحلال حتى يحتاج إلى مقاومة - أما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبي ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة العناء الذي هو محتاج إليه ؛ ثم تظهر فيه شهوة اللعب والريّة ؛ ثم تخلق

فيه شبهة الشكاح وغيره : وهو «طبيعته ليس به قوة الصبر التامة : لأن الصبر عارة عن ثبات جسد عند تحريكه : وليس في الصبر إلا جسد الهوى . ولكن الله تعالى بمصلته وسعته هو «أكرم من آدم ورمع درجاتهم عن درجته البهائم واحتصمهم بصفتين إحداهما معرفته الله سبحانه وتعالى ومعرفته برسوله صلى الله عليه وسلم . والثانية معرفته عواقب الأمور : وكل ذلك بواسطته لعب الموكل بالهداية والتعريف : فصار الإنسان يعرف صور هدايته من اتباع شهوات به عواقب مكرهه ، وسكن هذه الهداية لم يكن كافية ما لم يكن به قدره على ترك ما هو مضر . ثم وكل الله تعالى بالإنسان مصلحته آخر مسددة وبؤسه ويتوهم بخنوده يرها . وأمر هذا الخلد بقتل جسد الشهوات ، فأمر بصبره وربة يهوى ، وذلك بحسب إمداد الله تعالى للعبد وتأييده . فعلى ذلك يسمى نوع الشهوات وقهرها راعت الدين . وتباع الشهوات يسمى راعت الهوى . والدين مستمر : وملائكة الصبرين خربت لله تعالى عند راعت الدين ، كما أن صاعين الصبرين راعاه الله تعالى عند راعت الهوى . والصبر هنا عزمه عن ثبات راعت الدين أمام راعت الشهوة : فإن ثبات حتى قهره واستمر عن مخالفة الشهوة فقد صبر حرب الله والتحق بالصبرين ، وإن تخاذل وسد عنه حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها استغنى أرباب الشياطين . وللصبر أرقام وحالات تذكرها فيما يأتي .

باب في حاجة العبد إلى الصبر

اعلم أن جميع ما يلاقيه العبد في هذه الحبة نوعان — أحدهما ما يوافق هواه . والآخر ما لا يوافق . والعبد يحتاج إلى «صبر في كلا الحالتين» فاسوع الأول الذي يوافق هوى الإنسان هو الصحة . الدين وحياء وكثرة العشرة وأنواع الأسباب وجميع ملاد الدنيا : ولعل يحتاج من «صبر على هذه الأمور» فإن لم يضبط نفسه عن الاهتمام في ملادها المباحة . أخرجته ذلك الاهتمام إلى النظر والطعن . فبالإنسان ليصغي أن رآه استغنى .

فالرجل هو الذي يصبر على العافية ، ومعنى الصبر عليها أن لا يتركها ، ويعلم

أر كل ذلك مستودع عنده - والوع الثاني - ما لا يوافق الهوى وهناك بيانه .
 أولاً - الصبر على الطاعة ثانياً - ملازمة الصبر في حالة العمل ثالثاً - الصبر
 عند الانتهاء من العمل . وهو الصبر عن إفشائه وإظهاره للضعف والرياء ، كما قال
 تعالى (لا يظنوا صدقاتكم بالمن والاذى) من لم يصبر بعد الصدقة عن المن والاذى
 فقد أطل عمله - رابعاً - الصبر على المعاصي في أحوال العبد إلى الصبر عنها . وقد
 جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله (ويهي عن تعششاء وامكر والسعي) وقال
 صلى الله عليه وسلم (المهاجر من هجر السوء واتحاهد من جاهد هواه) (هـ ن)
 فالمعاصي هي بواعث الهوى وأشد أنواع الصبر الصبر على المعاصي التي أصحبت .
 وبالألف مأروفه بالعادة - خامساً - صبر على أمور كثيرة لا تدحل تحت
 حصر ، كالمصائب مثل موت الأحبة ، وضياع الأموال ، وروال لصحة ، وعمى
 العين ، وفساد الأعضاء ، وبالمسئلة سائر أنواع البلاء . فبصبر على ذلك من أعلى
 مقامات الصبر . قال ابن عباس رضى الله عنهما ، "صبر في قرآن على ثلاثة أوجه .
 صبر على أداء فرائض الله تعالى لله تعالى في درجة ، وصبر على محارم الله تعالى فله
 ستته درجة ، وصبر على المصيبة عند نصبة الأولى فله تسعة درجة وإعما وصلت
 هذه الرتبة لأن الصبر على بلاء الله تعالى لا يقدر عليه إلا الصديقون ، ولذلك قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم - (أمانك من يتيقن ما نهون به على مصائب
 الدنيا) (ت)

وفان عليه الصلاة والسلام (ما من عبد مؤمن أصيب نصيبه فقال كما أمر الله
 تعالى - إيا الله وبإياه راحعون - هم أجري في مصيب وأعفى حراً منها ، إلا
 فعل الله به ذلك) (م) وقد داود عليه - السلام يارب ما حزنه الحزن الذي يصبر
 المصائب استعاه مرصالك - من حزنه أن الله ناس الإيدين فلا أزعجه عنه
 أبداً - وقال داود لمسلم عبيد السلام - يستبدل على تقوى المؤمنين ثلاث -
 حسن التوكل فيما لم يدل وحسن الرضا فيما قد من وحسن الصبر فيما قد فات - واعلم
 أن درجة الصبر في المصائب لا تنال إلا ترك الخزع وشق الحبوب ولطم الحدود ،
 وترك المال في شكوى ويطهار الكآنه ، وتغيير العادة ، فهذه الأمور داحلة تحت

حَتَّى يَارَ الْعَدُوَّ ، فَيَسْعَى أَنْ يَنْجِيَهَا جَمِيعًا وَيُظْهِرَ الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَمِرَّ عَلَى عَادَتِهِ ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ مَا قَدَّمَ مِنْهُ كَانَتْ وَدِيعَةً عَنْهُ وَاسْتِجَابَةً ، وَيَحِبُّ عَلَيْهِ أَيْضًا تَنْفِذَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَكُلِّ مَنْ فِي طَاعَتِهِ ، رَوَى عَنْ لُؤْلُؤِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ أَنَّهُ قَالَتْ ، تَوَفَّى ابْنُ لُؤْلُؤٍ وَرَوَّحِي أَبُو طَلْحَةَ عَائِشَ : فَقُمْتُ فِي حُجَّتِهِ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ هَيَّأْتُ لِرَوَّحِي إِطْفَارًا فَجِئْتُ بِأَكْلِ ، فَقَالَ كَيْفَ الصَّبْرُ ، قَالَتْ بِأَحْسَنِ حَالٍ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْذُ اسْتَنَكَى نَسْكَسًا مِنْهُ أَلَذَّةً ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كُنْتُ أَتَصَنِّعُ لَهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ حَتَّى أَصَابَ مِنْ حَاجَتِهِ فَقَبْلَ مَا يَحِبُّ مِنْ جَرِّ سَاقٍ مَا لَمْ يَكُنْ قَلَّتْ أَعْيُورًا عَامَّةً مَا طَلَبَتْ مِنْهُمْ وَاسْتَرْجَعَتْ حَرَمَهُ ، فَقَالَ نَسْكَسًا مَا صَنَعُوا فَقُمْتُ هَذَا اسْتَنْكَسَ كَانَ عَارِيَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبِإِذْنِ اللَّهِ قَبَضَهُ إِلَيْهِ ، فَحَمْدُ اللَّهِ وَاسْتَرْجَعَتْ ، ثُمَّ عَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَحْبَرَهُ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي لَيْتِهِمَا) (طَب) قَالَ رَوَى الْحَدِيثَ فَقَدْ رَأَيْتُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْمَسْجِدِ سَبْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ كَيْلِ الصَّبْرِ كِتَابَانِ الْمَرْصُ وَالْمَقْرُ وَسَائِرُ الْمَصِيبَاتِ .

باب في فضيلة الصبر

قَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّابِرِينَ بِأَوْصَافٍ شَرِيفَةٍ ، وَذَكَرَ صَبْرَهُ فِي الْقُرْآنِ فِي أَكْثَرِ مِنْ سَعِينَ مَوْضِعًا ، وَأَوْصَافَ أَكْثَرَ نَحَرَاتِ الْخَيْرِ إِلَى الصَّبْرِ ، وَجَعَلَهَا ثَمَرَةً لَهُ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ) وَمِنْ ذَلِكَ صَبْرُهُمْ (وَقَالَ تَعَالَى) وَتَمَّتْ كُلُّ رَحْمَةٍ أَلْفِي عَلَى سَبْعِينَ نَسْرًا مِنْ مَخَاصِدِ الْإِيمَانِ وَكَأَنَّ وَعْدَ الصَّابِرِينَ أَنَّ تَعَالَى مِنْهُمْ فَقَالَ (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) وَجَمَعَ لِلصَّابِرِينَ دِينَ أَمْرًا لَمْ يَجْمَعْهُ لغيرِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وَالصَّلَوَاتُ وَالرَّحْمَةُ وَهُدًى لِلصَّابِرِينَ وَاعْلَمْ أَنَّ اسْتِقْصَاءَ جَمِيعِ آيَاتِ الْوَارِدَةِ فِي مَقَامِ الصَّبْرِ وَفَصْلِهِ بِطَوَّلٍ أَمَّا الْأَحْصَاءُ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ) (حَل)

وَرَوَى جَابِرٌ أَنَّهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ (الصَّبْرُ وَالْمَسَاحَةُ)

(أبو منصور الديلمي) وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال (أمؤمنون أتم) فمكتوا ، فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله ؛ قال (وما علامة إيمانكم) قالوا نشك على الرخاء ونصبر على البلاء ورضى بالقضاء فقال عليه الصلاة والسلام (مؤمنون ور - الكعبة) (ط) وقال عيسى عليه السلام (إنكم لا تدرون ما تحبون ولا تصبرون على ما تكرهون) وقال بعض العارفين أهل نصر على ثلاث مقدمات ، أولها ترك الشهوات وهذه درجته الثالث ، والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزهادين ، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين

باب في حقيقة الصدق

اعلم أن الصدق ركن من أركان الدين العظيمة ، وهو يستعمل في ستة أمور صدق في القول ، وصدق في السيرة ، والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في النوايا ، والعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقدمات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق ، ومن اتصف بالصدق في شيء من ذلك فهو صادق باسمه لما صدق فيه ، وبإيماناً بذلك بقول

الصدق الأول - وهو الصدق في القول أي صدق اللسان ، لحق على كل عبد أن يحفظ أمانته فلا ينكسر إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه ولم يخبر عن الشيء إلا بحقيقته فهو صادق وقد رخص في انطباع على وفق المصلحة في ثلاثة مباحات من أصح بين اثنين ومن كان به روحان ومن كان في مصاح الخراب فالصدق هو يتجوز في نسبة في صح قصد وصدق بيقته وإذا دته للحير كان صدقاً - ومن باب أولى يجب على العبد أن يراعى معنى الصدق في ألفاظه التي يباحي بها ربه كقوله في الصلاة (إياك نعبد) وقوله أنا عبد الله ، فإنه إذا لم يتصف بتحقيقه العبودية وكان له مطلب مسبوق الله لم يكن صادقاً في قوله قد رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عبد الدنيا وعسى عبد الله ثم وعبد الخيطة وعبد الخبيصة) (ح) فقد سمى كل من تقيد بشيء عبد له

الصدق الثاني الصدق في النية والإرادة . ويرجع ذلك إلى الإخلاص ، وهو أن لا يكون له باعث في فيه في حركاته وسكناته إلا الله تعالى . من حالته شيء من حظوظ النفس بطل صدق البية . قال الله تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) وقد قالوا إنك لرسول وهذا صدق ولكن كذبهم من حيث صمير القلب وبياهم .

- الصدق ثالث - وهو صدق العزم ، فإن الإنسان يقدم العزم على العمل
 يقول في نفسه إن ربي الله لا تصدقت بعبثي ، فهذه العزيمة قد يصادفها قوة
 أو يكيد من دمه ، فتكبل حارمة صادقه ، وقد يصادفها تردد وضعف فيثقل صدق
 في العزيمة

الصدق الرابع وهو الصدق في الوفاء بالعزم ، فإن النفس قد تسحو
بالعزم إذا لامشته فيه ، ولكن عند تحقق العزم تحسن وتغلب الشهوة ولم يتم الوفاء
بالعزم ، وهذا ينافي الصدق فيه

الصدق الخامس - الصدق في الأعمال ، وهو أن يكون ما ظهره
أن يصدق ما به ما فعله ما ظهره لاكن يقوم في علته حاشما بين يدي الله فترده
تحميه حاشما ولكنه في نفس قلبه في الأمور متعكر في شدة من شهوات الدنيا
فهو غير صادق في عمله لأن سريره غير مصدق لعلانيته . قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (الله احسن سر في حير أ من علاني وأحسن علاني صالحه) فاعلم أن
صدواه سريرة تعدية أهم أنواع الصدق (ق)

- الصدق السادس وهو أعني سرحاب وأعزها ، وهو الصدق في مقام
الدين كالصدق في أخوة وإخاء ، وعظمته تعالى ، وبره والرحمة والتوكل
والحب ، فإن هذه الأمور فضلا عن غير ما فإن لها حقائق ، وصدق المحقق من
مال حقيقة مواضعها ، لأن شيء إذا غلب على العبد وتمت حقيقته عنده ، سمى صاحبه
صادقا فيه . قال الله تعالى (يا أيها الملأ من آمن آموا بالله ورسوله ثم لم يرابوا
وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقال تعالى (ولكم
البر من آمن بالله واليوم الآخر وأملآنكم) والكتاب والدين وثق الله على حبه

ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة
وآتى الزكاة والمرفون بعدهم إذا عاهدوا والصارين فى الأساء والصراء وحينئذ
أولئك الذين صدقوا - ومن أبودر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فتقبل له سألناك
عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية
فتحقيق هذه الأمور عربى جداً ولكن لكل عند حظ فى حوفه بحسب حاجته ، إما
ضعف وإما قوى ، وإذا قوى سعى صادقاً فيه فهذه درجات الصدق وحقبته

باب فى فضيلة الصدق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى
الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى
الفجور والمجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)
(١) ويكنى فى فضيلة الصدق ما قرأته فى الباب السابق من آيات القرآن الكريم .
ويكنى أيضاً أن الصدق مشتق منه ، والله تعالى وصف الأنبياء به فى معرض المدح
والثناء فقال عز وجل (واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً) (٢) واذكر
فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً) (٣) واذكر فى الكتاب
إدريس إنه كان صديقاً نبياً) وقال النبى فى قوله تعالى (ويوم نقيم نرى الذين
كذبوا على الله وجوههم مسودة) قال هم الذين ادعوا بحجة الله تعالى ولم يكونوا
بها صادقين . وهذا أمر على حذر عظيم . فمن تأمل ذلك رأى أن لصدق درجة
كبيرة من درجات الإيمان . وقيل أن أحتم هذا الباب أذكر للعارى ما رأيت فى
بعض الكتب عن وهب بن منبه ، وهو عاشره من اثنين وعشرين حكمة نبوية فى
اللاعنة تقصد الإسماع بها . قال رحمه الله تعالى . وجدت على حاشية التوراة
اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرأونها ويتدارسوها -
(لا كبر أرفع من العلم ، ولا مان أرخ من الحلم ، ولا حب أوسع من العصب
ولا قريب أرين من العمل . ولا رفيق أشبه من الجهل . ولا شرف أعز من التقوى
ولا كرم أوفى من ترك الهوى . ولا عمل أفضل من العسر . ولا حسنة أعلى من

الصبر . ولا سبته أخرى من السكر . ولا دواء ألين من الرفق . ولا داء أوجع من الحرق . ولا رسول أعدل من الحق . ولا دليل أصح من لصدق . ولا فقر أدل من الطمع . ولا عي أشقى من الغم . ولا حياة أطيب من الصحة . ولا معيشة أهنأ من العفة . ولا عبادة أحسن من الخشوع . ولا زهد خير من القنوع . ولا حارس أحفظ من الصدق . ولا غائب أقرب من الموت (انتهى) جعلنا الله من يستمعون القول فيتبعون أحسنه

باب في حقيقة الإخلاص

قال سهل رحمه الله تعالى الإخلاص هو أن يكون مكرماً بعد وحر كانه لله تعالى . وقال ابراهيم بن أدهم الإخلاص هو صدق الية مع الله تعالى - وقال آخر الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين . وهذا إشارة إلى أن خطوط النفس تستطيع لها آفة سواء في الدنيا أو في الآخرة فالعبد الذي يعد الله لا حين أن يسمع ما شهوات في لحته فعبادته معولة . لأن حقيقة العمل أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى . لا طلباً لثمة . ولا خوفاً من النار . وهذا إخلاص انصديقين أما من يعمل لهذا أو ذاك فهو مخلص أيضاً ؛ وسكر بالنية للعمل الذي أحلص فيه . ولكن إذا صدق العبد وكانت به لرياء كان مخلصاً بالنية للعمل التصديق فقط . ولم يكن مخلصاً في بيته . أما إذا كانت بيته استعانة وجه الله تعالى . كان مخلصاً في العمل وفي ذاته . وعنى ذلك . حقيقة الإخلاص "عمل الذي لا يقصده إلا وجه الله تعالى واستعانة مرضاه . وما عدا ذلك فلا يسمى إخلاص . ويلك بعض الأمثلة عن الأعمال التي يقوم بها العبد يقصد بها التقرب إلى الله تعالى ؛ وإنما يتطرق إلى هذا القصد شيء من شهوات النفس أو حظ من خطوط الدنيا . كما يصوم لينتفع بالخير التي تحصل من عدم الأكل وهو مع ذلك يقصد التقرب إلى الله تعالى بالصوم ومن يحج ليصح حجه بحركة السر تعير الهواء أو يحج ماشياً ليوفر عن نفسه نفقات السفر ومن يصلي بالليل ليدفع عن نفسه النوم ليقوم بمراقبة أهله وحراسته مزرعته أو ماله أو يتعلم العلم لتسهيل عليه الحصول على المال أو ليكون

محترماً بين قومه أو يكتب مصحفاً بحظه ليحس حظه أو يتوسلاً لينتظ أعماه
أو لينتد بالماء أو يروي حديث ويبط الناس يقول أنه عالم أو يتصدق على السائل
ليقطع زنده عليه أو يعود مريضاً ليعوده الناس إذا مرض أو يشيع جنازة
لتشيع الناس جنازة أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير عند الناس وينظروا
إليه بعين لصالح . الوفا . فتي كان لباعث على العمل التقرب إلى الله تعالى فهو
الإخلاص بعينه . أما : أصيب له سبب من الأسباب التي ذكرناها فقد حرج
عنه عن حقه بالإخلاص . وطريق إليه الشريك الحق الذي يحبط لأعمام ولدك قبل
من سببه من سببه حظه وحده خاصة لو حقه الله تعالى . وذلك لمرّة الاخلاص
وعسر تقية قلب من الشوائب لأن الله أن يظهر طوبى من

باب في طريقة الحصول على الاخلاص في العمل

الطريقة التي يحصل بها العمل على إخلاص في عمله . هي كسر خطوط النص
وقطع الطمع عن الدنيا وسحره لآخره . بحيث يعلب ذلك على القلب . فعندها
يتيسر الاخلاص . لأنه لا يرى أمامه إلا الله تعالى وما سواه فهو باطل . فيخلص
وعصر عمله . فكم من أعمال يعبد فيها العبد ويطلب أنها خاصة لوحه الله ويكون
فيها معروف . لأنه لا يرى طريق لاه فيها . كما حكى عن مصعب أنه قال قصيت صلاة
ثلاثين سنة كنت عتيها في المسجد في الصف الأول . وقد تأخرت يوماً لعدم
صلوات في الصف الثاني فاعتزني حجة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني .
فعرفت أني كنت مسروراً بنظر الناس إلي . وأنا في الصف الأول . وكان قلبي يستريح
لذلك من حيث لا أشعر . وبذلك صاع ثوب الثلاثين عاماً . فاعلم أن هذه آفة عامة
قما نسب أعمال العباد من أمثاله . وتقدير من ينته لها . وهو من وفقه الله تعالى .
وما يفرح بها . وروى حسنتهم كلها في الآخرة سناب . وهم المرادون بقوله تعالى
(وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) (وبدا لهم سينات ما كسوا) وقوله تعالى
(قل هل منكم من لا يحزن أعمالا الدين صلحهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا) فأنس أيها المؤمن الذي يريد وجه الله في حظورة هذه الحالة .

حيثما تذهب حسنات العبد وتعمل عليه سننات لدخول الآفات عليها . فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يعرف فيه الكثير إلا النادر ، وهو المستثنى في قوله تعالى (إلا عبادك منهم المخلصين) فصيحى لك أيها اللهم (وما لىنى كنت ناصحاً لنفسى) أن تكون شديد القدر والمراقبة لهذه المواقف ، والله فى عون العباد .

باب فى فضيلة الإخلاص

أما فضيلة الإخلاص فقد قال الله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقال جل شأنه (إلا الذين سواوا صلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله) وقال مصعب بن سعد عن أبيه قال النبى صلى الله عليه وسلم (إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بصعابها ودعوتهم و: خلاص صلاتهم) (ب) وقال على كرم الله وجهه - لا تنتموا بغير العمل واهتموا للقبول من النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعد بن جبل (أحسن العمل يحرك منه القبيل) (أبو منصور) وقال (أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة ؛ رجل أتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت ؛ فيقول يارب كنت أقوم به أتاه الليل وأطراف النهار ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت - من أردت أن يقال فلا علم ألا فقد قيل ذلك ورجل أتاه الله مالا فيقول الله تعالى عدت عليك فإذا صنعت ، فيقول يارب كنت أصدق به أتاه الليل وأطراف النهار . فيقول الله تعالى كذبت وتقول ملائكة كذبت ، بل أردت أن يقال فلا حواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قتل فى سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت ؛ فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتل ، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ؛ أردت أن يقال فلا شجاع ألا فقد قيل ذلك) قال أبو هريرة ثم خط رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدى ، وقال (يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسمى نار جهنم يوم القيامة) فدخل راوى الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كانت معه ترهق ثم قال صدق الله العظيم ؛ إذ قال (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبحسون أولئك الذين خسروا أنفسهم وصل عنهم ما كانوا يفترون) (م)

وقل عليه الصلاة والسلام لاى در رضى الله عنه (يا ابا ذر جد السفينة فى البحر عميق ، وخذ الزاد كاملا فان البحر بعيد ، وخفف الخل فى العفة كثود ، وأخلص العمل فان الدافد بصير) أو كما قال .

وقال يحيى بن معاذ الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبس من التثرثر والدم . وقال بعض الصالحين إذا أعطى الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه صحة الصالحين ومنعه القبول مهم . وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها . وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال محمد بن سعيد المروى الأمر كله يرجع إلى أصلين . فعل من الله بك ، وفعل منك له ، فترضى بما فعل بك ، وتحسن فيما يعمل له ، فإذا أنت قد سعدت بهذين وفزت فى الدارين .

باب فى حقيقة النية

أعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات بمعنى واحد ، وهى حالات للقلب تتكون من أمرين : علم وعمل . فالعلم فى النية هو الأصل ، والعمل ينمى . ولإيضاح ذلك نقول ، أن كل حركة وسكون اختارى لا يتم إلا بثلاث أمور - علم وإرادة وقدرة (نقول اختارى مع أن العبد ليس له اختيار ؛ ولكنه عبر بكلمة اختارى هنا عن الحركة التى يعملها الإنسان نفسه دون أن يحبر عنها من غير ، كأمر يقوم ويمشي ويجلس وينام وهكذا) هذه الحركة وهذا السكون لا يتم إلا بعلم أولا ، وإرادة ثانيا ، وقدرة ثالثا ، أعنى أن الإنسان يعلم أولا مايشئ . ومتى كان موافقا حصلت الإرادة ثم تسعت من هذه الإرادة القدرة على العمل . فيحصل العمل بعد ذلك . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات (أى أن الأعمال تابعة للنية وليس للأعمال حكم فى نفسها وإنما الحكم للنية

فقال فى النية حالات للقلب ، أما الأعمال فتقوم بها الجوارح ، وذلك يكون القلب هو الأصل ، والأعضاء آلات موصلة لمقصود ، وفى الحديث (إن فى الحسد مصعة إذا صلحت صلاح لها سائر الجسد) (ق) والمصعة هى القلب فمن ذلك كانت النية وهى عمل من أعمال الجوارح ، وفى الحديث (نية المؤمن خير من عمله) (طب) وذلك لأن النية لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولا يطلع عليها الخلق فلا

يقسرب إليها الرياء بخلاف العمل لأنه ربما عند حصوله يقصده نوعاً من الرياء أو السمعة أو التعظيم فحط العمل بل يزداد شراً ما اكتسب صفه الرياء أو اشغال القلب وقت العمل بمشاعل الدنيا مثال ذلك أنه إذا بوى الرجل الصلاة فالتية في نفسها صدقة وسكن أثناء الصلاة شعر تطلع الناس إليه وتعجبه ذلك وسر منه أو كل أثناء سجوده مشغولاً بالدنيا فلم يشعر بالسجود ولم يكن له أثر في قلبه فإذا حصل ذلك سر الرياء للعمل أولاً ثم صاعت فائدة السجود ثانياً لأن فائدة السجود هي - نعم - نقل بوضع الجهة على الأرض فحصل له الواسع لعظمة الله عز وجل - وعن هذا فإن حوادث التي يعوم بها الإنسان من غير سنة خاصة في قلبه - صلة - والأعمال المتعقبة بآدم في حياته على اختلاف أنواعها تنقسم إلى ثلاثة أقسام - معاصي وصاعات ومباحات - والمعاصي لا تتغير عن أنها معاصي بالنية، ولا يدعى أن يفهم الحاض ذلك من معنى قوله عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات) فيص أن المعصية بقلب طاعة بالنسبة، كأنه يسرق بمعجه فيبدحها ويتصدق بلحومها على الفقراء أو يبنى مسجداً من مال حرام فهذا محابف للدين فإن فعله وهو عام به فهو معبد للشرع وإن كل جهلاً فهو عاص بجهله لأن طلب العلم من بصره على كل مسم وعلى هذا وكل من بوى من حيز بمعصيه وكان جهلاً فهو غير معذور فقد قال الله تعالى (فاسأوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يعد الحاض على الجهل إلا جاهلاً بل لجاهل حينئذ أن يكس على جهله ويرضى به فليسأل العلماء ليصح عبادته، كما أنه لا يحل لعدم أن يكتم عليه أما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) فيختص بالطاعات والمباحات فقط، ولا يختص بالمعاصي ومعنى ذلك أن الطاعة تنقلب بمعصية بالنية والمحابف بقلب معصية أو طاعة بالنية - أما المعصية فلا تنقلب طاعة بالنية أصلاً

أما طاعات فهي مرتبة بالنيات في أصل صحته بوقى تصاعف فصلها؛ لأن الأصل في الطاعات أن يتوى بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن بوى الرياء صارت معصية، أما تصاعف الفضل فمكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن يتوى بها حيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، ثم تصاعف ذلك إلى ما شاء الله

مثال ذلك القعود في المسجد فإنه طاعة ، ويمكن أن يتوى فيه بيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ، ويبلغ به درجات المقرين كأل ينظر الصلاة بعد الصلاة فيكون كأنه في صلاة ، وإن تكلم "سمع والنصر والأعضاء عن الحركات ، وعن استماع العينة والنظر في ما لا يحسن النظر "هـ" و"سجد له ذكر الله أو لاستماع ذكره ، أو للتذكير به ، وغير ذلك فهذا لا يبقى تكثيره ، بل وقس على ذلك في سائر الصلوات والمباحات ، إذ ما من صلاة إلا وبحسن بيات كثيرة ، وإنكر سدد السب تنحصر في قلب الرجل ثم من بعد حدة في صف الخيرة وتفكره هـ

وأما المباحات فما من شيء إلا ، بحسن به أو بيات يصير بها من محاسن القربات فما أعظم حسرات من بعض عها وتتر على قلبه كما عر على قلب أهلهم المهمة فلا يدعى حينئذ أن يسحق بعد شت من حشرات وانقطاعات ، فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة . يقال له لما فعلت هـ وما الذي قصدته به ، فاستيقظ أيها العبد واسمه من غيبك فعداً تسأل عن مباح يخص قلبه عليه السلام (من تطيب به تعالى حده يوم القيامة وريحه أظيب من المسك ومن تيب به به تعالى حله يوم القيامة وريحه أس من الجنة) (أنو وريد) وسئل "أطيب مباح وسكن له مدحه من به . وبه لطيب ما ألكون بقصد اللذة ، سمر ، فهذا ليس بمعصية وإما أن تكون بقصد إظهار تفاخر أو تقوال أو قصد به به يعظمه لنفسه ويحرمه أو يتوود به في قلوب النساء وغير ذلك ، فكل هذا يحسن "تطيب بمعصية

واعلم أن المباحات كثيرة لا يمكن حصارها كما لا يمكن إحصاء النار وبها نفس هذا المش على ما ساءه وعلى ذلك بمعنى أن يكون لكل عمل به ، مثل الأكل والشرب والوفاع وغير ذلك على شرط أن يقصد به به تعالى مثلاً عند الأكل تنوى أنه للنفوى على عبادة ، وعند الوفاع تنوى أنه تحصين دينك وتطبيب قلب أهل بيتك وتوصل به إلى دية صالحه تعد الله بعدك فيجب على العبد أن يحسن بياته في كل شيء حتى عند صياحه بالله فيقول هو في سبيل الله فإياك إياك أن تسحق شيئاً من حركاتك ، فاحذر عرورها وسرورها ولتسمه للإجابة عن كل عمل أو قول يوم السؤال . فيستأنه سبحانه وتعالى مصلح عليك وشهد .

باب في فضيلة النية

قال الله تعالى (ولا تطرد الذين يدعونهم بالعداة والنسب يريدون وجهه) والمراد بذلك الإرادة هي النية . وقال عمر وحل (من بدأ بصلاح يوفق الله بينهما) فجعل النية سبب التوفيق ، وقال صلى الله عليه وسلم (ربع الأعمال نيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى ^{يأبى} يابصيحها أو إلى امرأة يسكنها فمجرمه إن مما جرح إليه) (ق) وقال عليه السلام (من الله تعالى لا ينظر إلى حسنكم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (م) وإنما نظر إلى القلوب لأنها محل البية . وقال عليه السلام (من العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف محتمة فتلقى بين يدي الله تعالى ، فيقول ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها وجهي ، ثم ينادي الملائكة اكسوا له كذا وكذا ، اكسوا له كذا وكذا ، فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك ؛ فيقول الله تعالى به بواه) (الدارقطني) وفي حديث أنس ابن مالك لما حرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عروة نوك قال (إن في المدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئت موطئاً يعبط الكفار ، ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا محضة ؛ إلا شركوا في ذلك وهم بالمدينة) قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وللبسوا معنا ، قال (حبسهم العسر فشركوها بحسب الله) (ح) وفي حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ومن كانت الدنيا نيكته جعل الله فقره من عيبه وفارقها أربع ما يكون فيها . ومن تنكر الآخرة بنته جعل الله عاه في قلبه وجمع عليه صيغته وفارقها أربع ما يكون فيها) (هـ) وفي حديث الأحنف عن أنس نكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنا لسب المسكين بسبعين ألفاً والمقتول في ثلث) قل يا رسول الله هذا القتل فما مال المقتول قال (ثلثه زاد قتل صاحبه) (ق) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من تروح على صديق وهو لا يسوي أداءه فهو ران ؛ ومن أداه ديناً وهو لا يتوى قضاءه فهو سارق) (أحمد) قد علما بما ذكر في هذا الباب أن عمدة الأعمال النيات ، والعمل محتاج إلى نية ليكون بها صالحاً وخيراً . والنية في نفسها خير إن تعذر العمل بمقتضى — فاعلمنا إلا أن تنوى خيراً في جميع أقوالنا وأعمالنا حتى نرجو الأجر والثواب .

باب في حقيقة التوكل ومراتب التوحيد

اعلم أن أصل التوكل الإيمان ؛ وأصل الإيمان التوحيد ؛ والتوحيد هو قولك - لا إله إلا الله وحده لا شريك له - وكذلك إيمانك بقدرة الله تعالى . وهو قولك - له الملك - وبعبارة أخرى بعبودته تعالى . يدعى عليه قولك - وله الحمد - فإذا آمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . ثم له الإيمان يدعى هو أصل التوكل ، على شرط أن يكون معنى هذا القول وصفاً لا مائلاً ، فالتوحيد هو الأصل وهو البحر المحيط يدعى لا ساحل له ولقول فيه لا نهاية له . ولكن نقول إن التوحيد أربع مراتب ؛ فالمرتبة الأولى من التوحيد ؛ هي أن يقول الإنسان بالله - لا إله إلا الله - وله منكر له . كتوحيد المائتين . والمرتبة الثانية ؛ أن يصدق قلبه بمعنى اللفظ كما صدق به عموم المسلمين وهو توحيد العوام . والمرتبة الثالثة . أن يشهد بصدق طريق لكشف وساطته نور الحق ، وهو مقام المقرين ، وذلك أن يرى الأشياء الكثيرة على كثرتها صادرة عن الواحد القهار . والمرتبة رابعة أنه لا يرى في الوجود إلا واحداً وهو الله تعالى . فلا يرى معه أيضاً لكونه مستغنياً في توحيد من عن نفسه في توحيد . فصاحب المرتبة الأولى موحد بمجرد اللبس ، وهذا له حيد بمعنى صاحبه في الدنيا عن التفتن فقط ، كما قال بعض السافقين : يعرفه عند الموت ، وصاحب المرتبة الثانية موحد بمعنى أنه يعتقد قلبه ما لم يطمع به . ولكن هذا التوحيد ليس فيه انشراح وانفساح في القلب ، غير أنه يحيط صاحبه من اعداء في الآخرة إن توفى عليه ولم يصعب . فبمعنى عقيدته ، والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً في الكون . لأن الحق انكشف له كما هو عليه . فلا يرى إلا حقيقة الإله تعالى . والرابع موحد بمعنى أنه لم ير في شهوده غير الله تعالى . فلا يرى لكون ولا يرى نكل من حيث أنه كثير ، بل يراه من حيث أنه واحد . وهذه هي الغاية المقصود في التوحيد . فأقول كيف يتصور أنه لا يشاهد إلا واحداً فقط وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون لكثير واحداً - فأعلم أن هذه الغاية عموم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب فاعلى تعيد إلا أن

يترك الإلكار والجحود لمقام لم يبلغه ويؤمن به فيكون له بهذا الإيمان نصيب وذلك
 كيما لك بالسوة وأنت لست سى^١ فإن لك نصيباً فى إيمانك بالنبوة بقدر قوة الإيمان
 وصعته عندك وركى منهم كيفية استاء التوكل على^٢ التوحيد أقول . أما المرتبة الرابعة
 المشتمل فيها فلا يحوز الخوص فى بيها ، وبس^٣ التوكل مسياً عليها أيضاً ، بل يخص
 حال التوكل المرتبة الثالثة . كمن تولى كما توسع^٤ فى^٥ التماس ، ولثانية موحودة فى
 جميع المسامع وضرب^٦ تارة كدهم^٧ مخصص^٨ المرساة لثالثة وهى التى ينبى
 عليها "توكل" وهو أن تكشف^٩ أن لا مدد^{١٠} إلا لله تعالى وأن كل موجود من
 خلق وورق وعظم ومع وجاة ومو^{١١} على وفقر وصحة وسقم وقوة وضعف
 وغير ذلك لا يظنق عليه اسم فى "الكون" فالمراد بدينه وحقه هو الله
 عز وجل لا شريك له فيه . ومن المكشوف^{١٢} كهدام^{١٣} نصر^{١٤} بى غيره ، بل كان منه
 خوفك وبك رحمة^{١٥} وبه تقوى^{١٦} وعية^{١٧} انكالك ، فإنه سبحانه وتعالى الفاعل على
 لا مراد . والافتتاح عن نصيبك^{١٨} أصبح^{١٩} من^{٢٠} وصو^{٢١} ما^{٢٢} من^{٢٣} المشاهدة بالنصر
 وبما نصيبك^{٢٤} الشيطان عن هذا^{٢٥} لو^{٢٦} وجد^{٢٧} في^{٢٨} قلبك^{٢٩} الشك^{٣٠} به^{٣١} بسبب
 آخره^{٣٢} الالتفات^{٣٣} إلى^{٣٤} نصيب^{٣٥} ع^{٣٦} رب^{٣٧} . ولثانى لا^{٣٨} نصيب^{٣٩} إلى^{٤٠} فعل^{٤١} حاق^{٤٢} ، فالالتفات
 إلى^{٤٣} نصيب^{٤٤} أحداث^{٤٥} من^{٤٦} اعتقادك^{٤٧} أن^{٤٨} شاه^{٤٩} هو^{٥٠} الذى^{٥١} يخرج^{٥٢} لرب^{٥٣} . وأن^{٥٤} اعلم^{٥٥} هو^{٥٦} سبب
 روى^{٥٧} مصر^{٥٨} ، وأن^{٥٩} الراجح^{٦٠} هو^{٦١} الذى^{٦٢} يسر^{٦٣} الله^{٦٤} . وهذا^{٦٥} كنه^{٦٦} شرك^{٦٧} فى^{٦٨} التوحيد^{٦٩} . ولك
 قال^{٧٠} الله^{٧١} ما^{٧٢} (فأد^{٧٣} كرو^{٧٤} فى^{٧٥} عمل^{٧٦} دعوا^{٧٧} الله^{٧٨} محضين^{٧٩} له^{٨٠} ليس^{٨١} أن^{٨٢} أحيينا^{٨٣} من^{٨٤} هذه
 سكوت^{٨٥} من^{٨٦} "شكر^{٨٧} كرو^{٨٨} ولا^{٨٩} نخاف^{٩٠} ولا^{٩١} نرجو^{٩٢} إلا^{٩٣} الله^{٩٤} ثم^{٩٥} يشركون^{٩٦}) فى^{٩٧} معه^{٩٨} أنهم^{٩٩} يقولون
 بعد^{١٠٠} أن^{١٠١} يتجهيم^{١٠٢} الله^{١٠٣} تعالى^{١٠٤} لولا^{١٠٥} اعتدال^{١٠٦} الريح^{١٠٧} لم^{١٠٨} حو^{١٠٩} ومن^{١١٠} المكشوف^{١١١} له^{١١٢} أمر^{١١٣} العلم
 على^{١١٤} حقيقة^{١١٥} علم^{١١٦} أن^{١١٧} الريح^{١١٨} لا^{١١٩} تتحرك^{١٢٠} بنفسه^{١٢١} مالم^{١٢٢} يحركه^{١٢٣} محرك^{١٢٤} وهو^{١٢٥} الله^{١٢٦} سبحانه^{١٢٧} وتعالى^{١٢٨}
 من^{١٢٩} عبث^{١٣٠} وحقت^{١٣١} أن^{١٣٢} كل^{١٣٣} ما^{١٣٤} فى^{١٣٥} السموات^{١٣٦} وما^{١٣٧} فى^{١٣٨} الأرض^{١٣٩} : مسخر^{١٤٠} فى^{١٤١} قصة^{١٤٢} القدر
 كمن^{١٤٣} حبر^{١٤٤} القلم^{١٤٥} فى^{١٤٦} يد^{١٤٧} الكاتب^{١٤٨} ؛ انصرف^{١٤٩} عنك^{١٥٠} السطال^{١٥١} ما^{١٥٢} وبتن^{١٥٣} عن^{١٥٤} حيط^{١٥٥} توحيدك^{١٥٦}
 هذا^{١٥٧} الشك^{١٥٨} . أما^{١٥٩} تنمائك^{١٦٠} فى^{١٦١} أعمال^{١٦٢} الإنسان^{١٦٣} فإن^{١٦٤} الشيطان^{١٦٥} يتحدث^{١٦٦} بك^{١٦٧} بقوله^{١٦٨} ، كيف^{١٦٩}
 "بى^{١٧٠} أن^{١٧١} الكل^{١٧٢} من^{١٧٣} الله^{١٧٤} وفلان^{١٧٥} هو^{١٧٦} الذى^{١٧٧} يعطى^{١٧٨} رزقك^{١٧٩} ، اختياره^{١٨٠} ، إن^{١٨١} شاء^{١٨٢} أعطاك^{١٨٣} وإن^{١٨٤}
 شاء^{١٨٥} قطع^{١٨٦} عنك^{١٨٧} ، وهذا^{١٨٨} الحاكم^{١٨٩} هو^{١٩٠} سى^{١٩١} يحكم^{١٩٢} بإعدام^{١٩٣} القاتل^{١٩٤} إن^{١٩٥} شاء^{١٩٦} حكم^{١٩٧} وإن^{١٩٨} شاء

عما ، فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه . فاعلم أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد ضعفاء العقول ، وهو كاعتقاد امرأة حبلى سب فوق الورق الذي يكسبه الكلب ، ترى أن الذي يسب فوق الورق هو رأس القلم لقصر نظرها وضعف حذقته ، فلا ترى إلا رأس القلم ، ولا ترى يد الكلب التي تحرك القلم ، ولا يرى الكلب نفسه الذي يحرك اليد وكذلك من لم يشرح صدره للإسلام بنور الله تعالى ، قصر بصره عن ملاحظة حجاب السموات والأرض ، فلم يسمه أن الله فاعل وره . ليكن وهو سبحانه مسخر للكل موقف في الطريق كما وقعت الحية عند مؤنة أنس بن مالك وهو حين محض ، وسكن الله السليمة قد أطلق الله سبحانه ويعلو هم كل درة في سموات والأرض ، حتى سمعوا تقديسه ، تسبح لله أو حمد الله ، وقرره وحده بده حشده . فكأن حال توكل الحقيق لا يبر ولا يثقه بالتوكل ، وصداقة القلب إلى حسن تصرفه وعظيم حكته ، كذلك وحب على العبد الطال مقام توكل أن يعتقد اعتقاداً قاطعاً لا ريب فيه ويصدق صديقاً يقيناً لا ضعف فيه أن الله عز وجل هو خلق الخلق كله على عقل عقدهم وعلم أعينهم وخلق لهم من العلم ما تحممه بموسم وأفاض عليهم من الحكمة لا منتهى وأصعبهم زار عليهم مثل عديم عدو وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم من عواقب الأمور وأصعبهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والسمع والبصر ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكمة لما اقتضى تدبير جميعهم مع لتعاون ونظمه أن يراد فيما أمر الله سبحانه وتعالى الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بموصه ولا أن ينقص منه جناح بموصه ولا أن يرفع منه درة ولا أن ينقص منه درة ولا أن يدمع مرض عن مريض أو فقر عن فقير . ويجمع عيب وينقص أو صر عن أحد من بشر إذا أراد الله ولا أن يرى صحه أو كالا أو غنى أو فقراً نعم الله به عليه من كل ما خلق الله تعالى من السموات والأرض أن يرجعوا فيها انصرف وطلو فيها النظر ما رآوا فيها من ماوت ولا خلق فسبحان المبدئ والمعيد . وعلم هدايا وهذا الله أن كل ما قسم الله تعالى بين عباده ، من رزق وأجل وسرور وحزن ، وعجز وقدرة ، وغنى وفقر ، وإيمان وكفر ، وطاعة ومعصية ،

وسخة وسقم . فكله عدل محض لا جور فيه . وحق صرف لا ظلم فيه . بل هو على الترتيب والسطم الواجب الحق . على ما ينبغي . وكما ينبغي . وما تقدر الذي ينبغي . وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا أتم . ولا أكمل . فلو كان هناك كمال وادخره الله مع اقترده عبه . وم يتعصص بفضله . لكان بخلافه بناتص الجود . وطلباً بتاقص العدل . وغراً بتاقص القدرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . فتبين أيها العبد ليحصن بيمانه . ونه توكلت . أن كل فقر وصرر في الدنيا . فهو نقصان في الدنيا وزيادة في الآخرة . هكذا فتتت الإرادة الإلهية . وعم أن هذا بحر عظيم العمق واسع الأضراف . مضطرب الأمراح فيه عرق الكثير من القاصدين . ولم يعلموا أن ذلك عامس لا يعقبه . لا يعلو . ووا . هـ . المحرر القدر لدى منع من إرشائه . من عبه الصلاة والسلام (إذ ذكر التحريم فمكوا) . وإذا ذكر القدر فأمكوا . وإذا ذكر النقص فمكوا (ض) فلو حب عن بعد أن يعلم علم ليقين بلا ريب ولا تشكيك . أن خير بشر مقص هما . وأن ما قصي الله به وثقه واجب الحصول . فلا راد حكمه . ولا معقب نقصته . وأمره سبحانه ومالي بين كل كبيره وصغيره مسطر . ووقعه بقدر معلوم منظر . ثم أعابك لم يكن ليخطئك . وما أخطأك لم يكن ليصدك . فبه كام رموز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل . والله تعالى أعلم .

باب في بيان حال التوكل

للتوكل مشق من الوكالة . يقال وكلت امرءة إن فعلت أي فوصه إليه واعتمد عليه . ويسمى الموكول له وكيلاً . ولا يحصل ذلك إلا إذا اطمأنت نفس الموكول إلى الموكل . ووثق به ولم يتهمة تنقص في مصحته . وم يعقد فيه عجزاً أو ضعفاً والتوكيل حينئذ عبارة عن عهد يقب على وكيل وحده . والتعويض إليه في كل الأمور . وحتى تد في عتد باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما تبين في الباب السابق . واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفايه مولاك بالحق . ثم تحققت تمام العطف والعناية والرحمة . بمادحه وأفراداً . وأنه ليس وراء منتهى قدرته

قدرة . ولا وراء منتهى علمه ، ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة ،
اتكل لأمانة قلبك عليه وحده ، ولم ينتفت إلى غيره ، ولا إلى نفسه وحوله وقوته ،
فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله ، أى لا حركة ولا قدرة بخلاف في الكون إلا بأمر
الله تعالى . فإن كنت لا تجد هذه الأمانة من نفسك فسيب أحد أمرين - إما تضعف
اليقين بصفات الله تعالى - وإما تصحف القلب ومرصه بامتهلاء الحب عبه ، فإذا
لا يتم لتوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين معاً ، إدام ما يحصل سكون القلب وطمأنينته .
واعلم أن الطمأنينة في القلب شيء واليقين شيء آخر ، فكم من يقين لا طمأنينة معه .
كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام (أولم تؤمن قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي) فانتم
من ربه أن يشاهد بحياء الميت ، مع أنه موقن تمام اليقين بقدرة الله تعالى على إحياء
الميت . وكذلك كم من مطمئن لا يقن له ، كآثر أرباب الملل والمذاهب الأخرى ،
فإن قلوبهم مطمئنة إلى مذاهبهم ولكن لا يقين لهم أصلاً .

واعلم أن حالة التوكل لها في القوة والضعف ثلاث درجات - الدرجة الأولى -
وهي الأقوى - هو أن يكون حال العبد في حق الله تعالى والثقة بكمالاته وعنايته تامة
كسأله في الثقة بالوكيل الذي يفرض إليه أمور مصالحه - الدرجة الثانية - وهي
أقوى بحيث يكون حال العبد مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه ، فإنه لا يعرف غيرها
ولا يفزع إلى أحد سواها ، ولا يعتمد إلا عليها ، لأنه وثق بكلماتها وكفايتها وشفقتها
من كان بالله متعلماً بالله سبحانه وتعالى ونظره إليه واعتماده عليه ، شغل به كما يشغل
الصغير بأمه ، وكان متوكلاً حقاً - الدرجة الثالثة - وهي أعلاها . أن يكون العبد
بين يدي الله عز وجل في حركاته وسكناته ، مثل الميت بين يدي العاقل ، فلا يرى
عسره إلا مياً تحركه "قوة الأزالة" ، كما تحرك يد العاقل الميت ، فهذا هو الذي قوى
يتميمه وعم أنه فقط مجرى للحركة والقدرة والإرادة . وهذا المقام في التوكل يشمر
ترك الدعاء والسؤال من العبد لمولاه ثقة منه بعليه به ، وكرمه وعنايته ، وأنه يعطيه
قبل السؤال والدعاء ، وفيه مقام آخر لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال ، ولم يقتضي
ترك السؤال من غير الله تعالى فقط . مثل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع
الأرباب وقطع الأسباب . وخلق الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب

إشارة إلى الأعمال ، فقل له زدنا فقال إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الروية . وهذا إشارة إلى التهي من احوال وتقويه . وسئل أبو عبد الله أنقرشي عن التوكل فقال التوكل لله تعالى في كل حال . فعن الناس رضى . فقل ترك كل سببه يوصل إلى سبب . حتى يكون الحق هو المتولى لذلك . فالأول عام للمقامات الثلاثة والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة ، وهو مثل توكل سيدنا إبراهيم عليه السلام ، إذ قال له جبريل عليه السلام حينما أرادوا أن يلقوه في النار - ألك حاجة - فقال الخليل عليه السلام - أما إليك فلا - بذلك سزاه سبباً يقضى إلى سبب . وهو حفظ جبريل له ، فترك ذلك ثم أن الله تعالى إن أراد سحر جبريل لذلك . فيكون هو المتولى لذلك . وللأساء العارفين أقويين كثيرة نكتني منها بما ذكر .

باب في أعمال التوكل

قد يظن لعبد أن معنى توكل هو ترك الكسب والكد ، وترك التدبير والتفت ، والنوم على الأرض ، كلاً فهذا طم الجاهل ، وهو حرام ، لأن الشرع قد أنهى على التوكل ، ولا يأن أن يفتى الشرع إلا على أعمال يحلها الدين ويحرمها . واعلم أن معنى العبد باختياره إما أن يكون لجنب نافع مثال لكسب للعيشة ، أو لحفظ نافع كادخاره الشيء . أو لعدم أمر مصر بتوقع نزوله كالدسار أو الوحوش ، أو لإزالة أمر مصر قد رل به فعلاً ، مثال السداوى من المص ، فجملة حركات العبد لا تعدى هذه الأمور الأربعة حسب الرفع ، أو حفظه ، أو دفع ضرر ، أو قطعه . وكلها لا تنقص توكل - وليان ذلك بقول .

اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الشيء وحقق له سببه ، فإذا ترك العبد الأسباب التي ترتبط بالمسببات بها انماها طبعياً ، مثل الطعام إذا كان موسوعاً بين يديك وأنت جائع ، ولكذلك لا تمد اليك ارتكناً على أنك متوكل ، ونقول شرط التوكل ترك السعى ومد اليد سعى ، وكذلك مضغ الطعام - لأسان حركة ، واستلاعه حركة . فترك هذه الحركات حثون محض ؛ وليس من التوكل في شيء ، فإنك إن اضطرت أن يحقق الله تعالى فيه شيئاً من غير الخير ؛ أو يحقق في حين حركة توصله إلى ذلك ؛ أو يسحر مسكاً يحضه لك ويوصله إلى معدتك . فقد جهزت سنة الله تعالى

في نظام السكون وسيره . وأمثال هذا لا يمكن حصرها ، فما عليك في توكلت إلا أن تعلم بأن الله تعالى خلق الطعام واليد والأستاذ وقوة الحركة ، في حال أن يكون سكوت قبيل واعتمادك على فعل الله تعالى ، لا على اليد والطعام . إذ كيف تعتمد على يدك وربما تشل في الحال ، أو كيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويطلق حركتك . فخذ من الله ما عندك من الأسباب كلها محال للحكمة والشرع ، وجهن نسبة الله تعالى . فاعلم بموجب نسبة الله تعالى مع الامتثال عليه عز وجل لا يافس التوكل بل هو المنسوب

واعلم أن للمتوكلين ثلاث مقامات المقام الأول مقام الخواص ومثاله الذي يسير في البوادي يعبر راد ثقة منه بنفس الله تعالى وتقويته على الصبر ، أو ثمة على الرضى بالموت ، إن لم يتيسر له شيء يأكله — المتنام "ثاني" — أن يقع في بيته أو في المسجد يعلم من الخلق ، فهذا متوكل أيضاً لأنه تاركاً للكسب معولاً على فضل الله تعالى في تدبير أموره ، وهو في هذه الحالة ناظر إلى الله سبحانه وموقن بأنه هو الذي يستخر له سكال القرى لإبصال رزقه إليه . المقام الثالث — أن يخرج ويكتسب ، وهذا لا يناق التوكل أيضاً ، بشرط أن لا يكون مطعناً إلى نفسه ولا إلى قدرته وكفاءته وجاهه وصاعته ، فإن ذلك كله قد يهلكه الله في لحظة ، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق الذي يحمده له نفسه ، ويدين له قدرته ، وينمي له تجارته . يرى أن مكسبه وبصاعته وكفاءته من فضل الله عليه . وقدرته — أما الكسب بطريق التحايل ، واستباط الخيل لدقيقة حلب الرزق ، فهذا يصعد حراً ويخرج صاحبه من مقامات التوكل

وقد ذكر في الإحياء كثير من حكايات المتوكلين ذكرها ما رآه مفيداً في كتابنا .

روى أن حذيفة المرعشي ، وقد كان حادداً لإبراهيم — دهم رحمه الله ، فبين له ما أعجب ما رأيت منه ، فقال لي في طريق مكة يوماً بعد صعداً . ثم دخلنا سكوفة فأوبأنا إلى مسجد حراب ، فشرنا إلى إبراهيم وقال — يا حذيفة أرى بك الجوع . فقلت هو مرأى الشيخ ، فقال لي بدواء قرطاس ، فبخت به فكتب . بسم الله الرحمن الرحيم

أنت المقصود إليه بكل حال ، والمشار إليه بكل معنى . وكتب شعراً :
 أنا حامد أنا شاكراً أنا ذاكر أنا حائض أنا ضائع أنا عارى
 هي ستة وأنا الصميم لنصفها فكس الصميم لنصفها يابرى
 مدحى لغيرك لهب نار حصنها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دنع إلى الرقعة وقال ، إلهرح ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة
 إلى أول من يلتفك . فخرجت فأول من لقيت كان رجلاً على بعلة فناولته الرقعة فأخذها
 فلما وقف عليها بكى وقال - ما بعل صاحب هذه الرقعة . فقلت هو في المسجد
 العلاني ، فدفع إلى صرة فيها ستمائة دينار ، ثم لقيت رجلاً آخر فسأته عن راكب
 البعلة فقال هذا نصراني ، فخذت إلى إبراهيم وأخبرته بالقبضة ، فقال لانفسها فإيه يحيى .
 الساعة . فما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس إبراهيم بقبله وأسلم
 على يديه .

وروى أن رجلاً لزم باب عمر رضي الله عنه فاداهو بقائل يقول - يا هذا
 هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى - اذهب فتعلم القرآن فإنه سيعينك عن باب
 عمر . فذهب الرجل وعاب حتى أوقفه عمر فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة
 فغاض عمر فقال له - إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني ، فقال إني قرأت القرآن
 فأعناى عن عمر وآل عمر ، فقال عمر رحمك الله فما الذي وجدت فيه . فقد وجدت
 فيه (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقلت ، رزق في السماء وأنا أطلبه في الأرض .
 فبكى عمر وقال صدقت ، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويحلس إليه .

وأمثال هذه الوقائع كثيرة . ويعلم العبد أنه إذا قوى الإيمان وانضم إليه انقدرة
 على الجوع مدة أسبوع من غير صيق صدر ، وقوى يمينه بأنه إذا لم يأت إليه رزق
 في مدة أسبوع فموت خير له عند الله عز وجل ، لأنه قد حصل عنه الرزق ، فهذه
 الاعتقادات يتم التوكل ، ومن عرف حقيقة الأمر علم أن الله تعالى قدر الأرزاق
 وقسمها بين خلقه ، فلا يعوت العبد رزقه وإن ترك هو الأسباب المجلبة للرزق ،
 فإن الساجر عن مباشرة الأسباب لم يفته رزقه أما ترى الحسين في بطن أمه طراً
 لعجزه عن الطلب كيف وصل الله تعالى سرته بالأم ، حتى تصل إليه فصلات غداً

الأم بواسطة السرة ، ولم يكن ذلك بحيلة من الجن ولا في قدرته أن يفعله ، ثم لما انفصل وخرج من بطن أمه سبط الرحيم الرحمن الحب والشفقة على الأم لتكفله به شاءت أم أبت اضطراداً من الله تعالى إليه ؛ بم أشعل في قلبها من نار الحب الذي يجعل دائماً متعلقة بطفلها ، فهو إذا كان في مكان بعيد عنها واحتاج إلى الرضاع حن قلبها إليه وشعرت هي بذلك فتطلبه ورصعه ، وكل هدام وضع مولاه وعطمه ، ثم قبل أن يكون له أسنان يصعب بها الطعام ، جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ فأحراه في ثديها ، فتأمن أيها العبد ، الحاحد نعمة ربك ، أمكان هذا بحية الطفل أو بحية الأم ، كلا ، بل هو محض رحمة من الله عز وجل ، وبفضل منه .

ما قلناه هنا هو حال العبد المفرد بشخصه في الحياة - أما من أعيال تحكمه في التوكل يخالف ذلك . لأنه لا يجوز تكليف العيال الصبر على الخوع ؛ ولا يمكن أن يجعلهم يقولوا بالإيمان بالله وحيد كما أسلفنا ؛ فحينئذ لا يمكن في حق العيال إلا التوكل المكنتب ؛ كنوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ حرج للكسب ، أما القعود عن الكسب وترك العيال بلا طعام أو عدم الإهتمام بمصالحهم ، فهذا حرام فتوكل صاحب العيال ليس انقطاعه عن الأسباب التي هيأها الله تعالى له للحصول على رزقه مع التوكل عليه في كل حركة وسكون .

قد علمنا من كل ذلك ، أن من عمر قلبه بالقوى ولم يصعب بسوء لظن خاطره وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى له ، كان مطمئن "نفس أبداً وثقاً بالله عز وجل ، والواقع أن الإهتمام بالرزق فوق المطلوب ، أو استئط الخيل لطلب شيء من حطام الدنيا غير الأسباب التي هيأها المولى تعالى للعبد ، فيجأ بأرباب الدين وهو ماعينهم أقمح . ومن أراد أن يريح نفسه من التدبير فينظر إلى محاريق منتهى الله تعالى ليعلم أن الرزق ليس على قدر السعي والاجتهاد . ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيماً عن الأحق المرروق والعاقل المحروم ؛ فقال أراءه اصابع تعالى أن يدل على نفسه ، إذ لو رزق كل عام وحرم كل أحق ، لض العفر أن العف هو الذي يرزقه . فلما رأوا هذا الخلاف ، علموا أن الزارق هو الله الخائق ، وليس للعقل ولا الحاجة دخل . فسيحان مقسم الأوراق بين خلقه مؤمن وكافر وبر وفاجر . فلم يعط حائفة ويحرم أخرى جل الكريم المتعال .

باب في فضيلة التوكل

قال الله تعالى (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقال عز وجل (يا الله يحب المتوكلين) وهذا مقام أحب الله سبحانه ، فهو حسبه وكأبيه وعجبه ورأيه ، وقد فاز الفوز العظيم . فان المحبوب لا يعضد ولا يمدد ولا يحجب . وقال جل شأنه (ومن يتوكل على الله فان الله عز وجل يحميه) أي عز وجل لا يذل من استجار به ، ولا يصع من لاد بحاله وتوكل على الله عز وجل وحكيم لا يقصر على تدبير من توكل على تدبيره . وقد ورد في الأحاديث عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رأيت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد منوا بالسيف والجليل فأعجبتني كثرتهم وهيأتهم ، فبين لي أرسيد ، قلت نعم ، قيل ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدحرون الجنة بغير حساب) قيل ومن هم يا رسول الله . قال (الذين لا يكتنون ولا يظفرون ولا يسترقون وعلى رءسهم يتوكلون) مقام عكاشة وقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم (انهم أجمعهم) مقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم (سقك بها عكاشة) (ق) وقال عليه الصلاة والسلام (من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورقة من حيث لا يحسب . ومن انقطع إلى الدنيا وكفه الله اليها) (ص) وقال عليه السلام (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لزرعكم كما يزرع الطير بعدد حمام وزرع بطائناً) (ت) وقرأ الخواص قوله تعالى (وتوكل على الحي الذي لا يموت) إلى آخر الآية وقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقال بعض العلماء لا يشعرك المصمون لك من الرق على المفروض عيب من العمل فتصعق أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . سأل الله أن يهبنا حسن لتوكل عليه

باب في التداوي وهل ينافض التوكل

اعلم أن التداوي « الأسباب الظاهرة عند الأطباء » لا ينافض التوكل ، كما أن تركه ليس محظوراً . ويدلنا على أن التداوي لا ينافض التوكل ، فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وأمره ، فقد قال عليه الصلاة والسلام (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء) (هـ) وقال صلى الله عليه وسلم (تداووا عباد الله فان الله خلق الداء

والدواء) (ت) وسئل صلى الله عليه وسلم عن الدواء والرقى ، هل ترد من قدر الله شيئاً فان (هى من قدر الله) وليس من شرط التوكل ترك ذلك ، بل هو كصب الماء على النار لاطفائها ودفع صررها ، وهذه سه الله تعالى . وقد أمر صلى الله عليه وسلم كثيراً من أصحابه بالتداوى (ت) وتداوى هو صلى الله عليه وسلم من المعقر وغيرها (ص) وذكر بعض العلماء فى الاسرار ان موسى عليه السلام اعتل بعنة ، فدخل عليه جبرائيل فمرا عنه فقالوا له لو تداويت بكذا لبرئت ، فقال لا أتداوى حتى يعافى هو من غير دواء ، فصارت عنته ، فقالوا له ان دواء هذه العنة معروف بحرب ويزيد تداوى به فنقرأ فقال - لا أتداوى - وأقامت عنته فأوحى الله تعالى اليه - وعرف وجلالى لا أراؤك حتى تتداوى عما ذكره لك - ففعل لهم داوود ما ذكرتم فداووه فبرئ . فأوحى فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى اليه - (أردت أن تبطل حكمتى فتوكل على من أودع العقاب منافع الأشياء غيرى) من ذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى أجرى سنته ربط المصائب بالأسباب إظهاراً للحكمة . والأدوية ما هى إلا أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب فلا يصح المتوكل استعمالها بشرط أن ينظر إلى مسبب الأسباب لا إلى الطبيب والدواء وروى عن موسى عليه الصلاة والسلام أنه قال - يارب من الداء والدواء - فقل تعالى - مى - قال - فصع لأطباء - قال (يا كلون أراقهم ويطبون نفوس عبادى حتى يأتى شفاى أو قضائى) .

وهى التى صلى الله عليه وسلم عن الكى دون الرقى (ح)

باب فى حقيقة الرجاء

إعلم أن الرجاء مقام من مقامات العاملين . وحال من أحوال المؤمنين ، وليأبه نقول :

إن كل ما يلاقىك فى حياتك بقسم حصوله إلى ثلاثة أرمية ، إما حصل فى زمن قد مضى ، وإما موجود فى الحال ، وإما منتظر حصوله فى المستقبل . بدأ كان قد مضى يسمى ذكراً أو تذكراً ، وإن كان موجوداً فى الحال يسمى وجداً وإندراكاً ،

وإن كان قد خطر ببالك حصول شيء في المستقبل فيسمى انتظاراً وتوقعاً ، فإن كان الشيء المنتظر مكرهاً حصل من هذا الانتظار ألم في القلب ، وهذا الألم يسمى حرقاً وإن كان الشيء المنتظر محمواً حصل لك من استناره لذة في القلب وارتياح ، فهذا الارتياح يسمى رجاء ، فالرجاء في هذه الحالة هو ارتياح القلب لاستناره وقوع أمر محبوب عنده ، بشرط أن يكون العبد قد مهد له جميع الأسباب الموصلة إليه ، وقد علمت أن الدنيا مزرعة الآخرة ، فالقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر ، والطاعات عبارة عن حرث الأرض وتطهيرها ، وحفر المساق وإرساء المياه إليها ، أما القلب المنعق بالدنيا المستغرق بها فهو كالأرض المسبحة التي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيامة هو يوم الحصاد ، ولا يحصد إلا ما ررع ، فيمكننا أن نقس رجاء العبد للمغفرة برجاء صاحب الررع ، فكل من وجد أرضاً طيبة ورعى فيها بذرأ جيداً ليس به عطب ، ثم أمدّه بما يحتاج إليه من المواد التي تنمي الررع وتكثر المحصول ، وأجرى تنقية الأرض من المواد العريضة ، وسقاها في المواعيد المناسبة بدون إقلال ولا إكثار ، ثم فقد منتظراً من فضل الله تعالى دفع الآفات الجوية أو الحشرية المصرة بالمحصول إلى أن يتم الررع وينضج ، سمي انتظاره هداه رجاء ، وإن وضع البذر في أرض مسحة مرتفعة لا تصل إليها المياه ، ولم يشتغل بتنقية الأرض ، ولم يرق بما تحتاج إليه الزراعة من الخدمة ، ثم فقد ينظر الحصاد وجودة المحصول ، سمي انتظاره هداه حقاً وغروراً ، وعلى ذلك يكون الرجاء الحقيقي هو انتظار أمر محبوب قد مهد العبد جميع أسبابه الداحلة تحت اختياره والواقعة في استطاعته ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بأن يصرف عنه المفسدات ، فالعبد إذا عرس بدر الإيمان وسقاها بماء الطاعات ، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى نتيته على ذلك إلى الموت ، ومنحه حسن الحالة المؤدية إلى المغفرة ، وكل انتظاره هداه رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعتناله على المواظبة والقيام بما يقتضيه إيمانه من الطاعات ، وترك القلب مشحوناً بردائل الأخلاق ، واهمك في طلب لذات الدنيا غير ملتفت للعادة ، ثم انتظر المغفرة ، فانتظاره عين الحق ومحض العرور . قال تعالى (إن الدين آمنوا والدين هاجروا

وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله (معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله ، ولكن لم يرد بهذا تخصيص وجود الرجاء لمؤلا فقط ، لأن غير هؤلاء أيضاً قد يرجو ، وإنما حصص بذلك هاجروا وجاهدوا في سبيل الله استحقاق الرجاء لهم ، لأنهم أولى من غيرهم بأن يرجو من الله الرحمة لما قدموه من صالح الأعمال وعظيم الطاعات بعد إيمانهم . أما من أهمل فيما يكرهه الله تعالى ، ولا ينم نفسه عليه ؛ بل يرتكب السكر وهو مروح مسرور ؛ كالزاني وشارب الخمر ، والصانع في أعراض الناس ، ولاعب الميسر المسرور باحتياج أقران السوء حوله ، ولا يعمد على التوبة ولا ينوي الرجوع عن المعاصي ، فإن رجاءه المغفرة حمق وغرور — قال يحيى بن معاذ — من أعظم الافتقار عندى القادى في التوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة ، وانتظار زرع الجنة بغير الحر ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، وانتمى على الله عز وجل مع الإفراط :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليس
وتنتيجة ذلك أنه بقدر تعبك في خدمة ربك تكون نتيجة المحصول ، وقدر ما تقدم من الطاعات يكون الرجاء في القبول .

نكتفي بهذا الترحم وذكر القارىء بالقول الفصل في هذا الباب وهو قول رب العالمين جل شأنه (من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، أى لا رجاء في لقاء الله عز وجل لقاء رضى وقبول إلا بالعمل الصالح مع التوحيد .

باب في دواء الرجال والسبيل الموصلة اليه

أما دواء الرجال فلا يحتاج اليه إلا أحد رحبي . إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة ، وإما رجل غلب عليه الخوف ، فأسرف في المواظبة على العبادة حتى أضرب نفسه وأهله وعياله ، وهذان رجلان مائلان عن حد الاعتدال . الأول إلى طرف التفريط ، والثاني إلى طرف الإفراط ، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال ، أما العاصي الممرور المتمنى المغفرة مع ترك العبادة فأدوية الرجاء تنقلب مسموماً

مهلكة بالنسبة له ، ولا ينفعه الا استعمال أدوية الخوف والاسباب المهيجة له في نفسه . ولهذا يجب أن يكون الواعظ الذي يقوم بوعظ الحق ، أو العالم الطيب الذي يريد أن يعالج أمراض الدين ، مطرا الى موقع لعلل ؛ كي يعالج كل علة بما ينفعها . فإن لمطرب من أحوال خلق هو الاعتدال في الصفات والاحلال كلها . فإذا جاور العبد في عمله الوسط الى أحد الطرفين المتقدم ذكرهما ، عولج بما يردده الى الوسط - وهذا امر ما رما لا يسعى فيه أن يذكر للحق أساس الرجاء ؛ لأن هذا يشجعهم على ترك الطاعات وعدم القيام بها حق القيام ، لاسبابها وقد أعرصوا هم أنفسهم عن العبادات واستغفرتهم صيغتهم - مثل الرجاء بعبادة يحصل بأمرين ، الأمر الأول الاعتناء بمجانب المخوفات ، والأمر الثاني قراءة الآيات والآثار والصالحين . أما الاعتناء فهو أن يتأمل في جميع ما ذكره من أصناف اسم في باب الشكر والتمنك في خلق الله تعالى ، حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا ، وعجب حكمه التي راعاها في خلق الإنسان ومطرته ، حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود ، كآلة الغذاء والمصم وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كتقويس الحاجبين واحتلاف ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ، والعتاية الإلهية لم تمنع إذا عن جميع الحق على اختلاف عقائدهم أمثال هذه الأمور الدقيقة حتى أنه سبحانه وتعالى لم يرص لعباده أن يعونهم المراتب في الريشة والتجمل والحاجة فكيف يرصى لسوقهم الى اخلاك المؤبد بدحول السار . فإذا تأمل الإنسان في هذه المنن حق التأمل قوى به أسباب ارحامه وبعد عنه اليأس والتقنوط . وأما قراءة الآيات والآثار فإورد في الرجاء خارج عن الحصر . منها قوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يعمر السوء جميعاً إنه هو العفور الرحيم) وقال عز وجل (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) وقال حل وعز (وإن ربك لدو مغفرة للذات على طيهم) .

ورى أن الله تعالى أوحى الى نبيه عليه الصلاة والسلام (إن أجعل حساب أمتك إليك قال يا رب أنت خير لهم مني ، فقال إذا لا تحزبك فيهم) (ابن أبي الدنيا) وقال عليه الصلاة والسلام (حياتي خير لكم وموتى خير لكم ، أما حياتي فأسن لكم

النار وأشرع لكم الشرائع ، وأما موفى قبر أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسناً حدث الله عليه ، وما رأيت شيئاً استعذرت الله تعالى لكم ؛ (الهار) وفي الخبر (إذا أدب عبد دعماً فاستعذر الله يقول الله عز وجل لما نكتة أظروا إلى عبدى أدب دعماً فاعلم أن له رباً يعجز عنه ويأخذ بانهب . أشهدكم أني قد غفرت له) (ق) وفي الخبر أيضاً (و أدب عبد حتى يبع دونه عاب لسماه غفرتها له ما استعذرتي ورجعت) (ت)

وفي حديث أنى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حقيق الله شيئاً إلا جعل له ما يعليه وجعل رحمه تغلب عسفه) (حب) وعن معاذ بن جبل وأبى بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) (طب) ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تحسبه النار (د) ومن لم يتركه شيئاً حرمت عليه النار (ق) ولا يرحب من في نفسه مثقل دونه من يملك) (أحمد) ، ومما جاء في الآثار ، قال عن كرم الله وجهه من أدب دعماً فستره الله عليه في الدنيا فانه أكرم أن يكشف ستره في الآخرة ، ومن أدب دنواً فموجب عليه في الدنيا فانه أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده في الآخرة . وروى أن رجلين كانا من العابدین متساويين في العبادات ، قل هذا أدخل الجنة رفع أحدهما في اندراجات الملى على صاحبه . فيقول يارب ما كان في الدنيا أكثر منى عادة فرفضته على في عطين ، فيقول الله سبحانه وتعالى - إنه كان يدلى في الدنيا الدرجات العليا ، وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله .

هذه هي الأسباب التي تجلب بها روح الرجاء عند العبد المطيع الخائف ، وكذا العبد الآيس - أما العبد الآحق المعرور لهوى ، لتشارك للعبادة ولا ينبغي أن يسمع شيئاً من ذلك ولا يصح له إلا ما منه كره في باب الخوف إن شاء الله تعالى ، فإن أكثر الناس لا يصلح حالهم ، لا على الخوف ، كالعبد السوء لا يستقيم لا بالعصا .

باب في فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم أن العمل على الرجاء في عفو الله تعالى أعنى مقاماً من العمل على الخوف من عذابه ، وذلك لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له ، والحب يشوى بالرجاء ويعبر عن ذلك بملكيتين أحدهما تخدمه رعيته خوفاً من عذابه ، والثاني

تخدمه رعيته رجاء لواله ، فلا شك أن الحالة الثانية أفضل . وقد ورد في فضيلة الرجاء وحسن الظن بالله عز وجل كثير ، لا سيما في وقت الموت . قال الله تعالى (لا تفتخوا من رحمة الله) حرم بذلك أصل البأس ، وقال صلى الله عليه وسلم (لا يموت أحكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى) (م) وقال عليه السلام (يقول الله عز وجل أما عند ظن عدي في فليطن في ما شاء) (ق) ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في الثرع فقال (كيف نحمدك) فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي ؛ فقال عليه الصلاة والسلام (ما اجتماع في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف) (ت) وفي الحديث الصحيح (إن رجلا كان يدين الناس فيسبح الغنى ويتجاوز عن المعسر فلقى الله ولم يعمل خيرا قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يغفروا له مع إيمانه عن الطاعات) (م) فعلمنا أن نحسن الظن بعد الصلوة ونرجو عفو الكريم .

باب في حقيقة الخوف

اعلم أن الخوف عارة عن تألم القلب واحترافه ؛ بسبب توقع أمر مكروه في المستقبل ؛ من أسس بالله تعالى وملك الحق قلبه ، وصار مشاهداً لعظيم قدرة المولى عز وجل على الدوام ، لم يبق له إلتفات إلى المستقبل ولا إلى ما يحصل فيه ، وعلى ذلك لم يكن له خوف ولا رجاء ، بل بصير حاله أعلى من مقامات الخوف والرجاء - والخوف يحصل من ثلاث أمور ؛ علم وحال وعمل - فاعلم هو العلم بالسبب المؤدى إلى حصول المكروه ، وذلك كأنسان حتى على ملك من الملوك ثم وقع في يده فيكون تألم قلبه بالخوف ومقداره ، بحسب قوة علمه بحجابه السابقة في حق الملك ، ولعله أيضاً بأن الملك حقوق غصا عليه ، ولا بد من الإشتغال منه حيث لا مطمع في العفو ولا أمل في وجود من يشفع له عنده ، كما أنه لم يقدم فيما مضى أى حسنة في حق الملك تمحو أثر خطيئته ، فاعلم بكل ذلك هو سبب قوة الخوف - فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة العبد لله تعالى ومعرفة صفاته ، وأنه لو أهلك الخلق أجمعين لم يبال ولم يمنعه مايع - وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بارتكاب المعاصي ، وتارة يكون بهما معاً - بمقدار علمه بذلك تكون درجة خوفه ، لأن أخوف الناس

برهم أعرفهم به ، وللك قل رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا أحوفكم لله) (ح)
وكذلك قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) . أما الحال فيه إذا كملت
معرفة العبد بربه أوجبت جلال الخوف واحتراق القلب ، ثم يفيض أثر الحرقة من
القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فباليكاه ، وأما في
الجوارح فكيفها عن المعاصي وبعبدها بالطاعات — وأما في الصفات فيقمع شهوات
وتكدير للذات ، حتى تصير المعاصي التي كانت محبوبة عند العبد مكروهة لديه ، كما
يصير العسل مكروهاً عند من يشتهي إذا عرف أن فيه سمّاً — أما البدن فإن
للخوف درجات ألقها الإلتصاع عن المخطورات ، ويسمى الكف عن المخطورات
ورعاً ، فإن رادت قوة الخوف كف العبد عن الشهوات ، أي كف عما لا ينفع
تحريره ، ويسمى ذلك تقوى ، لأن التقوى عبارة عن أن يترك العبد ما يربه إلى
ما لا يربه ، فإذا انضم إلى ذلك التجرّد للعادة فصار لا يبي ما لا يسكنه ، ولا يجمع
ما لا يأكله ، ولا يفت إلى دنيا يعلم أنها تعارقه ، ولا يصرف لعبير الله تعالى بها
من أنفاسه ، فصاحب هذا الحال جدير بأن يسمى صديقاً — هذه علامات الخوف ،
والخوف وحده هو الذي يثّر في الجوارح فيكسبها عن المعاصي ويقودها إلى الطاعات .

باب في بيان درجات الخوف في القوة والصعف

(أعلم رحمك الله أنه سبحانه وتعالى هو المنعم المتفصل على العباد ، الرحيم بهم ،
خالق الخوف من رحمته وكرمه ليسوق به عباده إلى الملاحظة على العمل بليالوارتبة
القرب من الله تعالى — أما درجات الخوف فهي ثلاثة . قسمها وهي الأدنى ،
والأوسط ، وهي الأعلى ، واعتدال وهي الوسط . فاعلموا أن ما هو الاعتدال . أما
الأدنى منه وهو القاصر فهو الذي يجري مجرى رفقة البهائم عند سماع آية أو موعظة
فيكسب وتمييز الدموع فإذا انتهى الوعظ رجع قلب المرء في نفسه ، ويختبر هذا
خوف قليل الفائدة . أما الاعتدال فهو الذي يقوى ويحدو حد الاعتدال ، حتى يخرج
العبد إلى اليأس والفتنوط وهو مذموم ، لأنه يمنع من العمل ، وقد يؤدي أيضاً إلى
المرض والصعف والذهشة وروال العقل ، وكل ذلك مذموم . ومثاله كالصرب

الذى يقل الصبي ، ولعصا التي تهلك الدابة أو تمرصها أو تكسر عصوا من أعصمتها
وأما الاعتدال وهو المطلوب فهو الخوف الذى يورث الحذر والتقوى واجتهاد
والعبادة والصبر ودوام ذكر الله ، بل يقود العبد إلى سائر السبل الموصلة إلى الله
عز وجل ، وكل ذلك يستدعى حياة معد مع صحه لبدن ، وسلامة لعقل ، فكل ما
يشين في هذه الأمور فهو مدموم ، وكل ما أطل العمر أى سلب الموت أو أدهب
العقل أو أصر بالصحة لئى يتعطل العمر بتعطيلها ، فهو حصران ونقصان لأن الشرع
لا يبيح ذلك .

وعليه يمكننا أن نقول إجمالاً أن الخوف إذا لم يطهر تأثيره في العمل فوجوده
كعدمه . أما إذا أثر الخوف في العمل فله ثلاث درجات بحسب ظهور أثره . الأولى
أن يلزم العبد العفة وهي الكف عن متاع الشهوات . الثانية أن ينشر عند العبد
الورع وهذه درجة أعلى . الثالثة أن ينشر درجات الصدق يقين وهو أن يسلب منه
الظاهر والباطن مما سوى الله تعالى ، حتى لا يبقى لغير المولى عز وجل في قلبه منفع
لغيره ، وهذا أقصى ما يحمد منه ، على شرط بقاء الصحة والعقل سليمين فان حاوَز
هذا إلى زوال العقل والصحة فهو مريض ، يجب علاجه برحوم الانسان إلى الأسباب
التي ذكرناها في باب الرجاء ، حتى يزول ما لحق به من شدة الخوف كي يؤدي العادة
على الوجه الأكمل . ولذلك قال سهل رحمه الله يقول ليلزمين للجوع أياماً طويلة ،
احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولياً ، نقص العقل

باب في دواء الخوف والسل الموصلة اليه

لعمري أن أول مقامات الدين البشيع ، الذى هو عبارة عن قوة الايمان باقية تعالى
واليوم الآخر والخلة وسار . وهذا يقين باصروه يهيج الخوف من النار
والرجاء للجنة ، والرجاء والخوف يقويان مع الصبر ، فإن اجتهاد قد حفت بالمكاره
ولا يصبر على تحمل هذه المكاره . لا بقوة الرجاء ، وانما قد حفت بالشهوات
ولا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف ، فقام صبر الحاصل من الخوف والرجاء
يؤدي إلى اجتهاد ، والتجرد لذكر الله تعالى والصبر فيه على الدوام ، ويؤدي إلى

دوام الذكر والفكر إلى كمال المعرفة، وكمال المعرفة تؤدي إلى المحبة، ويتبع مقام المحبة مقاما الرضا والوكل، ثم سائر المقامات. وهذا هو ترتيب في سلوك منازل للدين يعود إلى الخوف لثنتين طريق حصوله بمقول - إن الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر - فاطريق لأول وهو الآق مثاله - إذا مرت أمام لطف حبة فلا يخاف منها، وربما مديده ليمكها ويبعب بها، لأنه لا يدري من أمرها شيئاً، ولكن إذا كان معه أبوه ورآى الحبة تخاف منها وهرب. هذا بطر الطفل إلى أبيه وهو يهرب من الحبة، فام معه وعلب عليه الخوف أيضاً، من يكون خوف الأب عن بصيرة وعلم، لأنه يعلم أن أخيه حنة. أما خوف الآس في هذه الحالة خوف تقييد فقط، لأنه لا يعرف شيئاً عن السم الذي سمته الحبة

أما الطريق الأعلى - وهو الخوف من الله تعالى وهذا أيضاً له مقامان - أحدهما الخوف من عذابه، والثاني الخوف من ذاته، فأما الخوف من ذاته تعالى فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقصص الهية والخوف وحده؛ لأنهم مطلعون على سر قوله تعالى (وبشأنكم لله حسنة) وقوله عز وجل (اتقوا الله حق تقاته) وأما الخوف من عذابه فهو خوف عموم الخلق وهو يحصل بمحود الإيمان بالجنة والنار وكون الجنة جزاء على الطاعة والنار جزاء على المعصية، فخشش من ارتقى إلى مقام المعرفة وعرف الله تعالى حاله بالضرورة، فلا يحج لحب الخوف كما أن من عرف السع ورأى نفسه وقمأ في محله لا يحتاج إلى علاج لحب الخوف من السع لأن مجرد معرفة السع والوقوع في محله كاف للخوف من عرف الله عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالى، ويحكم ما يريد ولا يسأل، وأنه سبحانه وتعالى قريب الملائكة من غير وسبة سابقة، وأبعد البس من غير حريمه مألقة، وأنه تعالى قال (هؤلاء للجنة ولا أولى وهؤلاء للنار ولا أولى) فهذه المعرفة كافية للخوف. أفق أيها الشاربي من عمتك. فقد دعا الأمر وصنع الآن إلى ما يقول، واعتل لقول الله أصبح حجة عليك

اعلم أن الله تعالى خلق أسبب العذاب وأسبب الثواب، وخلق لكل واحد أهلاً أى خلقاً يسوقه لمدار المتفرع من القضاء الأول إلى ما حقه له من الجنة وخلق لها أهلاً؛ سخرها لأسبابها شاءوا أم أبوا، وخلق النار وحق لها أهلاً،

سحروا لأسبابها شاءوا أم أبوا وعلى ذلك لا يرى أحد نفسه في منتظم أمواج
 القدر إلا غلب عليه الخوف بالضرورة ، لأنه لا يدري أهو من أهل الجنة أم
 من أهل النار ، بهذه مخاوف العارفين بسر القدر — وأمام من عجز إدراكه عن فهم
 هذه الحالة فعليه أن يعالج معه دسباع الأحرار والآثام ، يطالع أحوال الخائفين
 العارفين وأقوالهم ويقتدى بهم في أفعالهم . وهم الأتقياء والأولياء والعلماء .
 أما الآمنون العبر حذرين فهم الراعنة والجهل والأعيان المفرورون العارقون
 في بحار الدنيا — نسأل الله أن لا نكون منهم — فاعلم هدايا وهداك الله .
 أن نبينا صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأولين والآخرين كان أشد الناس خوفاً ،
 حتى روى أنه كان يصلي على طفل مات فسمع قهقراً يقول ، هبتاً لك عصمور من
 عصافير الجنة ، فعصب عليه الصلاة والسلام وقال (ما يدريك إنه كذلك والله إنني
 رسول الله وما أدري ما يمنعني ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً لا يراد فيهم
 ولا ينقص منهم) (م) فكيف لا يخاف المؤمنون حياءً ، وقد قال الله تعالى (إذا وقعت
 الواقعة ليس لوقعتها كاذنة خافضة رافعة) أي جفت القلم بما هو كائن ، وتمت السابقة
 حتى نزلت الواقعة ، إما خافضة فوما كانوا مرفوعين في الدنيا ، وإما رافعة فوما كانوا
 مخفوضين في الدنيا ، ولقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ، ولو لم يكن
 فيه إلا قوله تعالى (وإن لعقار لمن تاب وعمل صالحاً ثم اهتدى) لكان كافياً
 إذ عنق المدقرة على أربعة شروط بعجر العبد عن واحدة منها وهي التوبة والإيمان
 والعمل الصالح والهداية . وأشد منه قوله تعالى (تستفتح لكم أيها الذين آمنوا)
 حظاك للإس والحق . أي ستجرد لحديكم وجراكم يوم القيمة ، وقوله تعالى
 (وإن منكم إلا واردة كل على ركب حسباً متصفاً) وقوله تعالى (وقد مننا إلى
 ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وغير ذلك مما في القرآن من الوعيد
 والتهديد ، وما فيه من ذكر مخاوف الأتقياء عبيد الصلاة والسلام ، أما حروف الأتقياء
 مع ما فاض عليهم من النعم ومقامات النور فلا هم لم يأمنوا مكر الله (ولا يأمن
 مكر الله إلا القوم الخاسرون) .

واعلم أن لأمور مرتبطة بالمشيئة ارتضاعاً يجرح عن حد المعقولات والمألوفات ،

فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حساب ، وهذا هو الذي قطع قلوب الخائفين لأن
الظامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشقة من لا ياتيك ، إن أهسكت فقد أهدت أمثالك
من لا يحصى ، ولم يزل في الدنيا بعدهم نواع الآلام ، بالحروب الطاحنة والأمراض
الفائكة والزلازل الممالة ، ثم يمرض قلوبهم بالكفر والفاق ، ثم يحد العقاب
عليهم أبد الأبد ، ويخرج عن ذلك بقوله (ووشف لايت كل نفس هداها
ولكن حق القول مني لا ملأ من جهم من أخيه وليس أجمعين) وقد تعالى
(وتتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته) فكيف لا تخاف مما تم
تسطيره في الآزل ولا مضطجع الآن في نهاركه ، ولو كان الأمر خلاف ذلك لكنت
الاطاع تمتد إلى حبة فيه ، ولكن ليس لك من حبة وليس لك لا تسلم به أما
إذ أردت أن تقرأ ما حق مما قد كتبت على العبد ، فاطر إلى الأعمال لعدرة
المنبعة من القلب إلى الخوارج ، فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بيه وبين أسباب
الخير وأحكمت علاقته بالدي ، فكأنه كشف له على لتحقيق سر السابعة التي سبقت
له باشقاوة ؛ إذ كل مبسر لما حق له ، أما إن كانت الخيرات كلها مبسرة للعبد ،
والقلب منقطعاً عن الدنيا ومتبلاً على الله تعالى ضاهره وباضنه ؛ كان هذا يقص
تخفيف الخوف ؛ ولو كان دوام على ذلك موثوق به ، ولكن خطر الخاتمة وصبر
نات الإنسان على احيرات وعدم تخافيه عن لدي ، يريد يبرر الخوف اشتعالا
ولا يملكها من الانشاء ، وكيف بأمن تغير الحال وفلت المؤمن بين أصبعين من
أصابع الرحمن ؛ وأن التفت أشد تقلباً من قدر في غليانها ، وقد قال مقلب القلوب
جل شأنه (إن عذاب ربهم عظيم مأمون) فأجهل الناس من أمن عذاب الله تعالى
وهو ينادى بالحدير من الأمن واعلم أنه لولا لطف الله بعباده العارفين ، إذ
روح قلوبهم يروح لرجاء لا تحرق قلوبهم من نار خوف ؛ وقد قيل أنه كان يشم
رائحة السكيد المشوي من قم أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأصاب الرجاء حينئذ
رحمة لخواص الحق ، وأسباب لعممة رحمة على عوام الحق ، إذ لو اكشف أعضاء
لهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب ، قال بعض الصالحين
وكانت الشهادة على باب النار ، والموت على الإسلام عند باب الحجرة لا حترت

الموت على الإسلام ، لأنى لا أدرى ما تعرض لقلبي بين باب الحجرة وبين باب
دار وهل شئت أم سغير فى هذه المسافة .

فإذا كان هذا خوفاً عارفين مع رروح أحد مهم وفوه برعاهم من سوء الخاتمة ،
فكيف لا يخاف ضعفاء ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العبد المؤمن
بين عاقبتين بين أحل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أحل قد مضى لا يدري
ما الله قاص فيه ، فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من مستتب ؛ ولا بعد الدنيا من
دار . لا الجنة أو النار) (ح) .

باب فى فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم أن قصص الخوف تراه يعرف بالتأمن والاعتناء ، وانه يعرف الآيات
والأخبار أما الاعتبار فهو أن ينظر العبد إلى ما يوصله إلى سعادة لقاء الله تعالى فى
الأخرة . فكل ما ساعد العبد على ذلك فله فضيلة ؛ وفصلته بقدر غايته ، وقد علم لنا
أن لا وصول إلى هذه السعادة إلا بنوال محبة تعالى ، والمحبة لا تنأى إلا باقتطاع
حب الدنيا من القلب ؛ ولا يقطع حبها إلا بترك لذاتها ؛ ولا يمكن ترك اللذات إلا
بالتعلى على الشهوات ، ولا يمكن التعلى على الشهوات إلا بنار الخوف ، فالخوف
إذا هو النار المحرقة للشهوات ، ففضيلته بقدر ما يحرق بها ، وبقدر ما يكف عن
المعاصى ويحب على الطاعات أما فضيلته بطريق الاقتناس من الآيات والأخبار .
فما ورد فى ذلك خارج عن الحصر . وذهبك دلالة على فضيلة أن الله تعالى خص
الخائفين بالهدى والرحمة والعلم والإصواب ، وهذه مقامات أهل الجنان . فقال تعالى
(وهدى ورحمة لنفذين هم لربهم يرهبون) أى الذين يخافون ربهم ؛ وقال عز وجل
(إنما يخشى الله من عباده العلماء) وصحهم بأعلم خوفاً وقال تعالى (رضى الله عنهم
وصوابه ؛ ذلك لمن خشى ربه) . وقال تعالى (وحفوف بن كنتم مؤمنين) فممر
سجانه وتعالى بالخوف وأوجه على كل مؤمن . وقال عز وجل (ولن يخاف
مقام ربه حستان) وقال صلى الله عليه وسلم (قل الله عز وجل وعرق لا أجمع على عدى
خوفين ؛ ولا أجمع له أمين ؛ فإن أمتته فى الدنيا أحفته يوم القيامة ؛ ورب خائف
فى الدنيا أمتته يوم القيامة) (ح) .

وعن أن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كان لكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأنه امرأة فأعطها ستين ديناراً على أن يطأها فيما أرادها على نفسها اربعدت وبكت فقال ما يبكيك ؟ قالت لأن هذا عمل ما عملته وما حمى عليه إلا الحاجة فقال تفعين أنت هذا من محبة الله فأما أخرى ادهي فلك ما أعطيتك ووالله ما أعصيه بعدها أسأ - فمت من يلهت وصح مكتوباً على ربه (إن الله قد عفر لك الكفل) فعجب الناس من ذلك (ب و ك)

وعن أن هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خرج ثلاثة فيمن كان قبلكم ينادون لأهلهم وأصابتهم ليلاء فلبثوا إلى حل فوفقت عليهم صحرة . فقال بعضهم لبعض عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بكم أسكنكم إلا الله فارعوا الله بأوثق أعمالكم . فقال أحدهم اللهم إن كنت تعلم أنه كانت امرأة تعجى فطلبتها فأبت على أن تجعل لها حملاً فلما قررت نفسها تركتها فإن كنت تعلم أنى أمت فعلت ذلك رجاء رحمتك وحشية عدايتك فأفرح عنا فزال ثلك الحجر . وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى والدان فكنت أحل لهما فى إناهما فإذا أنبتهما وهما نائمات فت حتى يستيقظا فإذا استيقظا شربا . فإن كنت تعلم أنى أمت فعلت ذلك رجاء رحمتك وحشية عدايتك فأفرح عنا فزال ثلك الحجر . وقال الثالث اللهم إن كنت تعلم أنى استأجرت أجيراً يوماً فعمل لى نصف شهر فأعطته أجراً فسخطه ولم يأخذه وفرتها عليه حتى صارت ذلك المال ثم جاء بطلب أجره فقلت خذ هذا كله ولو شئت لم أعطه إلا أجره الأول . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك رجاء رحمتك وحشية عدايتك فأفرح عنا فزال الحجر . وخرجوا سائشون) (حب) وللبخارى ومسلم من حديث عمر بن حوهره (ترغيب)

وعن أن هريرة رضى الله عنه أن سمى صلى الله عليه وسلم قال (كان رجل يسرف على نفسه فيما حصره الموت قال لبيه إذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ثرونى فى الرج فوافقه لأن قدر الله على سعدى عداماً ما عده أحد . فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض . فقال اجمعى ما بك ففعلت فإذا هو قائم . فقال ما حملك على ما صنعت . قال خشيتك يارب أو قال محافتك فعمر له) - وفى رواية أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال (قل رحل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات وأحر قوفى
 لفرقه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فواته لأن قدر الله على ما يشاء عذاباً
 لا يعذبه أحداً من العالمين . فلما مات الرحل فعلوا به ما أمرهم فأمر الله البر بجمع
 ما فيه . وأمر البحر أن يجمع ما فيه . ثم قل لم فعلت هذا ؟ قل من خشيتك يارب
 وأنت أعلم (فعقر الله تدن له) (ق) وعن أبي هريرة أيضاً قل . سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول (من حاف أدخل ومن أدخل بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله
 غاية . ألا إن سلعة الله الخنة) (ت) أدخل . إرساء من أول الليل . ومعنى الحديث
 أن من حاف أرمه الخوف السلوك إلى الآخرة والمبادرة للأعمال الصالحة خوفاً من
 القواطع والعوائق . وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن فتى من الأصا دخلته
 خشية الله فكان يبكي عند ذكر النار حتى حمله ذلك في البيت فذكر ذلك لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فجاءه في البيت فبا دحل عليه اعتقه النبي صلى الله عليه وسلم وحر
 ميتاً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (جهرُوا صاحبكم في الفرق فله كده) - أعنى
 الخوف قطع قلبه (ك وهب) وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال (لو يعلم المؤمن ما عند الله من لعقوبة ما ضمع بخته أحد . ولو يعلم
 الكافر ما عند الله من الرحمة ما قط من رحمة) (م)

وقالت عائشة رضى الله عنها . قلت يا رسول الله (الذين يُزَوِّنون ما أنوا
 وقلوبهم واحة) الرجل يسرق ويزني قال (لا ، من الرجل يصوم ويصلي
 ويتصدق ويحاف أن لا يُفلس) (ت) والتشديدات الواردة في الحذر من
 الأمن من مكر الله . فإنه لا تحصر وكل ذلك ثناء على الخوف . واعلم أن الخوف
 والرحمة من الله ما يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر وتلك قال الله تعالى (ويدعوننا
 رغماً ورهناً) وقال عز وجل (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) . وقال عليه الصلاة
 والسلام (إذا افتشع قلب المؤمن من خشية الله تحانت عنه خطاياه كما يتحات
 من شجرة ورقها) (ط) أعنى تساقطت عنه . وقال عليه السلام (لا يبلغ النار
 أحد يبكي من خشية الله تعالى حتى يعود الليل في الصبح) (ت) وقال عليه
 السلام (ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة

دم أهرقت في سبيل الله سبحانه (ت) . وفي حديث (سبعة يطلبهم الله في ظله) ذكر صلى الله عليه وسلم منهم (رجلاً ذكر الله حباً فصصت عياه) (ق) . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم — انكوا من لم ينكوا فتباركوا ، فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرح حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى يكسر ظهره .

تسكنني يدك في فضيلة الخوف والواقع الذي لا مرأى فيه ، أن القلب إذا كان صالحاً أثر فيه أقل من ذلك . فاعلم أن كل ما ورد في فصل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفصل العلم ومذمة الأمن من مكر الله تعالى ، هو دلالة على فصل الخوف ، لأن حملة هذه الأمور متعلقة به ، بل هو سببها ومحركها والله أعلم

أحوال الأنبياء والملائكة عليهم السلام في الخوف

روى عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة بتغير وجهه . فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج ، كل ذلك خوفاً من عذاب الله (ق) ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالآطح فصعق (إبرار) وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجح (د)

وقال لما طهر على إسناس ما ظهر ضفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما ما لكما نكين كل هذا تكلم فقد يرب لا تأمن مكر — فقال الله تعالى — هكذا كونا لا تأمنا مكرى — وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل — مالي لا أرى ميكائيل يصحك) فقال جبريل — ما صحك متكئين منذ خشيت النار — (أحمد) فهذه أحوال بعض الأنبياء والملائكة عليهم السلام ، فعليك التأمل فيها وإلهام أعرف حق الله تعالى وفضله وقبلة ، وقد أخبر الله تعالى عن مخاوف الأنبياء في القرآن الكريم فسبحره

باب في أحوال بعض الصحابة والسلف الصالح في الخوف

روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر يا ليتني مثلك باطائر ، ولم أحلق نشرأ ، وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أبعث ، وروى أن عمر رضي

الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن فيعشى عليه ، فكان يعاد أياً ما .
 وأحد يوماً ننته من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه الثمنه باليتنى لم أك شيئاً مذكوراً ،
 يا ليتني لم تلدنى أمي ، وكان وجهه حطاً أسوداً من الدموع ، ومر يوماً بدار إنسان
 وهو يصلي ويقرأ سورة (والطور) فوقف يستمع فبلى قوله تعالى (إن عذاب
 ربك لواقع ما له من دافع) بل عن حمارة واستند إلى حائط ورد جع إلى منزله فمر من
 شهر آ يعودده الناس ولا يدرون ما مر به . وقال عن كرم الله وجهه وقد سلم من
 صلاة لغيره وقد عته كآفة وهو يقلب يده . لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه
 وسلم فلم أر اليوم شيئاً يشبهه . لقد كانوا يصحون شعاعاً صبراً بن أعينهم أمثال
 ركب المعمر قد ماوا الله سعداً وفي ما يتلون كتابه ، فإذا أصبحوا ذكروا الله تعالى
 فادوا كما يمد الشجر في يوم أربع . وصمت أعينهم الدموع حتى تن ثيابهم ، والله
 فكأن ما يقوم بأول عرس . ثم قام فآرؤى بعد ذلك صاحباً حتى صر به ابن ملجم
 وكان على ن الحسن رضي الله عنهما إذا بوصاً أصغر لونه فيقول له أهله ما هذا
 الذي يعتادك عند الوصوه فيقول أتدرون بن يدي من أريد أن أقوم ، وقال موسى
 ابن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن لنا قد أحاطت بنا لما نرى من حوجه
 وحرره ، فقرأ مصر الفارسي يوماً قوله تعالى (هذا كساً يسطق عليكم بالحق إنا
 كساً بسنسخ ما كنتم نعمون) فبكي عبد الواحد بن زيد حتى عشى عليه ، فما أفاق
 قال وعرفت لا عصيتك جهدي أبدأ فأعني سويقك على طاعتك . وكان المسور بن
 عجرمه لا يقوى أن يسمع شيئاً من القرآن لشدة خوفه وقرأ عليه رجل من حيث
 قوله تعالى (يوم نحشر المؤمنين إلى الرحمن) وبدأ وسوى الحجر من إلى جهنم وداً
 فقد أنا من المحرمين وأب من المقيمين أعر على "قول" أي تقارىء فأعاد عليه
 فشق شقه فحق ، لاخره . وقرئ عند يحيى لكاه (ولو ترى إذ وقفوا على
 رهم) فصاح صيحه مكث منها مرصاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة . وقال
 مالك بن دينار بينما أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة
 وهي تقول ، يا رب كم شهوة ذهبت لغاتها وثقت نعماتها ، يا رب أما كان لك أدب
 وعقوبة إلا النار ، وتبكي فإزال ذلك مقامها حتى طلع الفجر . قال مالك فما رأيت

ذلك وصعدت يدي على رأسي صارحاً أقول ثكلت مالكا أمه . وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الخائفين فقال : قالوا لهم بالخوف فرحة وأنعمهم ما كيه يقولون كيف مخرج والموت من ورثته . والفقر أمان . والقيامة موعد . وعلى جهنم صريقتان . وبين يدي الله زنا موقعتنا . ومر الحس ثبات وهو مستمر في صحكه وهو حاس مع قوم في مجلس فقال له الحس : يا ابن من مررت بالصرط . قال لا . قال فهل تدري في الجنة نصير أم إن النار . قال لا . قال فاعدا نصحك . قال ثم روى هذا القى بعدها صاحبها . وقال حاتم الأصم بحث إخوته على الخوف . لا تعتزوا بموضع صالح فلا مكان أصبح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما نفى . ولا تعتزوا بكثرة العدة بين إبليس بعد طول تعدده لقي ما نفى . ولا تعتزوا بكثرة العلم فإن سعام كل يحسن اسم الله الأعظم فاضطر . قال لقي . ولا تعتزوا . فية الصالحين فلا شخص أكرم مرة عند الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم يتبع بقائه أقربه وأعداؤه . وقال صالح المري قرأت على رجل من المتعبدين (يوم تُقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أضعنا الله وأضعت الرسل) فصق ثم أقبل فقال رضى يا صالح إنى أجد غما . فقرأت (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) فخرمت . وروى أن ذرارة بن أبي أوفى صلى بالناس لعدة فقرأ (ودام نقر في النافور فذلك يومئذ عسير) فخرم فشياً عليه خمس مئة . وحدثني يزيد الرقشي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال عطلى ما يريد . فقال يا أمير المؤمنين أعلم أنك لست أول حبيبه يموت منكى . ثم قال ردى فقال يا أمير المؤمنين ليس بيك وبين آدم أب لا ميت منكى . ثم قال ردى ما يريد . فقال يا أمير المؤمنين ليس بيك وبين أخته وشار مبال فخر معشبة عنه . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : يا مؤمن لا تسكن روعه حتى يترك جسر جهنم وراءه . - هذه محاول الصلحة والأولياء والعباد والصالحين على ما كانوا عليه من الورع والتقوى والزهد في الدنيا . وبعد : أحق بالخوف منهم لما نحن فيه من كثرة الذنوب - كان الناس في الزمن السالف يواظبون على عبادات ويؤتون ما أتوا من الطاعات والقربات وقنوسهم وجهه أهم إلى ربهم رجعون . يحذرون على انفسهم من عذاب الله وعصاه . وهم طوبى الليل والنهار في طاعة الله . يبايعون في التقوى ويحذرون

الشهات ويكون على أنفسهم في الخلوأ . وأما الآن فترى الخلق آمنين مطمئنين
 مسرورين غير حائزين . مع : كتابهم على المعاصي وإهمالهم في الدنيا وإعراضهم
 عن الله تعالى ، راعين أنهم وانفقوا بكرم الله وفضله . راجين عفوّه ومعرفته ،
 فكأنهم عرفوا ما لم يعرفه الآيب . والصحابة والسلف الصالح - فإذا كان الأمر كما
 يظنون فعلام كان نكاه أولئك وخوفهم وحرصهم . قس أيها المسلم حالك بحال إخوانك
 السابقين هل تجد بينك وبينهم شهاً من حيث الخوف من الجبار العظيم ؟ وهل في قلبك
 إيمان بصدق وعيد القرآن كإيمانهم ، ولكن لا شبه بيننا وبين هؤلاء الفقراء . إنك تجد
 الكثير من المسلمين لأسباب الأغنياء منهم والمتروكين يعرضون كل الاعراض عن استماع
 أحبار السلف ويتبعون عن طريقهم ويترفعون عن ذكر أسماهم ويرون في التشبه
 بهم عاراً وفي متابعتهم تأخرأ واحتقارأ بينما تراهم يشيدون بذكر الفقهار ويعجبون
 بعمل المعروفين الأشرار ويقلدونهم في عاداتهم ويخافونهم في أفعالهم وهم أثناء ذلك
 يفتأون أوامر الشرع وينهكون حرمات الدين . ألا هاهنا أيها المعروفون أن
 السعادة كلها في التشبه برجال الله الصالحين وأن العزة في الآخرة لمن اقتدى بهم والفور
 لمن جاراهم في أفعالهم والخزى والسلة للعاملين المسكرين . وقد عرفت أيها القارىء
 ما كل محدث سماع القرآن من الخوف في قلوب السلف حتى كان بعضهم يحرص
 وبعضهم يعنى عنه . وبعضهم يصعق بجملة ، أما نحن فنسمنه في كل وقت ولكن
 لا تأثر ولا تدر . فصاعب حكمته ولم نص إالى القلوب روحه . قال رب العزة جل
 شأنه (لو رلنا هذا القرآن على جبل لرأيته حاشماً متصدعاً من خشية الله) أريد
 بذلك توبيخ الإنسان وتقريبه على قسوة قلبه وعدم خشيته عند تلاوه وقية تدره
 فيه وقال تعالى (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تحبون) بل لأمر
 بالإصبات بعث على كثرة وكثرت بعث على الخوف والخوف بعث على العمل الصالح .
 وكان هذا شأن السلف ولما علم لكامل ما في الإصبات من الفلاح أرادوا أن يمعوه
 من المسلمين فقالوا لبعضهم (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلوا) كما
 في الآية ، فقل لى ربك أى الأمرين متبع الآن . هل الإنصبات والخشوع ، أم الغفوة
 والاعراض ؟ نعم نصت عند لعناء ونستمع لأصوات النساء ، التى ابتينا بها هذا
 الزمان ، وملأت البيوت والطرقا وأن غالب المسلمين يقتنون آلة المدياع لا لسماع

القرآن والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بعجائزه فشب ، بل لظرب بأصوات المعين والمقنيات ، والنظم بسباع ما تخرجه دور اللهب من شتى الموضوعات المحشوة ببدىء القول وخش الألفاظ ، حتى انعمر في قلوب الشباب وأشباب أصولها ، ونمت في أفكارهم فروعا ، فترجموا به صباحاً ومساء وهذه الحاة أنتجت أسوأ السخ في أبناء المسلمين ، فصاروا يحفظون الكثير من الآذان ، ويجدون نظم الألق ، ويعجزون عن حفظ آية أو قراءة سورة واحدة من القرآن وهذه المصيبة التي حلت ببيوت المسلمين يرجع سببها إلى خلل قلوب الأبناء والمربين من التقوى ، وحب الله تعالى ، وغفلتهم عن مصيرهم فتركوا دريتهم وأهلهم ينتهون في يداء الجهالة حتى صاروا طريق الدين ، وقد فات هؤلاء الأبناء أنهم مسئولون أمام الله تعالى في يوم الموقف العظيم عن تقريرهم في تعليم آبائهم أمور دينهم ، وتركهم يسمعون ما يسمعون ، وبقراؤهم ما يقرأون ، ففسدت أخلاقهم وساءت حالتهم وهم لا يشعرون ، ألا فليتقوا الله الأبناء في آبائهم ، وليحافظوا عليهم من زجرهم ما داموا يحفون عليهم من بار الدنيا ، وبار بهم أشد حراً لو كانوا ينفقون لفتنهم على ما ذكرناه في هذا الباب ، فإن القليل من هذا إن صادف القلب القابل يكفيه ، والكثير منه صلب على القلب العاقل فلا يعنيه وقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مارك الخولاني وكان من خيار المداهم رآه على باب بيت المقدس وقفاً كهيئة المحروون من شدة الخوف ما كان يحف دمه من كثرة سكا فقال عيسى لما رأيته هالكي مطره ، فقالت أيها الراهب أوصني بوصية أحصها عليك ، فقال يا أخى بماد أوصيك إن استطعت أن تكون بماله رجل قد أحاطت به السخ والحيات فهو خائف حذر يخاف أن يغفل عن نفسه فتفترمه السباع أو يسوق فتشبهه الحيات فهو مذعور "تعب وجل بما حوله يحصى إليه خائفاً وإن من المعترون ويصعب ساره حزياً وإن فرح العاقلون ثم ولي وتركى ، فقلت هلا ردتنا شيئاً عسى أن ينفع فقال لطمأن بكفيه من الماء أبسره ، وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه دنى مخافة وتعب الجاهل تنبو عنه كل المواقظ ، واعلم أن ما ذكره الراهب من إحاطة السبع والحيات ليس تقديرأ فقط بل هو تحقيق لأنك لو شاهدت بنور الإيمان باطنك رأيت مشحوناً بأصناف

السباع وأنواع الموام وهي صفاتك المدمومة التي هي العصب والشهوة والخقد والجسد
والكبر والعجب والرياء وغيرها ، وهذه آفات لا تزال تقتربك ونهشك إن عفدت
عنها لحظة ، ولكك محجوب عن مشاهدتها في هذه الحياة لا تطعم بصيرتك بالمعاصي
فإذا جاءك الموت ووصعت في فرك شاهنته ، وقد تمتلك لك بصورها وأشكالها فترى
بعيك ، أحقارب والحماة قد أهدت بك في فرك وماهی عقارب ولا حيات ، ولكها
صفائك ، محصورة وأعمات التي بعدتها في ديك قد انكشمت لك صورها فإن أردت
أن تقتلها بحيث لا تراها في فرك فأنت قددر على قتلها قبل الموت فاعمل قبل موت
وقت القدرة على العمل ، وإلا فوصف نفسك على لدعها ونهشها صميم قلبك أصلا عن
طاهر شرك والسلام على من تبع الهدى

باب في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته

اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من عظيم في الدين ، وهو الأمر
الذي بعث الله له الرسل ، وقد نزل على وجوه الكتب ولسته - أما الكتاب فقال
تعالى (ولئن كن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون) في الآية بيان الانجذاب بقوله تعالى (ولئن كن) فهو أمر طاهر ،
وفيها بيان أن الفلاح متوط به ، وقال تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله
آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله ويؤمنون بالآخرة ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) فلم يشهد لهم به صلاح
بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر ، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، وقال عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون
المعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة) وقد وصف المؤمنين بأنهم يأمرون
المعروف وينهون عن المنكر ، فالذي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حارج
عن هؤلاء المؤمنين المعصومين في هذه الآية . وقال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت
للناس تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وهذا يدل على فضيلة الأمر
بالمعروف وإدبين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس ، وقال تعالى (وتعاونوا

قل (يرى أن الله عليه مقلاً ثم لا يقول فيه ، يقول الله عز وجل يوم القيامة ،
 ما منعك أن تقول في كذا وكذا ، يقول حشيت الناس فيقول فيبأي كنت أحق أن
 تحشى) (ه) وقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 (ما من قوم عملوا بالمعاصي وميهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك
 أن يجمعهم الله بعذاب من عنده) (أصحاب السنن) وروى عن أبي ثعلبة الخشني أنه
 سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (لا يضركم من صلّ إذا
 اهتديتم) فقال (يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شعراً
 مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بنفسك ، ودع
 عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع جبل المظلم ، لستمك فيها بمن لدى أنتم
 عليه أجر خمسين منكم) فينزل مهم يا رسول الله ؛ قال (لا منكم ولا منكم) فجدون
 على الخير أعواناً ولا ينجون عليه أعواناً) (د ت ه) وقال عليه السلام (لأمرن
 بالمعروف ونهون عن المنكر أو ليسن الله عليكم شراركم ثم يدعو جباركم فلا
 يستجاب لهم) (ص) وقال عليه السلام (لا تقس على رجل يُقتل مطوماً فإن
 اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مطوماً فإن
 اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) (هـ) وقال عليه السلام (لا يسمي لأمري
 شهد مقاماً فيه حق ولا يكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يعمره رفقاً هوله) (هـ)
 وهذا يدل على أنه لا يجوز دخول دور الخطيئة والعسفة ولا حضور المواقف التي
 شاهد المنكر فيها ولا يمدد على تغييره ، ولهذا احتذر جماعة من السلف العزلة
 لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق واجتماعات ولقراءات وعجرام عن التعبير -
 وأما نصيحة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوردناه من الآيات والأخبار كاف
 في ذلك وإليك حديث جابر (سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى
 إمام جائر فأمره وساء فقهه) (ث) يدل ذلك على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر ، وأن فرصة لا ينفذ مع القدرة - ونظراً لأن المنكر قد عم قومه وقوله
 ورؤيته في الطرقات واجتماعات والأسواق وقد عجز ناعس تغييره باليد واللسان والقلب
 فنصحتني لمن يريد سلامة دينه أن يهرب من هذه المواقف ونسأل الله لسلامة في اعتزالنا .

باب في بيان المنكرات المأثومة بالعامة

المنكرات المأثومة وهي يجب التحريم عنها قد تحدث في خمس مواطن في المساجد والأسواق، والشوارع، والحمام، والصيفة - وقد لمنكرات التي تقع في المساجد فيها الإخلال في الصلاة وعدم الطمأنينة في الركوع والسجود، ووجود نجاسة في ثوب المصلي لم يرها، والانحراف عن نفسه، والتلصق في القراءة، وتكلم بكلام دنيوي، وهذه الأمور مكروهة يجب تعريضها لمخاطرها، فإذ صدرت عن علم فيجب التحريم عنها قال ابن مسعود من رأى من يسئ في صلاته فلم يسه فهو شريك في وررها ومهاقرائه القرآن المشد بدو، إذ نحن على وجهه عظيم الخراب ويجوز حد السربل بل هذا منكر مكروه شديد الكراهة أسكره جماعة من أهل العلم ومنها أكل الثوم والصل فقد هار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حضور المساجد سائر أرائحه المسكره (ق) أما منكرات الأسواق، فيها الكذب في البيع، وخناء عيب الصفة، فمن قل في أشرب هذه بكذا وطلب فيه ثرجاً وكال كاذب، فهو فاسق، وكذا نقص المقياس، وبحس الكيل والميزان - ومنكرات الشوارع منها مراوحة السربل بسبع البيع والأطعمة وغيرها، إن كان ذلك يضر بالمسيرة ولا فلا، وكذا ط الدواب في الطريق، والمرور في الطريق، فاحل الخطأ التي تؤدي إلى إفساد الناس وتغرق ناسهم، وتحمل الدواب أحمالاً لا تطيقها وكذا يجمع التصاص من دج الجواب أصم ذكاه وتلويث الطريق بالدم وكذا طرح الكسفة في الطريق أو ريش الماء بحيث يثقل الطريق والتعثر وكذا يمنع وقوف الكلاب العقور في الشوارع، وعلى الخناء فكل ما يؤدي إلى إفساد أو تشييق لطريق فهو منكر مكروه - ومنكرات الحمام، منها كشف العورات ونظر إليها، ومنها أن يكشف لذلك عن عجزه وماتحت سره - من يجب أن يدخل يده من تحت لقضاء ولا يمس عورة غيره، ومنها دس طاح على الوجه من يدي ذلك فهذا مكروه، ومنها كشف العورة للحلاق ومنها غسل الذوائف والملاص السحرة في المياه القليلة ومنها أن يكون في أرضية الحمام أحجار مضاء يبرلق عيب لباس وغير ذلك أما منكرات الصيفة، منها فرش الحرير للرجال، ووضع الشراب في أواني من الفضة

أو بها جزء من الفضة . ومنها سماع الأوتار ، أو المغنيات ولو من وراء حجاب . أما
الأواني المصنوعة على شكل رموس الطيور والحوانات فهي حرام يجب كسر مقدار
الصورة إن قدر . وقد حرج أحمد بن حنبل عن الصباغة بسبب ذلك ، فإن كان في
الصباغة من يتعاطى الخمر وحده فلا يجوز الخصور ، إذ لا يمكن حصوله بحال لشرب
ولو مع ترك الشرب . كما لا يجوز بحالة الناسق حال ارتكابه شق ، وكذا لا يجوز
بحالة لابس الحرير والذهب من الرجال من غير ضرورة وإن كان في الصباغة
صاحب بدعه ويتكلم في بدعته يجب الرد عليه ورحله وكذا ك لرجل الذي يضعك
الناس بالكذب والفحش ، لا يجوز بحالته إلا الإسكابه ، ومن المنكر في الصباغة
إسراف المال إلى الغضب وفي معناه التأنج وفي أنواع العناء لأن كل ذلك محرم شرعاً
أما الإسراف في المباحات فلا ضرر فيه كإطعام الفقراء وتصدق عليهم بعة -
وهناك منكرات عامة لا حصر لها لم يذكرها في هذا الباب وهي غير خافية ، لأن كل
ما حرمه شرع أو كرهه فهو مكروه والله أعلم

باب في مواقة الحدود وعتك المحارم

قل عليه الصلاه والسلام (إن الله يعار ، وعمره الله أن تأتي المؤمن ما حرم الله
عليه) (الشحن) وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأعلى
أقواماً من امتي ما ترون يوم تقيم ما عملتم أعمالاً حسنة يباهيهم الله بها
مشوراً) قال ثوبان يا رسول الله صفهم لا تكون منهم ونحن لا نعلم ، قال (أما
هم جوكم ومن حلدكم ويأخذون من الدين ما تأخذون ولكبه قوم إذا حلوا
بمحارم الله تنكروها) (هـ) وقال عليه السلام (خذ بعمله في الأرض خير لأهل
الأرض من أن يخطروا أرضه صاعاً) (هـ) وقال عليه السلام (أقيموا حدود الله
في القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم) (هـ) .

باب في بيان ما ورد في السماع

قل رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يعنى مهدى ورحمة للعالمين وأمرني
أن أحقق المزامير والكبائر) (أحمد) يعني المعارف والعود .

وقد ورد في لسان أفعال كثيرة معبرة عن المذهب ، فقد حكى الطبري عن
 الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان رضي الله عنهم وجمعة من العلماء أنفاً يستدل
 بها على أنهم رأوا تحريم السماع . وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب آداب القضاء
 إن العلماء قومٌ مكروه يشبه الناطل ، ومن استكثر منه فهو سبعة نردّ شهادته .
 وقال الطبري استماع لعامة من المرأة التي ليست محرمة له لا يجوز . عند أصحاب
 الشافعي ومالك . سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب . وأما مالك رضي الله عنه
 فقد هيى عن العامة وقال ما أشبهني الإنسان حارة توجد لها معنة كان له دها ،
 وهو مذهب متأثر أهل المدينة . وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فكان يرى ذلك
 ويجعل سماع العامة من السيوف . وكذلك سماع أهل الكوفة مثل سفيان الثوري
 وحامد وإبراهيم والشعبي وغيرهم هذا كله نقله الطبري ، ونقل أبو طالب المكي بإسناد
 السماع عن جماعة فقال سماع من الصحابة عسى الله أن يجمعهم ويعيد الله بن الزبير
 والمعيرة بن شعبة ومعاوية وغيرهم . هذه أقاويل متعارضة . وقد ذكر الامام الفراء
 في هذا الباب من كتاب الإحياء أقاويل كثيرة ملخصها فيما يأتي

أما ما أبيع من السماع فهو لصوت الحسن في قرآن أو الشعر الذي يقوم
 مقام الحكمة قال عليه السلام (الله أشد أذناً للرجل الحسن لصوت بالقرآن من
 صاحب لقبه بقبته) (حديث) أي الحارثية المعية . وأبيع سماع الطن والدف إلا
 ثلاث الملاهي والأوتار والمراير التي ورد شرع بمعها وتحريم هذه على غير
 أهل شعار أهل الشر

وإليك حديث عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن . قالت دخل عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان يعنيان بعنقه نعاث فاصطخما عن أقران
 وحول وجهه ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فاستهرق وقال مر مار الشيطان عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال (دعهما)
 فلما غفل عجزتهما فخرجتا (خ وم)

وهذا مص صريح على أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع غناء الجاريتين وفيه أنواع
 من الرخص ؛ ولكن يحرم السماع بجمعة عوارض ، الأول أن يكون المعنى امرأة

لا يحل النظر إليها ، وتخشى الفتنة من سماعها فتحريم السماع هنا لا من حيث صوت المرأة لأن صوت المرأة من غير العناء ليس بعورة ، فكأن السامع في زمن الصحابة رضى الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والمشاورة ، ولكن صوت العناء له أثر كبير في تحريك الشهوة ، فيدعى أن يعرف طريق الفتنة ويقتصر التحريم عليه ؛ وهذا القول يؤيد سماع نبي صلى الله عليه وسلم للحريتين ، لأنه عليه السلام لا يخاف عيبه لفته من السماع فقد لم يختره منه فبدأ بخطاب هذا أحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شاعراً أو شاعراً قبلًا للفتنة أولاً . العارض الثاني في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشراب أو الخشيش ، وهي المزامير وكل ماله أوتار وطن الكوبة هذه هي الآلات الممنوعة ، والباقي مباح . العارض الثالث في نظم الكلام وفي معناه فإن كان فيه شيء من الخفاء والغموض ، وفي معناه معارضة الرجل للمرأة في الروايات ومع صوت المرأة ، والمداخلة والنحت في الألفاظ ، أو ما فيه كذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم وغيرهم ، فسماع ذلك حرام بالحلل وبغيره أحوال ؛ والمستمع شريك في القائل وكذلك يخترم سماع كل قول يصف امرأة بعيبها ، لأنه لا يجوز وصف امرأة من يدي الرجال ، وعلى المستمع أن لا يوجه قلبه إلى امرأة معينة لا تحل له . العارض الرابع المستمع وهو أن تكون الشهوة عابدة عليه ؛ وكل في غرة الشباب ؛ فسماع وصف جمال المرأة وقوامها حرام في حقه ؛ لأن الشيطان ينفخ في قلبه نار الشهوة . العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يعالج عليه عند السماع إلا شهوته ؛ وقد أورد السماع ديدنه وصنع فيه أكثر أوقاته ؛ فهذا هو السمع الذي ترد شهادته ، لأن المواظبة على اللهو والسماع جنابة ؛ فإن المباح يصير بالمداومة من الصغائر كدائمة اللعب ، سقاء له وغيرها فإنها مكروهة كراهة شديدة . وحيث قال الشافعي رحمه الله إن "السماع" هو مكروه يشبه بياض ؛ فهذا لا يدل على التحريم المعلوم ، إنما هو من باب تنزيه تواجب في حق ذوي الدين ، وهذا هو الظن أيضاً بغيره من الأئمة . أما حجاج الثعالبي بتحريم السماع فقد احتجوا بقوله تعالى .

(ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال ابن مسعود والحسن البصري والشافعي رضى الله تعالى عنهم ، إن لهو الحديث هو "العناء" . وروى عائشة رضى الله

عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رب الله تعالى حرم لقيته وبيعها وثمها وتعليقها» (طب)
 فالقبة أرادها الجزرية التي تعني للرجال في مجلس الشرب فإن غناء الأجنحة للفراق
 ومن يحرف عنهم لفتنة حرام، واحتجوا بما رواه أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال: «مرفع أحد صوته معه إلا بعث الله له شياطين على منكبيه يضران
 بأعقابهما على صدره حتى يمسا» (طب) يقول إن ذلك ينصب على بعض العناء، وهو
 الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المحقوقين، أما ما يترك
 الشوق إلى الله تعالى أو السرور بالعيد أو بالمولود أو بيقوم الغائب، فهذا لا ضرر
 فيه بدليل قصة الجاريتين، واحتجوا كذلك بما رواه عفة بن عامر أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال: «كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه نفسه ورميه بقوسه
 وملاعبته لامرأته» (أصحاب السنن) واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه ما تعينت
 ولا تمنيت ولا مسست ذكرى يميني مذابحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم،
 وكذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه العناء ينبت في القلب الفساق، وقول الفضيل
 ابن عياض العناء رقية الزمان، وقول يزيد بن الوليد يا كم والعناء فانه ينقص الحياء ويزيد
 الشهوة ويهدم المرومة وانه لينوب عن الحر ويفضل ما يفعل السكران كتم لا بد
 وعالين لجنونه النساء فإن العناء داعية الزمان - فهذه الأقوال كلها لا تدل على التحريم
 قطعاً وإنما تدل على أن الأولى تركه، لأن أكثره من أصوات النساء لا سيما في زماننا
 هذا، واللفظة خارجة عن حدود الآداب. ولكن لما كانت القلوب إذا أكرهت
 عمت، فيدعي تزويجها إغارة لها على لعمل فاسد دواء القلب من داء الأعياء والاملال،
 يشترط أن يكون مباحاً ولا يسكن منه كما لا يسكن من الدواء عند المرض وعلى
 أي حال فهذا يدل على نقصان تكامل الكائن هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه
 بغير الحق. ولكن حسنت لأبرار سببنا اتفقوا فيهم ذلك.

باب في عقوبة من ترك الصلاة أو أخرها عن وقتها

عن جابر رضي الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل
 وبين الكفر ترك الصلاة» (أحمد ومسلم). وعن يزيد بن أبي ربيعة رضي الله عنه قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) (أحمد وأبو داود والشافع والترمذى) . وروى عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له) وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له إنما موصع الصلاة من الدين كوضع الرأس من الحسد) وعن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ترك صلاة متعمداً أحبط الله عمله وبرئت منه دمة الله حتى يراجع لله عز وجل توبته) وعن سعيد بن أبي وقاص قال سألت النبی صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (الدين هم عن صلاتهم ساهون) قال (هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها) وقال عليه الصلاة والسلام (من فاتته صلاة فمكأنما وتر أهله وماله) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً من أبواب الكبائر) وقد جاء عن جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وعبد الرحمن بن عوف وأبي الدرداء وأبي هريرة رضى الله عنهم وغيرهم أن من ترك صلاة فرض واحد متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد ومن تغير الصحابة أحد من حنل وعبد الله بن المبارك والحمي وغيرهم رحمهم الله تعالى . هذا القدر كفاية لمن له قلب حتى والذى أرجوه أن يعلم كل مسلم ومسلمة أن الصلاة أهم العبادات ، وقد وردت الرخصة فى الصيام المرض والسفر ، وكذلك الزكاة تنوقف على المال ، والحج لا يؤديه إلا مستطيع أما الصلاة فواجبة فى الصحة والمرض ، والغنى والعقر . والسلام والحرب ، والإقامة والسفر ، والبدو والحصار ، والشغل والتمراع ، ولم يرد فى تأخيرها رخصة لأهميتها فلنغم ذلك .

باب فى عقوبة تارك الزكاة

عن عمر رضى الله عنه قال ، قال عليه الصلاة والسلام (إن الله فرض على أعتياف المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقرائهم ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا

إلا بما يضع أغنياؤهم . ألا وإن الله بحاسبهم حساباً شديداً ويعد لهم عذاباً أليماً) وعن
أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من آتاه الله مالا فلم
يؤد ركانه مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له ربيتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ
ببهرمنيه يعى شديقه ثم يقول أنا مالك أما كنك) ثم تلا هذه الآية (ولا يحسب
الدين يبطلون) الآية (ح ن م) ويكفيك راحر ما جاء به القرآن الكريم في عقوبة
كنز المال وعدم إخراج حق الله فيه

باب في عقوبة قاتل النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة
في الدماء) (ح) وقال عليه السلام (اجتنبوا البيع الموبقات) قيل يا رسول الله وما هن
(قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل
الزبا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات العافلات المزمنات) (الموبقات)
المهلكات (ق) . وعن ابن عمر أنه قال (من ورطت الأمور التي لا يخرج لمن
أوقع نفسه فيها سلك الدم الحرام بغير حله) (ح) (الورطة) المهلكة . وقال عليه
السلام (لروال لندبا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) (هـ) وقال عليه السلام
(لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكهم الله في النار) (ت)
وقال عليه السلام (كل دم عسى الله أن يعمره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل
يقتل مؤمناً متعمداً) (ن)

باب في عقوبة من يقتل نفسه

قال عليه الصلاة والسلام (من ردى من حل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
يتردى فيها حيا حيا محمداً فيها أسداً . ومن تحصى مائة نفس معه فسمه في يده يتحده في
نار جهنم حالداً محمداً فيها أسداً ومن قتل نفسه بمحبدته حذبه في يده يتوجأ بها في نار
جهنم خالداً محمداً فيها أبداً) (ق) (سوجاً) أى يصرف بها نفسه . وقال عليه السلام
(الذى يخنق نفسه يخنقها في نار ، و الذى يقطع نفسه يقطع نفسه في نار ، والذى
يقنحم يقتنحم في النار) (ح) وقال عليه السلام (كان من جراح فقتل نفسه فقال
الله بدرى عبدى بنفسه حرمت عليه الجنة) (ح)

باب في عقوبة شارب الخمر

قال عليه الصلاة والسلام (احسنوا الخمر فإنها مفح كل شر) (ك) وقال عليه السلام (لا يرن الرقي حين يزن وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (خ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أناني جبريل فقال يا محمد إن الله لمن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها والحملولة إليه وبائعها ومبتاعها ومساقها ومساقها) (أحمد) وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر) (طب) وقال عليه السلام (كل مسكر حرم وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا مات وهو يدمنها لم يشربها في الآخرة) (خ وم) وقال (ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة بعد الآن حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والكران حتى يصحوا) (طب)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله حرم الخمر ونمها وحرم الميتة ونمها، وحرم الخنزير ونمها) (د وغره) وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زن أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما ينزع الإبل الفميص من رأسه) (ك) وعن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدم من الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسر ومن مات مدم من الخمر صفاء الله من وعلا من نهر القوطة قيل وما نهر القوطة؟ قال (نهر يجري من دموع المومنين يودي أهل النار ريح فروجه) (أحمد وغيره) (المومنين رست) وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لقي الله مدم من الخمر لقيه كعابد وثن) (حب) أعاد الله وإياكم من شر هذا

باب في عقوبة الزنا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرن الرقي حين يزن وهو مؤمن) (خ)

الحديث قبله ، وقال عليه السلام (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله
وأنى رسول الله إلا بأحدى ثلاث "ثيب لرسول" و"نفس بالنفس" و"سارق بدينه" لمفارق
للجماعة) (ق) وقال عليه السلام (ثلاثة لا يكفرهم الله يوم عمة ولا ركنهم ولا
ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ ران ومثك كذاب وعاقب مسكر) (م ن) ورواه
الطبراني بلفظ (لا ينظر الله يوم القيامة إلى شح رافق ولا تجور الزانية) وعن ابن
مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم
قال (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت إن ذلك لعظيم ثم أى قال (أن تقتل ولدك
خافه أن يطعم منك) قلت ثم أى قال (أن ترفى بعليه جارك) رواه الشيخان وغيرهما
نسأل الله أن يعصنا عنه وكرمه

باب في عقوبة اللواط

قال عليه الصلاة والسلام (إن أحوب ما أحاف على أمتي عمل قوم لوط) (هـ)
وقال عليه السلام (ما غص قوم العهد إلا كان الفل بهم ولا طهرت العاشة
في قوم إلا سلط الله عليهم الموت ولا منع قوم الركاء لا حس عنهم القطار) وقال
عليه السلام (إذا ظلم أهل السنة كانت الدولة دولة العدو وإذا كثر الزمان كثرت
وإذا كثرت اللوطية رفع الله عز وجل يده عن الخلق فلا يبقى في أي واد هلكوا) (ك)
وقال عليه السلام (لمن الله سبعة من حلقه من فوق سبع سموات وردد اللعنة على
واحد منهم ثلاثاً ؛ ولمن كل واحد منهم لعنة تكفيه ، قال ملعون من عمل عمل
قوم لوط ؛ ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون
من دح لمير الله ؛ ملعون من أتى شيئاً من الهائم ، ملعون من عقى والديه ؛ ملعون
من جمع بين امرأة وابنتها ، ملعون من غير حدود الأرض ، ملعون من ادعى إلى
غير مواليه) (ط ب و ك) .

وروي ابن أبي لؤي والبيهقي ، بإسناد صحيح أن حماد بن الوليد كتب إلى أبي بكر
الصديق أنه وجد رجلا في بعض صوامع العرب ينكح كما تنكح المرأة ، فجمع
لذلك أبو بكر أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم وفيهم علي بن أبي طالب ، فقال

على أن هذا ذنب لم تعمل به أمة ولا أمة واحدة فعمل الله بهم ما قد علمتم : أرى أن تحرقه بالنار . فاجتمع أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار فأمر به أبو بكر أن يحرق بالنار وقال عليه السلام (لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في دبرها) (ت) وعن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (استنجوا فإن الله لا يستحي من الحق ولا تأبوا النساء في أدبارهن) (أبو يعلى) وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أتى النساء في أعذارهن فقد كفر) (طب) ورواه ثقات . يمكن بهذا ونسأل الله تعالى لنا ولإخوات المسلمين المصمة من كل ما يعص رب العالمين

باب في عقوبة عقوق الوالدين

عن أبي بكر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أُنتم ما أكبر الكبائر ثلاثاً قلنا بئى يا رسول الله . قال (الإشرak بالله وعقوق الوالدين) وكان منكناً مجلس فقال (ألا وقول الزور وشهادة الزور) فأرسل يكررها حتى قلنا بئس سكت (ق) وقال عليه السلام (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه ومدمن الخمر ، والممان معطائه ، وثلاثة لا يدخون الجنة لعاق لوالديه ، والديوث والزوجة) (ن) الديوث هو الذي يقر أهله على الزنا ، والزوجة المرأة المترجلة . وقال عليه السلام (كل الذنوب يؤخر الله بها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل المات) (ك)

باب في عقوبة آكل الربا

قال عليه الصلاة والسلام (احتسروا السبع الموفقات فلوأيا رسول الله وما هن قال (الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وآكل الربا وآكل مال اليتيم والتولي يوم الرحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (ق) وعن جابر أن عبد الله رضى الله عنهما قال ، لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشهيدته وقال هم سواء (م) وعن عوف بن أبي حيفة عن أمه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ،

ونهى عن فم الكلب وكسب البعى ولعن المصورين (خ و د) وقال عليه السلام (الدرهم يصيبه الرجل من الرما أعطه عند الله من ثلاث وثلاثين رية يرنها في الإسلام) (ط) وقال عليه السلام (ما أخذ أكثر من الرما إلا كان عقبة أمره إلى قلعة) (هـ و ك) وقال عليه السلام (درهم ربا يتركه الرحمن وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين رية) (أحمد و ط) وقال عليه السلام (إذا ظهر الربا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) (ك).

عقوبة آكل مال اليتيم بغير حق

قال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر رضى الله عنه (أما ذر بن أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسى لا تؤمر على اثنين ولا تليق مال يقيم) (م) وغيره وقال عليه السلام (أربع حق على الله أن لا يدسهم الجنة ولا يدبهم عيما مدمس الخمر، وآكل الرما، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه) (ك).

وقال عليه السلام (سعت يوم القيامة قوم من فئورهم فأجح أرواهم ناراً) فقيس من هم رسول الله قال ألم تر أن الله يقول (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) (أبو يعنى).

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت الليلة رجلين أبايا فأحرقا إلى أرض مقدسة فاصفقا حتى أنبتا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى السمر فادأ أراد أن يحرق رى الرجل يحرق فى فيه فرده حيث كان فجعل كلا جاء ليحرق رى فى فيه بحجر فيرجع كما كان فقلت ما هذا الذى رأته قال آكل الرما) (رواه البخارى مختصر).

باب فى عقوبة اعتصاب الأرض

عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) (ق).

وقال عليه الصلاة والسلام (من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه حسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) (خ) وقال عليه السلام (أبى رجل ظلم شبراً من الأرض

كلفه الله عز وجل أن يحمره حتى يسبح به سبع أربعمائة ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس (أحمد) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أي الظلم أظلم يقال (ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه بسبب حصاة من الأرض باحداها ولا يطوقها يوم القيامة إلى قبر الأرض ولا يعمر قبرها إلا الله الذي خلقها (أحمد) وقال عليه السلام (من أحد من طريق المسلمين شيئا جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين) (طب).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أعظم الغلول عند الله عز وجل ذراع من الأرض تخبثون الرجلين جارين الأرض أو في الدار فيقطع أحدهما من خط صاحبه ذراعاً، إذا اقتطعت طوقه من سبع أرضين) (أحمد).

باب في عقوبة بخس الكيل والميزان

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أحبب الناس كَيْلاً فأرسل الله عز وجل (وبين ليطمئنين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك (هـ) وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحاب الكيل والوزن (إنكم قد وليتم أمراً به هسكت الأمم السالفة قبلكم) (ت) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال أقل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا انتلبتم من وأعوذ بالله أن تدركوه من، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينتقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا الهائم لم يمتطروا ولم ينتقصوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عداوة من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم يحكم أنتم بكتاب الله ويشخروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) (هـ).

عقوبه من يمنع الأجر عن الأجير

قال عليه الصلاة والسلام (قال الله تعالى ثلاثة أما حصصهم يوم القيامة ومن كنت حصته حصته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره) (ح و هـ وغيرهما) وقال عليه السلام (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) (هـ).

باب في عقوبة النائم وضرب لنياحة على الميت

قال عليه الصلاة والسلام (الميت يعذب في قبره بما بيع عليه) (١) وقال عليه السلام (ثلاثة من الكفر باقية شق الخبيث و"نياحة" والظن في نسب) (٢) وقال عليه السلام (النياحة من أمر الجاهلية وأن "نياحة" إذا مات ولم ينس قطعه الله لها نياهاً من قطران ودرعاس فب"نار") (٣) وعمران أتى ردة قال وجع أوموسى الأشعرى رضى الله عنه ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فبدا أفاق قال - أنا رىء من رىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من الصالحة والخالقة والشاقة (الصالحة) التى ترفع صوتها بالدب والنياحة (والخالقة) التى تحقر رأسها عند المصيبة (والشاقة) التى تشق ثوبها (٤) ومن السنة أن لا تحدد المرأة على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوجها قال عليه السلام (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث إلا على روح أربعة أشهر وعشراً) . (تحداى تحزن) (٥)

باب في عقوبة اواصله والمستوصلة والواثمة والمستوشمة

والأمانة والالتزام والمتابعة

(الواصلة) التي تصل شعر المرأة بشعر آخر (المستوصلة) التي يعمل لها ذلك (الواشمة) التي تعمر البدن بالاحرام تسقيه بلون آخر (المستوشمة) التي يعمل لها ذلك، وهو الوشم أو الدق (النامصة) التي تمتد شعر الحاجب حتى ترفقه (المتبصرة) التي يعمل لها ذلك (المتفلجة) التي تفلح أسنانها بالمررد ونحوه لتجعل . عن أسماء رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وقال ابن مسعود رضى الله عنه لعن الله لواشمت والمستوشمات والمنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله إلى آخر الحديث . (ح) وعن عائشة رضى الله عنها أن جارية من الأنصار تزوجت وأنها مرضت فسقط شعرها فأرادوا أن يصلوا شعرها فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال (لعن الله الواصلة والمستوصلة) (خ)

باب في عقوبة كشف بعض أعضاء الجسم والزينة في الملبس

قال عليه الصلاة والسلام (صنعان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يصرون بها نساء ، ونساء كاسيات عاريات ميلات ماثلات ، رؤوسهن كأشنة البخت المذلة ، لا يدحرن الحسنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) (م) وعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقيقة فأعرض عنها ثم قال (يا أسماء إن المرأة إذا سعت التحيص لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا) (د) وأشار إلى وجهه وكفيه ، وقال الله تعالى (ما أتيناك من قبلك إلا زوجات وعترة نساء المؤمنين يدين عيسى من جلايئهم ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) الآية ، وهذا من صريح في أن نساء هذا الرمن قد تجاوزن حد الشرع فليس الثياب الرقاق ، وأظهروا بعض أحرأ الجسم غير الوجه والكفين ، مثل الصدر والبراعين والساقين ووضعن على رؤوسهن مثل أسنمة الابل ، ألا فلتنق الله المسئلة وتنبع ما أمر به الشرع وتحتب ما هي عنه ، وإلا فقد عرست نفسها للنس والظرد والمقت

عقوبة المرأة أن تسأل زوجها الطلاق

قال عليه الصلاة والسلام (أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأسه حرام عليها رائحة الخنة) (د ، ت ، هـ) وقال عليه الصلاة والسلام (أبعض الحلال إلى الله الطلاق) (د)

باب في عقوبة تعطر المرأة عند خروجها

قال عليه الصلاة والسلام (كل عمن رابية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس هي كذا وكذا) (د) وقال عليه الصلاة والسلام (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليحدوا ريحها هي رابية وكل عمن رابية) (ك) ، التعطر ليس بمحرام ولكن يحرم إذا كانت المرأة تقصد إمالة قلوب الرجال .

باب في عقوبة إطلاق النظر وفصيلة غنمه وحظر الخلوة بالأجنبية

قال عليه الصلاة والسلام (ما من مسلم ينظر إلى محسن امرأة ثم يعص بصره إلا أحدث الله له عذبة يجد خلواتها في قلبه) (أحمد) ومعنى هذا أن يقع نظره على المرأة بغير قصد فيصرفه عنها نورا ما له الأول وعليه الثانية وقد عليه السلام (ثلاثة لا ترى أعينهم الله عبي حرس في سبيل الله . وعن مك من حشبة الله . وعن كفت عن محرم الله) (طب) وقال عنه السلام (لا يجوز رجل مأمراة إلا كان ثالثا الشيطان) وقال عليه السلام (لا يجوز أحدكم مأمراة إلا مع ذي محرم) (ق) وقال عليه السلام (لا ينظر في رأس أحدكم سمحيط من حديد حبر له من أن يمس امرأة لا تحل له) (طب) . المحيط الإبرة ونحوها وقال عنه السلام (ما من صباح إلا وملكان يتدبين ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال) (هـ)

قد عرفت أيها المسلم حدود "شرع فلا تنظر إلى امرأة لا تحل لك . ولا تغفل بامرأة لا تحل لك . ولا تراحم امرأة لا تحل لك . كما عرفت مما روينا سابقا إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها إلا وجهها وكفاها وإليك القول الفصل في ذلك ما قلته رب العالمين عروجن . لنبه صلى الله عليه وسلم حين بعثه ليخرج الناس من ظلمات الجهل والصلال . إلى نور الحق والإيمان (قل للؤمنين بتعصوا من أنصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أدكي لهم) الآية (وقل للؤمنات بعصن من أنصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن ريشهن إلا ما ظهر منها وليصرن محشمات على جدوهن ولا يبدن ريشهن إلا لبعولتهن أو آسنتهن) إلى آخر من سمع لهم الشرع بالتطلع لوجه المرأة هذه أحكام شامكة لكافة المؤمنين والمؤمنات أمر بالله ما لتطهر قلوبنا وسلامتنا ديننا فتأمل رحمتك الله الحكيم السامع والمقاصد البصيرة في قوله تعالى (ويصرن بحمرهن على حيوبهن) حكم على المرأة أن تستر صدرها لتجنى مواضع الفتنة لأن ما رر من صدر المرأة من أكبر الآفات التي تنك بقلوب الرجال فكما حكم على الرجل في الآية الأولى . بأن يعص بصره إذا وقع على امرأة لم تستر نفسها . هذه أحكام وجب على كل من آمن بها

أن يسمها ، ولكن في زمانها هذا قد انقلب الوصف وحلت عوامن الفساد نحن
الهدى وارشاد فاستهتنا الشاخص وقدتب إلى ما هو أفتج من كشف
الصدر وصلاح "خطر" فاستر إلى الرجل والمرأة وهما يتخاضران ويتراقصان ،
وقد استكشف "سدر" و"لظهر" ، وظهرت مواضع لعقن بأجلا ظهور وددت على
مرآى من الروح والوالد ، وقد لعنت احمر بالعقول فلا غيرة ديبية بظهرها الروح
حين تأبط روحه رجلا غيره ، ولا حمية إسلامية تدوم من الوالد حين يرى
كريته يحصرها شاب وبراقصها ، وقد أحد جنون "شاب منها كل مأخذ" . وهذه
حاله وأيم احق مؤله محربة ، تقشعر لها الأبدان ، وتندمل لها القلوب ، يفعلها قوم
ينتمون لشرعة الإسلام ؛ وقد قال صاحبها صلى الله عليه وسلم (لأن يقطع في رأس
أحدكم بحيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) (طب) بل هناك ما هو أشد
ألما وأعظم حرجاً ، وهو ما يسمونه الاستحجام على الشواطىء ، فقد بلغ من استهتار
المسلمين بأمر دينهم أن قلدهوا من لادين لهم في كل منكر وفحش ، فتمرصت المرأة امسلة
لأنصر لرجل على شواطىء الحار واحتضنت بهم وهى عارية قد استكشف صدرها
وبررت تفاعيل جسمها وقد رادها عرباً واقفناً حلاً متصاقاً نوحها الشفاف المبتل على جلدها
فدت عوراتها للناظرين وهى بهذا المطر المحجل الذى لا يطبق "الطرا" إليه من في قلبه مثقال
درة من حياء ، وروجها معتبط ، وذلك لأن ماء الحياء قد نصب من الوجوه ، وغاض
الدم من العروق ، وبهذا وغيره قد حارب هؤلاء الآله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله
ومن اعجب أن الذين نسكوا في دينهم إلى هذا الحد ، يدافعون عن جرائمهم الفاحشة
بقولهم ، هذه هى المدينة ، وهذا ما يتطلبه الطهور بين "طبقات الراقية" ، ألا فليعلموا
أنهم بعملهم هذا ، قد أعصوا الله تعالى ، وترأى منهم رسوله صلى الله عليه وسلم ،
وس غضب الله عليه ، طرد من رحته ، ومن ترأى منه النبي ، حرم من شفاعته
فنصيحتي لمن هذا حاله أن يتوبوا إلى الله تعالى ولا يتبعوا خطوات الشيطان الرجيم ،
عسى الله أن يتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم .

ولكن الله الذى يعار على دينه قد احتار من حيرة علمائه للذود عن حدود الشرع .
رجل الورع والتقى ، قدوة العاملين في هذا العصر . صاحب الفصيلة . العارف بالله

تعالى . السيد محمود أبو الميoun السكرتير العام للأمر الشريف . فقام - أعزه الله - يؤدي رسالة الأمر ويدب عن الخفيفة المصححة . ويدافع عن دين الله . ودأب على نشر تعاليم الإسلام لصيحة بين طبقات المسلمين ثقتي الوسائق . وكرم نفسه لمحاربة الدعوى . وإدعاء المكدرات . وتعمل على إقامة حدود الله في الأرض . جراه الله عن السيئ . وعن الإسلام حير الحزاء وأوتاه .

وكان من ثمرة هذه الجهود المتواصلة . والصبغات المحمصة في سبيل الفضيلة والعفاف والأخلاق ، أن استجاب ولاية الأمور بعد لآي . وبعد طول متدبر هذه الصبغات ؛ استجابة عملية رسمية فتم العام العام الرسمي . واحكمت حلقات الصديق والمحاربة لأوكر المسق والفجور في هذه البلاد ، مما يشر بمستنقظ ظهور تسود فيه المضيلة والعفاف .

أيها المؤمن إذا لم تعمل أنت بحدود الشرع ، وتحافظ على تعاليم الدين . وتحقق بأخلاق من يشته الله ليعتم مكارم الأخلاق صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك من بين الناس الأخرى ؟ هل يقم حدود الإسلام رجل محمدي ، وهل يعمل بشرع النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عبدة الأوثان . وهل يتحقق بأخلاق القرآن رجل لم يؤمن بالقرآن ، هذا ما لا يكون أندأ . الحق أننا أصبحنا معيدين عن التعقل والدبر بل أصبحنا في زمان قد تدهورت فيه الأخلاق الدينية ، إلى أسوأ ما كانت عليه في الحاضرية ونحن مع ذلك آملون مطمئنون ، قادتنا شهواتنا ، وغلبت علينا شهواتنا ، وصددتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلسنا . لا قرب الرجل يوقظنا . ولا كثرة الفتن تفرقنا . ولا خطر الخائفة يحذرنا . ولا موت الأدل واخلال ديننا . وما ذلك إلا من قسوة القلوب . وطمة الذنوب . التي أعمت لبصائرنا ، وطمسست العقول ، وأبادت إحساس الضمائر .

باب في عقوبة تشبه الرجل بأمرأة والمرأة بالرجل

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المشبهين من الرجل بالنساء ، والمشبهات من النساء بالرجال (ح) وفي رواية للبخاري أيضا

لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء
(المخنث من فيه انثاء وتكدر في الأقوال والأفعال وعن أبي هريرة رضي الله
عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس
لبسة الرجل . (د ن ه)

باب في خطورة تولى القنضاء والحكم والامارة

قال عليه الصلاة والسلام (من ولي القنضاء أو جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح
بغير سكين) (د) الدج بالسكين يحص به راحة . ويمير السكين كناية عن التعذيب ،
وقال عليه السلام " قنضاء ثلاثة . واحد في الجنة ، واثنان في النار ، أما الذي في الجنة فرجل
عرف الحق فقصى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ؛ ورجل قصى
للناس على جهل فهو في النار) (د ن ت) وقال عليه السلام (ليأتين على القاضى العدل يوم
القيامة ساعة يتمى أنه لم يتص بين اثنين في فمرة قط) (أحمد) وعن ابن عباس رضي
الله عنهما مرفوعا . يا نبي صلى الله عليه وسلم قل (من ولي عشرة لحكم بينهم بما
أحوا أو بما كرهوا جيء به مقلولة يده فإن عدل ولم يرتش ولم يخف فك الله عنه
ومن حكم بغير ما أرى الله وارثي وحاشي فيه شدت يساره إلى عيبه . ثم رمى به في
حزبه فلم يلدغ قعره خمسمائة عام) (ك)

وقال عليه السلام (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حبط أم صبع) (ح ب)
وقال عليه السلام (من ولي من أمر المسلمين شيئا فعشهم فهو في النار) (طب) وقال
عليه السلام (من ولي أمر الناس ثم أعقق ماله دون المسكين والمظلوم ودى الحاجة
أعقق الله نذرك وتعالى أبواب رحمة دون حاجته وقره أفقر ما يكون إليها) (أحمد)
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
(كلكم راع ومسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في
أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم
راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته) (ح و م)

باب في عقوبة الراشي والمرتشي في الحكم

قال عليه الصلاة والسلام (لعنة الله على الراشي والمرتشي) (هـ) وقال عليه السلام (الراشي والمرتشي في النار) (ط) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال . لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي في الحكم ات) وفي روايه والرائش يعني الوسيط بينهما (أحمد) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال (الرشوة في الحكم كفر وهي بين الناس سحت) (ط)

باب في عقوبة السحر والتكهن ومن يصدقهما

قال عليه الصلاة والسلام (اجتنبوا السع الموثقات) قالوا يا رسول الله وما هن قال (الشرك بالله والسحر) إلى آخر الحديث . (ق) وقال عليه السلام (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر . ومن سحر فقد أشرك . ومن تعلق بشيء وكل إليه) (ن) وقال عليه السلام (أني كاهنأ فصدقه عما يقول فقد يرى عما أمرل على محمد صلى الله عليه وسلم ومن أتاه غير مصدق لم يقل له صلاة أربعين ليلة) (ط) الكاهن هو الذي يخبر عن بعض المصمرات فيصيب بعضها ويخطئ أكثرها ويرغم أن الجني تخبره بذلك . وقال عليه السلام (من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) (م) العراف هو الذي يدعي معرفة الأمور . كمن يخبر عن موضع المبروق . وعن الذي سرقه . ومعرفة مكان الصانع ونحو ذلك . وقال عليه السلام (لا يدخل الجنة مدمن حمر ولا مدمن سحر ولا قاطع رحم) (ح) قال الخطيب المنذرى . والمهمي عنه من غير الجوه هو ما يدعيه أهلها من معرفة أخوات في السفيل . كحج المطر . وهبوب الريح . وتغير الأسعار . ووقاة بعض الناس . ويرحمون أنهم يعرفون ذلك بسحر الكواكب وقرانها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان إلا فيعلم من ابتلى بهذا السجيم أن هذا العلم قد ساءثر به الله سبحانه وتعالى لا يعطيه أحد غيره

باب في عقوبة لعب النرد (الطاولة) وغيرها

قال عليه الصلاة والسلام (من لعب نرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله)

والرد هي الطاولة (مالك) قال المنذرى - قد ذهب جمهور لعلاء إلى أن اللعب
 حرام ، واحتلموا في لعب لشطرنج . فذهب بعضهم إلى إباحته لأنه يستفاد
 به في أمور الحرب ، لكن شروط ثلاثة ، أنه لا يؤخر بسببه صلاة عن وقتها ،
 والثاني أن لا يكون فيه قمار ، والثالث أن يحفظ لسانه حال اللعب من قول الفحش
 وبذاء الكلام . قد عرفنا أن لعب الطاولة حرام خصوصاً إذا ألهت عن
 الصلاة في أوقاتها . وهذا هو الحاصل الآن ، ولرجل المعلق قلبه باللعب واللهو
 لا يكون معشياً بآيات جدد . أما لعب الورق المعروف الآن بالكشيبته ، فحرمة واضحة
 لأنه داخل في الميسر الذي حرمه الله تعالى في القرآن ونهى عنه بقوله (إنما الخمر
 والميسر والاتصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)

باب في عقوبة تصوير الحيوانات والطيور

قال عليه الصلاة والسلام (إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة
 يقال لهم أحيوا ما خلقتم) (ق) وقال عليه السلام (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة
 المصورون) (ق) وقال سعيد بن أبي الحسن كنت عند ابن عباس إذ جاءه رجل
 فقال ، يا ابن عباس إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصوير
 فقال ابن عباس لا أحدلك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول
 (من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافع فيها أبدأ) (خ)
 وما الرجل روية شديدة ، فقال ابن عباس ويحك ، إن أبيت إلا أن تصنع فعلك
 بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح ربما الإنسان إذا انتفخ غيظاً .

باب في عقوبة اقتناء الكلاب والصور

قال عليه الصلاة والسلام (من ألقى كلباً ليس بكلب ماشية أو صيد نقص من
 عمره كل يوم قيد اطاق) (ح) وعن عائشة رضي الله عنها قالت ، واعد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جبريل عليه السلام في ساعة أن يأتيه ، فجاءت تلك الساعة ولم تأت به قالت
 وكانت بيده عصا فطرحها من يده وهو يقول (ما يخلف الله وعده ولا رسوله) ،

ثم التفت فإذا جروك تحت سريره فقال (متى دخل هذا الكلب) فقلت والله ما دريت . فأمر به فأخرج ، فجاءه جبريل على الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعدني جلست بك فلم تأتي) فقال (معنى الكلب الذي كان في بيتك إما لا يدخل بساً فيه كلب ولا صورة) (م)

أيها المسلم - قد عرفنا من هذا أن اقتناء الكلاب ينقص من حساب الرجل ، كما وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة ، وذلك ترى مع الأسف الشديد أن الكثير من المسلمين يقتنون الكلاب الرينة نشأ بالاحباب ، فتعق أوعية طعامهم وتلعق في آية شراهم ، ونجس في حجورهم ويقلونها كما يقبلون أعز آبائهم . فاعلم أيها المسلم أن اقتناء الكلاب بهذه الصفة مخالف للشرع . ولم ينه الشرع عن شيء إلا لأصراره . ولذلك قال عليه السلام (إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً) وفي رواية (أحدهم بالراب) (ق) ومضاً عن ذلك فإنه إذا كانت هذه الصورة في حجرة نومك ، وهذا الكلب يرتفع في غرف منك . وأنت أمرأته بالموت ، فلا تدخل عليك ملائكة الرحمة ، فحرم من أعز شئ أنت محتاج إليه في هذا الوقت الصعب ، الذي لا ينعمك فيه مالك وولئك ، فصلاً عن مخالط وكلبك ، ألا فليتب إلى الله جميعاً ونسأله التفقه في أمور ديننا .

باب في عقوبة من يسب الدهر

قال عليه الصلاة والسلام (قال الله تعالى يسب نوح آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدي الليل والنهار) وفي رواية (أقبل ليلة ونهاره ، وإن شئت قصتها) (ق) وغيرهما وقال عليه السلام (لا يسب أحدكم الدهر ، فإن الله هو الدهر) (م)

باب في ذكر أشرط الساعة وعلاماتها

أما وقت قيامها فلا بعلمه إلا الله تعالى . وفي حديث جبريل الذي رواه مسلم (ما المستول عنها بأعلم من السائل) . وفي القرآن العظيم (يسألوك عن الساعة أين مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يحصيها الوقتها إلا هو) وقال تعالى (لا تأتكم الساعة يعة) وروى أبو شعيب عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للساعة

(أشراط) قيل يا رسول الله ما أشراطها . قال (علو أصوات أهل الفسق في المساجد وطهور أهل المنكر على أهل المعروف) فقال أعرابي فما تأمرني يا رسول الله . فقال (دَع ما تنكر وخذ ما تعرف) وقال (كن حَسَنَ يَتِّكَ) أى الزم الجلوس في بيتك قال العلماء الحكمة في تقديم أشراط الساعة عليها تنبيه الناس من رقدة الغفلة وحثهم على الأخذ بالاحتياط لأنفسهم بالنوبة والإقامة وتأدية الحقوق إلى أربابها قبل أن لا يتفع نقلاً لإيمانها لم تكن آمنت من قبل . ومن أن يحال بينهم وبين سعادتهم ، وروى القرطبي أن هذه الأشراط جعلها الله تعالى علامة على إتمام مدة الدنيا فيها - خروج الدجال وزول عيسى وقتله الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدابة التي تخرج من الأرض تكلمهم أى تعلم الناس في وجوههم من مسلم وكافر (تمييز) ، ومنها طرغ الشمس من مغربها ، فهذه هي الآيات العظام - أما بقدم هذه الآيات من نقص العلم وغلبة الجهل واستعلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعارف واستفصاة شرب الخمر واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البيان وزحرفة المساجد وأمارة الصبيان وكثرة المرح أى التفتش بغير حق ، فإنها هي أسباب حادثة مصدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وأنبأ .

باب في حقيقة التوبة

التوبة واجبة على العبد فوراً ، للأسباب التي سنذكرها بعد . واعلم أنه من متمات الإيمان أن تعرف أن الذنوب مهلكات وأنها مسبب دحول النار ، وهذه المعروفة واجبة أيضاً على الفور ؛ لتكون باعثاً لك على ترك الذنوب ، فمن لم يتركها بعد هذه المعرفة ، فهو فاقد لجزء من الإيمان ، وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) (ق) وما أراد به نفي الإيمان الذي هو العلم بالله تعالى ووحدانيته ، وصفاته والإيمان به وعملائته وكتبته ورسوله وباليوم الآخر ، أى أن ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي . وإنما أريد به نفي الإيمان الذي يشهد العبد عن ربه عز وجل بسبب الزنا أو المعصية التي يرتكبها . وعلى ذلك فالعبد العاصي ناقص الإيمان . واعلم أن الإيمان في جلته ليس بامناً واحداً ، بل هو أكثر من سبعين باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . ومثال ذلك نقول

ان الانسان مكوّن من أكثر من سبعين ركناً ، أعلى ركن فيه الروح ، وأدنى ركن فيه إمطة الأذى عن القلب ، فقال الإيمان حينئذ كالإنسان ، وفقد شهادة التوحيد وجب بطلان الإيمان بالكلية . كفقد الروح عن الجسم بوجوب بطلان الحياة بالكلية ؛ والذي ليس له إلا شهادة التوحيد ؛ هو كإنسان مقطوع الأطراف فاقد لجميع أعضائه ، وكما أن الإنسان الذي هذا حاله قريب من أن يموت ، فتعاقبه الروح المنردة التي تركها الأعضاء ، وكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصّر في أعمال العادة قريب من أن تقتلع منه شجرة الإيمان إذا صدمتها الرياح العاصفة عند قدوم ملك الموت عليه . أعز أن كل إيمان لم يثبت في القلب أصله ، ولم تنتشر في الأعماق مروعة ، وهي الطاعات ؛ لم يثبت على عواصف الأهول ؛ عند ظهور ناصبة ملك الموت ، وحجب على صاحبه سوء الخاتمة . أما الإيمان الذي حاله صاحبه بالطاعات على توالي الأيام والساعات فانه برشح وثبت . وأما قول المسلم العاصي للمسلم المطيع أما مؤمن كما أنك مؤمن ، فهو شبه بقول شجرة القرع لشجرة الرمان ؛ أنا شجرة وأنت شجرة ؛ وما أحسن جواب شجرة الرمان حيث قالت لشجرة القرع ، ستروين اغترارك وتعيين حقيقة مكائك بين الشجر ، إذا عصفت الرياح ؛ فصدما تقطع أصولك ؛ وتتناثر أوراقك ؛ وتحقق أنك كنت تشاركين الشجر في الاسم فقط ، مع عفتك عن أسباب ثبوت الأشجار أمام الرياح والعواصف . فهكذا اخل مع المسلم العاصي والمسلم المطيع . فالطاعات تثبت الإيمان وتقويه عند سكرات الموت ، بخلاف العاصي فلم يكن لديه ما يقوي به أصل الإيمان في ذلك الوقت العصيب . وعلى ذلك يمكننا أن نصرّب مثلاً آخر ، وهو ان ارتكاب المعاصي بالنسبة للإيمان كالما كوت لمصرة باحسه للأبدان ، فلا تزال تجتمع في الباطن وتغيّر مراح المعدة ولائال لا يشعر بها إلى أن يفسد البدن فيمرض مرة واحدة ثم يموت بعد ذلك . وهكذا المعاصي فان ارتكابها يفسد على العبد الإيمان ، ويضعفه عنده اليقين فيختم له بالسوء ويخلد في النار والعياذ بالله . وإذا كان الخائف من الموت يجب عليه ترك السموم ، وترك تعاطي ما يضر صحته من المأكولات على الفور ، أي وقت علمه بضررها ، فالخائف من هلاك الأبد

أولى بأن يحب عليه ترك ما يصير مآخرته على القور أيضاً . وإذا كان الذي يتناول السم يحب عليه أن يتقياً ليحرجه من معدته على القور فلا يلبث له المشرف على مفارقة هذه الدنيا العاقبة ، كما يحب عليه أيضاً أن لا يعود لتناوله مره أخرى ، فتناول سموم الدين وهي أربك الدنوا - أولى بأن يحب عليه أن يتوب عنها فوراً ثم يتدارك بالطاعات ما يمكن تداركه في هذا العمر ما دام في العمر بقية ، لأن المعروف من سم الدين ، قوات الأحسرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملايك العظيم ، الذي تنقضي أصعاف أعمار البهبادون عشر عشر مئة ، إذ ليس لمذته بحر التوبة - فالسدار الدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الدنوا روح الإبلان عملاً يجاور الأمر به بجهود الأطباء واحترامهم ، ولا ينفع بعده لاحتواء ، فلا ينفع بعد ذلك نصيح الصالحين ووعظ الواعظين وتحقق لكلمة على العبد بأنه من الماسكين ، فليقرر ذلك وجب عليه عباد الله أن تنادى إلى التوبة فهي طريق النجاة من الهلاك . قال الله تعالى (وتوبوا إلى الله حياءً أيها المؤمنون لعلكم تفلحوا) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) وبذلك على فصل التوبة قوله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلث حبيب الله والثبات من الدين كس لا دس له) (١٥) وقال عليه السلام (من أفرح تنوبة لعبد المؤمن من رجل رل في أرض دوية مهدكة معه راحلته عيب طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فقام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، فظلمها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ماشاء الله ، فراح إلى مكان الذي كذب فيه فأمام حتى أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليحوت فاستيقظ فاد راحلته عنده عليها راده وشرابه) (٢) فأنه سبحانه وتعالى أشد فرحاً تنوبة "عبد المؤمن من هذا الرجل براحلته ، وودع الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام ما أنه الملائكة وضط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا - يا آدم قرت عيب تنوبة الله عليك - فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقاد فأوحى الله إليه - يا آدم ورتت ذربتك لثعب والنصب وورثتهم التوبة من دعوى مهم لبتك كما لينت ومن سألني المعصرة لم أبجس عليه لأنى قرب عيب ، يا آدم وأحشر الدين من القور منبشرين صاحبين ودعاؤهم مستجاب - واعلم هذا أنا وهو ك الله أن التوبة عبارة

عن الرجوع عن طريق دليله الشهوة وحفيره الشيطان ، إلى طريق الله تعالى ، وليس في الوجود آدمي إلا وشهرته سابقة على عقله ، وغريزته التي هي عدوة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدوة أملائكه ، ولذلك كان الرجوع عما وقع فيه العبد من متاعمة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان ، بسا كان أو غيباً ، فإدراكه واجب على كل من بلغ كمالاً جاهلاً أن يتوب من جهته وكفره ، فإذا بلغ مسداً تعالاً لأبويه ولكنه غافل عن حقيقة إسلامه فعليه أن يتوب عن غفائه ، بأن يصحح معنى الإسلام ، لأنه لا يفي عنه إسلام أبويه شيئاً ، وقد دل ذلك على أن التوبة فرص عين واجب على كل شخص ، لا يمكن أن يستغنى عنها أحد من البشر ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لبعان على قلبي حتى أستعفر الله في اليوم وأيلة سبعين مرة) (م) أي يعطى عبده وقد أكرمه الله تعالى بقوله (ليعصرك الله ما يقدم من دسك وما تأخر) فإذا كان هذا حال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف حال غيره ، وقد علمنا أن الإنسان لا يحلو في مدأ حفته من اتباع الشهوات أصلاً ، وليس معنى التوبة ترك هذه الشهوات فقط ، بل تمام التوبة بدارك ما مضى لأن كل شهوة اسعها الإنسان ارتفع منها طمة إلى قلبه ، كما يرتفع من نفس الإنسان بخار إلى وجهه ، إرارة البطيخة ، فإذا تراكم طمة الشهوات على القلب صار ذلك ربناً . (الرين تركم الدوب) كما يصير بخار النفس على المرأة عند تراكمه سواداً قال تعالى (كلا بل رن على قلوبهم ما كانوا يكسبون) فلا يمكن في تدارك ما انبع من الشهوات سابقاً تركها في المستقبل ، بل لا بد من محو تلك الطمات التي اطمت على القلب ، كما أنه لا يمكن في تنطيف المرأة قطع البحار عنها مستقبلاً بدون أن تشعل في محو ما اطعم فيه من السواد . وكما يرتفع إلى القلب طمة من المعاصي والشهوات فكذلك يرتفع إليه نور من الطاعات والخيرات فتتمشى طمة المعصية نور الطاعة ، وإليه الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم (وأسع السينة الحسة تمحها) (ت) فإذا لا يستغنى العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة فعل حسنات تكون مصادة تلك السيئات . واعلم أن كل ساعة من عمرك بل كل نفس من أنفاسك جوهرة نفيسة صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتقذك من شقاوة الأبد . فإذا صيبتها

في العفلة فقد خسرت خسراناً مديناً، وأن صرفتها في معصية فقد هلك هلاكاً فاحشاً، فإن كنت لا تبكي على معصيتك وتوب عنها فذلك لجهلك، ومعصيتك بجهلك أعظم من كل معصية، فالناس يأم فإدا ماتوا انتبهوا، أي عند الموت ينكشف لكل مفلس إلامه، ولكل مصاب مصيبته، ولكل مفرط تفريطه، ولكن قد شمع العبد من التدارك فلم تكن إلا الحسرة والندامة. قال بعض العارفين إن ملك الموت عليه السلام إذا طهر بعد أعله أنه قد بقى من عمره ساعة وأنه لا يستأجر عنها طرفة عين، فيدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بمخافيرها لتنازل عنها في مقابل أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليحاسب نفسه فيها ويتدارك تفريطه، ولكن هيات فلا يجد إلى ذلك سبيلاً، وهو أول ما يظهر من قوله تعالى (وحين بينهم وبين ما يشتهون) وإليه الإشارة بقوله عز وجل (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولو يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها) قيل إن الأجل القريب الذي يطلبه العبد معناه أنه يقول عند كشف العطاء يا ملك الموت أخرني يوماً أعذر به إلى ربي وأتوب وأزود صالحاً لنفسى. قال الملك فتبت الأيام فلا يوم. فيقول أخرني ساعة فيقول فتبت الساعات فلا ساعة، فيخلق عليه باب التوبة فيفرغ روحه وتردد ألامه في شر أسفه ويتجرع عصاة اليأس عن التدارك وحسرة الدائمة على تضيق العمر فيضطرب أصل إيمانه وهو شهادة التوحيد في صدمات تلك الأحوال وهنا تزهر روحه، فإن كان سفت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد، وهذا حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشقوة، والعياذ بالله، خرجت روحه على الشك والاضطراب، وهذا سوء الخاتمة، والمثل هذا يقال (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إن تبت الآن ولستدين بموتون وهم كفار).

قال لقمان لانه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بعتة — من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين — أحدهما أن تراكم الطلبة على قلبه من فعل المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو — والثاني — أن يعالجه المرض أو الموت فلا يجد أمامه مهلة للاشتغال بالمحو والتكفير ولذلك

ورد في الخبر أن أكثر صياح أهل النار من التسوييف فاهلك من هلك إلا ما التسوييف
واعلم أن العمر أمانة الله عند العبد ، وكذا سائر أسباب الطاعة فمن غاب في الأمانة
ولم يتدارك حياته بالتوبة فأمره في خطر قد يعص العارفين إن لله تعالى إلى عده
سرّين يسرهما إليه على سبيل الإلهام - أحدهما إذا خرج من عطن أمه يقول له -
عبدى قد أخرجتك إلى الدنيا طاهر أبطفاً واستودعتك عمرك واتممتك عليه
فاطر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاها - والثاني عند خروج روحه
يقول له - عبدى ماذا صنعت في أمانتي عندي ، هل حفظتها حتى تلقاني على العهد
فأثابك على الوفاء ، أو صيبتها فأثابك بالمطالبة والعقاب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى
(وأوفوا بعهدي أوفى بعهديكم) فقدّم أيها العبد نوبتك إلى مولاك واعلم أنه
سبحانه وتعالى عفو كريم يقبل التوبة عن عباده وقد دلت الآيات والأخبار على
ذلك قال تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) وقال الرسول
صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار
ولمسيء النهار إلى الليل حتى تصلح الشمس من مغربها) (م) وسط البد كسبية
عن طلب التوبة من العبد وقال عليه الصلاة والسلام (لو علمت أخطايا حتى تبلغ
السماء ثم بددت لئلا الله عليكم) (هـ) وقال أيضاً (إن العبد ليدنس اللبس ويدخل به
الجنة) ففيل كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال (يكون نصب عينه ثائباً منه فاراً حتى يدخل
الجنة) (اسالم المبارك) . وقال عبد الله بن سلام لا أحدنكم إلا عن بيّ مرسل أو كتاب
عزل ، إن العبد إذا عمل دماً ثم بدم عليه طرفة عين ، سقط عنه أسرع من طرفة عين ،
ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين
سنة ثم طر في المرأة فرأى الشيب في خيته فساء ذلك ، فقال إلهي أطلعك عشرين
سنة ثم عصيت عشرين سنة ها - رجعت إليك تقبلي - فسمع قائلاً يقول ولا يرى
شخصاً - أحسنت فأحببتك وتركنا فتركناك وعصينا فأهلكنا وإن رجعت إلينا
قتلتناك فيبغى على العبد أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويحتد في دفعها
بالحسنات والاستعداد . قال الله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان
الله معذبهم وهم يستغفرون) .

فهذا القدر كاف في وجوب التوبة على الفور . واعلم أن كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة ، لأن الله سبحانه وتعالى من كرمه ولطفه بعباده جعل الطاعة مكفرة ليعصية والחסنة ماجة للسيئة . كما جعل الماء مزيلاً للعطش . تاب الله علينا جميعاً وهذا ما وإياكم سبيل الرشاد .

باب في أقسام العباد في دوام التوبة

اعلم أن الثاني لهم في التوبة أربع طبقات — الطبقة الأولى — أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره ، فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعودة إلى ذنوبه . وتسمى هذه التوبة التوبة الصوح ، كما تسمى نفس صاحبها النفس المنطمئة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية ، من هذه الطبقة من يحتفظ الموت بعد حصول التوبة مباشرة فيعبط على ذلك ، ومنهم من يطول عمره بطول جهاده وتفكره حسناته وحال هذا ما طبع أفضل بكثير من الأول — الطبقة الثانية — نائب سلك طريق الاستقامة وفام بأداء أمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش ، إلا أنه يعثر به في حياته بعض صغائر الذنوب ، لا عن قصد منه ولكن بتقلىها بعد إرادته ، وكل حصل له ذلك ندم ولأم نفسه وحدث عزمه على أن يحذر منها ، هذه هي النفس اللوامة ، وهي أيضاً رنية عالية في التوبة ، وأصحابها لهم الوعد من الله تعالى حيث يقول (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللغم إن ربك واسع المعفرة) أعني أن كل إثم يقع بصغيرة من الصغائر لا عن عزم ونية ، فهو جدير بأن يكون من اللغم المعفو عنه . وقال صلى الله عليه وسلم (كل بي آدم حدثه من وحسير الخطيئين التوبة من المستعفرون) (ك) — الطبقة الثالثة — أن يتوب العبد ويستمر على الإستقامة مدة من الزمن ثم تعبه الشهوة في بعض الذنوب فيتركها عن به وقصد لعجزه وضعفه عن قهر شهوته ، ولكنه في الوقت نفسه مواظب على الطاعات وتارك لبعض الذنوب التي يقدر على مقاومتها ، وهو في هذه الحالة يتمنى أن يقيه المولى سبحانه وتعالى هذه المعصية وأن يقيه شرها . من عند انزعاجها يندم ويقول ، يا ليتني لم أفعل . ويعزم على أن يتوب منها ، ولكنه يؤخر التوبة مرة بعد مرة ويوماً

بعد يوم ، فهذه النفس تسمى النفس المسوطة ، وصاحبها من قال الله تعالى بهم (وآخر من
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) فأمر هذا العبد من حيث مواعظته
على الطاعات فيه رجاء ، عسى الله أن يتوب عليه ، كما أنه في حطر أيضاً لتسوية التوبة
وتأخيرها إياها ، فربما اختلطه الموت قبل التوبة ، وحينئذ يقع أمره تحت المشيئة . فإن
تداركه الله بفعله وامتن عليه بالتوبة عن هذه المعصية الواحدة أو المعصيتين اللتين
قويت شهوتهما عليه ، التحق بأصحاب الطبقتين الساقيتين ، أما إن علت شهوته وقهرته
شهوته ، فيخشى أن يحق عليه سوء الخاتمة ، لأن تأخير التوبة من علامات الخذلان
— الطبقة الرابعة — أن يتوب العبد ويستمر عن الاستقامة مدة ، ثم يعود لارتكاب
الذنوب كما كان من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ، ومن غير أن يندم على فعله ، بل
يهملك انهماك العبد في نوع شهوانه ، فهذا يدخل في جملة المصيرين على ارتكاب
الذنوب ، ونفسه هي النفس الأمارة بالسوء المرارة من الخير ، ويحاف على هذا سوء
الخاتمة ، وأمره في مشيئة الله تعالى ، قال حتم له بالسوء شق شقاوة لا آخر لها ، وإن
حتم له بالخير أي مات على التوحيد ينتظر له الخلاص من "رد ولو بعد حين" ،
وقد يجوز أن يشمل عموم الغفر لسبب لا يعلمه . قال تعالى (يسأل من يشاء في
رحمته) أما طلب المعرفة بلا عمل فهو كمن يطلب الكنوز في الأماكن الخربة ، وكمن
يطلب تعلم العلم من الملائكة وهذا محال . بل يابليت من اجتهد تعلم ، وبالييت
من أشجر رخ ، وبالييت من صام وصلى وعمر له . بل الأمر أعظم وأدهى ، وأمر
الخلائق بيد الخالق سبحانه وتعالى ، قال من كلهم هلك إلا العالمون ، والعالمون هلك
إلا العالمون ، والعالمون هلك إلا المخلصون ، والمخلصون على حطر عظيم . واعلم أن
الإنسان الذي يسكر بدينه ويصبيح ماله ، ويترك نفسه وعياله جياعا ويرغم أنه
ينتظر فصل الله بأن يرفقه كثرأ يجده تحت الأرض في بينه الخرب ، هذا الإنسان
يُبعد من الحق المعرورين ، وإل كان ما ينتظره غير مستعمل بأسبوبة تقدره الله
تعالى ، فكذلك من ينتظر المعثرة من فصل الله تعالى ، وهو مقصر عن طاعته ،
مصر على ارتكاب الذنوب ، غير سالك لطريق المعرفة ، هذا الإنسان يُبعد في نظر
العارفين من المعتومين ، والمحجب من هذا المعتوه جيباً يروّج حقيقته ونقصيره

في الطاعات فيقول إن الله كريم ، وحنته واسعة فلا تضيق بمثلي ، ومعصيتي ليست تضره
ثم تراه يسعى جهده للحصول على درهم . ويكد ويتعب في طلب الرزق بالطرق
المشروعة وغير المشروعة ، ولذا قيل له إن الله كريم وحرأته مملوءة بالدرهم ، ولو
أرحمت نفسك وجلست في منزلك عشاء أن يبرقك من حيث لا تحتسب ، فيستحق
من يقول له هذا الكلام ويستهرى به ، ويقول إن السماء لا تنطر ذهباً ولا فضة ،
ولا بد من السعي للحصول على الكسب ، فلماذا عرف وتحقق أن كسب الدنيا
لا يُنال إلا بالعمل وتسمى بعمل ويسمى . ولماذا لا يعمل ويسعى لكسب ثواب
الآخرة . هل تحقق أن الله كريم في الآخرة وليس كريماً في الدنيا . هذا منتهى الحق
وشدة الجهل والعاورة ، والله جل شأنه كريم في الدارين . نعم إن المعصية لا تنصره
والطاعة لا تنفعه ، والأمر كله فضل منه على عباده ، ولكنه سبحانه وتعالى أمرنا
بالعمل وقال (وقل اعملوا فستبصر الله عملكم ورسوله) من نفذ الأمر فقد أطاع ،
ومن لم ينفذ فقد عصى ، وما أشد محقاً من يطلب المغفرة من حاله . وبطمع في
عفو من عصاه . أيقنوا أيها الناس من غفلتكم ، واعلموا تحقيقاً أننا خلقنا لمادة الله
عز وجل ، وفي هذا الطريق وحده يتنافس المتنافسون ويعمل العاملون ، ولا مجال
للتنافس ولا وقت للعمل إلا ما بقى من العمر - نأل الله أن يهدينا جميعاً لما فيه
خير الدارين .

باب في دواء التوبة وطريق العلاج

النس في هذا الباب قسمان - القسم الأول - شاب لا صوة له ، أى غير مبال
لارتكاب الذنوب بطبيعته ، نشأ على الخير واجتنب الشر ، وهذا الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم (تعجب ربك من شاب ليس له صوة) (أحمد وطب) وقال
عليه السلام (سبعة عظم الله في طله يوم لا طل ولا طله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ،
ورجل قبه معلق بالمساحد ، ورجلان تحبب في الله اجتماع عليه ومرفق عليه ، ورجل دعت
امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خائفاً فصاغت عيناه) (ق) وهذا النوع نادر

عزيز - القسم الثاني - هم الذين لا يخلون من ارتكاب الذنوب ، ثم هم ينقسمون إلى
 مُصرِّين وإلى تائبين . وغرضنا هنا أن بين علاج حل عقدة الإصرار ، ونذكر الدواء
 فيه فنقول - إن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ، والدواء عبارة عن معجون يعجن
 من حلاوة العلم ومرارة الصبر ، فالعلم والصبر هما علاج لقلب من مرض الإصرار
 الذي حل به أما خاصية العلم في ذلك فنوضحه فيما يأتي - أولاً إيمان العبد بأصل
 الشرع فلا بد من ذلك - ثانياً العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، والإيمان
 بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا ريب - ثالثاً - أن يستمع إلى
 الآيات والأحاديث المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب .
 وأن يصدق بجميع ما ينلق إلى سمعه من ذلك من غير شك ولا ريب . حتى ينبعث
 في قلبه الخوف المقوّى على الصبر الذي هو الركن الثاني في العلاج - رابعاً
 أن يعلم أن كل عبد ليس يثنى بكل شهوة وبارتكاب كل ذنب ، بل لكل مؤمن
 ذنب مخصوص أو ذنوب محصورة ، هي هذه الحانة يحتاج إلى العلم بما اتلى به من
 الذنوب ، ثم يحتاج إلى العلم أيضاً بأفات هذه الذنوب وأضرارها ، ثم العلم بالكيفية
 التي يتوصل بها إلى الصبر عنها ، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها ، فالعاصي متى
 علم بعصيانته وجب عليه طلب العلاج من الطبيب ، أما إذا كان لا يدري أن ما ارتكبه
 ذنب ، فعلى العالم أن يعرفه ذلك ، لأن العلماء هم الأطباء وهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء
 صلوات الله عليهم ما تركوا الناس على جهلهم ، بل كانوا يجمعونهم في مجالسهم
 ويرشدوهم إلى ما فيه صلاح دينهم ، فأصبح لزاماً على العلماء أن يعلموا الناس أمور
 دينهم ، وأن يكثروا من الاجتماع بهم وتحدث إليهم فيما يحتاجون إليه ، لافصاح
 ما غمض عليهم في أمور الدين ، لأن الخلق لا يولدون إلا جهلاً فلا بد من تعليمهم
 وإرشادهم وبإلاع الدعوة إليهم ، واعلم أن الدنيا دار المرض ، إذ ليس في بطن الأرض
 إلا ميت ، ولا على ظهرها إلا سقيم ، وأن مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان ،
 وقد حث ذلك علينا ثلاث علل - أحدها أن المريض بالقلب لا يدري أنه
 مريض - والثانية - أن عاقبة مرض القلب غير مشاهدة في هذا العالم ، بخلاف
 مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر منه الطباع ، أما عاقبة مرض القلب فهو

اكتساب الذنوب وهذا غير مشاهد في هذه الدار - الثالثة - وهو الداء العصال ، هو فقدان الأطباء وعم العلماء ، فقد مر صوامم أنفسهم في هذا الزمن ، إلا من عصم الله وعجروا عن معالجة أنفسهم ، وذلك بسبب انهماكهم في حب الدنيا ، وحب الدنيا هو الداء المهلك وهو البحر الذي غرق فيه جميع الحق ، ولكاف أصحبا والحمد لله في زمان كثير فيه وعطاط الدين ، وأحدوا يجتمعون بعوام المسلمين ، ودأبوا على نصحهم وإرشادهم ، وبما قرأناه في كتب السلف ننا يستحب أن يسكه الواعظ في وعظه ما تلخصه فيما يأتي :

أولاً - أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للدين والعاصين ويسمعهم ما ورد من الأحاديث وما جاء في الآثار ، مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بيته وبين الجنة إلا شبر فيسقى عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار) (ق) ، وفي قول مجاهد - انصب مثل الكعب المفتوحة كلما أذنت العبد دماً انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها ، فيسد على أنف ، فذلك هو الطمع - قال الله تعالى (كذلك يطعم الله عني قلوب الكافرين) وقال الحسن ، إن بين لعبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً ، إذا بلغ العبد طمع الله على قلبه ، فلم يرفقه بعدها خير - والآخبار والآثار الواردة في دم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى ، فينبغي أن يشكك منها

ثانياً - سماع حكايات الأنبياء والسلف الصالح وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم ، فذلك شديد الوقع طاهر البصيرة على المعاصي ، وبافع في تحريك دواعي التوبة ، وشوق للقبول من مرض الاصرار .

ثالثاً - وعلى الواعظ أن يقرر للناس أن تمجيد العقوبة في الدنيا مترفع بسبب الذنوب ، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب ذنوبه ، فينبغي أن تتحاف من الذنوب التي يتعمد في الدين شؤمها ، ويعرفهم أنه قد يصيب على العبد رزقه بسبب ذنوبه ، وقد تقطع ممراته من غنوب ، ويتضرع عليه أعداؤه ، قال عليه الصلاة والسلام (إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب بصيحه) (هـ) وقال بعض السلف

ليست اللعة سواداً في الوجه وقصاً في المال ، إنما اللعة ألا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه . وعندئذ بعد المعدى استماع لنصائح ويحرم منه العمل بها ، وهذا هو تعجيل العقوبة في الدنيا .

رابعاً - أن يحسن الواعظ مرعظته خاصة بذكر العقوبات الواردة في الدين الذي يعلم أن مجالسه بأتوبه . أن يذكر عقوبة شرب الخمر لمن يعلم أنهم يشربون الخمر ، وعقوبة الزنا لمن يعلم أنهم يرتكبون معصية الزنا ، وعقوبة السرقة للصوص ، وعقوبة القتل للأشرار ، وهكذا بحيث يكون الدواء متطابقاً للداء حتى يحصل شفاء ، وذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال له رجب أوصني يا رسول الله ولا تكثر عني فقال له (لا تعصب) (خ) وقال له آخر أوصني يا رسول الله ، فقال له (عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو العي ، وإليك والطمع فإنه ينقر الخصر ، وصل صلاة مودع وإليك وما يعتذر منه) (هـ) فكانه صلى الله عليه وسلم توم في أسائر الأول علامات لمصب فيها عه ، وفي أسائل الآخر علامات الصمغ في الناس وطول الأمل ، وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها ، أن أكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري ، فكتبت إليه - من عتبة بن معاوية . سلام عليك - أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من اتقى رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن اتقى سخط الله رضاء الناس وكفه الله إلى الناس) (ز) وإسلام عليك فاستر إلى فقها كيف تعرضت بآله اني تكون يميني ولي على أمر العباد وكان حاكماً فيهم . وعني ذلك يجب على الواعظ أن يفرس في نصائح الخفية . ليكون وعظه متناً الأول وعلاجه شافياً للقلوب ، لأنه إذا كان طب الطبيب هو الخطوة الأولى لعلاج المريض ، فكذلك طب العالم هو أول علاج العاصي والجاهل . هذا أول علاج وأصوبه

الركن الثاني - وهو التصبر فيبغى على العبد أن يتحمل أم الحزن في قمع شهوته ، خوفاً من نتائجها وما يجسه عليه من الويل والخسران ، فلا بدّ بدءاً من أن يدوق مرارة التصبر ، وليعلم أن مرارة التصبر في الدنيا لا نسبة بينها وبين حرّ النار في الآخرة فالشاب العاصي مثلاً إذا علمته الشهوة ، وصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ

قله ولا حفظ جوارحه من السعي وراء شهوته ، يسقى عليه أن يستشعر ما يعود عليه من ضرر هذا الذنب ، ويتذكر المحرمات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا اشتد حرقه تباعد عن الأسباب المهيبة لشهوته . واعلم أن سب هياج الشهوة هو النظر إلى المشتبه به والقرب منه . فعلاج ذلك الهرب والعزلة عنه ، مثلاً إذا كان يصدفك في طريق عمك منظر يهيج عندك شهوة ترفعك في الدنس ، أو يحصل ذلك عند جوسك في لطرفات العامة . فترك ذلك الطريق وأسند طريقاً آخر ، واعتزل الجلوس في لطرفات العامة نسلم . أما السب الداخلي هو تناول لذيذ الأضمة وملء النفس منها ، وعلاج ذلك هو ترك اللذيق من الطعام والركون إلى الصوم والجوع وكل ذلك لا يتم إلا بصبر شديد ولا يكون الصبر إلا عن خوف ، ولا يحاف عبد إلا عن علم ، ولا يعم إلا عن صبره وتفكيره وعن سماع وتقيد . فالواحد على العبد في أول أمره أي في عقدة التوبة ، أن يحضر محاسن آمله وينزع لصالحهم بقلب فارغ عن سائر لشوائب النبوية ، منصرف إلى التفكير بما قد يلقى إليه . لئتم الفهم وينبعث في قلبه الخوف ، ومنى اسعد الخوف تسر بمعرفته الصبر . وأسفت الدواعي لطلب العلاج ، وتوفيق الله وسييره من وراء ذلك ، فمن أعنى من قلبه حس الإصغاء واستشعر الخوف وانقضى وانظر الثواب وصدق بالحسن فيسيره الله تعالى لليسرى ، وأما من يحل واستغنى وكذب بالحسن فيسيره الله للعسرى . فلا يعني عنه حيثما اشتغل به من ملاد الدنيا متى هناك وتردتي ، وما على الأتنياء إلا شرح طرق الهدى ، وإعانة الآخرة والأولى . واعلم أنه لوقوع العبد في الذنوب أمور أحدها أن العقاب الموعود في الآخرة غيب ليس بمحاصر . والعص جُبلت على التأثير . الحاضر - الثاني - أن الشهوات الباغية على الدوب لدائها بأخرة في الحال ، وقد اعتادها من نكبتها وألها فأصبحت عادة ، والبروع عن شهوة حاضرة خوفاً من عقوبه آجلة شديد عن العس ولذلك قال الله تعالى (كلا بل نجون العاجلة ونفرون الآخرة) وقد عبر عن شدة الأمر وصعوبته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) (ق)

الثالث - أنه مامن مذهب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة ، وتكفير السيئات بالحساب ، إلا أن طول الأمل غالب على طبعه ، فلا يزال يسوق التوبة والتكفير - الرابع - أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو يعتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها ، ولذلك فهو يثب ويبتظر العفو من الله عن ذنبه ، أو تنكافاً على فعل الله تعالى ، فهذه أسباب أربعة موجهة للاصرار على الدب مع بقاء أصل الإيمان - وهناك سبب آخر قد يقدح في أصل الإيمان ، وهو أن العبد يقدم على الدب لأنه شاك في صدق الرحمن وهذا هو الكفر - أما علاج هذه الأسباب الخمسة فهو الفكر ، وذلك بأن يقرر العبد في نفسه في السبب الأول ، وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت ، وأن الموت أقرب إليه من كل قريب ، فما يدر به لعل أحله قد انتهى ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذتي أيام العمر وهي أيام قلائل لا تصفو فيها لذة فكيف أقدر على بقاء لذات الحنة أمد الآمان وإذا كنت لا أطيق أم الصبر عن الشهوات فكيف أطيق ألم النار

وأما تسويق التوبة فيعالج بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويق ، لأن المسوف يبنى الأمر على ما ليس في استطاعته وهو البقاء فلعلة لا يبقى ، وإن بقي فلا يقدر على الترك عما لا يقدر عليه اليوم - فليت شعري هل عمر عن التوبة في الحال إلا لأن الشهوة قد غلبت عليه ، وأن الشهوة لا تفارقه غداً ، بل تصاعف وتتعملل أصولها عنده بالمداومة - فاعلم أيها العبد أن الأيام متناهية ، وترك الشهوة عمل شاق حقيقته ، ولذلك كان ثوابه بعميم الأبد وهو بعميم لا يمكن وصفه ، لأنه لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يحطر على قلب بشر ، فالذي يؤخر التوبة مثاله مثال من أراد أن يقطع شجرة فإما قوية لا تنقطع إلا بمشقة شديدة ، فقل أوخرها ستة ثم أعود إليها فأقلمها ، وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها في الأرض ، وكلما طال عمره ازداد ضعفه ، فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقة

وأما علاج السبب الرابع ، وهو انتظار عفو الله تعالى فملاجه كما سبق ، وهو أنه لا يجوز إلا على عمن ، وهو ما أمرنا به ، وغير ذلك فهو أيضاً حماقة وحبل - وأما السبب الخامس وهو الشك بهذا كفر والعياد باقه ، وعلاجه أن يقرر العبد أولاً

صدق الرسل فيما جاؤوا به بدون أدنى شك أو ريب ، وعليه أن يصدق كافة الأولياء والعلماء فيما أوردوه ، وعليه أن يؤمن باليوم الآخر ، ويؤمن بأن هناك ثواباً وعقاباً ، وليقرر في نفسه أنه إذا تمارى في الدنوب فسيصير إلى عذاب يبق ما شاء الله - ولنعلم أن في التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعات تلة ذاً بمناجاة الله تعالى ، واستراحة لقلب يعرفه واطمئناناً يذكره وفرحاً بطاعته وسروراً بطول الأانس به فو لم يكن للطبع حزام على عمله إلا ما يحده من حلاوة الطاعة وسرور المجابة فكان ذلك ثاباً ، وكيف بما يضاف إليه من نعم الآخرة ، نعم هذه التوبة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها تحصل بعد ما يصبر العبد على التوبة مدة حتى يصبح الخير عادة للمؤمن . كما كان شرعاً له ما من قس - فالنفس قائمة بالتهذيب فتى عودتها سعوت - وكل هذه الأفكار مبيحة للحواس . والخوف مهيج لقوة لصبر عن الذات ، وباعت هذه الأفكار هو وعطى لواعظين وقراءة أحبار الصالحين ، فقد ينبت من ذلك نديبات تقع للقلب فيجبل السلب إلى التمسك ومتى أصبح القلب ميالاً للفكر فقد أصبح التمسك موافقاً للطبع ، وتحت الذى أوجد الموافقة بين الفكر والطبع هو التوفيق لفعل الخير لأن التوفيق هو التآليف بين الإرادة وبين طاعة النابعة في الآخرة - نكتفى بهذا وسأل الله تعالى أن يكون ما ذكرناه في هذا الباب كاباً لأن نسرع بأشوقه خوفاً من مصاحاة الموت ، أما إذا طال الأجل فيمكن عملنا التكفير عما مضى من الدنوب ، والله يقبل التوبة ويعفو عن العباد

باب في طريقة المكفير عن الذنوب

قد عرفت أن لتوبة عبارة عن الدم ، وهذا الدم أوجده عليك بأن المعاصي كانت مبدأ حادلاً بينك وبين الله تعالى ، والدم عبارة عن توجع القلب عند شعوره بحرمانه نفوات محبته ، وعلامة ذلك طول الحسرة والحزن واسكاب الدمع ، وكيف لا يكون ذلك في حال التندم على الذنوب ، وأنت إذا نزلت بولئك مصيبة أو بعض أعزائك طال عليه بكاؤك ، فأى عزيز أعز عليك من نفسك ، وأى مصيبة أشد من الال ، وأى شىء أدل على عذاب النار من ارتكاب الذنوب ، وأى مخبر

أصدق من الله ورسوله (فيأى حديث بعد افة وآياته يؤمنون) واعلم أنه كلما كان ألم الندم أشد كان تكفير الذنوب به أرحم ، قال عليه الصلاة والسلام (جالسوا التوابين فإن رحمة الله إليهم أفرح) (ابن أبي الدنيا) ومن علامات الندم أيضاً أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلب العبد تدلاً من حلاوتها ، فتحل إكراهية محل الميل ، فعلى التائب أن يترك في الحال كل معصية وبسبب قلبه لندمها ويلزم كل طاعة حتى يألفها ويداوم على ذلك إلى المساء ، أما طريقة التكفير عن المعاصي فعليه أن يرجع بذنوبه إلى أول يوم بلغ فيه ويفتش ما مضى من عمره سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً ، وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها ، وإلى المعاصي ما الذي أتاه منها . فأما الطاعات فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها بنية غير صحيحة لجهه فعليه قصاؤها عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتته منها يحسب من وقت بلوغه ويترك المدة التي يتقن أنه أداها صحيحة ويقضى الباقي ، وله أن يأخذ بعالم الطل وما وصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد — وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمداً أو نسي النية بالليل ولم يسق له القضاء عليه أن يتحرى ذلك بالاجتهاد ويقوم بقصاته . وأما الزكاة فيحسب جميع أمواله وعدد السنين من أول حيازته لها لا من زمان البلوغ ، لأن الزكاة واجبة في مال الطفل ، ويؤدى ما في دمه ، وشرح واجبات الزكاة بطول ، فعلى التائب أن يسأل عن ذلك العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين لم يتفق له الخروج والآن عند التوبة صار مفسداً لا مال عنده ، فعليه أن يعمل على ألا تفوته هذه الفرصة قبل أن ينقضى عمره ليحظى بما أعده الله له من الأجر

وأما المعاصي فيجب أن يفتش من أول يوم بلوغه عن سمعه وبصره وسامه - دسه ویده ورجله وفرجه وسائر حوارجه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويعمل لنفسه كتاباً يثبت فيه معاصيه صغارها وكبائرهما ثم ينظر فيها واحدة واحدة فما كان منها بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمضية العباد كان نظر إلى غير محرم أو من مصحفاً بغير وصوه أو شرب خمر أو سماع الآفاق أو عشى محلات الملاهي وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد ، فاستؤنه عنهما باندنم ، والتكفير عنها يكون بأن يحسب مقدارها ومدتها ويأتى عن كل معصية

بحسنة تناسها ، أى أنه يأتي من الحسنات بقدر هذه السيئات أحداً من قوله صلى الله عليه وسلم (إني أتق الله حينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها) (ت) ومن قوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) فلا يكفر سماح الملائكة بسماع القرآن وبحضور مجالس الذكر والعلم ويكفر من المصحف محدثاً ما كرام المصحف وكثرة قراءة القرآن فيه وكثرة تقيله ، أو يكتب مصححاً ويجعله وقفاً ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال ، ويأثم جميع المعاصي غير ممك . وإما قول إن كل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية لا يمحوها إلا نور يرتفع إليه بحسنة تكون مضادة لهذه السيئة . وهذه الطريقة أرجى للتكفير وأقرب من أن يواظب العبد على نوع واحد من العبادة — واعلم أن كل م أو حرر بصيب المسلم فهو كفارة لذنوبه . هذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . أما مظالم العباد قضها أيضاً بمعصية وجناية على حقوق الله تعالى فإن الله تعالى هو عن ظلم العباد ، فما يتعلق منه بحقوق المولى سبحانه وتعالى فكفارته الندم والحسرة وترك مثله في المستقبل كما تقدم . أما ما يتعلق بحقوق العباد فيكفر بإذناء الناس بالإحسان إليهم . ويكفر اغتصاب أموالهم بالتصدق بمال من ملكه الحلال ، ويكفر العطن في أعراضهم والعيبة والقدح فيهم بكثرة الاستغفار لهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم (كفارة من اغتته أن تشمر له) (أن أن الدنيا) وذلك إن كان عائناً أو ميتاً . أما إذا كان حياً فالأولى استحلها لقوله عليه الصلاة والسلام (من كانت لأخيه عنده مظنة في عرض أو مال فليست حلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يزدح من حسناته فلم يكن له حسنات أحد من سيئات صاحبه فريدت على سيئاته) (ق) هذا إن أمكن . وإلا فليكثر من التشاء على أهل الدين وذكر حسناتهم وخيراتهم . ويكفر قتل النفس باعتراف الرقاب لأن ذلك إحياء ، وبهذا نعرف أن ما ذكرناه من بيان الحسنات المضادة للسيئات مطابق للشرع حيث كهر القتل باعتراف رقبة فإن قتل نفساً خطأ فكفارته تسليم الدية . وإن كان القتل عمداً موجباً للقصاص فعليه أن يذهب لولي الدم ويحكمه في نفسه فإن شاء قتله وإن شاء عفا عنه ، ولا يسقط عنه الخليفة إلا بهنأ ، أما إذا زنا أو سرق أو ارتكب ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فلا يلزمه عند التوبة أن يفصح نفسه ويهتك ستر الله عليه .

بل يجب أن يقيم حد الله تعالى على نفسه بأن يجتهد في أنواع الطاعات ويدبر تأنيب نفسه ويتعبد في الطاعات فإن عمو الله قريب من التائبين الذميين . أما إذا رفع أمره إلى الحاكم الشرعي ليقم عليه الحد فإن توبته تكون صحيحة مقبولة بدليل ما وقع في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن ماعز بن مالك أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد طلبت غنى وربيت وإني أريد أن تطهرني . فردّه ، فلما كان من الغد أتاه فقال يا رسول الله إني قد ربيت ، فردّه الثانية ، فلما كان في الثالثة حفر له حفرة ثم أمس به فرجم ، فكان الناس فيه فريقين فقاتل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته ، وقائل يقول مائة أصدق من توبته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو سعتهم) (م) وجاءت امرأة تسمى العامدة فقالت يا رسول الله إني قد ربيت فطهرني ، فردّها ، فلما كان من الغد قالت يا رسول الله لم تردني لعنك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك ، فوالله إني لحبل ، فقال صلى الله عليه وسلم (أما الآن فادهي حتى تضعي) فلما ولدت أنت بالصبي في حرقه فقالت هذا قد ولدته ، قال (ادهي فأرضعيه حتى تظلميه) فبأذا ظلمته أنت بالصبي وفي يده كسرة جبر فقالت يا رسول الله إني قد ظلمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتصعق الدم على وجهها ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال (مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له) (م) ثم أمر بها فصلى عليها . ودفعت . وأما التكفير عن المال المأخوذ غصباً أو حيلة أو عين في معاملة أو غش في بيع ، كترويح الزنا أو ستر عيب في البصاعة ، أو نقص في الكبر والميراث ، ونقص أجره الأجير ، أو صياح أجره فكل ذلك يجب أن يفتش عنه من أول حياته لأمس وقت البلوغ ويحاسب نفسه عليها قبل أن يحاسب في القيامة على الحيات والدوايق ، من لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه . فان قلت إن هذا غير ممكن ، فأقول أن يكون هذا الحصر شروع الاجتهاد وكل ما أمكن حصره يدونه في كتاب عنده بأن يكتب أسامي أصحاب المظالم والحقوق واحداً واحداً وأن

يرد ما عليه أو يستحل أصحابها ، ولكن هذا النوع من التوبة قد يصعب على الذين
ظنوا كثيراً وبالاحص التحارفهم لا يقدر أن على طلب جميع أرباب الحقوق ،
ولا معرفة ورثتهم ، فإن عجز الظالم أو التاجر بعد الاجتهاد عن الحصر فعليه أن
يكثّر من الحسنات حتى تقيص عنه يوم القيامة ، فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين
أرباب المظالم ، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظلمة فانه إن لم تنف حسناته برد
المظالم يوم القيامة هلك بسبب سيئات غيره . وهذا طريق التكفير الذي يلزم
كل تائب ، وهذا يستغرق العمر كله في الحسنات إن طال العمر ، فكيف وأن
العمر مجهول ، فيجب الاجتهاد في الطاعات والحسنات من الآن لعل الأجل قريب
هذا في رد المظالم الثابتة في دمه ، أما في ماله الحاضر فعليه أن يرد كل شيء لأربابه .
وإذا لم يعرف له صاحباً فعليه أن يتصدق به جميعه . فإن احتطت المال الحلال
بالحرام فعليه أن يتحرى مقدار الحرام بالاجتهاد ويتصدق بقيمته ، وعلى التائب
أن يتخلص من دونه في هذه الدنيا ، وسبحكم أحكم الحاكمين بين الخلق في صعيد
القيامة . واعلم أن رحمة ربك قريب من التائبين الذين يعرفون عقدة التوبة فقلوبهم
ثم يدركهم الموت ، فقد جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال (كان فيمن كان قتلتم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل
عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأناه . فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً
فهل له من توبة . قال لا فضله فكل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل
على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة . قال نعم ومن يحول بينه
وبين توبة ، إطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل فاعبد
الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فاطلق حتى إذا انتصف الطريق
أماء الموت ، فاحتضمت به ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فالت ملائكة الرحمة
جاء تسليماً مقبلاً فقبله إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط .
فأنعم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكماً بينهم ، فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى
أيتهما كان أدنى فهو له ، فمأسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة
الرحمة) وفي رواية أخرى (فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها شبر فجعل من

أهبا) وفي رواية (فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى وقال
 قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب شبر فعفوله) (ق) فهذا يعرف أنه لا خلاص
 إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمنقال ذرة ، فلا بد للتائب من تكثير الحسنات .
 هذا حكم الماضى . وأما المستقبل فيحب على العبد أن يعقد مع الله عقداً مؤكداً
 ويعاهده عهداً وثقاً أن لا يعود إلى الذنوب أبداً . وعلم هذا ما هو هناك الله أن ذلك
 لا يتم فى أول التوبة إلا بالعزلة عن الناس وإحراق القوت الحلال ، فإن كان له مال
 حلال أو كانت له حرفة أو مورد رزق يكنسب منه قدر الكفاية فليقتصر عليه
 ولا يتجاول فى الكسب تجاؤلاً بوقعه فى الحرام أو الشهوات ، لأن رأس المعاصى أكل
 الحرام . قال بعض الصالحين من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يند إليه أبداً .
 ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالماً بأمور الدين أن يتعمق ما يجب عليه فعله وما يجب
 عليه تركه فى المستقبل حتى يمكنه الاستقامة ، ومن لم يعزل العزلة عن الناس على
 الاختلاط بهم لم يتم له الإستقامة المطلقة . وقيل أن أحتم هذا الباب ولمناسبة ما ذكرناه
 من أمر الرجل والمرأه اللذين جاء الرسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين عن معصية
 الزنا هرجما حتى ماتا . أذكر الواقعة التالية ليكون المسلم على بصيرة من أمر دينه —
 جاء فى الحديث الصحيح أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنى عالجت امرأة
 فأصبت منها كل شيء إلا الميسر . فاقص على بحكم الله تعالى . فقال صلى الله عليه وسلم
 (أو ماصيت معنا صلاة العداة) قال بلى (يعنى صلاة الصبح) . فقال صلى الله عليه وسلم
 (إن الحسنات يذهبن السيئات) (ق) ورواه (م) من حديث أس بن بلفظ (هل حضرت
 معنا الصلاة) قال نعم . ورواه أبو أمامة بلفظ (ثم شهدت معنا الصلاة) قال نعم
 فهذا يدل على أن مادون الزنا من مخالطة النساء صغيرة ، حيث حصل عليه السلام .
 الصلاة كعمارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم (الصلاة الخمس كفارات لما بينهن إن
 اجتنب الكبائر) (م) ولا شك أن من واطأ على إقامة الصلاة الخمس فى أوقاتها بتمام
 شروطها وكال محتها . كانت له كفارات للصغائر . بل من حافظ عليها نبت عن العشاء
 والمنكر . وحرره عن الكبائر والصغائر . قال رب العالمين وهو أصدق القائلين
 (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وفقنا الله وإياكم لإقامتها ونفعنا ببركتها ، كما
 سألنا تعالى أن يكفر عنا ماضى ويحفظنا فيما بقى .

باب في وجوب المبادرة إلى العمل

نضرب لك أيها القارئ الكريم مثلاً للحث على المبادرة إلى العمل الصالح فنقول .
إذا كان لك أخان غائبان وتنتظر قدوم أحدهما في العد وتنتظر قدوم الآخر بعد سنة
فإنك بلا شك لا تستعد للقاء الذي يحضر بعد سنة ، وإنما تستعد للقاء الذي تنتظر قدومه
في العد . فالاستعداد حينئذ نتيجه قرب الإنتظار . فالذي نتوهم أن الموت لا يأتيه إلا
بعد سنة فهو يهمل في الاستعداد له ، ثم يصبح كل يوم وهو معتقد أن أمامه سنة كاملة
فلا يحذف منها اليوم الذي مضى . وهذا الإعتقاد يمنعه من المبادرة إلى العمل وهذا
غاية الجهل . قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه (اعتم حساً قل حس ، شبابك
قل هرمك ، ومحتك قل سقمك ، وعناك قل فقرك ، وراغتك قل شمالك ، وجانك
قبل موتك) (اسأل الدنيا) وقال عليه الصلاة والسلام (نعمتان ميمون فيهما كثير
من الناس . الصحة والعراة) (ح) أي أنه لا يعنهما . ثم يعرف قدرهما عند رواهما ،
وقال عمر رضي الله عنه - التؤدة في كل شيء حير . إلا في أعمال الخير للأخرة -
وكان الحسن يقول في موعظه المبادرة المبادرة فانما هي الأنفاس لو حسنت انقطعت
عنكم أعمالكم التي تنفرون بها إلى الله عز وجل . رحم الله امرأً طهر إلى نفسه وبكى
عدد دنونه . ثم قرأ هذه الآية (إنما بعد لهم عدا) يعني الأعراس . وقال ابن مسعود
- ما منكم من أحد أصبح إلا وهو صيب وماله عارية ، والضيف مرتحل والغريبة
مؤداة . فلنأدر إلى العمل الصالح قل أن يجمعوا الموت عن العمل

باب في بيان أسباب طول الأمل وفضيلة قصر الأمل

اعلم أن طول الأمل في الحياة له سببان - أحدهما الجهل - والآخر حب
الدنيا - أما حب الدنيا فإنه متى أسسها وبشواتها ولداتها ثقل على قلبه مفارقة
فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقة الدنيا وبالطبع كل من كره
شيئاً دفعه عن نفسه والاسنان مشغوف بالأمان الباطلة فيمنى بعسه دائماً بما يوافق
مراده . والذي يوافق مراده البقاء في الدنيا . فلا يزال يتوهم طول الأجل ويقدره
فلا يفكر إلا في عوامل البقاء وما يحتاج إليه من مال وعقار ودواب وسائر أسباب

الدنيا فيصير قلبه مشغولاً بهذا الصكر فيلهو عن ذكر الموت ، فان خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف وقال الأيام مقسمة ، فيؤجل التوبة إلى أن يكبر ، فإذا كبر قال لما صير شيخاً ، فإذا صار شيخاً قال لما تفرغ من بناء الدار ، أو بعد أن يكبر ولدك وتدحر له من المال ما يكفيه وتزوجه فلا يزال يسوف ويؤخر التوبة وأعمال الطاعات فلا يدهي من عمر حتى يشعل بعمل آخر وهكذا يؤخر يوماً بعد يوم ونظيره الأمانى الكاذبة حتى يحتفظه الموت في وقت لا يعمل فتطول عند ذلك حسرته ويشند بدمه ، ولكن هيهات هيهات فلا تمنع الندم . وهذه المصيبة سببها التعلق بالدنيا للعانية والعفلة عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (أحب من أحدث فأكمل مفارقة) (ق)

وأما الجهل فان الإنسان يعمول على شبهه ودوام محنته وعاقبه فيستبعد قرب الموت مع هذا الشك والهم ، وقد نسي هذا المرور أن الموت ليس له وقت محصور فلا تمنعه صحة وعناية بالجهل هذه الأمور هو الذي دعاه إلى هذه العفلة عن الموت وانتظار وقوعه فجأة في أي وقت ، كما هو ما قد كل يوم فهو يظن أنه بشيخ جنات العير ولا يأتي يوم يشيعون فيه جناتهم وهذا منتهى الجهل . سأل الله أن يرزقنا بعض الدنيا وعدم التعلق بها حتى نستعد للموت ونفاه الله تعالى ويقصر أملكنا في الحياة وأن يرينا الدنيا كما أراها للصالحين من عياده .

أما فصلة قصر الأمل في الحياة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمر (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أميت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من حياتك لموتك ، ومن صحبتك لسقمك ، فإني يا عبد الله لا تدري ما أملك عداً) (حب) وقال عليه الصلاة والسلام (يحيا أول هذه الأمة باليقين ، الزهد ، وبهلك آخر هذه الأمة بالبحس والأمل) (ابن أبي الدنيا) وقال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكلكم يحب أن يدخل الجنة) قالوا نعم يا رسول الله ، قال (فصر من الأمل وثبتوا آجالكم بين أنهاركم واستحيوا من الله حق الحياء) (ابن أبي الدنيا) وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ، ثلاث أعجنني حتى أصعكني ، حزم الدنيا والموت بطله وعافل وليس بغفل عنه ، وصاحك مله فيه ولا يدرى

أساحط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني ، فراق الأحبة
محمد وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدي الله ، ولا أدري إلى الجنة يؤمرني
أو إلى النار وقال عيسى عليه السلام - لانهتموا ورق غد فان يكن عد من آجلكم
فسيأتى فيه أروافكم مع آجلكم وإن لم يكن من آجلكم فلا نهتموا لآجال غيركم

باب في علامات ظهور الفتن والنجاة منها

روى البخارى عن الزبير بن عدى قال أتينا أبا أس بن مالك فشكوا ناليه ما تلقى
من الحجاج بن يوسف الثقفى . فقال اصبروا فانه لا يأتي عليكم رمان إلا والذي بعده
شر منه حتى تنقوا ربكم . سمعت ذلك من سيكم صلى الله عليه وسلم

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن السى صلى الله عليه وسلم قال
(يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ونظير الفتن ويكثر الهرج) قالوا يا رسول الله
وما الهرج . قال (القتل القتل) قال العلماء ومعنى (يتقارب الزمان) أى تقصر
الأعمار وتقل البركة فيها . وقبل المراد قصر مدة الأيام كما يدل عليه حديث (إن الزمان
يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالخمسة والجمعة كالיום واليوم كالساعة
والساعة كاحترق الصفحة) (ت) ومعنى (يلقي الشح) أى تتواصى الناس به ويدعون
اليه ويتعلمونه

وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كيف بكم ويزمان
يوشك أن يأتي فيعربل الناس فيه عرلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم
وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا) وشك بن أصابعه فقالوا كيف يا رسول الله
إذا كان ذلك الزمان قال (فأخذون مانعهم ونادعون مانعهم وتقبلون وتقبلون على
خاصتكم وتندرون عامتكم) وروى الترمذى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم (إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك . وسبأى على الناس
رمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا) وروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال (يذهب الصالحون الأول فالأول وينبى حثالة كحثة الشعيير والتمر لا يمسأ
الله بهم) أحسن الله أفعالنا ونجاننا وإياكم من شر الفتن

باب في بيان حقيقة الكمال

إعلم أنه لا كمال بعد التمرّد بالوجود - إلا في لعلم . وكما العلم لا يكون إلا الله سبحانه وتعالى من حيث كثرة المعلومات وإحاطته بها فكما كثرت معلومات العبد كان أقرب إلى الله تعالى ، وكما أن لمعلومات مكشوفة لله تعالى بأنواع الكشف على ما هي عليه ، فكذلك كلما كان علم العبد أوضح وأبقى وأصدق وأوفى للعلوم ، كان أقرب إلى مولاه . وبما أن علم الله عز وجل ما لا يتغير ولا يروى أبد الآب ، فكذلك إذا كان علم العبد بالمعلومات لا يقبل التغير والافتلاب ، كان أقرب إلى الله تعالى . وليعلم العبد أن معرفته بالله تعالى وعلمه صفاته وأعماله وحكمه في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي ، ويقرب من انصف به من الله تعالى ، وكذلك ينبغي كمال النفس بعد الموت ، فتكون هذه المعرفة نوراً للمعارف بعد الموت يسمى بين أيديهم وأيامهم (يقولون ربنا أنعم لنا نورنا) . أي أن هذه المعرفة تكون رأس مال يوصل العبد إلى كشف ما لم ينكشف له في الدنيا ، مثل رجل في بيته فقس من النور فيمكنه إتمام نور بيته من هذا القس متى أراد . ومن لم يكن في بيته هذا القس الذي هو أصل النور فلا يمكنه إضاءة بيته ويبقى في ظلمة شديدة . أي من ليس له أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطعم في هذا النور ، فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، فالكمال الحقيقي إذاً هو معرفة الله سبحانه وتعالى . ومعرفة صفاته وأعماله ، والعمل بما يقرب العبد من مولاه . أما غير ذلك من العلوم والمعارف والأعمال التي لا توصل العبد للسعادة الآخروية ، فهي من مظاهر الحياة الدنا وليست من الكمال في شيء .

باب في بيان حقيقة النعم وأقسامها

بما لا شك فيه أن إحصاء نعم الله تعالى على عباده خارج عن مقدور البشر ، كما قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ولكننا نذكر منها ما يجري مجرى الأصول في معرفة النعم فنقول :

إعلم أن كل خير ولذة وسعادة يسمى نعمة . ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة

الآخرة . وتسعية السعادة الدبوبة التي لانعمين على الآخرة نعمة فهو غلط محض
أما الأساس التي توصل إلى سعادة الآخرة فهي كلها نعم . وليسان ذلك أمور - أولاً -
الشيء النافع في الدنيا والآخرة هو النعمة العظمى . كالعلم بالله تعالى وحسن الخلق .
والشيء الصالح في الدنيا والآخرة هو اللاء الحين . كالحسن وسوء الخلق . والشيء
الدمع في الدنيا ومصر في الآخرة لاء محض . كالتلذذ بالشهوات . والشيء الصار في
الدنيا ونافع في الآخرة نعمة عند دوى العقول . ولاء عند الجهال . وهو فع
الشهوات ومخالفة النفس . ثانياً قلنا ان كل ليد يدعتر نعمة . واللدات بالمنة
للإنسان قسماً . عقبة وبدية . أما العقبة فهي لدة العلم والحكمة وهي أشرف
العلم لأنها لا تزول أبداً لاني الدب ولا في الآخرة . ولا يشترك الإنسان فيها
بخلق آخر - وأما الدبة فهي بوعان الأول - لدة اسطر والمرح . وهي لدة
يشارك الإنسان فيها جميع الحيوانات حتى الديدان والحشرات والكلاب والخنازير .
وهي أحسن اللدات وأحقها - الثاني - لدة حب الرئاسة والانتقام والعلنة
والاستيلاء على الخلق وعلى حطام الدنيا . وهذه لدة يشارك الإنسان فيها بمصر
الحيوانات كالأسد والتمر وغيرهما - فلة العلم إذا أنتجت العلم بالله وبصماته
وأعماله تجعل صاحبها في رتبة الصديقين . وحينئذ يخرج من قلبه كل شيء فلا يرى
في الوجود نعمة أعظم من هذه لأنها توصله إلى السعادة في الآخرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لا عيش إلا عيش الآخرة) (ق) وقال رجس اللهم اني أسألك
تمام النعمة . فقال النبي عليه الصلاة والسلام (وهل نعم ما تمام النعمة) قال لا قال
(تمام النعمة دخول الجنة) (ت) أما المال فهو لا يكون نعمة إلا إذا كان عوناً
لصاحبه على طلب الآخرة ؛ قال عليه الصلاة والسلام (نعم العون على تقوى الله المال)
(أبو منصور) أما إذا استعمل في ملاذ الدنيا فهو سم يقتل صاحبه . مثال المال
مثال الحية فيه زياق نافع . وسم باقع . أعى لا يدم المال إلا إذا استعمل في الملاد
الدبوبة أو أسكه صاحبه ولم يتصدق به . في هذه الحالة يكون نعمة لانعمه . وبكوى
أن يكوى به في نار جهنم . أما من أحد الكفاف وما يحتاج إليه في اصلاح حياته
اصلاحاً مرصياً لا تبدير فيه . ثم أنفق الفضل بعد ذلك في أبواب البر والخيرات

ماشاء ، فلا شك أن المال في هذه الحالة يكون نعمة كبرى حيث يوصله للسعادة الأبدية بعد السعادة الدنيوية . وهذا هو المطلوب من نعمه المال — سبحانه أغنيهم ما فهم من اتحاد المال آلة يحاربون بها الإله — ارتكوا به المعاصي وأهدم عن طاعة الله ، فلا حول ولا قوة الا بالله — وهناك نعمة عظيمة وهي نعمة الهداية الى فصل الحقايق وهذه النعمة ثلاث منازل الأولى — معرفة طريق الخير والشر المشار إليها بقوله تعالى (وهديته الجدين) وقد أنعم الله بها على كافة عباده ، وسكن منهم من أسير ومهم من عبي ، قال تعالى (وأما نوح وهدى إلهه فاستجوا لأمره على الهدى) فأصاب الهدى اتباع الكتب والرسول وشعاع بصائر القلوب وأسباب عدم الاهتداء للحسد والكبر وحسد الديب وكل ما يعمي القلوب ويمرصها — الهدية الثانية — وهي الهدية الخاصة التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال ، وهي ثمرة المجاهدة ، قال تعالى (وابدأ بها نبيهم سلسلنا) والهدية الثالثة وهي النور الذي يشرق في قلب بعد كمال المجاهدة يهدي صاحبه الى ما لا يهتدى إليه بالعقل ، قال تعالى (أمرنا أن نؤمن بالله وحده وحفظنا له نوراً يمشى به في الناس) وقال عز وجل (أمرنا شرحه صدره للإسلام فهو على نور من ربه) . واعلم أن محاولة وضع بيان شامل لنعم الله تعالى على العباد ، المؤمن منهم والكافر ، والبر والفاجر ، أمر مقطوع بعدم إكماله ، فله الكريم الخليم الرزوف الرحيم على خلقه فصائل ونعم لا تحصى ، مثل نعمة الصحة والعافية ، ونعمة الخواص التي يتركها الإنسان بها ما يحتاج إليه في حياته وغيرها . فتعساً لمن كفر بالله تعساً ، وسعياً لمن كفر نعمته حقاً .

باب في بيان نعم الله تعالى في خلق الإدراكات

من نعم الله تعالى عليك أن خلق لك الآلات الاحساس وآلات الحركة لتدرك ما تحتاج إليه في تقوية بدنتك وتنميتها ، فانظر الى ترتيب حكته تعالى في خلق الخواص الخمس التي هي آلة الإدراك ، فأولها حاسة اللمس وقد خلقت لك لتحس بها ما يصيبك فتهرب منه ، وهي موجودة في كل حيوان حتى البودة التي في الطين .

وخلق لك الشم لتدرك به رائحة الغذاء ، ثم خلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك
وتعرف حبه فتقصده ، ولما كنت لا تبصر إلا الشيء الذى ليس بيدك وبنته حجاب ،
فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات التى منك ويدها حجاب ، وكل ذلك ما كان
يعيتك لو لم يكن لك حاسة السمع ، إذ يبصر الغذاء اليك فلا تدرك أنه موافق أو
عالف فتأكله فتهلك ، ثم كل ذلك لا يكعبك أيضاً ، فخلق فى مقدمة دماغك حساً آخر
تجمع فيه كل المحسوسات الخمس ولولاه لاشبه الأمر عليك ، وهو العقل الذى
شرحك الله به عن الهائم ، لأن الهائم لا تحس إلا بالخاص ولا تدرك العواقب ،
ولذلك قد تشاقق نفسها فى أثر فتهلك ، أو تأكل ما تستلذه فى الحال ويضرها فى
المآل ، ويقودها الصبي إلى المجزرة فتدحلب وهي لا تدري أن فيها حتفها . وأكرر
نعمة فى خلق العقل هى معرفة الله تعالى . ومعرفة أعماله ، ومعرفة الحكمة فى
خلق العالم .

أيها العبد العاجز تأمل فى نعمة الله عليك فى خلق الإدراكات ولا تظن أنه
يمكن استيفاء شيء منها ، فأنظر إلى حاسة واحدة من الحواس وهى العين ، وقد ركبت
من عشر طبقات مختلفة لو اختلفت طبقة واحدة منها أوصفة واحدة من صفات كل
طبقة لاحتل البصر . وعجز عن إصلاحه الأطباء ، فهذه قدرة الله فى خلق حاسة
واحدة ، فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائنه ، ما أوردناه فهو إشارة
فقط والله أعلم

باب فى بيان نعم الله تعالى فى خلق الارادات

اعلم أنه لو أدركت الطعام ولم يخلق لك ميل إليه ما كنت تنتفع به ، ولكن من
نعم الله تعالى عليك أن خلق فيك شهوة الطعام وسلطها عليك فتطالبك بالعداء ،
وخلق أيضاً فيك الكراهة له عند الشبع ، وإلا كنت تأكل حتى تموت وكما خلق
لك الشهوة حتى تأكل ، كذلك خلق لك شهوة الخماع حتى تجماع ، فيبقى سلك ، ولو
قصصنا عليك عجائب صنع الله فى خلق الرحم ، وخلق دم الحيض ، ونكوب الجنين ،
وكيفية الاثنين ، والعروق السالكة فيها من الفقار الذى هو مستقر النطفة ، وكيفية
انصباب ماء المرأة فى الترائب بواسطة العروق ، وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى

قوالب تقع النطفة في بعضها فتشكل بشكل الذكور ، وتقع في البعض الآخر فتشكل بشكل الإناث ، وكيفية إرادتها في أطوار حقتها ، انقصت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خضقت كل العجب ، فصلا عما تراه الآن في حياتك كلها

وعلى الخلة فاعلم أن لك في كل نفس بسيط ويقصص بمعينين ، يدانهاطة يحرق الدخان المحترق من القلب ، ولولم يخرج لهلكك ، وبقباصه يدخل روح لهواء إلى القلب ، ولوسد متعسه لا حترق وملكك . من اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة ، وفي كل ساعة ما يقرب من ألف نفس ، وكل نفس يقرب من عشر لحظات فعبيك في كل لحظة آلاف النعم في كل جزء من أجزاء بدنك ، بل في كل جزء من أجزاء العالم الذي عليه تتوقف حياتك . فانظر يا ابن آدم هل يتصور إحصاء ذلك والواقع أن البصير لم يل لا يقع عينه في العالم على شيء إلا ويتحقق أن الله تعالى فيه نعمة عليه . فترك التعصب الآن فإنه طمع في غير مطمع وما علينا إلا أن نتصف بذل العبودية أمام عز الربوبية . وسأل الله أن ينعمنا بأسماعنا وأبصارنا وجميع الحواس ما دام قد تفضل علينا بها

باب في نعم الله تعالى في خلق الأطعمة

الأطعمة كثيرة ، والله تعالى في خلقها وإعدادها غنائ لا يعلمها إلا هو والأطعمة في خلقها ، إما أدوية ، وإما فواكه ، وإما أعذية . وبهنا لأن الأغذية لأنها الأصل ولذا ذكر منها حبة القمح للتمثيل فقط وترك سائر الأعذية .

اعلم أنه لما كان لابد من إتمام حبة القمح ورماها وتصعبت كي تند حاجز الخلق جعل الله لهم ما أسبأ من ما خلق لك ، لأن الله لا يجهل عن الإنسان إلا في الخس والحركة ، أما طرق عذائه فهي مثل الإنسان تماماً . مع أنك لو وصفت حبة القمح في المنزل وتركها جفت وماتت ، لأنه في هذه الحالة لا ينجح بها إلا الهواء فقط وهو غير كاف للهواء . وإن وصفتها في الماء فغطت وفقدت ، وإن وصفتها في الأرض ولم يصل إليها الماء أكلتها الأرض وفقدت . لذلك فهي تحت حبه في موهب إلى أن يوضع في أرض مملحة يصب عليها الماء وتخرج بالهواء . قال الله تعالى (فيضطر الإنسان

إلى طعامه أنا صعدنا الماء صبا ثم شققا الأرض شقاً فأنبثنا فيها حباً وعنأ وقضياً وزيتوناً) ولكن هذا لا يكفي أيضاً في تعدد الحبة وإتمامها فهي محتاجة للحرارة فسلط الله عليها حرارة الشمس . وعلى ذلك فلا يتم إعاء حبة القمح واستواؤها إلا بأربعة عوامل ، الماء والطيب والهواء والشمس . فإذا قد عامل منها لا يتم الإنماء وكل عامل من هذه الأربعة يحتاج إلى عوامل أخرى ، فمثلا الماء يحتاج إلى من يوصله من البحار والأنهار والعيون والآبار إلى مكان الزرع كما يحتاج السحاب المنقل بالماء إلى من يسوقه إلى الأرض المحتاجة إليه . ثم انظر كيف سحر الله الشمس لترسل حرارتها إلى الأرض . ولذلك ترى المكان الذي تظله الأشجار لا ينمو نباته ؛ وإن نما لا يثمر ؛ والعجب من الإنسان الذي يفخر بنمو ريعه ويقول لولا جهدي واجتهادي ومواليي لما نمت ولا جاءت هذا المحصول ، ثم يغفل عن الأسباب التي سحراها الله تعالى من العوامل الأرضية والسموية فكانت سداً للإنماء وجودة المحصول ، وما ذلك إلا لجهله وغفلته ، فسيحان من يسر أسباب المعصم والتعذبة للنوم والكافر ، وبسطها للطائع والفاجر ، فضلا منه وكرماً .

ولما كانت الأطعمة لا تنصل اليك من نفسها . وهي لا توجد في مكان واحد . بل بينك وبين بعضها عمار وأنهار وبراري وقفار . سحر الله تعالى البحار وأمرض قلوبهم بحب المال وسلط عليهم العفة حتى قاسوا الشدائد في طلب الربح وجذب ما تحتاجه من الأطعمة من أقصى الشرق والغرب . وانظر كيف سحروا الله صناعه السفن والركوب فيها . وكذلك خلق الحيوانات ودلها للركوب وحمل الأثقال ، وكل ذلك لجلب الأطعمة اليك . وأقبلها الملاح والتوابع التي تحتح اليها لإصلاح طعامك لتتها . ولولا لطف الله بك لما تهاأت بعيش

واعلم أن ما نبت من الأرض من الأعذية يحتاج من وقت ظهوره إلى وقت حصاده إلى عوامل كثيرة عبر خافية ، ولكننا نشير هنا إلى شيء واحد على سبيل المثال وهو رغب العيش ، فانظر إلى ما يحتاج اليه الرعيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من وقت إلقاء البذر في الأرض . فأول ما يحتاج اليه العامل الذي يصلح الأرض ثم الثور الذي يحرق الأرض ، ثم بعد ذلك موالاة الأرض وتنقيتها الحشائش

وتنظيم الري ثم الحصاد ثم المرك والتنفية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتأمل عدد هذه الأعمال وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي تستعمل في ذلك . ثم ما تحتاجه الآلة الواحدة التي تستعمل لقرص واحد من هذه الأعراض فانظر إلى آلة الطحن مثلاً وإلى ما تحتاجه من العدد والعزل في صنعها وفي إدارتها ، وشرح ذلك لا مطمع في إحصائه ، وكل من فصل ربك وإلهامه لخلقها في صنعها لطفاً منه بك فاداً قدست بإمكانك عنت أن رعيها واحداً لا يستدير ويصاح لعدائك ما لم يعمل عليه أكثر من ألف عام . فأتدري من الملك الذي أرسل السحاب لسقيا الأرض حتى ينهي إلى جز الرعي بعد أن هذه الأطوار سحر الله بها من الملائكة والبشر ما لا يحصهم إلا الذي خلقهم هذه أمثلة لأصول الصاعات فقط ، في صنع رعي العيش أما مروعها فلا مطمع في حصره . ف على العبد إلا أن يطلب من مولاه أن يمنحه العلم والتبصرة

باب في نعم الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام

من نعم الله تعالى خلق الملائكة ، وقد خلقها لأغراض لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى ، منها هداية الأنبياء عليهم السلام وإرشادهم وتليج الوحي اليهم . وهم في كثرة طبقاتهم وترتيب مراتبهم تنحصر بالخلق في ثلاث طبقات . الملائكة الأرضية ، والملائكة السماوية ، وخلق العرش وقد علمت كيف وكلهم الله بك فيما يختص بالآكل والعداء مما هو مبين في الباب السابق

واعلم الآن أن كل جزء من أجزاء بدنك من من أجزاء النبات لا يتعدى إلا أن يوكل به من الملائكة ما شاء الله من العدد . وإيضاحاً لذلك نقول إن العداء الذي تتعدى به يتلف بعد وقت معين ويستعمل عنه الجسم بعد توزيع خلاصته على جميع الأعضاء الباطنية ، وهذا التوزيع يحصل بالطريقة الآتية . يصير الغذاء دائماً غنائم عظاماً وهذا يتم الاعتناء . ولكن الدم واللحم أحسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تمسك بأعضائها ولا تتغير بأنفسها . وإن الطبيعة لا تسكن في ترددتها في أطوارها كما أن حبة القمح لا تصير خبزاً بنفسها إلا بصناع

فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعروقاً وعصباً إلا بصناع . والصناع في الباطن هم الملائكة كما أن الصناع في الظاهر هم الخلق . وقد أسبغ الله عليك بعمه طاهرة وباطنة ، فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطن .

واعلم أنه لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوارر اللحم والعظم . ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواررهما ، ولا بد من ثالث يجمع عنه صورة الدم ، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق والعظم ، ولا بد من خامس يدفع الفضل القاس عن حاجة العشاء ، ولا بد من سادس يلقى ما اكتسب صفة اللحم باللحم ، وما اكتسب صفة العظم بالعظم ، حتى لا يكون منفصلاً . ولا بد من سابع يرعى المقدير في الإلصاق ويلحق بالمتدبر ما لا يبطل استدارته ، وبالعريض ما لا يزيل عرصه ، وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته . فإنه لو جمع مثلاً من العشاء على أنف الطفل ما يجمع على غنذه لكبر أمه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته . بل ينبغي أن يسوق إلى الاجفان مع رقته وإلى الخدقة مع صفاتها وإلى الأنفاذ مع غلظتها وإلى العظم مع صلابته ، ما يليق لكل واحد منها ، من حيث القدر والشكل . وإلا بطلت الصورة وغلط بعض المواضع وصعب البعض . بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقيط في التوزيع . فساق إلى رأس الطفل وسائر بدنه من العشاء ما ينمو به ومنعه عن يد واحدة مثلاً . بقيت تلك اليد كما كانت في حالة لطفولة ، وكبر جميع البدن وكنت ترى الشخص في صحامة الرحمن وله يد طفل فلا ينفع بنفسه البتة . فمراعاة هذه الهندسة في هذا التقسيم معوض إلى ملك من الملائكة . فلا تنظر أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه . وأن من يحيل هذه الأمور على الطبيعة جاهل لا يدري ما يقول .

فهذه هي الملائكة الأرضية ، وقد شعروا بك وأنت قائم مستريح وعائل ناهو وتعب ؛ بل في الوقت الذي ترتكب فيه المعصية كانوا هم يصحرون العشاء في باطنك ولا حيلة لك منهم ، وذلك في كل جزء من أجزائك . حتى أن بعض الأجراء كالعين والقلب يحتاج إلى أكثر من مائة ملك ولا سبيل لتفصيل الحديث .

واعلم أن الملائكة الأرضية ندم الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكفه إلا الله سبحانه وتعالى ؛ ومدد الملائكة السماوية من حلة العرش . والمنعم على

جميعهم بالتأييد والهداية والتسديد ، المهيمن القدير المنفرد بالملك والمحكوت ، والعزة والجبروت ، جبار السموات والأرض ، منك الملك ذو الحلال والاکرام .
والأخبار الواردة في الملائكة الموكنين بالسموات والأرض وأجرام النيازات والحيوانات حتى كل فطرة من المطر ، وكل سحاب يساق من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى . (من الصحيحين)

فهذه نعمة الله عليك في خلق الملائكة ذرعية ولسماوية . ومع أن ما ذكر هو بسنة يسيرة من اتباعك بالملائكة ؛ إلا أنه طمعة أخرى من نعم الله عليك . أما جميع الطبقات لا يمكن احصاؤها .

واعلم أن حنة الملائكة تخاف حلقة الانس ولكل واحد منهم صفة ولكل واحد منهم فعل لا يتعداه . وإليه الإشارة بقوله تعالى (وما من إلا له مقام معلوم) ولذلك ليس بينهم تافس وتفاضل مثل البشر . فإن الانسان قد يطيع الله مرة وبعباه مرة ، لاختلاف دواعيه وصفاته ؛ وهذا غير ممكن في طباع الملائكة ، هم يحولون على السطاعة . لا يجمل لمعصية في حقهم (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) يسبحون الليل والنهار لا يفترون) (راعهم منهم راعهم أبداً . والساجد منهم ساجد أبداً . والقائم منهم قائم أبداً . لاختلاف في أفعالهم ، ولا فتور في تسبيحهم .

اسمع أيها العبد المسكين بقله ، العاصي بربه بقله . اسمع وتذكر ما نقول فيما يحصل عند عصيانك لربك في أقل معصية . وهي النظر إلى ما حرم الله تعالى . فمضى فعل الانسان ذلك فقد كفر بفتح العين نعمة الله في حاق الاجفان . وبما أن الاجفان لا تقوم إلا بالعين ، والعين لا تقوم إلا برأس ، ولا الرأس إلا بجميع البدن ؛ ولا البدن إلا بالعداء ؛ ولا العداء إلا بالماء والأرض والهواء ؛ والمطر والغيث ، والشمس والقمر ، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ؛ ولا السموات إلا بالملائكة . فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه ببعض ارتباط أعضاء البدن ، بعضها بعض ، فإذا قد كفر كل نعمة في الوجود . من أعلى الثريا إلى أسفل الترى . فلم يبق فلك ولا ملك ، ولا حيوان ولا نبات ولا مائع ولا جماد . الا ويلعنه .

ولذلك ورد في الأخبار (إن الملائكة يلعنون العصاة) (م) وهذا إشارة إلى

أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد أهلك نفسه إلا أن يقع البيعة بحسن تمحوها . فيبذل الله بالاستغفار . فمضى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه مغفرة منه وهفلاً .

باب في طلب الحلال والآكل منه

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (طلب الحلال واجب على كل مسلم) (طب) وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب الحلال فريضة بعد الفريضة) (طب) وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من أكل طيباً وعين في سنة وأمن الناس ووائقه دخل الجنة) قالوا يا رسول الله إن هذا في أمثك اليوم كثير قال (وسبكون في قلوبهم) (ت) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فأنك من الدنيا .. حفظ أمانة وصدق حديث وحسن حليقة وعفة في طعمة) (أحمد) وقال عليه السلام (طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وهزل عن الناس شره . طوبى لمن عمل بعله وأنفق الفحل من ماله وأعطى الفضل من قوله) (طب) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً) فقام سعد بن أبي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (يا سعد أطلب متصمك نكر مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه ثم أمر يوماً وأياماً عند بيت الله من سحرة فأنار أوليها) (طب) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وادى نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به إلى الجبل فيحتطب ثم يأتي فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ولأن يأخذ تراماً فيجعل في فيه خير له من أن يجوع في فيه ما حرم الله عليه) (أحمد باسناد جيد) .

وقال عليه السلام (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أكل من الحلال أم من الحرام) (خ) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس

البار قال (اللهم والفرح) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال (تقوى الله وحسن الخلق) (ث) وعن أنكر الصديق رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل الجنة جسد غذى حرام) (طب وعبره) .

ومن أم ما تعلبه في هذا الباب بعد قراءة الأحبار الصريحة الواردة فيه - إن أعمال الآخرة لا تحصل عى بد من أكل الحرام أو الشبهات لأن من أكل حراماً نشأ عنه فعل الحرام ومن أكل شبهة نشأ عنه فعل الشبهة . حتى لو أراد أكل الحرام أن بطيع الله تعالى لما قدر . والبك بعض أقويل السلف الصالح في ذلك . كان سفيان الثوري رحمه الله يقول - دين الرجل حيث رغبه من حل . وإن أهن بيت يوجد على ما تستهم الآن . رعيه من حل لعمراء في هذا الزمان . وكان عداؤه بن عباس رضى الله عنهما يقول كسب الحلال أشد على المؤمن من نقل جبل إلى جبل . وقد سمع الحسن ابن علي رضى الله عنهما شعراً يقول - اللهم ادرقني حلالاً صافياً . فقال له يا هذا سل ربك رزقاً لا بعد لك عليه . فإن الحلال الصافي إنما هو رزق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وكان إبراهيم بن آدم رحمه الله تعالى كثير ما يعمل إلى آخر النهار فإذا أعطوه أجرته نظر إليها وقال لأصحابه إن أخاف أن أكون لم أندل كن فوق التي طلبها منى صاحب الرع ثم يتركها ويذهب فلا يأكل تلك الليلة . وكان يرى الحضور مع الله تعالى في عمل الحرفة شراً للحل . وكل شيء عمنه لا حصولاً له أجره . وكان سعد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لا أعرف اليوم بئى من الحلال . إلا ما يشربه الرجل من الدجلة أو الكحل تكفه . وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى إذا ذهب إلى ولية أحد معه رعيماً يأكل منه . فإذا قال له صاحب الولية هل تأكل من حيزى يامسيدي . يقول له انك تدرى حرك من أين هو . وأما أدرى حيزى من أين هو . فكل واحد يأكل مما يدرى

وأمثل هذا كثير وهو عابه الورع والتحري في المطعم . ودليل القوم في ذلك قوله تعالى (كلوا من الطيبات واعموا صالحاً) وهو خطاب للرسل وقد أمر الله تعالى المؤمنين بما أمر به الرسل . ومن أدلتهم أيضاً . ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يكتسب عبد مالاً من حرام فيأكله فيه . ولا يتصدق به فيؤجر

عليه . ولا يتركه حلف طهره إلا كان دافعاً له إلى النار . إن الله لا يمحو السيء مالم يمسح . ولكن يمحو الحديث ما طيب (أو كما قال .

باب في فضيلة النفقة على الزوجة والعيال

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دينار أمقته في سبيل الله . ودينار أمقته في رقة . ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أمقته على أمك أعظم أجراً لدى أمقته على أمك (ر م) وعن سعد ابن أبي وقاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له (إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تنقص في فم امرأتك) (ح) وقال عليه الصلاة والسلام (ما أضمت نفسك فهو لك صدقة وما أضمت ولدك فهو لك صدقة . وما أضمت روحك فهو لك صدقة . وما أضمت خادمك فهو لك صدقة) (أحمد) وقال عليه الصلاة والسلام (اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول . أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فأدناك) (طب) وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أول ما يوضع في ميزان المبدى مقته على عياله) (طب) وقال عليه الصلاة والسلام (إن الرجل يدس في امرأته من الماء أجر) (أحمد) وقال عليه السلام (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يرايان فيقول أحدهما اللهم اعط متعقاً حلقاً . ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً) (قد وغيرهما)

باب في اورع وترك الشبهات

قال عليه الصلاة والسلام (الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استرا إلى الله وعرضه ومن وقع في الشبهات كراعى رعى حول الحمى يوشك أن يواقعها لا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله بحرمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت ففسد الجسد كله ألا وهي القلب) (خ) وعن أبي ثعلبة الخشني رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله اجبرني ما يحل لي ويحرم على قال (البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب . والأثم ما لم تسكن إليه

التنفس ولم يطمئن إليه القلب وإن افتك المعتون (أحمد) وعن ابن رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد تمر في الطريق فقال (لولا أن أحاف أن تكون من الصدقة لأكلتها) (ي) وقال الحسن رضى الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يربك إلى ما لا يربك) (ت وغيره) وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان لأبي بكر الصديق رضى الله عنه علامة يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خراجها فجاء ذات يوم بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له العلام - أأندري ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هذا؟ قال كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أنى خدعته فلقيني فأعطيني لذلك هذا الذي أكلت منه . فأدخل أبو بكر يده فقام كل شيء في يده (ح) الخراج شيء يفرسه المالك على عبده يؤديه إليه كل يوم بما يملكه وبما في كفه بأذنه لنفسه . وقال عنه "السلام" (لا يبيع العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذ. المسألة بأس) (ت) وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما الاثم؟ قال (إذا حاك في نفسك شيء فدعه) ولما الإيمان؟ قال (إذا ساء لك سينتك وسرك حسنك فانت مؤمن) (أحمد) وقال عنه السلام (أفضل العادة الفقه وأفضل الدين الودع) (طب).

باب في الاكتساب بالبيع وغيره

قال عليه الصلاة والسلام (ما أكل أحد طعاماً قط حبراً من أن يأكل من عمل يده) (ح) وقال عليه السلام (لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه) (ق) وغيرهما . وقال عنه السلام (لأن يأخذ أحدكم أحله فيتأني محرمة من حصص على ظهره فيبهما فيكفها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) (خ) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الكسب أطيب قال (عمل الرجل يده وكل كسب مرور) (ك) وعن كعب بن عجرة رضى الله عنه . قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جده وشاظه فقلوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن كان حرج يسمى على ولده صغاراً فهو في

سبيل الله . وإن كان خرج بسمي على أبرين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله . وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان (طب) وقال عليه السلام (إن الله يحب المؤمن المحترف) (طب) وقال عليه السلام (من أمسى كالآل من عمل يده أمسى مغفورا له) (طب) - كالا أي متعبا -

باب في البكور في طلب الرزق وغيره

عن صحر بن وداعة العامري الصحيح - أنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وكان عليه السلام إذا بحث سرية أو جيشاً عنهم من أول النهار وكان صحر تاحرا فكان يبحث تجارتهم من أول النهار فأثرى وكثر ماله (دون وغيرهما) وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما كرو العدو في طلب الرزق فالعدو بركة وبخاح) (طب) وعن عثمان رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوم اصحبه يمنع الرزق) (أحمد وغيره) وعن فاطمة رضى الله عنها قالت مر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مصطحمة متصبحة فركبى رجليه ثم قال يا بنى قومي أشهدى رزق ربك ولا تكون من العاطلين فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع المعجر إلى طلوع الشمس) (هب) وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النوم قبل طلوع الشمس) (هـ)

باب في الاقتصاد في طلب الرزق

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تسقطوا الرزق بأبه لم يكن عدد ليوت حتى يبلع آخر رزق هو له فأحجموا في الطلب ، أخذ الحلال وترك الحرام) (حب وك) وعن أن حميد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أحملوا في طلب الدنيا فإن كلاً ميسر لما خلق له) (هـ) وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم

عنه فلا يستبطئ أحد منكم رزقه . فإن جبريل أتى في روعي أن أحدا منكم لم يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه وانتقوا الله أيها الناس واحملوا في الطلب فإن اسدماً أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته (ك) وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أيها الناس إن الغي ليس عن كثرة العرص ولكن الغي عن النفس وأن الله عز وجل يؤتي عبده ما كتب له من الرزق فأحملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم) (أبو يعلى) وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أحبه) (ح) وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لو فر أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه أحله) (ط)

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى غمرة عابرة فأحدها فتناولها سائلاً فقال (أما إنك لو لم تأتني لأتتك) (ط)

باب فيما ورد في الغش في التعامل

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من حل علينا السلاح فليس منا ومن عشت فليس منا) (م) وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام وقد حسنه صاحبه فأدحس يده فيه فأداه طعام ردى فقال (بيع هذا على حدة وهذا على حدة من عشت فليس منا) (أحمد) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عشت فليس ما والمكر والخداع في النار) (ط) وعن صفوان بن سليم أن أبا هريرة رضى الله عنه مر بناحية الحرة فإذا إنسان يحمل لبناً بيده فطر إليه أبو هريرة فإذا هو قد حطه بالماء ، فقال له أبو هريرة كيف بك إذا قبل لك يوم لقبامة خلص الماء من اثلب - (هـ) وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن رجلاً كان يبيع الخمر في سفينة له ومعه قرد في السفينة ، وكان يشرب الخمر بالماء ، فأخذ القرد الكيس فصعد الدروة وفتح الكيس ، فجعل يأخذ ديناراً ويلقيه في السفينة وديناراً في البحر حتى جعله نصفين) (هـ) وعن واثقه بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من باع عبياً لم يبيته لم يرل في مقت الله ولم نزل الملائكة تلعنه) (هـ)

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم إذا باع من أخيه بعبأ به عيب أن لا يبينه) (أحمد وغيره)
وقال عليه الصلاة والسلام (إن الدين النصيحة) قلنا لمن يا رسول الله؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (مؤت) وعن جرير رضى الله عنه أنه قال - ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم (ق وغيرهما) وقال صلى الله عليه وسلم (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم؛ ومن لم يصبم وبمس ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم) (طب) وقال عليه السلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (ق) وغيرهما

باب في فضيلة الصدق في المعاملة

قال عليه الصلاة والسلام (سأجر الصدوق لأمن مع السمين والصديقين والشهداء) (ت) وقال عليه السلام (الساجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة) (الاصحاح) وقال عليه السلام (إن أطيب السكب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا وإذا ائتمنوا لم يخونوا؛ وإذا وعدوا لم يخفوا؛ وإذا اشتروا لم يبدوا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يظلموا؛ وإذا كان لهم لم يضرروا) (هـ) وقال عليه السلام (اليمان بالخير مالم يتعرفا فان صدق البيعان وبيننا يرتكها في بيعهما، وإن كتمانوا كنهه يعضي أن يربحاً ربحاً ويحقها ركة بيعهما، اليمين "الحارة منعقة للسلعة محقة للكسب" (ق) وغيرهما) وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يضر الله إليهم يوم القيامة أشبهط ران، وعائل مستكبر، ورجل جعس الله بصره، لا يشتري إلا يسيبه ولا يبيع إلا يبعينه) (طب) (أشبهط تصعب أشمط وهو من أبصر بعض شعر رأسه كراً)

وقال عليه السلام (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يقرهم ولا يبركهم ولهم عذاب أليم، رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، ورجل منع فصل ماء فيقول الله له اليوم أمتعتك فضلى كما متعت فصل ما لم تعمل بذلك) (ق) وعن

ابن مسعود رضي الله عنه قال مر إعرابي نشاة فقلت نبيها ثلاثة دراهم . فقال لا والله
ثم باعها ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (باع آخرته بديناره)
(صح) وقال عليه السلام (الحلف متفقة للسلعة بمحقه للكسب) (ق) وبجرهما .

باب في السماحة في البيع والشراء

قال عليه الصلاة والسلام (رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً
إذا اقتضى) (ح) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، ومن تحرم عليه النار ؟ على كل قريب
مين سهل) (طب)

وقال عليه السلام (أنصل المزمين رجل سمح لبيع سمح الشراء سمح القضاء سمح
الاقتضاء) (طب) وقال عليه السلام (دخل رجل الجنة بسماحته قصياً ومقتضياً)
(احمد) وقال عليه السلام (من طب حنفاً فإليه في عفو وافي أو غير وافي) (ت)
وعن عبد الله بن ربيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم استسلف منه حين عرا حنياً
ثلاثين أو أربعين أماً نقصها إياه ، ثم قل له برك الله بك وأهلك ومالك بها جزاء
سلف الوفاء والحمد) (هـ)

باب في الأحبار الواردة في الدين وقضاء دين الميت

عن ابن مسعود خذرى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول (أعود بالله من الكفر والدين) فقال رجل يا رسول الله اتعدل الكفر بالدين ؛
قال (نعم) (نوك) وقال عليه السلام (لا تحبوا أنفسكم بعد أمها) ولو ومالك
يا رسول الله قل (الدين) (احمد) وقال عليه السلام (من قارب الروح الحسد وهو
رئى من ثلاث دخل الجنة . علول والدين والكفر) (ت وهـ)

وقال عليه السلام (من أدان وهو يتوئ أن يؤدبه ومات أداه الله عنه يوم
القيامة ومن سددان ديناً وهو لا يؤى أن يؤدبه مات قال الله عز وجل يوم القيامة
(طمب أنى لا أحد لعبدى محقه) فيؤخذ من حسابه فيجعل في حسنات الآخر من
لم تكرر له حسنات أخذ من سيئات الآخر فيجعل عليه) (طب) وقال عليه السلام

(من حر من أمتي ديناً ثم جهد في قضائه ثم مات قبل أن يقضيه فأنا وليه) (احمد)
وقال عليه السلام (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ؛ ومن أخذ
أموال الناس يريد إنلافها أنلفه الله) (ح) وعن محمد بن عبد الله بن جحش رضي الله
عنه قال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً حيث نوصع الجناز مرفوع رأسه
قبل السماء ثم حفص بصره فوضع يده على جبهته فقال (سبحان الله سبحان الله ما أزل
من التشديد) قال معرفنا وسكتنا حتى إذا كان العد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلنا ما التشديد الذي رل قال (في الدين والدي نفسي بيده لو قتل رجل في سبيل الله
ثم عاتر ثم قتل ثم عاتر ثم قتل وعيه دين ما دس الجنة حتى يقضى دينه)
(ن و ط ب) وعن أن هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر
رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال اتني بالشهداء
أشهدهم ، فقال كفي بالله شيداً قال فأتني بالكفر ؛ قال كفي بالله كفيلاً . قال
صدقت فدعها اليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم اتى مركباً
يركبه ويقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً فأخذ حشة وقراها فأدخل فيها
ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبها ثم رجح موضعها ، أي سد الثقب حتى لا يسقط
شيء . ثم أتى بها البحر فقال اللهم انك تعلم أني تسلمت من فلان ألف دينار فسألتني
كفيلاً فقلت كفي بالله كفيلاً فرضي بك . وسألتني شيداً فقلت كفي بالله شيداً فرضي
بك . واتى جهدت أن أحد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وراستودعك فمرى
بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده
فخرج الرجل الذي كان أسلفه يظن لعل مركباً قد جاء بماله فإذا الخشبة التي فيها المال
فأخذها لأهله خطباً ، فلما بشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى
بالألف دينار فقال والله ما رلت جاهدأ في طلب مركب لأنيك بمالك فما وجدت
مركباً قبل الذي أنيت فيه . قال هل كنت بعثت إلى شيء ، قال أحرك أني لم أجد
مركباً قبل الذي جئت فيه ، قال بين الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف
بالألف دينار راشداً) رواه البخاري معلقاً مجزوماً والساق وغيره مسدداً
صدق رسول الله . وقال عليه السلام (أعمار رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو أكثر ليس

في نفسه أن يؤدي إليها حتفها في يوم القيامة وهو ران ، وأما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه فدعه حتى أخذ ماله مات ولم يؤدي إليه دينه لئلا يترك الله (هو سارق) (طب) وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الدين يقتضي من صاحبه يوم القيامة إدمان ثلاث في ثلاث خلال . الرجل الذي تضعف قوته في سبيل الله فيستدين بتغوى به على عدو الله وعدوه . ورجل يموت عنده مسلم لا يجد بما يكفنه ويواريه إلا دين . ورجل حاف على نفسه العزبة فيترك حثية على دينه . فإن الله يقصص على هؤلاء يوم القيامة) (هـ) هكذا . ورواه البراء ولفظه (ثلاث من تدبر فيهن ثم مات ولم يقصص الله يقصص عنه رجل يكون في سبيل الله فيخلق ثوبه فيحاف أن تدعو عودته أو كلفة يحوها . ويموت ولم يقصص دينه . ورجل مات عنده رجل مسلم لم يجد ما يكفنه به ولا ما يواريه مات ولم يقصص دينه . ورجل خاف على نفسه الميت فتعفف ذكاح امرأته مات ولم يقصص . فإن الله يقصص عنه يوم القيامة) -- العت . الإثم . والمعاد . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من لم يؤمن معلقة بدينه حتى يقصص عنه) (احمد و ت) وعن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتني بالحجارة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه ، فإن قيل عليه دين كيف عن الصلاة عليه . وإن قيل ليس عليه دين صلى الله عليه . فأني بحجارة فدعاهم ليكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل على صاحبكم دين) قالوا دين . ففعل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (صلوا على صاحبكم) فقال علي هما علي يا رسول الله برئ منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي بن أبي طالب (جراك الله خيراً فك الله رهائك كما فككت رهان أجلك لأنه ليس من ميت يموت وعيه دين إلا وهو مرتين بدينه . ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة) فقال بعضهم هذا لعلي خاصة أم للسليين عامة ؟ قال (بل للسليين عامة) (الدارقطني)

باب في مظل القادر في سداد الدين

عن عمر ابن الشريد عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لئلا الواحد يحس عرصة وماله) (حب) أعني مظل القادر على السداد يحل عرصة أى يبيع أن يذكر بسوء المعاملة وعقوبته حسه

وروى عن حولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما قالت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما قدس الله أمة لا يأخذ صغيها الحق من قوتها غير متعم) أى ففق ومنع بكثرة تردده عليه ومظله له ثم قال (من انصرف عريمه وهو عاه راض صلت عليه دواب الأرض ورون الماء ومن انصرف غريمه وهو ساخط عليه كُتِبَ عليه في كل يوم ليلة وجمعة وشهر ظم) (طب) - نون الماء حوتها

وروى الطبراني عن ابن مسعود باسناد جيد قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بنقضاء ديناً كان عليه فاشتد عليه حتى قال أخرج عبدك إلا قضيتني فانتهره أصحابه ، فتأوا وبكك تدري من تكلّم ؟ فقال إني أطلب حقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم (هلا مع صاحب الحق كنتم) ثم أرسل إلى حولة بنت قيس فقال لها (إن كان عندك تمر فافرصيت حتى يأيا تمر فنفصلك) فقال نعم بأى أنت وأبى بارسول الله . فأفرطت فقضى الأعرابي وأطعمه فقال الأعرابي أوفيت أوفى الله بك فقال عليه السلام (أوائك خيار السراية لا قدست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعم) أى غير متعم بكثرة تردد

باب في بيان محبة الله تعالى للعبد

اعلم أن شواهد القرآن متفقة على أن الله تعالى يحب عبده فمن الشواهد على محبة الله عز وجل قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وقوله تعالى (إن الله يحب المتوابين) وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن الله يحب المتوابين) معناه أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره السيئات الماضية

وإن كثرت ، كما لا يضركم المصطفى من الإسلام ، وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنوب فقال (قل إن كنتم تحبون الله فابعثوا بحسبكم الله ويعطى لكم دوابكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يعطي " دنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا لمن يحب) ك ، وقال عليه السلام (من تواضع لله رفعه الله ومن تنكسر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله) (هـ) وقال (قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى ربنا حتى أحبه فبما أحبه كثرت محبته الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) الحديث - (خ) .

واعلم أن ما ورد من أحبال المحبة خارج عن الحصر وسكنها بين بعضاً من علامات محبة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا أحب الله عبداً ابتلاه فبما أحبه الحب البائع افته) فبين وما اقتضاه قول (لم يترك له أهلاً ولا مالا) (ط) وقال عليه الصلاة والسلام (إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وراجراً من قلبه يأمره وينهيه) (أو متصور) وأحسن علامات المحبة حيث ثبت ذلك يدل على حب الله لك - وأما العمل الدال على كونك محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمرك ، يظفره سره وجهه فيكون هو المشير عليك والمدر لأمرك والمربى لأخلاقك والمستعمل لجوارحك والمحبص للدين في قلبك ، والموحي لك من غيره والمؤنس لك بملحة المناجاة في طوائفك ، والكاشف لك عن الحجب بينك وبين معرفته ، فهذا وأمثاله علامات لمحبة الله تعالى للعبد ، وفيما بين علامات محبة الله تعالى .

باب في علامات محبة العبد لله تعالى

المحبة يدعيها كل أحد ، فإما من الدعوى وما أصعب العمل ، فلا يعترف الإنسان ببليس الشيطان وخدع النفس مما ادعت محبة الله تعالى ، ما لم يتجنبها بالعلامات . وبطلانها بالبراهين والأدلة . بمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتثمرها ، تطهر في القلب واللسان والجوارح ، وتدل تلك الآثار دلالة الدخان على النار ودلالة الخمار على الأشجار ، وهي كثيرة الأنواع . ويحصى منها حب لقاء الله تعالى وحب مشاهدته في دار السلام . فلا يحب القلب محبوباً إلا ويحب لقاءه ومشاهدته طبعاً .

واعلم أنه لا وصول إلى ذلك إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقة بها للموت ، فإذا علم ذلك كان الإنسان محباً للموت غير كاره . فإن المحب لا يثقل عليه أسر عن وطنه إلى مستقر محبوه لينعم بمشاهدته . والموت مفتاح المقام وباب الدخول إلى المشاهدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) (١) فإن قلت من لا يحب الموت ، هل يتصور أن يكون عبداً لله ؟ فأقول إن كراهة الموت قد تكون لمحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والأولاد . وهذا يبق كالحب لله تعالى ، لأن المحب الكامل هو الذى يشعل كل القلب . أما إذا كان العبد فى ابتداء مقام المحبة فليس يكره الموت ، وإنما يكره عجزه قبل أن يستعد للقاء الله . فذلك لا يدل على ضعف المحب . ومثاله مثل الذى وصله حبيب قدوم حبيبه عليه فتعنى أن يتأخر ساعة ليحب له الدار . وبعد له ما يلزمه . كى يلقاه على أكمل حال . ويكون فارغ القلب عن الشواغل ليأمن ببقائه . فأكراهه هذا السب لا تنافى كمال المحب أصلاً . أما علامة الاستعداد هى المواظبة على العمل واشتغال القلب بالمحسوب - واعلم أن المحب إذا غلب على القلب فغير هوى النفس لم يبق له تنعم بغير محبوه

أما دعوى المحبة من غير عمل فهو حطر . ولذلك قال القصير . إذا قبل لك أنحب الله تعالى فاسكت . فإث إن قلت لا . كمرت . وإن قلت نعم . فليس وصعك وصف المحبين . فاحذر المفت . وقال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم أعنى من نعيم أهل المعرفة والمحبة . ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة ونجدة . فعلمة حب الله حب ذكره . وحسب القرآن الذى هو كلامه . وحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسب كل ما يربى اليه . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام - قد كذب من ادعى محبتى إذا جن اللين فامعنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فيها أنا ذا موجود لمن طلبنى . وقال يحيى بن معاذ من لم تكن فيه ثلاث حصل فليس بمحب - يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق . ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . فهذه علامات المحبة . فمن تمت فيه فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا فى الآخرة شرا به . فمن كان حبه رجاء لنعيم الجنة والجنات والنفس والولدان . تبوأ من الجنة حيث شاء . لأنه إنما يعطى كل إنسان فى المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذذ عينه . وأما من كان

مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يعلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق . أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالأراير يرتعون في المسانين ويتمتعون في الجنان مع الحور العس والولدان والمقربون ملازمون للحضرة الزبانية عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الحزن بالنسبة إلى ذرة منها يقوم بقضاء شهوة الشطن والفرح مشغولون ، وللبجالة أقوام آخرون .

واعلم أن جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق وما يتجني به العبد من التقوى ، فهو ثمرة الحب ، وما لا ثمرة الحب فهو اتعاج الهوى ، وهو من ردائل الأخلاق . متعنا الله بحبه وأكرمنا وإياكم بقره

باب في بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى

اعلم أن أسعد الخلق حالة في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فإن الآخرة معناها انقدوم على الله تعالى ونيل سعادة لقائه وتنعيم بقره . لا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب ، فكما اردادت المحبة ردات القدوة ويكسب العبد حب الله تعالى في الدنيا بسببين - أحدهما - قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب ، فإن القلب مثل الإباء الذي لا يتسع لماء ما لم يخرج منه الهواء ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . فكمال الحب هو أن يحب الله تعالى بكل قلبه ، وهو معنى قولك لا إله إلا الله . أى لا معبود ولا محبوب سواه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله خلص من النار) (ق) ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله ، فلا يبقى فيه شرك لغير الله ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه . ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوبه ، وموته خلاص من السجن وندوم على المحبوب . وأما ضعف حب الله في القلوب فبسبب قوة حب الدنيا وحب أهل المال والأولاد والآقارب والعقارب والدواب والسماتين ، حتى أن الذي يفرح بطيب نسيم الأشجار ويلذ بأصوات الطيور يعتبر ملتفتاً إلى نعيم الدب ومتعرصاً لنقصان حب الله تعالى - فقدر ما يأنس العبد في الدنيا ينقص أسه بالله ، ولا يؤتى أحد في الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدرة من الآخرة - السبب الثاني - قوة معرفة الله

تعالى واتساعها واستبلاؤها على القلب ، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شوائب الدنيا وحطوطها ، وبحرى ذلك مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش ثم يتولد من هذا البذر شجرة الحمة والمعرفة . والتي يوصل العبد إلى هذه المعرفة بعد اقتطاع شراغل انديا من القلب هو السكر الصافي ، والذكر النائم ، والجهد الجافع في العبادة ، ولطرق المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته سمواته وسائر مخلوقاته . والواصول إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى أقرباء وصعفاء . فالأقرباء يكون أول معرفتهم لله تعالى ، ثم به يعرفون غيره . أما الصعفاء فيكون أول معرفتهم بالذليل ثم يترقون بها إلى التماس . وإلى الأقرباء الإشارة بقوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو) الآية . وإلى الصعفاء بقوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وغير ذلك من الآيات الواردة في القرآن الكريم .

واعلم أنه لا يمكن ذكر معرقات هذا الباب لاتساعه . وإنما يحين القارئ إلى ما كتبتاه في باب التمسك في خلق الله تعالى ، ليرى عظم ملكه وجلال قدرته وإبداعه في مخلوقاته في ملكوت السموات والأرض . ولكن لا تترك القارئ من غير أن نأتي له هنا بمثل واحد على سبيل القياس ، فنذكر أصعب الحيوانات وأصغرها حجماً وهو البعوض . فانظر في البعوض على قدر صغر حجمه وتأمله بعقل حاصر ومكر صاف ، وانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الصل الذي هو أعظم الحيوانات ، إذ خلق له خرطوماً مثل خرطوم الفيل ، وخلق له على حجمه أصمير سائر الأعضاء كما خلقها للفيل . من ريشة جناحين . وانظر كيف قسم أعضائه الطاهرة فأبدت جناحه وأخرج يديه ورجليه وشق سمه ونصره ، وحق في بطنه من أعضاء العداء وآلاته ما خلقه في سائر الحيوانات ، ثم هداه بعد ذلك إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ، ثم انظر كيف خلق الخرطوم الطويل وهو يحدد الرأس ، وكيف هداه إلى مضمحلد الإنسان حتى يصنع خرطومه في واحد منها ، ثم كيف رزقه القوة حتى يعر فيه الخرطوم ، وكيف عليه المن والشرع للدم . وكيف خلق الخرطوم مثقوباً مع دقة وحدته كي يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى بطنه وينشر إلى سائر أجزائه فيغديه ، ثم كيف عليه سحيلة الطرب إذا مد الإنسان يده إليه ، وخلق له السمع الذي يسمع به حفيف الحركة

اليد وهي بعيدة منه فيترك المص ويهرب ، ثم إذا سكنت اليد رجع . ثم انظر كيف
حق له حدوتين بصير بهما موضع عرائنه مع صغر حجم وجهه ، ولما كانت حدقة
الحيوان الصغيرة لم تتحمل إلا جفلاً . فقد نقص احاق "عظيم خلق يدين للبعوض
والنمل لتسحهما الخدقين على سدوم لتقوم مقام الاجتماع عند الإنسان
والحيوانات الكبيرة . وكفى لضعف بصره تراه تنهات على السراج ما يلب ظناً منه
أنه في بيت مظلم وأن السراج باقده نوراً به إلى المكان الذي فيه ضوء النهار ، لأن
البعوض بطبيعته ولضعف بصره يتطلب ضوء النهار متى أظلم الليل ، فلا يزال يطلب
الضوء ويرى بنفسه إلى السراج إذا جاوزه ورآى الضلام ظن أنه لم يصب النافذة
فيعود على السراج مرة ثانية وثالثة إلى أن يحترق ، ولعلك تظن أن هذا نقصان منه
أو جهل . فإذا رأيت ذلك فاعلم مع الحر الشديد والأسف "عظيم أن جهل الإنسان
أعظم من جهل هذا البعوض المكين "الضعيف النظر بطبيعته . لأن صورة الإنسان
في الانكباب على شموع الدنيا هي بعينها صورة الفراش في التنهات على النار . إذا
تلوح للأدى أبواب الشهوات من حيث ظهر صورنها ولا يرى أن تحبها السم الرفع
القاتل ، فلا يزال يرى نفسه عليم إلى أن يغمس فيها ويتقيد بها وبذلك هلاكاً مؤثراً .
فلما كانت نتيجة جهل الأدنى كانت كمنفعة جهل الفراش فإن الفراش إذا عاينها بظاهر
الضوء إن احترقت تحببت في الحال . وأما الأدنى بما أنف حسرة عليه يبق في النار
أبد الآبأد أو مدة مديدة حتى يشاء الله . ولذلك كل ينادي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بالمؤمن رؤوف رحيم ويقول (في مملكتك تحجزكم عن النار وأنتم تهافتون
فيها تنهات لفراش) (في) هذه لعة غيبه من عذب صبح الله تعالى في أصغر الحيوانات .
وفيها من لعنت ما لو اجتماع الأولون والآخرين على أن يحبطوا لسهه معجروا
عن إدراك حقيقته الظاهرة . أما ختمها معاني ذلك فلا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى
واعلم أن في كل حيوان وسبب أعجوبة وأعاجيب تخفى لا يشركه فيها غيره ، فاطر
إلى النحل وعجائبه وكيف أوحى إليها الله تعالى حتى اتخذت من الجبل بيتاً ومن
الشجر وما يمشون ، وكيف استخرج من لعينها الشمع والعسل وجعل أحدهما
صبياء والآخر نسلهم ، ثم لو تأملت عجب أمرها في تناولها الأدهار والأثمار

واحترازها عن النجاسات والأقذار ، وإطاعتها لكبيرها المسمى أمرها ، وقد سحر الله تعالى العدل لأميرها ، حتى أنه يدير حركة هذه الأمة بالعدل والإنصاف منها ، ولو عرفت أنه يقتل على باب المدخل كل ما وقع منها على نجاسة لقطعت من ذلك عجباً هو آخر العجب ، ولحصل عندك الدهش والوجوم إن كنت بصير آق نفسك فارغاً من شهوات الدنيا . ثم دع عنك كل ديك وانظر إلى شاتها يوتها من الشمع ، واختيار الشكل المسدس من حلة الأشكال الهندسية فلا نبى بيتاً مستديراً ولا مربعاً ولا مستطيلاً ولا منحساً ، بل تبنى على الشكل المسدس لحكمة هندسية يعجز فهم أكابر المهندسين عن إدراكها ، وهي أن الشكل المربع يخرج منه روايا صائغة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيق الروايا وتبنى فارعة ثم لو شأها مستديرة لبقيت خارج البيوت مخرج صائغة فإن الأشكال المستديرة إذا حمت بحوار بعضها تواجدت خلاطاً فرج ، ولهذا اختار بينه على الشكل المسدس وهو الشكل الذى لا يترك مخرجاً إذا جمع لبعضه وهذه خاصية لا توجد إلا فى هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر حجمه أطعماً به وعناية لوجوده ما هو محتاج إليه ، لينها بعيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه فاعمر أيها العبد بهذه النعمة اليسيرة من أصغر الخيرات ولا تركها بمر عليك وأنت غاف عن الدمل فيها لأن هذا وبال عليك . أما عجائب ملكوت السموات والأرض فدعها عنك فإن المقادير الذى لعه فهما من ديك تنقص الآثار الطوال دون زيفه فالنظر إلى هذه المعجائب وأمثالها تزداد المعرفة ، ويزيد المعرفة تزداد المحبة ، فإن كتب طبيباً لسعاده اللقمة فابعد دسا وراءك واسمعون الصبر في الذكر الدم والفكر المستمر فمساكك تحطى بها فقد يسير تـ بذلك الصبر مسكاً عطياً لا آخر له إن شاء الله تعالى

باب فى أخلاق السلف رضى الله عنهم

والكى يلم القارىء الكريم بعض أخلاق السلف من المسلمين . أذكر هنا نبذة يسيرة من أخلاقهم على سبيل التفيه والتذكير
من أخلاقهم رضى الله عنهم — أنهم كانوا يلزمون الكتاب والسنة فى أقوالهم

وأما علم كل زوم الطل للشخص ولا يتصدر أحد منهم للإرشاد إلا بعد التبحر في علوم الشريعة المطهرة فمن لم يقرأ القرآن ويحفظ السنة ويفهم معانيها لا يصح الاقتداء به

ومن أخلاقهم - نفوسهم إلى الله تعالى في أمر أنفسهم وأولادهم وأصحابهم فلا يكون معولهم في أمر عدايتهم إلا عليه عز وجل ولا يطلبون شيئاً قط بأنفسهم .

ومن أخلاقهم - غيرتهم لله تعالى إذا انتهكت حرمانه بهرة للشريعة فكانوا لا يفهمون فصلاً ولا يصحبون أحداً إلا أن علوا رضا الله تعالى فيه فلا يحسون أحداً ولا يعصونه لعة دينوية وقد ورد أن الحب لله والغضب في الله من أوثق عرى الإيمان .

ومن أخلاقهم - كثرة ليكاه والاعتبار والاهتمام بأمر الموت إذا رأوا جندرة . وكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا رأى أحداً يحمل جنازة يقول امض إلى ربك فإننا على إترك ماصون . وكان الخوارج يملأ قلوبهم من خوف الموت وسكراته وخوف سوء الحاتمة وكان أحدهم يأخذ في الفكر والخوف حتى يعيب عن الحاضرين .

ومن أخلاقهم - موافقتهم على قيام الليل صيفاً وشتاءً . وكانوا يرون ذلك مرضاً عليهم لم فيه من القربات العظيمة . قال عليه الصلاة والسلام (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستعمرني فاعمره) (ح) وفي الخبر (عليكم قيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقرنة إلى ربكم وسكبر لخطاياكم ومنهية عن الآثم ومطرودة للداء عن الجسد) . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام (يا داود كذب من ادعى محبتي فإذا جئته الليل نام عني) وورد أن الله تعالى يباهي الملائكة بالعباد إذا قام يتشهد في الليل . والقول الفصل في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى نورمت قدماه . وقال رجل لبراهيم بن آدم إن لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء . فقال له لانهضه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل . ونام إبراهيم ليلة في بيت المقدس فسمع صوتاً من جانب الصخرة يقول . قيام الليل يطفئ لهب

البارويشت الافقام على لصراط - وكان عند الله من المبرك رحمه الله تعالى كثيراً ما ينشد قول الشاعر :-

إذا ما نبيل أطمع كاسدوه فغفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نوحهم فقاموا وأهل لأم في الدنيا طوع

ومن أخلاقهم - تقديم أعمال الآخرة دائماً على أعمال الدنيا فيتم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته كما يقدر "تهدد في الليلة الساردة على يومه تحت اللحاف" وعنى ذلك فكل من أصبح - معه أسية فهو خارج عن طرقتهم .

ومن أخلاقهم - ردتهم غمور المؤمنين من وقت لآخر عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (روروا لغيرهم بكرم الآخرة) وهذا الحال قد من بعمل به لأن من ليس اقل دحوا المقاب فيس في دحولم أعمال وإما كال عندهم كمر عادى مش ريارتهم ثبت في أول جمعة أو عند تمام الشهر

ومن أخلاقهم - عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً بقوله عليه السلام (لا يجلس قوم مجلساً لم يذكروا الله به ولم يصلوا على سيهم محمد صلى الله عليه وسلم إلا كآب عليهم زرة - أى تيمة - ونقصاً يوم القيامة) ، أو كما قال - وكان العصيل من عجايب رحمه الله تعالى يقول إذا ذكرتم أحق في مجلسكم فادكروا الله تعالى فإن ذكره دواء لمرض ذكر أحق . وكان بعضهم بطرب ويعرج دكر الله تعالى ويقول إلى طرف ومرحى بدكر الله لى . فإنه سبحانه تعالى يقول (فادكرونى أذكركم) وكان بعضهم إذا منى في طريق لم يذكر الله تعالى فيها رجع ثانية وذكر الله ونو مرحلة ويقول أن أحب أن تشهد لى قاع الأرض التى أمر فيها يوم القيامة - وكان يحيى من معاد رحمه الله تعالى يقول حادثوا السلوب فيها سريعة العنة ، وكان وهب من منه يقول - وأعجباً من الناس يكون على من مات حسده ولا يكون على من مات قلبه وهو أشد .

ومن أخلاقهم - اجتناب الجلوس في السوق لبيع أو شراء إلا بعد معرفة أحكام الشرع في المعاملات وغلبة طهم أنهم لا يشتغلون بذلك عن أعمال الآخرة . لأن كل ما يشغل عن الله فهو شوم على صاحبه في الدنيا والآخرة . وروى أن

الامام مالك رضي الله عنه كان يأمر الأمراء فيجملون التجار والوقفة ويعرضونهم عليه فإذا وجد أحداً منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق ، وكان فتاة رحمه الله يقول : عمّا لما جر كيف يعلم وهو بالنهار يحلف و - فين يحسب

ومن أخلاقهم - أنهم يرون أنفسهم لم يقوموا بدرة واحدة من شكرهم وذلك لأنهم يرون أن جميع ما يشكرونه به من حلة نعمة عليهم فلا تنفس نعمة أبداً ولا يقدر أحد أن يقابل شكر وكان بكر بن عبد الله المرفي رحمه الله يقول - ما قال عبد الله بن محمد إلا وجب عليه شكر آخر - وكان سهل بن عبد الله القسري يقول آدم الشكر لله تعالى أنك لا تعصب سمعك عليك في حوار حيث كل من نعمه عندك فلا تنصه بشيء منها . وقد كان محمد ومكحول رحمهما الله تعالى يقولان في قوله تعالى (ثم نسأل يومئذ عن النعيم) إيه نكشرا - انبارد وظل المساكين وشيع لظن واعتدال الخلق وليلة الختام .

ومن أخلاقهم - كتبهم الأسرار وعدم إنشاء ما يسمعونهم وفعلوا قلوب لأحرار قبور الأسرار ولكن هذا الخلق قل من يحافظ عليه في هذا الزمن من ربما سمع الإنسان كلمة في حق أخيه فيبادر بتبجيله إياها ولو حرت الديار وقد ذكرنا في باب دم العتمة وإنشاء السر بعض ما ورد في دم ذلك وكان عبد الله بن المبارك يقول - لا يقدر على كتاب ما يسمع إلا من صح سمعه ، وأما ولد الرأيا به لا يستطيع لكتاب فاطر كيف شه دفن الحديث بولد الرأيا لدى لا أصل له فتفهم ذلك

ومن أخلاقهم - كثرة التوبة والاستغفار لا سيما الأهم يرون أنهم لا يسألون من الذنوب في فعل أو قول حتى في صاعتهم فيستغفرون من قصصهم في خشوعها ومن عدم مرفة الله تعالى فيها وقد ورد من أخبار في أبواب هذا الكتاب كبر في أمر توبته والاستغفار . ما قولك سلف وكان محاهد رحمه الله تعالى يقول - من لم يبت كل صباح ومساء فهو من الضالين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول - ليلة واحدة بعد توبة أقبح من سبعين ليلة فلها وكان القسري بن عباس

يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد — عليكم بالثوبة فإنها ترد عنكم ما لا ترد السبوف ، وكان حبيب بن تمام رحمه الله تعالى يقول . من وقع في دنب ثم خاف من الله تعالى أن يعذبه عليه غفره الله له . فاعلم ذلك يا أخى وأكث من الاستعمار ما دمت في هذه الدار فإنه يطفى غضب الجبار . واعلم أن المؤمن لا يطمئن حتى يدخل الجنة — جعل الله وإياكم من أهلها رحمته .

ومن أخلاقهم — التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت فكان أحدهم ينتشر عظمة الله تعالى شيئاً فشيئاً من وقت وضوئه ومن وقت أن يبادى بحى على الصلاة حتى يصل إلى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه . وقد كان الشيخ أفضل رحمه الله يستند للوقوف في الصلاة في دخول الوقت بـ من كآب ثقيل له يوماً أنت محمد الله ليس لك علاقة دنيوية تمنعك من الحضور فقال إن لكل إنسان عوائق بحسب مقامه ولو لا الحجاب الذى لم يقل الصلاة لما رت ألواهم عند القيام إليها . وقيل إن الحسن البصرى رحمه الله تعالى رأى رجلاً يمشى بلحيته في الصلاة ثم سمعه وهو يقول في سجوده اللهم روجى في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني فقال له الحسن . يا هذا ما رأيت خاطباً للحور أقل حياء منك تحط الحور من الله تعالى وأنت تلعب . وكان مسلم بن يسار رحمه الله تعالى إذا دخل في الصلاة لا يدرى أى شيء يكون من حوله . وكان رحمه الله تعالى يقول لأهله لا ترفعوا أصواتكم عندي إلا إذا رأيتهم في دخلك في الصلاة . فإني إذا كنت فيها لا أسمع شيئاً من كلامكم . وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول . قال داود عليه الصلاة والسلام يارب من الذى يقبل صلاته ويبغى له أن يدخل بيتك — يعنى المسجد فأوحى الله إليه — من نواضع لعظمى . وقطع نهاره بذكرى . وكف نفسه عن الشهوات من أحمى . وأطعم الجائع . وأوى الغريب . ورحم المصاب . فذلك الذى ينبغي له أن يدخل بيتى وأجيب دعاءه . وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول — لقد أدركنا الناس وأحدهم إذا دخل المسجد ارنعد وتغير من شدة هيبه الله حتى لا يعبى شيئاً من أمور الدنيا . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول — من جلس في المسجد وإنما يجالس ربه عز وجل . وميأنى على الناس زمان يجلسون في المسجد حلقاً

حديثهم فيه الدنيا فلا نجا لهم (قلت) هذا في الحديث المباح فما بالك بمن يجلسون في المسجد يستغيثون فيه العناء والصالحين والمسلمين عامة يسأل الله العافية .

فتب له قلناه يا أحمى في هذا الباب من أخلاق السلف عسى الله أن يجعلنا منهم

باب في كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة

إعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملوك والدنيا هي حالك في الموت ، والآخرة هي حالتك بعد الموت ، ولا يمكن التكلم عن شيء من أحوال الآخرة إلا بصرف الأمثال ، لأنها من عالم الغيب ، ونحن هنا أيام وبذا متنا انهمنا وانكشفت لنا الحقيقة ، وعلى ذلك في ذكره لك عن كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسب والسيرات وهو على سبعين المثال ، وفهم من هذا المثل معناه لاصوره فالناس في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا بدخل تحت حصر ، كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ، فلا سبيل لإحصاء الدرجات متفقاً ولكننا نقول فيما يختص بإحصاء الأقسام ، إن الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام — هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفوزين — ومثل ذلك أن ينشأ ملك من الملوك على رقيم من الأرض ، يقتل بعض الأهالي فهم الهالكون ، ويعذب بعضهم مدة ولا يقابلهم فهم المذبذبون ، ويترك بعضهم فهم الناجون ، ويجمع على بعضهم الخلع فهم الفاترون وهذا مع عدد الملك لا يكون إلا باستحقاق ، فلا يقتل إلا الجاحد لدى عاداه في المسكة وأسكر ملكه ، ولا يعذب إلا من قصر في خدمته ، مع الاعتراف بملكه ، ولا ينجى إلا من اعترف له برتبة الملك ولم يقصر في خدمته ، ولا يجمع إلا على من أبلى عمره في خدمته ماضراً له ، على أن يكون في كل قسم من هذه الأقسام تفاوت ، سواء كان في كيفية القتل ، فهم من يقتل شقاً ، ومهم من يقتل رمياً بالرصاص ، وغير ذلك بحسب درجاتهم في المعادة ، وتعذيب المذبذبين يتفاوت أيضاً في الحقة والشدة وطول المدة وقصرها بحسب درجات نقصهم ، وكذلك الخلع منها الثمين ومنها المتوسط ومنها الأقل ، والناس في الآخرة يتفاوتون ، فمن هالك أي مخلد في النار ، ومن معذب قليلاً أو كثيراً ، ومدة العذاب تتفاوت من لحظة إلى سبعة آلاف سنة

وذلك آخر من محرر من النار . لقوله صلى الله عليه وسلم من حديث أن هـ :
(إن آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة) (ت) . ومن ناح يحل في دار
السلام . ومن فاز يحل في جنات عدن أو جنات الأوى ، أو جنات الفردوس .
وكذا المالكون الأيسرون من رحمة الله تعالى تنفارت دركاهم في جهنم ، وتنقسم هذه
الدركات والدرجات يكون بحسب الطاعات والمعصية . وإليك كيفية التوزيع -
الرتبة الأولى - وهي رتبة المالكين الأيسرين من رحمة الله تعالى وهي لا تكون
إلا للجاحدين والمعرضين عن آيات الله المنجدين للدنيا ، المكدين بالله ورسوله
وكتبه واليوم الآخر - الرتبة الثانية - وهي رتبة المعدنين الذين آمنوا وكنهم
فصروا في الوفاء بمقتضى الإيمان ، أى هم المؤمنون العاصون ، فالعذاب يكون بحسب
قوة الإيمان وضعفه ، وكثرة الطاعات وقلة ، وكثرة السيئات وقلة . فالعصاة
(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظم اليوم) - الرتبة الثالثة - وهي رتبة الحاجين
وأعلى من هذه السلامة فقط دون السعادة والنعور . فيه قوم لم يخدموا بخلق عليهم ،
ولم يقصروا بعد ثواب ، ويسته أن يكون من حال المحابين والصبيان من تكدر والذين
لم تلعبهم الدعوة وعاشوا على الله وعدم المعرفة ، فلم يكن لهم طاعة بقرهم ، ولا معصية
سعدم . فم من هل الجنة ولا من أهل النار ، بل يزلون في منزلة بين الجنة والنار
عمرهم . لشرع بالأعراف - الرتبة الرابعة - وهي رتبة الفائزين وهم العارلون بالله
معالي المقربون السابقين ، الذين عمر الله تعالى عهد في كتبه الكريم بقوله (فلا تعلم
نفس ما أحق لهم من قررة أعين حراء بما كانوا يعملون) وهذا القدر كاف للقياس
والله أعلم

باب في بيان أسباب سوء الخاتمة

اعلم أن سوء الخاتمة على اثنين إحداهما عظم من الأخرى - فالرتبة الأولى
وهي الرتبة المنفة هي أن يعذب على قلب عدد سكرات الموت وظهور أهله إما
الشك وما أخرجود فتشخص الروح عن هذه الخاتمة والله أعلم . ويكون مدعب على
القلب من المحرود أو انشك حجة أو من بعد وبين أنه بعد . وذلك يقتضى المعد
الدائم ولعداب المحمد - الرتبة الثانية - وهي أقل من الأولى ، هي أن يعذب على

قلب العبد عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها ، فيتمثل ذلك في قلبه ويستولى عليه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغير هذا الأمر ، وهذه الشهوة ، فيتفق قسور روحه على تلك الحالة التي جعلته باطراً إلى الدنيا وصار وجهه إليها ، ومتى انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الخجاء ، ومتى حصل الخجاء رل العذاب ، فإذا اتفق قسور الروح في حالة حب الدنيا فالأمر خطر ، لأن المرء يموت على ما عاش عليه ، ولا يمكن للقلب أن يكفب صفة أخرى بعد الموت بخلاف الصفة التي مات عليها ، إذ لا انصرف في القلب إلا بأعمال أعصاء الجسم ، وقد نعت الأعصاء بالموت فبطلت الأعمال ، فلا مطمع في عمل ، ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ، لينتارك العبد ما فاته من قطاعات ، فعند ذلك تعظم الحسرة وتشتد الندامة في قلبه لما السبب الذي يرجب سوء الخاتمة ، فاعلم أن هذه الأسباب كثيرة لا يمكن إحصائها ، ولكن يمكن الإتياء إلى مجموعها فيقول — عن الرسالة الأولى وهي الختم على الشك أو الحدود وينحصر سبعة في شئين — الأول — أن يعتقد لرحل في ذات الله تعالى صفاته وأفعاله خلاف الحق ، فيصير خلاف ما هو عليه ، وذلك إما برأيه الخاص وإما بانقيبه من رحل آخر — فإذ ظهر للعبد ملك الموت — واضطرب القلب ، ربما يكشفه في حال سكرت الموت بطلان ما اعتقده جهه ، لأن حال الموت حال كشف العطاء ، متى بطل عنده ما كان يعتقد مثب ذلك بطلان بقية اعتقاداته ، أو يجمع بينك في صحتها ، فإذا اتفق زهوق روحه في هذه اللحظة قبل أن يشتد ويعود إلى أصل الإيمان ، فقد ختم له بالسوء وحرحت روحه على الشرك وأمثال هذا هم المرادون بقوله تعالى (وندا لهم من الله ما لم يكنوا يحسنون) ولهذا الخطر يجب على الانسان أن يعلم أمور دسه من تعصاء الدين يثق في عيهم كي بعد الله على علم ، وينجف سؤر أن أشدود الخارحين عن الإجماع مدع — بن العلم والمعرفة وهم في شهوات الدنيا عاقون وعنى ذلك فكل من عتقد في لله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً عى خلاف ما هو به ، إما شليداً وإما مأ ، أية ، فهو في هذا الخطر أما لله فهم بعيدون عن هذا الخطر لأنهم آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً راسخاً ، كالأعراب وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث ولم يجرموا

برأى لهم في التوحيد . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثر أهل الجنة البله) (الرار) ولنعلم أن السلامة كلها في أن يشتمل كل منا بالأعمال الصالحة ولا يتعرض لما هو فوق طاقته فكل من ترك الإيمان الساذج وخاص في البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة

والسبب الثاني - هو ضعف الإيمان في الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ، ومنى ضعف الإيمان ضعف حب العبد لله تعالى ، وقوى عبد العبد حب الدنيا حتى لا يبق في قلبه موضع لحب الله تعالى ، إلا من حيث ما يسمعه من حديث الناس ، فلا يظهر لهذا الحب أثر في مخالفة نفسه والمعدل عن طريق الشيطان ، فيتبع شهوات الدنيا حتى يسود قلبه ويقسو وتتراكم عليه الديون عليه ، فتطوى نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً ، فإذا جاءت سكرات الموت أرداد حبه لله ضعفاً ، لما يدور عنده من استنساخه معارفه الدنيا ، فيحتلج صميره ويكره الموت وينكره من حيث أنه من الله تعالى ، يشور في باطنه بتمسك الله تعالى بل الحب فإذا انفق رهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرات ، فقد حتم له بأسوء وهلك هلاكاً مؤبداً .

فيعلم حينئذ أن كل من فارقه روحه في حبة ما يحظر بباله إكباره على الله تعالى في تقدير الموت عليه ومعصية قلبه لبعض الله في تعريقه بينه وبين أهله وماله وحببه ، فإنه يقدم على الله قدوم العبد المبعص الكاره ، وكان جراًؤه عند الله الخزي والئكال وأما الذي ينوي على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم الحب المشتاق إلى مولاه

الرتبة الثانية - وهي أقل من الأولى وليست مقتضية الخلود في النار ، فلها أيضاً سبيل - السبب الأول - كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان - والسبب الثاني - ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي . وذلك لأن مفارقة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب لكثرة الآلفة والعادة ، وجميع ما أنعمه الاسباب في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند الموت ، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره عند الموت ذكر طاعة الله - وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي ، غلب ذكرها على

قلبه ، فربما تفيض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ، ومعصية من المعاصي .
 فيتقيّد بها قلبه ويصير محجوراً عن الله سبحانه وتعالى . فإدى لا يرتكب المعصية إلا
 حين بعد حين . فهو بعيد نوعاً عن هذا الخطر والذي لم يرتكب ذنباً أصلاً .
 فهو بعيد جداً عنه . أي ، إدى عبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته . وأصح
 قلبه بفرحها أكثر من فرحه بالطاعات . فهذا الخطر عظيم جداً بالنسبة له . ونعرف
 هذا بمثال . وهو أن الإنسان يرى في منامه كثيراً من الأحوال التي يراها في نهاره ،
 فالذي قضى عمره في دراسة الفقه - ي الأحوال المتعلقة بالعلم والثناء في منامه
 أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة وكذلك لتاجر يرى الأحوال
 المتعلقة بالتجارة وأعماله أكثر مما يراه الطبيب والعقيد ، لأن ما أشغل القلب في
 اليقظة يظهر في حالة النوم والموت شبه النوم فعند سكرات الموت وما يتقدمه
 من الدهول يعود إلى القلب ما كان يألمه في الحياة فيذكره . واعلم أن من وقفت
 سميتها في لجة البحر وهت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كان لنجاة في
 حقه أهد من الهلاك . وقل المأمن أشد اضطراباً من السبعة وأمواج الخواطر أعظم
 إلغماً من أمواج البحر . والأمر والله أخوف ما يكون . والمخوف فيه حاطر سوء
 يحطر عند خروج الروح فقط . وهو الذي قد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (إن الرجل ليتعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يتبقي بينه وبين الجنة
 إلا ذراعاً ناقة فيضخم له بما سبق له الكتاب) (ق) . واعلم أن فواق الناقة لا يتسع
 لأعمال توجب الشقاوة لأنه وقت قصير . بل هي الخواطر التي تحطر حطو الرق
 الحاطف . بحما الله رحمته وكتب لنا وللسنين السلامة . ولأجل هذا الخطر العظيم
 كان النطق بالشهادة محمداً عند المات . وكان موت الفجأة مكروهاً لأنه ربما يتهق
 عند مرور حاطر سوء واستبلاؤه على القلب . أما النطق بالشهادة عند الموت فهو
 عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى ، وقد خرج
 عنه حب الدنيا والآهل والمال والولد وجميع المحبوبات الدنيوية - ختم الله لنا بخاتم
 للسعادة . وجعل آخر كلامنا من الدنيا الشهادة

باب في النهي عن تمنى الموت

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ من به ، وإن كان لا بد فاعلا فيقل اللهم أحبي ما كانت الحياة حيرا لي وتوفى ما كانت الوفاة حيرا لي) (م) وقال عليه السلام (لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلهذه يزداد حيرا ، وإما ميسرا فلهذه أن يستغف) عن أنس ، واعلم أن الموت كفارة لكل مسلم . قال عليه السلام (الموت كفارة لكل مسلم) (ح) قالت العماء ، إنما كان الموت كفارة للمسلم لما بلغه في مرضه وفي قره من الآلام بدليل قوله عليه السلام (ما من مسلم يعييه أدى من مرض فما سواه ، لا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) (م) واعلم أن مصيبة الموت من أعظم لمصبات وقد سمى الله تعالى في القرآن مصيبة قال تعالى فأصابكم مصيبة الموت) وأعظم من مصيبة الموت مصيبة العنة عن الموت والإعراض عن ذكره وقته المنكر فيه والاستعداد له قبل نزوله

باب في فضيلة ذكر الموت

إعلم أن الموت أمر هائل وحيز عظيم ، وإن من في عيشه عنه لعدم تكبيره فيه وقته ذكره له وسب ذلك أن المهمات في الدنيا المكعب على متاعها المحب لشهواتها ، تجعل قلبه لا يحاذي عن ذكر الموت . وقد ذكره كرهه وبهر منه ، لأن ذكر الموت مؤلم لمثل هؤلاء . ومن في ذلك ثلاث إما مهمك ، وإما نائب مبتدى ، وإما عارف منه . فالنهمك الذي لا يذكر الموت وإذا ذكره فإنه يذكره للأسف على فراق الدنيا . وأما النائب المبتدى فإنه يذكر الموت بيبعث منه في قلبه الخوف من الله تعالى ، فيقيم تمام التوبة ، وقد يذكره الموت خوفاً من أن يحتجبه قل بعداد الرد . وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعده لبقاء الحسب ، والمحب لا يبسى مطلقاً موعده لقاء حبيبه ، وهذا النوع يتمنى الموت ليخلص من ذر العاصين ، وينتقل إلى حوار رب العالمين . وأعظم من هؤلاء مربيه الذي يفوض أمره لله فلا يتختر لنفسه موتاً ولا حياة ، بل يكون أحب لأشياء إليه أحبها إلى الله عز وجل وهذا انتهى فرط الحب والولاء

وذكر الموت له فصائل قد رسول الله صلى الله عليه وسلم (أكثرُوا من ذكر هامة اللغات) (ت) ومعهم ذلك أنه يحب على الإنسان أن يتعص له به دائماً بذكر الموت . قال عليه السلام (لو نعلم اليهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سمياً) (هـ) وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحضر مع المصيبة أحد قد (نعم من يذكر الموت في ليوم وأنبه عشر مرة) (ق) وسبب هذه النصيحة أنها أن ذكر الموت يوجب التجدد في العز والاعتدال للأخرة ويعصن لنسب ويرهد في السبب . والعلة عن الموت توجب الاهتمام في شهوات الدنيا - قال عليه السلام (كفى بالموت وعضاً) (ط) وقال ابن عمر رضي الله عنهما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم عن عمر عشرة فقال رحل من الأنصار من أكس اللبس وأكرم الناس يا رسول الله . فقال (أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً) فبأنث هم ألا يكس ذهبوا بشرف الدين وكرامة الآخرة (الأنبياء) وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجمع كل ليلة لمقاه فيتداكرون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جداره . وقال كعب بن عرفة الموت هانت عليه مصائب الدنيا .

قد عرفت أيها القارئ أن ذكر الموت كان يجمع قلوب العارفين وهم المسلمون السابقون . ما ذلك إلا لأنهم نظروا بعين الاعتدال . عرفوا المصير واستعدوا ليوم الرحيل . وما كانوا والله أشد بأساً وأقوى صلماً . وسكنها القلوب البصيرة والإيمان الخالص . وفي أدلك على أقرب طريق لذلك . وهو أن تذكر ذكر أهلك وأهلك وأقربائك الذين ماتوا قبلك . وتأمل كيف كان موته . وتذكر صورهم وأحوالهم وأفعالهم وأصواتهم . وتأمل كيف كان التراب صورهم التي كانت حيلة . وكيف سددت أحراقهم في قلوبهم . وكيف تركوا لسانهم فتردها من بعدهم . ومارقوا أولادهم فتيقنوا بعد طول الأمل بهم . وتركوا متاعهم وأموالهم وارتجوا عن منارهم ومجالسهم . وانقطععت آثارهم وأحارهم فمضى تذكر الإنسان أحياه الذي سقاه وكيفيته موته . وتذكر أفعاله وحديثه . وتأمل كيف كان يعمل ويكفي الحياة ويسعى وراء العيش ناسياً الموت . مرتكناً على قوته وشبابه . وكان معتمداً في

الصحك واللهم والعفة ، وكيف كان يمشى ويمرح ويمرح ، والآن قد انقضت رجلاه
وتهدمت أوصاله ، وقد أكل النود لسانه ، ودانت عيناه ، فأصبحت إذا نظرت إلى
بقيا عظامه هالك منظره ، ومزعت من رؤية عظم وجهه ، ولم تطق رائحة نثنه . مع
أنه كان أخاك الشفوق ، أو أباك الخنور ، أو ولدك البار ، أو صديقك الخيم ، أو
أمك التي شقيت لتريك ، أو أختك التي كانت تفرح لفرحك وتحزن لحزنك ، أو
روحك التي أخلصت في عنرك ، ولكن هو الموت . هو هارم اللذات ، ومفرق
الاحباب ، هو مشيت الحماقات ، قد فعل بهم ما فعل ، وأصر بهم وقت ما نزل ،
فسمعوا النداء إما إلى الجنة وإما إلى النار أيها العاقل . هل يلين قلبك القاسى بعد
هذه الذكرى المؤلمة ، وينصرف عن الدب الدبة ، ويقل على دار الآخرة ، ولم
يكسب بينك وبينها إلا مقدار حروح نفسك أو أقر ، فتصير إلى ماصار إليه السابقون ،
فيأنف من رؤباك أهلوك ، ويمزع منك أحداك قس في باقنى القلب ، وأنت من
العدم خنقت ، وإلى العدم صائر ، وباجار وأنت من الضعف وجدت وإلى الضعف
صائر . ماذا أنت فاعل - انقذ من عظمتك ، من الأمر عظيم ، وأق من رقتك
فان الخطر جسيم . اعتبر عن مصى ، واطلب من المولى الرحيم أن يفلتلك ، فتكون
من رحمته قريب ، في يوم لا ينفع فيه صاحب ولا قريب . واعلم هدايا وهداك الله
- أن ملازمة هذه الأفكار وكثرة ربارد البدر ومث هذه المراضى ، بما يجد ذكرى
الموت في القلب ، حتى يعتب عليه ، بحيث يصير نصب عيبك ، فعند ذلك يمكن أن
تستعمله ، وتحتاجى عن دار العرور ، ونكر ما يهب - نظر أس مطع رحمه الله
يوما إلى داهية تحبه حسبا ثم بكى وقال ، والله لا الموت لكنت بك مسرورا ،
ولو لا ما يصير إليه من سبق القصور لقرت بالسيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديدا حتى
ارتفع صوته رحمه الله .

باب في سكرات الموت وكرهه

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب ، سوى
سكرات الموت وحدها لكان حقيقة بأن ينتمى عيشه ويتكدر عليه سروره ،

ويصدقه سهوه وغفلته . وحق عبه أن يطول فيه فكره . وبصطن له استعداداه .
 لاسيا والموت في كل نفس بعده . كما قال بعض الحكماء - كرب بيد سواك لا تدرى
 متى بعثك - واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من
 دافها . ومن لم يدقها فإنه يعرفها . ما يفتيس إلى الآلاء التي أدركها في حياته . وإما
 بالاستدلال بأحوال الناس في الزرع من شدة ما هم فيه من الكرب . وأما القياس
 فهو أن كل عضو لاروح فيه لا يحس بالألم . فإد كان فيه الروح فيه محس . فلدرك
 حيثئذ للألم هو الروح . ففى أصل العصور جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح
 وبثألم . وفى هذه الحالة يكون الألم مورعاً على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب
 الروح إلا القليل . ولكن إذا كان الألم في نفس الروح . فاعظم ذلك الألم وما أشده
 لأن النزع عبارة عن ألم رل نفس الروح فاشتمل على جميع أجزائه . حتى لم يبق
 حره من أجزاء الروح المنشر في أعماق البدن إلا وندحن . الألم لأن الروح
 حيثئذ هو المروع المنحوب من كل عرق من العروق . ومن كل عصب من الأعصاب
 ومن كل معص من المعاص . ومن أصل كل شعرة من مفرق الرأس إلى القدم .
 فلا تسأل وتشتد عن كربه وألمه . فقد قيل إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر
 بالمشير وقرص بالمقارص . واعلم أن لمصروب بالسيف يستريح ويصيح لقاء
 قوته في قلبه وفى لسانه - أما الميت فقد انقطع صوته وصياحه مع شدة ألمه . لأن
 الكرب قد تعلق فيه ونصاعد على قلبه وعمر كل حره منه . فمد كل قوته وضعف كل
 جراحه . فم يترك له قوة الاستعانة والصلاح . فما إذا بقيت له قوة لسمعت له عند
 نزع الروح وجذها حواراً أو غرغرة من حلقه وحده . تصم الآذان . وتفت الأكاد .
 وترتفع الحدقتان . وتنقلص الشفتان . ويرجع اللسان إلى أصله . وترتفع الأنياب
 إلى أعلى موضعها . وتختصر أديمه . ثم يموت كل عضو من أعضائه . وترد أولاً
 قدماء ثم ساقاه . ثم خذاه . ولكل عضو سكرة بعد سكرة . وكربة بعد كربة . حتى
 يبلغ بها إلى الحلقوم . فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها . ويعلق دونه باب
 التوبة . وتحيط به الحسرة والتندامة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تقب توبة
 العبد ما لم يعرعر) (ت) وقال عليه السلام (اللهم هون على محمد سكرات الموت)

والناس إنما لا يستعيدون منه لجأهم به ، لأن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك
 بغير السوء والولابة ، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام من الموت
 حتى قال عليه الصلاة والسلام (اللهم تلك تأخذ الروح من بين العصب والقص
 والأنامل اللهم فأعني على الموت وهوثة علي) (ابن أبي الدنيا) وعن الحسن
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وعصته وألمه ، فقال (هو قدر
 ثلاثمائة صرة بالسيف) (ابن أبي الدنيا) وردى أنه كان عنده صلى الله عليه وسلم قدح
 من ماء عند الموت فجعل يمدح يده في الماء ثم يمسح بها على وجهه ويقول (اللهم
 هوّن عني سكرات الموت) (ق) وفاطمة رضى الله عنها تقول واكرامه يا أبتاه ، وهو
 يقول (لا كرب عني أبك بعد اليوم) (ح)

فهذه سكرات الموت عند أنبياء الله وأحبابه ، فما حاسا وبحر المهممكون في المعاصي
 وتتوالى علينا مع سكرات الموت ، بقية الدوامي في دوام الموت ثلاث - الأولى
 شدة البرع كما ذكرنا - والثانية مشاهدة صورة ملك الموت ، ودخول أربع والخوف
 منه على القلب - الداهية الثالثة - وهي مشاهدة عصاة مواضعهم من النار وحوهم
 قبل المشاهدة ، وفيهم في حال السكرات قد تحادث قسراهم وسفست للخروج
 أرواحهم ، ولي نخرج أرواحهم ما لم يسمعوا بغممة من الموت بأحدى النشرتين
 إما أشير بأحد الله ، أو أشير بأولى الله بالجنة . قال النبي صلى الله عليه وسلم
 (إن المؤمن إذا حضره الموت نشر برصوان الله وكرامته وأن الكافر إذا حضره
 بشر بعذاب الله وعقوبته) (من الصحيحين) ودخل مروان على أبي هريرة في مرض
 موته فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم اشتد ثم بكى وقال والله
 ما أكره ما أكره على الدنيا ولا جرعاً من هراقكم ولكن استر إحدى البشريين من
 ربي بجنة أم بنار وقال الحسن لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله ومن كانت راحته في
 لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرجه وأمنه وعزه وشرفه . نكتني بهذا
 القدر وسأل الله الكريم الرحيم أن هوّن علينا جميعاً سكرات الموت ، ويخفف
 عما كره برحمته .

باب في أحوال المحتضر عند الموت

وعم أن المستحب عند الموت من صورة مختصر هو لحدوه والسكون ، ومن لسانه أن يكون باضفاً بالشهادة . ومن فله أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أرقب الميت عند ثلاث ، إذا رشح جبينه ، ودمعت عيناه ، ويبس شفتاه ، فهو من رحمة الله قد برئت به ، وإذا غط غطيظ المخنوق ، واحمر لونه ، واربدت شفتاه ، فهو من عذاب الله قد برئ به) (ت) وأما إطلاق لسانه كلمة تشهد فهي علامة أخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة) (ق) . وقال عثمان إذا احتضر لمست فمقه لا إله إلا الله ، فإنه ما من عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت رده إلى حنة . وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكرهم فلهم يرون ما لا ترون . واتقوهم لا إله إلا الله . واعلم أن معنى لا إله إلا الله عند الموت ، هو أن يموت الرجل وليس في نفسه شيء غير الله تعالى ، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق ، كان قدومه بالموت على محبوه غاية للعب . أما إذا كان القلب مشغولاً بدين ماسأفاً على لذاتها ، وكانت الشهادة على رأس اللسان ولم يثبت القلب على تحقيقها ، وقع الأمر في خطر المشيئة ، لأن مجرد حركة اللسان قبل الفاتحة ، إلا أن تنقص عنه بعض الأقوال . وأما حسن لظن فهو مستحب في هذا الوقت . وقد وردت لأحد بعض حسن الظن بالله ذكرت في غير هذا الباب . ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من شاء وهو يموت فقال (كيف تجدك) قال أرحوا الله وأحاف ديني . فقال ليس عليه الصلاة والسلام (ما جتمعنا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله نبي بر حوده وأمتته من أسى يحافه) (ق) ويستحب أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه .

باب فيما يفعل بالمحتضر

من السنة أن يوجه من حضرته الوفاة إلى القبلة ، بأن يجعل على جنبه الأيمن ووجهه لها ، إن كان في الإمكان ذلك ، وإلا وُضع على ظهره ورجلاه للقبلة ، وترفع

رأسه قبلا يصبر وجهه "يها ، ويلقى "شهادة" ليقولها ، قال صلى الله عليه وسلم (لقتوا
أمواتكم لا يؤله إلا الله فإنه ليس مسلم يقرؤها عند الموت ، لا أنجده من النار) (ق)
وقال عليه السلام (من كان آخر كلامه لا اله إلا الله دخل الجنة) (ق) ولا يلح
عليه متى نطق بها إلا إذا تكلم بكلام أجنبي ، فإنه يعادله شقيين ليكون النطق بها
آخر كلامه من الدنيا - ويستحب تلقاه بعد "تخرج من الدنيا وتسوية التراب عليه ،
ويندب أن يدخل عليه حال احتضاره أحسن أهله وأصدق وأحب إليه ، وأن يكثر
من الدعاء له وللحاضرين ، ونسب أن يعده حنظله والنساء والحنث ، ومن
يكرهه ، وكل شيء تنكره الملائكة كآله الله وأبناءه وكلاب - ويندب أن يوضع
عنده طبيب ، وينسحب أن يقرأ عنده سورة (يس) فقد جاء في الحديث (ما من مريض
يقرأ عنده (يس) إلا مات - يان وأحد قره - يان وحضر يوم "قيمة ربان) (د) .
ومن السنة تعريض عبيده ، وأن يقول مغمضه ، بسم الله وعلى ملة رسول الله ، اللهم
اغفر له وارفع درجته في المهديين ، واخطفه في عقبه في الفائزين ، واغفر لنا وله
يا رب العالمين ، وفسح له في قره وبنور له فيه أما كيفية العمل والتكبير وحمل
الميت وتشيع الحمازة ؛ فمبينة في كتب "فقهاء ، وماورد في فضائلهم في الآواب الآتية .

باب في بيان حقيقة الموت

إن الناس في حقيقة الموت طويلاً كادته قد أخطأوا فيها - فظن بعضهم أن
الموت هو العدم وأنه لا حشر ولا نشر ، ولا عقبة نحير والشر وأن موت الأسال
كفوت الحيوانات وجفاف "شباب ، وهذا رأى الملحدين ورأى كل من لا يؤمن بالله
واليوم الآخر . وظن قوم أن الإنسان ينعدم بالموت ولا يأنر بعقب ولا يتنعم
بشواب ما دام في "نقر ، أي أن يعاد في وقت آخر . وقال آخرون إن الروح باقية
لا تنعدم بالموت ، وأن المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وأن الأجساد
لا تبهت ولا تحترق أصلاً . فاعلم أن كل هذه طنون فاسدة وممته عن الحق ، وأن
الروح تنطق به الآيات والأخبار هو الموت معناه تغيير حال فقط ، وأن الروح
باقية بعد مفارقة أجساد إما معدة وإما معمة . ومعارفتها للجسد معناه انقطاع

تصرفها عنه وحروجه عن طاعته ، لأن الأعضاء آلات لروح تستعملها ، فتطش باليد وتسمع بالأذن وببصر العين وتعلم حقيقة الأشياء بحسب وقولها أن القلب عهده عن الروح ، والروح تعلم ما يشاء من غير واسطة ، ولذا قد تألم الروح بنفسها بأنواع الحزن والفرح ، وتستعمل بأنواع الفرح والمروءة ، ولذا دعى للأعضاء في ذلك ، وكل ما هو وصف لروح نفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد — أما ما يخص بواسطة الأعضاء فتعطل بموت الجسد إلى أن يعاد الروح إليه ، ولا بعد أن تعاد الروح إلى الجسد في قبر ، ولا بعد أن تخرج إلى يوم المبعث بحسب ما حكم الله به على كل عبد من عباده ، وبه تعطل الجسد بالموت يشبه تعطل بعض الأعضاء في الحياة بفساد يقع فيها ، مثل الشلل ، فهو يمنع تعود الروح في العصور لدى حاله في الوقت الذي يكون فيه الروح ، وفيه مستعملة لتبقى للأعضاء الغير مصانة . وبما ذلك أن العصور متى حال به شلل فتدفع على الروح ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها لتعطيلها جملة واحدة . وأعلى بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم والآلام الغموم ولذات الأفراح ، ومهما طش تصرفها في الأعضاء فلم تبطل صفة العلم والإدراك للأفراح والغموم ، ولا يظن بها شعورها للآلام والشدات — والإنسان بالحقيقة هو هذه المعاني وهي باقية لا تتعدم بانعدام الجسم ، نعم ، تغير حال الإنسان من حين — إحداهما أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه وبده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه ، وسلب منه أيضاً ما به ودوره وعقاره وسائر أملاكه — أما الحجة الثانية فهي أن ينكشف له بالموت ما لم يكن مكتشفاً له في الحياة ، كما قد ينكشف بتبقيط ما لم يكن مكتشفاً في النوم — (وأليس ياء يوم ما رواه نقبوا) — وأول ما ينكشف للعبد ما يصره وما يجمعه من حسنه وسيئته ، وهو ما هم الكاتبون بإثباته ، وقد كان مسطوراً في كتاب مضمون في مرآة قلبه ، ومن يحجب عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا ، فإذا نقصت الشواغل انكشف له الحجاب ، ورأى جميع نعمه ، فلا ينظر إلى سيئته إلا وتحسر عليها تحسراً شديداً ، يحس أن يحوص عمره للدار للحلاص من تلك الحسرة . وينكشف كل ذلك عند تقطاع نفس مباشرة ، وقبل الدفن ،

فتشتغل فيه بمران نغراق ، أعنى فراق ما كان يحبه من هذه الدنبا إلا ما كان منها
لأجل الزاد والكفر

واعلم أن صحيفة "لعد بشر مرتين مرة في القيامة الصغرى ، ومرة في القيامة
الكبرى . وأعنى باسمه الصغرى حبة الموت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
(الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته) (ابن أبي الدنيا) قيامة الموت خاصة
بالمعد ، وبعدها يقال له (ولقد جثتمونا فتردى كما حسنتكم أول مرة)
وفيها به ، (كفى بغيرك اليوم عليك حبيباً) وقال عليه الصلاة والسلام (إذا
مات أحدكم فاعرضوه عنه مقعده غدوه وعشيبته من كل من أهل الجنة من الجنة
ولما كان من أهل دار من دار وينقل من مقعده حتى تبعث إليه يوم القيامة)
(ق) ويوم لتيمة هو تقيمه الكبرى جامعة لجنه خلق ، فلا يكون الإنسان
وحده بل يجب بحسب عى ملا من الخلق ، وبه يسقى للمؤمن إلى الجنة ، والمجرمون
إلى نار دمر لا أفراد - واعلم - حقا وبجاء الله - أن الهول الأول هو
القبضة الصغرى ، وهو مشبه طول "قيامة الكبرى ، وسكن بينهما بعض كبسة
الولادة الصغرى في ولادة الكبرى - وأنولاده الصغرى هي خروج الإنسان من
الصلب وانتراف من مسودع الأرحام - و"ولادة" الكبرى هي خروجه من
مصبق الرحم إلى قضاء العلم - فسيه عموم القيامة الكبرى إلى خصوص قيامة
الصغرى كسبه سعة قضاء العلم إلى سعة قضاء الأرحام فالعبد المقرب بأقيمتين
مؤمن بعالم لعب وشهادة - أما المقرب بغيره نصرى دون تكبرى فهو في غاية
الجهن والصلال

واعلم أن المؤمن يكشف له عقب موته من سعة جلال الله ، ما تكون الدنيا
بأنسية به كاسجر ، ويكون مشبه كالمجنوس في بيت مظلم فتش له باب إلى بيت
وسع الأرجاء لا يبلغ طرفيه ، أقصاه . فيه أنواع الأشجار والأزهار والأشجار والطيور
فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم ، وقد صرح له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثلا فقال لرجل مات (أصبح هذا من نخلا عن الدنيا وتركها لأنها فان كان قد
رضى فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى طن أمه)
(ابن أبي الدنيا) .

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهداً أولوا تبصائر بمشاهدة باطية أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد سكتات والسنن. وقد روى أن الميت يعلم ما يكون في أهله بعده ويعرف من يعمله ومن يكفنه. قال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الميت يعرف من يعمله ومن يحمله ومن يديه في قبره)، أحمد (وقال عليه السلام) (لا تصحوا أمواتكم بسينات أعمالكم فاتها تعرض على أوليائكم من أهل القبور) (ابن أبي ثنيا) وقال مجاهد إن الرجل لينشر صلاح ولده في قبره. وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن نفس المؤمن إذا قبضت نفاها أهل الرحمة من عند الله كما يلقى الشير في الدب، يقولون أطروا أحكم حتى يستريح فانه كأن في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة هل تروحت فلانة؟ فإذا سأله عن رجل مات قلبه وقال مات قلبي، قالوا لا والله وإليه راحعون ذهب إلى أمه لهاوية) (طب) (نجانا الله وإياكم من ذلك).

باب في ما يجب أن يقال عند موت الولد أو القريب

يجب على من مات ولده أو قريب له أن يعتبر ذلك كما لو كان في سفر هو وأهله فسبقه الال إلى البلد الذي هو مستقره ووجهه، ولا يعظم حزنه عليه، لعلمه أنه سيحقق به قريباً، وليس بينهما إلا تقدم مداً وتأخره مداً وهكذا الموت، فإن معه أن سبق أحدهما إلى أن يحقق به الآخر فذا ما اعتقد الالان هذا قل حزنه وحزنه ولا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يهون به كل مصاب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لنقط أدمه بين يدي أحب إلى من هرس أحفه حلق) (وإذا ذكر سقط منها بالآدم على الأعلى، بل في الحقيقة يكون شوا على قدر عمر الولد من نقص، وفي عليه الصلاة والسلام) (من مات له ثلاثة لم يسعوا الخيشت أدمه الله جبهه نقص رحمته إبراهيم) (قيل يا رسول الله وشار قل (واثنان) (ح) (الخيشت) البلوع. ويجب على من مات أن يحضر الدعاء بولده عند الموت، فانه أرحم دعاء وأقرب من الإجابة، نظر رجل إلى امرأة بالبصرة وكانت بصرة الوجه

فقال ما رأيت مثل هذه النظرة وما ذاك إلا من فنة الحزن ، فقلت يا عبد الله ،
إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد ، قال فكيف ، قالت إن روجي ذبح شاة في يوم
عيد الأصحى وكان لي ولدان مليحان بلعبان ، فقال أكرهما للآخر ، أتريد أن أريك
كيف ذبح أتي الشاة ، فن نعم ، فأحده ودبجه ، وما شعر بانه إلا قد شحط في دمه .
فما ارتفع الصراح هرب العلام فلجأ إلى جبل فأدركه دثب فأكله . وخرج أبوه
يبحث عنه فمات عطشاً من شدة الحر ، قالت فتكنى الدهر كما ترى فصارتُ -
فانظر أيها المسم رحمة الله كيف تحملت المصيبة مع عظمها ما نصر كي تنال الآخر .
فأمثال هذه ينبغي أن يتذكرها الإنسان عند موت الأولاد والأقارب ليتسلى بها في
شدة الجرع . واعلم أنه ما من مصيبة إلا وهلك أعظم منها ، وما يدفعه الله تعالى
برحمته عن العبد فهو أعظم .

باب فيما ورد في حفر القبور وتغسيل الموتى وتكفينهم

عن أبي رافع رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غسل
ميتاً فكنتم عليه غفر الله له أربعين كبيرة) ومن حفر لأخيه قبراً حتى يجنبه مكاناً
أسكنه مكاناً حتى يبعث (ط) . وقال عليه السلام (من غسل ميتاً فكنتم عليه
طهره الله من دنوبه . من كفته كساه الله من اللين) (ط) وعن عائشة رضى
الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من غسل ميتاً فأدى فيه الأمانة ولم
يعش عليه ما يكون منه عند ذلك خرج من دنوبه كيوم ولدته أمه) (أحمد وغيره)

باب في تحسين الكفن والأسراع بالدفن

قال عليه الصلاة والسلام (إذا كفر أحدكم أخاه فيحسن كفه) (م) وقال
عليه السلام (اسرعوا بالجنارة فإن تلك صالحة خير تقدمونها إليه . وإن تلك سوى
ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) (ق) وفي رواية للبخاري (إذا وضعت الخنارة
واحتملها الرجال عني أعتاقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني وإن كانت غير
صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها . فيسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه
لصق) . والمراد بالأسراع ما يشتمل غسلها وتكفينها وحملها والمسير بها ؛ وعن علي

رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (يا علي ثلاث لا تؤثرها . الصلاة
إد أنت . والجنزة إذا حصر . والآيم إذا وجدت لها كفوا) (البغوي) .

باب في كثرة المصلين على الجنزة وفي التعزية

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ما من ميت
يصلى عليه أمة من المسلمين يسعون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه) (م و ر)
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
(ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا
شفعهم الله فيه) (م و د) وعن مالك بن حيرة رضي الله عنه قال . سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول (ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين
إلا أوجب) وكان مالك إذا استنقذ أهل الجنزة حرأهم ثلاثة صفوف لهذا الحديث
(د) . قوله (أوجب) أي وحث له الحنة . وقال عليه السلام (ما من مؤمن يعرى
أخاه بحصية إلا كساه الله من خيل الكرامة) (ه) .

باب في تشييع الميت وحضور دفنه

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حق المسلم
على المسلم ست) قبل وما هي يا رسول الله . قال (إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك
فأجبه . وإذا استنصحتك فأصحب له . وإذا عطس فشمته . وإذا مرض فعده . وإذا
مات فاتبعه) (م وغيره) وقال عليه السلام (عودوا المرضى واتبعوا الجنازة تذكركم
الآخرة) (أحمد) وقال عليه السلام (من شهد الجنزة حتى يصلى عليها فله قيراط .
ومن شهد ما حتى تدفن فله قيراطان) قالوا وما القيراطان قال (مثل الجبلين العظيمين)
(ح) وقال عليه السلام (من أتبع جنازة مسلم إيماناً واحساناً وكان معه حتى يصلى
عليها ويبرع من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى
عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط) (خ) .

باب في أقاويل العارفين على الجنائز

اعلم أن الجنائز عبرة لبصيرين ، وفيها تذكير لهم ، أما أهل العفة فإنها لا تريد من مشاهدتها إلا قسوة ، لأنها يظنون أنهم سيحتملون عسرهم وأمتهم فلا يحتملون أبدأ ، وقد جهلوا أن الحمول اليوم كان بالأمس بطن هذا الطفل ودهمه الموت وصار إلى ما كان لا يحسب له حساباً فبعضى عن العبد إذا رأى جنزة بقدر أنه سيعفيها مباشرة ، وأن أجله سيأتيه عما قريب ، وكان السلف إذا رأوا الجنائز لم تعرف أهل الميت من غيرهم لحزن الجميع ، أما الآن إذا نظرت إلى جماعة يحضرون جنازة ترى أكثرهم يصحكون ولا يتكلمون إلا في مساوىء الميت مخالعين في ذلك الشرع متعرضين لمقت الحمار ، وكذا لا يفكر أهله وأقاربه إلا في الحبة التي يستولون بها على شيء من التركة ، إن كان الميت من أرباب التركات ، فلا يتفكر أحد في جلال الموت وما يصير إليه عما قريب . ولا سمح لهذه العفة إلا قسوة القلوب من كثرة المعاصي حتى نسوا الله تعالى ونسوا اليوم الآخر ونسوا الأهوال التي بين أيديهم يأسكبهم على الدنيا وطول آمالهم فيها ، نسأل الله تعالى اليقظة من هذه العفة . واهل أنه من آداب حضور الجنائز التمسك في جلال الموت والمشى تواضع وحشوع ، وعدم الكلام إلا بذكر الله وأن تحس الطل بالميت ولو كان فاسقاً ، ولذلك روى عن عمر بن الخطاب أنه مات واحد من خيرته وكان مرتكباً ، فامتنع كثير من الناس عن المشي في جنازته ، فخصرها عمر وصلى عليها فدفن أرن لميت في قبره وقف عن القبر وقال يرحمك الله يا أبا فلان فقد مصيت عمرك بالسوء ، وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب ودو خطايا ، من ما غير مذهب وغير دى خطايا .

باب في بيان حال لقبر ولاقاويل عند القور

قل رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما رأيت منظرأ إلا ولا قبر أفصح منه) (ت) وعن عمر رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقابر ، فجلس إلى قبر وكنت أدنى تقوم معه ، فبكى وبكت وبكوا فقال (ما بيكم) قلنا بكينا لبكائك قال (هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي ،

فاستأذنت أن استعفر لها فأني على فأدركني ما يدرك الولد من الرقة (١) (أبي الدنيا)
وكان سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ،
فسئل عن ذلك وقيل له تذكر أخته والنار فلا تنكي . ونكي إذا وقفت على قبر . ففعل
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن لقبر أول من لال الآخرة فإن بها
منه صاحبه فما بعده أيسر منه . وإن لم يبع منه فما بعده أشد) (ت) وقال مجاهد ، أول
ما يكلم ابن آدم حضرته ، فنقول أما بيت المدود وبيت الوحيدة وبيت العرب وبيت
الطامة هذا ما أعددت لك فإذا أعددت لي وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم
يتفكر لنفسه ولم يدع لها فقد خان نفسه وحشم

باب في زيارة القبور والدعاء للبيت ولشاء عليه

إعلم أن زيارة القبور مستحبة لتذكر والاعتبار ، وزيارة قبور الصالحين مستحبة
لأجل التبرك ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من زيارة القبور ثم أدب
بعد ذلك في ريارتها (م) . روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال (كنت مهتكم عن زيارة القبور فزوروها بذكركم الآخرة غير أن لا
تقولوا هجرأ) (هديا) (أحمد) وقال ابن أبي ملكة أفقت عائشة رضي الله عنها
يوما من المقبر ففقت يا أم المؤمنين من أين أفقت ؟ فقالت من قبر أخي عبد الرحمن ،
ففقت أيسر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه قالت معهم ثم أمر بهم .
(١) (أبي الدنيا) ولا يسعى أن يتمسك بها فيئذ للسماء في الخروج من المقابر
فإن بكثرت (الهدايا) على رفوف المقابر . فلا يبي حيز رباتهن شرها ، ولا
يحلوا في الخندق عن كشف وتبرج . مع لاس الخروج المرأة محتصة عن
أعين الرجال وشرط الاقتصار على الدعاء وعدم الحديث عن رأس القبر . وقد
أورد في رسول الله صلى الله عليه وسلم (زر القبور تذكر بها الآخرة وغسل
الموتى فإن معالجته جسد حار موعظة ربه وصل على الجنازة لعن ذنك أن يحرك
قال الخليل في طين الله) (ك) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رار قبر
أبيه أو أحدهم في كل جمعة عمر له وكتب بارأ) (ط) وقال ابن سيرين قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليموت والنداء وهو عاق لها فيدعو الله لها من بعدها فيكتبه الله من البرين) (ابن أبي الدنيا).

وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) (ابن عبد البر) وقال شارح عالم الشجران رأي رابعة العدوية العبدية في مناسي وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت يا بشائر بن الغالب هدايك تبتنا على أطبق من نور بحمرة بمناديل الحرير . قلت وكيف دئت قلت هكذا ندعاه المذمومين الأحياء إذا دعوا لموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطبق من نور وحر بمناديل الحرير ثم أتى به الميت فقبل له هذه هدية فلا إيلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما الميت في قبره إلا كالمرئى المتعوث يتعثر دعوة تلحفه من آية أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموال الدعاء والاستغفار) (أبو منصور) والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستندراً القبلة مستقبلاً لوجه الميت وأن يمسح التبر ولا يمسح ولا يمسح ولا يمسح ، فإن ذلك ليس من عادة المسلمين . ولا بأس بقراءة القرآن على القبور . قال أحمد بن محمد المروري سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم المقابر فقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم . فليقصود من زيارة القبور للرائد الاعتبار ونسيت الانتفاع بدعائه . ويستحب الشاء على الميت وأن لا يذكر إلا بالخير .

قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقفوا فيه) (د) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه) (ن) وقال عليه السلام (لا تستروا الأموات فإنهم قد أقصوا إلى ما قدموا) (ح) وقال أس بن مالك مرت جارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شراً فقال عليه السلام (وجبت) ومروا بأخرى فأتوا عليها خيراً فقال عليه السلام (وجبت) فأله عمر عن ذلك فقال (إن هذا أتيتم عليه خيراً فوجب له الجنة وهذا أتيتم عليه شراً فوجب له النار وأتم شهداء الله في الأرض) (ق) وقال أبو هريرة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن العبد ليأتي فينبئ عبده انقوم الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عدى وتجاوزت عن علي في عبيدي) (أحمد).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال (استغفروا لأخيك و سألوا له بانشيت وبه الان يسأل) (د) وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : قال نبي صلى الله عليه وسلم أيما مسلم شهد به أربعة من بحر دحله الله الجنة) قال فبقث وثلاثة . قال (وثلاثة) فقضا وثلاثين قال (وثلاثين) ثم لم يسهه عن الواحد . واه الحارثي .

باب في كيفية حصول المكاشفة بعين البصيرة

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناصح الإعتبار ، تعرفت أحوال الملقى على احملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ، ولكن حال ريد وعمره بعينه فلا يكشف بذلك أصلا . لأننا إذا عولنا على إيمان العبد فلا تدرى على ماذا مات ، وكيف حتم له . وإن عولنا على الصلاح الظاهر ، فالتقوى محلها القلب ، وهذا غامض يحجب على صاحب التقوى نفسه ، فلا حكم لظاهر الصلاح أيضا دون التقوى الباطنية ، قال الله تعالى (إنما يتق الله من المتقين) فلا يمكن الحكم على ريد أو عمره إلا بمشاهدته بعد موته ، ومشاهدة ما يجري عليه ، فإذا مات فقد تمحو من عالم الملك والشهادة إلى عالم العيب والمسكوت . فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما يرى بعين أخرى ، وهذه العين حقت في قلب كل إنسان ، ولكن الانسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية . فصار لا يبصر بها ولا يتصور أن يبصر شيئا من عالم المسكوت مالم تنفث تلك الغشاوة عن عين قلبه . ولم كانت الغشاوة متفشعة عن أعين قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا عجب أن نظروا إلى المسكوت وشاهدوا عظمته — والموقف في عالم المسكوت مشاهدوم وأحمر بأحوالهم ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صعطة القبر في حق سعد بن معاذ (أحمد) وفي حق زيب ابنته . ومثل هذه المكاشفة لا مطلق فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجاتهم منهم ، وإنما الممكن في حق

أمثالك مشاهدة أخرى ضعيفة وأعلى لها مشاهدة في المنام ، لكنها من أنوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الرؤيا بصاخره من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) (ح) وهي أيضاً انكشاف لا يحصر إلا بقشعر العشاوة عن القلب ، حتى صفاً " يظن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستنير كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في "يوم حتى رآه قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين) (اس أبي حاتم)

والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وسدائع فطرته الآسرى ؛ وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت ، وأخلق عاقلون عنه كعفتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم واقول في حقيقة الرؤيا من دقت عيون المكاشفة ، فلا يمكن الخوص فيه ، وانقدر الذي يمكن ذكره على سبيل المثال كي نفهم المقصود ، هو أن نعم أن القلب مثابه مثل مرآة تترآى فيها "صور وحقائق الأمور ، وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في حلق خلقه الله تعالى بعد عنه تارة باللوح المحفوظ ، وتارة بالكتب المبين ، وتارة بآيات مبين ، كما ورد في القرآن الكريم ، بجميع ما جرى في العالم ومسبحرى مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد هذه العين . ولا نص أن ذلك للوح من حشب أو حديد أو عظم ، وأن الكتاب من ورق . بل يسمى أن نفهم تماماً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق ، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق ، كما أن آياته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم . فإن كنت تريد مثلاً يقرب صورة اللوح إلى فهمك ، فاعلم أن ثبوت المقدور في اللوح يشبه ثبوت كلمات القرآن وحروفه في ذراع حامل القرآن وقلبه ، وبه مسطور فيه ، حتى كأنه حين يقرؤه يضر رايه ، ونومشت دماغه جزءاً جزءاً لم يشاهد من ذلك الخط حرفاً ، وإن كان ليس هناك خط يتألفه ولا حرف يضر ، فمن هذا النقط يسمى أن نفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقصده . ونوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور ، فهو وضع في مقابلة هذه المرآة مرآة أخرى ، لكأن صورة تلك المرآة تترآى في المرآة الأخرى ، إلا أن كان بينهما حجاب يحجب ، فقلب مرآة تقبل رسول العلوم ، واللوح مرآة موجود به رسوم العلوم كلها ، ولكن اشتغال القلب

يشهو به وأعماله من حجاب منسحب بين القلب وبين مضاعفة اللوح الذي هو من علم الملكوت، ولكن إذا هبت ريح وحركت هذا الحجاب ورفعته تلاً في مرة انقلب شيء من علم الملكوت في حجاب حجب ومسام لإسلاف متيقظ فهو مشغول بما ورد له الخوس على القلب ومعنى قوله أن تركه خو من فلا يورد شيء على القلب، فإذا تخلص من مشاعر الحواس وثبات صافي في جوهره، ارتفع الحجاب بينه وبين نوح المحفوظ فيقع في حجب شيء في موح كما يقع في صورة من مرة في مرة أخرى، إذا ارتفع الحجاب، هذه صورة يسيرة من بحر علم برؤية بها تخلص الحاشية. وعم ن سوره لا تحصر عنه ذلك الموت (وهو من يتوهم بالبين ويعلم ما جرحتم بالهم) وحاش الموت هو أعجب تعجب، في يوم يكشف جرحه أصعب من غيره، ثم يسير حتى يرى - م - مسيكون في استنقاص رؤية يراها، أما الموت فهو الذي يخرق الحجاب ويكشف عنه الحجاب، حتى يرى لأبصار عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه بما مخوفة بالمكان والآخرى وتنتسخ أعداد الله وبهاكم من ذلك، وبما مكبوة تعميم معمم ومكب كبير لا تحركه، وعند هذا يقف لأشياء وقد كشفه بعضه (لقد كنت في عمه من هذا فكشفه عنك عطاءك فبصرته ليوم جديد) فاعلم منه وأحكم الحكماء، يكشف له عقب الموت مباشرة من تعجب والآيات، يحظر فقط بانه، ولا اخلع به صميره في حياته، فمن بها بعد في ذلك، ولم يكن معادل ثم وعنه، لا التمسك في حطرك تلك الحال، وعماده يرتفع الحجاب، وما الذي يكشف عنه العطاء من شفاوة لا مة أو سعادته، لكن ذلك كافي في تظهير قلبه ودوام وقايتة من أمراض الدنوب، بملازمة الطاعات مدى الحياة.

بعض منامات الصالحين تكشف عن أحوال الموتي

من ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال عليه سلام (من رأى في المنام فقد رأى حقاً من الشيطان لا يتمثل في) (ق) وقال عباس رضي الله عنه، كنت مؤاجلاً في ليل وصاحا له. فلما مات وأحر الله عنه بما أحررت عليه وأهمني أمره، فسألت الله تعالى حولاً أن يريني إياه في المنام، قال فما أيتي يلهب ناراً

فسأته عن حاله فقال صرت في النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا في
ليلة الاثنين في كل الالام ، ابالي ، قلت وكيف ذلك ، قال والله في تلك ليلة محمد صلى
الله عليه وسلم خاضت في أمة عشرتني ثم لادته أمة ايدى فرحت به واعتقت وليدة
لي فرحاً به ، فأنبتني الله بعد شرفي رفع عني العصب في كل ليلة اثنين . وقال عبد الواحد
بن زيد خرجت حاجاً فصاحني رحل كل لا يقوم ولا تقعد ولا يحرك ولا
يسكن إلا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسأته عن ذلك فقال خرجت أول
مرة إلى مكة ومعى أنى فلما انصرف فميت في بعض المنازل فبأنا بهم إذ أتني
أت فقال لي قم فقد أماتت في ذلك وجه ، قال فقم مدعوراً فكشفت
الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه بداخني من ذلك رعب فبأنا في ذلك
لعم إذ غدتني عني ميت فإذا على رأس أو أربعة سوار معهم أعمدة من حديد
إذ أقبل رحل حس الوجه بين ثوبين أحصرين فميت هم تحوا فميت وجهه بيده
ثم أتاني فقال قم فقد بصر الله وجه أهلك فقلت له من أنت يا بني فقال أنا
محمد قال فتمت فكشفت الثوب عن وجهي فإذا هو أبيض فترك الصلاة بعد
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى الصديق رضي الله عنه فقبل له إيت كئت تقول ندأ في سبائك ، هذا
أوردني الموارد فمات بعض الله بك ، قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الحية ، وقال
يريد بن مدعور رأيت الأوراعي في المم فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أقرب به
إلى الله تعالى ، قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العبد ثم درجه المحروين ،
قال وكان يريد شيخاً كبيراً فميت بين يدي حتى أطست عيده ، وقال الكندي رأيت الجنيد
في المنام فقلت له ما فعل الله بك ؟ قال طاحت بك الأشربة ودهت تلك العبارات
وما حصلت إلا على ركعتين كنا نصيهاً رليل . ورؤيت ربي في المم فقبل لها
ما فعل الله بك ؟ قالت عمر لي هذه الكلمات لأربع ، لا إله إلا الله فني بها عمرى ، لا إله
إلا الله أدخل بها قبري . لا إله إلا الله أحوجها وحدي . لا إله إلا الله ألقي بها ربي .
وروى في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كثر أبواب السماء مفتحة وكثر ما ديا
يبدى إلا ابن الحسن البصري فسم على الله وهو عنه راض . وقال الربيع بن سليمان

رأيت الشافعي رحمه الله عليه بعد وفاته في المنام ، فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ قال أحسن على كرسي من ذهب ، ويترعى ثوبه الرطب ، وفي يده من سعة هلكت جارية في لطاعون الخراف ، وآها أبها ما في المنام فقال لها يا بنية احبريني عن الآخرة . قلت يا أمت قدمت على أمر عظيم نعم ولا تعمل ، وتعملون ولا تعلمون ، والله بنسيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتين في صفحة عن أحب إلى من الدنيا وما فيها . هذه حصة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأسماء المقررة إلى الله تعالى .

بعض ما ورد في كلام القبر للميت

— وهو بلسان الحال لا بلسان المقال —

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول القبر ميت حين يوضع فيه ويبحث يا ابن آدم ما غرك في ، ألم تعلم أني ميت تفتنه ويبت جنسه ويبت ابنته ويبت الدود ، ما غرك في إذ كنت تمر في فداد ، فإن كان مصحفاً أجاب عنه بحجب القبر فيقول أرأيت إن كان يا مرمي المعروف وبهي عن المنكر . فيقول القبر إن إداداً أنحول عليه حصراً ، ويعود جسده بوراً وتنعقد روحه إلى الله تعالى) (ص) والقداد هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الميت يقعد وهو يسمع حنوط مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قرعه ، يقول ويبحث : يا آدم ليس قد حدثتني وحدثت صفي وحن وحن وودى فإدا أعددت لي) (أ) (أن الدنيا) وقال يزيد بن روثي بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطق الله فدا ، أيها العبد المسترد في حمرته يصنع عنك الأحلام والأهل فلا أبيض لك يوم عند .

باب في القول في عذاب القبر ونعيمه

قال البراء بن عازب حرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجارة رجس من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره مكأ رأسه ثم قال (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر) ثلاثاً إلى آخر الحديث (ذك) وقال أبو هريرة

قال لئن صلى الله عليه وسلم المؤمن في قبره في روضة خضراء وبرح له في قبره سبعون درهماً وبصره حتى تكون كآفة لآلئ السمرة، وهن تدرون فيما رلت (فإنه مميته منك) فبوالله ورسوله أعلم، فإن عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون ميثاً هن تدرون ما لتنين؟ تسعة وتسعون حية بكل حية سبعة رؤوس يحششونه ويلحسونه ويبحون في جسمه إلى يوم بعثوا (حب) ولا ينبغي أن يتمتع من هذا العدد على الخصوص من أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة التي يتصف بها العبد، فإن قلت محث هذا تكافؤ في قبره ولا شاهد شيئاً من ذلك فما وجه التصديق ونحن لا نرى شيئاً؟ وعلم أن لك مقدس في التصديق بأمر هذا

المقام الأول وهو الآخر والأسلم أن تصدق بأنها موجوده وهي تلدع الميت، ولكنك لا تشاهد ذلك، فإن هذه "عن لا تصدق لمشاهدة الأمور العبيسة .
المقام الثاني - أن تذكر أمر "ثانم وأنه قد يرى في يومه حية تلدعه وهو يتألم بذلك حتى - أنه يصبح في يومه ويمرق حبيبه ولكنك ترى أن الهم يحوارك ساكناً ولا ترى بحاجه حية، والحية يراها هو موجوده بجانبه تهش والعداب حاصل له .

فيا أيها العبد هذا هو الحق فصدق به تقبلاً، ودع "العصب والحد" فإنه يعرف وجود أحد على ظهر الأرض لأن يعرف ذلك بالحقق، فأوصيك أن لا تقبل نظرك في تمصين ذلك ولا تشتمع بمعه، بل تشتمع بالديبر في دفع "عذاب والخلاص منه كما كان، فإن أصمت بعمل وأمبده وشتمت بالبحث عن ذلك وعن غيره مما لا تقدر على فهمه ولا إدراك معناه، كما هو حال بعض من يدعون المعرفة في هذا الزمن، كنت كمن أخذ السلطان وحبسه ليقطع يده ورجله في الصباح، فأخذ طول الليل يهكر في أنه من يقطعه بكبر أو نسيب، وأهمس التفكير والاشتغال لدفع العذاب عن نفسه واسترحه السلطان وتقديم ما يشفع له عنده، وهذا غاية الخلل والحق . والأحار الواردة في عذاب غير كثيرة وقد ذكرت لك بعض استعادات الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر في ما به مطالعه، ولاهمية هذا الباب أردت أن أزيد القاريء بياناً بما اطبعت عليه في كتب السلف، قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني

في المبحث الرابع والستين من اليوافيت وأخواهر . قال لجلال المحلى رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى - في القبر - للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط ، فترد روح المعذب إلى جسده كله أو ما بقي منه ، فإنه لا يمنع إحياء بعض الجسد ، وإن كان ذلك خلاف العادة ، لأن حرق سبعة غير ممتنع في مقدور الله عز وجل . انتهى .

وقال السكال في حاشيته ، وقول أهل الأصول إن سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق ، جرى على الغالب ، وإلا فالحق أن ذلك لا يختص بالقبر المعروف ، فيحس به عذاب من كلة السمك . السباع وغير ذلك . - وقال الشري رحمه الله يرد على المعترلة والروافض الذين يذكرون عذاب القبر ، وإنما قصرت عقولكم أي المعترلة عن إدراك هذه الأشياء فلا تسكروها ، وصدقوا الأحبار الصادقة الواردة في ذلك . ومن الدلائل على عذاب القبر قوله تعالى (سنعدمهم مرتين) أي مرة في الدنيا بالفصيحة أو لقتل ، ومرة في القبر ، وقوله تعالى (نار يمرصون فيها عدوآ وعشياً) أي في البرح بدين قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) . انتهى .

وقال الشيخ محي الدين بن العرف ، فإن قلت فلم حجب الثقلان آدم (الإنسان والجسد) عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون إبهائهم ، (الجواب) إنما حجب الثقلان دون غيرهما لأنهما من عالم التعبير ، بخلاف غيرهما ، فإن الناس لو أصرروا شيئاً من أحوال الموتى لأحضر بعضهم بعضاً ، كما أشار إليه جبر (لولا أن تدافعوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر) (م) فسلم كما قال الشيخ في ليل الثامن والسبعين ونشرته من الفتوحات لمكية - أن كل من رزقه الله تعالى الأمانة من الأولياء سمع عذاب القبر ، وسمع كلام الشياطين حين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا ، وأن الله تعالى ما أحد أسمع الجسد والانس وأبصارهم إلا طناً للستر ، لأن المكاشف لو أفشى ذلك ، لأطعن حكمه الوصع الإلهي ، من وجوب الإيمان بالغييب ، فإنه كان بصير شهادة . انتهى - قد ظهر لك بما قررناه أنه لا يقدح في صحة نعيم القبر وعذابه كون أصار أهل الدنيا لا تدركه - وإليك ما أحبر به النبي صلى الله عليه وسلم في حديث القبرين - قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتى على قبرين يعتب صاحباهما فقال (إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير ،

أما أحدهما فكان يعتكف من ، وأما الآخر فكان لا يستغفر من موله (دعا) بحريضة
رطبة أو حريضة منسكس مما تم أمر بكل كسرة فعمست على قبره ، أما انه سيهون
من عداهما ما كانا رطبتين (أو) ما لم يسما (أو) رأى الدنيا)

وفي الصحيحين ذكر التيممة بدل العية . ولاحمد ناسد جديد (طب)

— وقال الشيخ محي الدين في "تاب سادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية
في حديث لرسول صلى الله عليه وسلم (قبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من
حفر النار) (ت) المراد هذه الجنة وهذه الحفرة ليردح ودره ، لا الجنة والنار
الكبيرتان اما يدحهما الناس بعد الحساب والمورعني الصراط ، والله أعلم

باب في سؤال منكر ونكير في القبر وضغطه على الميت

قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا مات العبد
أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما منكر والآخر نكير ، فيقولان له
ما كنت تقول في النبي ، قال كان مؤمناً قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فيقولان إن كما نعلم أنك تقول ذلك ، ثم يصح له
في قبره سمعان ذراعاً وبشور له في قبره ، ثم يقال له نعم ، فيقول دعوني أرجع إلى أهلي
فأحرمهم فيقال له ثم بنام كنزومة المروم من أنسى لا يوقفه ، لا أحب أهله إليه حتى
يسعته الله من مصحبه ذلك ، وإن كان منافقاً فإن لا أدري كنت أسمع الناس يقولون
شيئاً وكنت أقوله ، فيقولان إن كما لعنتك بقول ذلك ثم يقبل بالأرض التي
عليه فتستقيم عليه حتى تحلف فيها أصلاعه ، فلا يزال معذباً حتى يسعته الله من مصحبه
ذلك) (ت) وقال صلى الله عليه وسلم (من ثقل ضغطه ولو سم أو نحي منها أحد
لنجس الله به) (احمد) وعن أنس قال يوفيت رقيب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت امرأة مستقيمة متعبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء ما حاله ،
فلما انتهى إلى القبر يدحله النع ويحبه صخرة فخرج سمر وجهه ، فقب يارسول الله
رأيتك ملك شاة ثم ذلك ، قال (ذكرت ضغطته انني وشدة عذاب قبر فأبليت
فأخبرت أن الله قد حطم عنها وقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الحافقين)

(ان أنى الديب) وذكره الخاتم في المستدرک وقال لشعرائى رحمه الله فى - البواقيت والجواهر - فأما سؤال منكرو وكبير . فقال أهى النسبة أن يكون لكل ميت . سواء كان فى قبره أو فى بطون أو حوش أو الطيور أو مهاج الرياح بعد أن أحرق ودرى فى الرياح . سأل الله أن يشهد بإيدكم . لقول الثابت

باب فى صفة نفحة الصور

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت فى سكرات الموت وحطاه فى حوف العاقبة . ثم مقاساة طاسة شعير وديده . ثم رؤية منكرو وكبير وسؤالها . ثم عذاب القبر وضغطه على الميت . إن كان معصوماً عليه . وأعظم من ذلك كله . ألا حظرتنى من يديه من مع "صور" . ثم نعت يوم لشور . والعرض على الخيال . السؤال عن دليلين وكثير . ونصب لميراث معرفة العقادير . ثم المرور على أضرار مع قته وحدته . ثم انتظار لنداء بعد فصل نقصاء . إما بالإسماء أو بالأشياء . فهذه هوار لاسلك من معرفتها . ثم لإيمانها على سبيل احرم وتصديق . فأحرار تطويل الفكر فى ذلك ليدعش من قبك دواعى الاستعداد . وكثير الناس لم يدعش الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم . ولم يتمكن من موبداه أهنتهم . ويدل على ذلك شدة استعدادهم لحرق الصيف وبرد الشتاء . وتهاونهم بحر جهنم ومهريرها . قال النبي صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى شتمنى آل آدم وما يسئلى له أن يشتفى . وكذبنى وما ينهى له أن يكذبى . أما شتمه زين فيقول آل لى ولداً . وأما تكذيبه فقوله لن بعيدنى كما بدأ) (ح) فكيف يسكر السمعت من يشاهد قدرة الله فى خلقه . فإن كان فى يده صعب فقوه بالسطر فى كثرة لأولى . فإن شأبه مثلها وأهملها . وإن كنت قوى الإيمان بها . فتعكر فى الخوف والأخطار . وما تلاقيه عند تعرض عن استجاب الجبار . ويصكر أولاً فيما يفرع مع سكال تقور من شدة من الصور . فإنها صيحة واحدة تنفجر بها تقور عن رموس الموت . فيثورون دمه واحدة . فتقوم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك معاً أيدى من تراب قبرك . مهولة من شدة الصعقة . شاخص العين نحو النداء . قال تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم فى يوم يسطرون) وقال تعالى (ونفخ فى الصور

فإذا هم من لأجدت إلى هم يسئلون ، قالوا يا ويلتنا من عشا من مر قدما ، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (فلو لم يكن من يدي العبد ، لا هول تلك الصفحة ، لكأن ذلك كافيًا وأن ينقص عليه عيشه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كيف أنعم وصاحب الصور قد انقم قرن وحى جهة وأصعب الأذن ينظر من يؤمر فيمنح) (ت) وقال مقل الصور هو القرن وذلك أن أسرافيل عليه سلام وأصع فاه على القرن كهيئة ق ، ودائرة أس تقن كقرص السموات والأرض ، وهو شاخص بصره نحو العرش ينظر من يؤمر فيمنح للجنة الأولى . فإذا منح صعد من في السموات والأرض ، أى مات كل حي من شدة الفرع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح أسرافيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ، ثم يلد الخلق بعد النسخة الأولى في الروح أربعين سنة . ثم يحيي الله أسرافيل فأمره أن ينفع الثانية ، فذلك قوله تعالى (ثم نمنح فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) .

باب في صفة أرض المحشر وأهله

انظر أيها العبد كيف تساق الخلائق بعد "تحت" و"شور" حده عراه غر لا إلى أرض المحشر ، وهى أرض بيضاء لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً ، فلا ترى عليها رهوة يحتج الإنسان ودامه ، ولا وهدية يخفص عن الأعين فيها ، بل هو صعيد واحد مسط يافون فيه مرآ ، فبجود من يجمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ، ليس فيها معلم لأحد) (ق) ولعفرة يابص ليس بالناصع ، والنقي هو النقي عن القشر والحالة . ومعلم أى الأثر ومعناه إلهام يمش عليها أحد قبيل . ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لانسنة بينها إلا في الامم فقط ، قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) قال أس عباس أرض بيضاء مثل العصف لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها حطية ، والسموات يذهب شمسها وقمرها ونجومها ، فانظر بامسكين في هول ذلك اليوم وشدة ، فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تنأثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس

والقمر وأطمت الأرض، فبنينا هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم واشتقت
والملائكة قيام على أرجائها، وبها هول صوت اشتقاقها، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (يبعث الناس حفة عراة عراة لا قد ألهم للعرق وبلغ شحوم الآدمي) قالت
سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم راوية الحديث، قلت يا رسول الله واسوأناه ينظر
بعضنا إلى بعض، فقال عليه الصلاة والسلام (شع الناس عن ذلك ما بهم، لكل امرئ
منهم يومئذ شأن يعنيه) (طب) (غريلاً) أي ترد إليه ما قطع منه في الخصال يعني
الطهارة، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف،
ركباً ومشاة وعلى وجوههم)، فقال رجل يا رسول الله وكيف يشون على وجوههم؟
قال (الذي أمثهم على أقدامهم فندر عن أن يشبههم على وجوههم) (ت)

باب في صفة العرق

ثم نصكر أيها المحدث في إردحام الخلاق واختراعهم، حتى ردهم على موقف أهل
السموات لسمع ولأربعين سبع، من ميث وحش وإنس وشيطان ووحش وسبع
وطير، فأشرفت عليهم الشمس وقد تصاعد حره ثم اقتربت من رؤوس الخلاق
كقفاق قوسين، فدرق على الأرض طين لا طين عرش رب العالمين، ولم يستطع
به إلا المقررون، فمن من استطاع العرش، ومن من متعرض خسر الشمس قد صهرته
بحرها واشتد كربه من وهجها، ثم تدفعت الخلاق ودفع بعضهم بعضاً من شدة
الرحام واختلاف الأقدام، ويصاف إلى ذلك شدة المحبة والحياء من الافتصاح
والخزي عند العرض على جبر السماء، ففصل العرق عن أصل كل شعرة حتى سدل
على صعيد القيامة، ثم ارتفع عن أيادهم عن قدر متارطم عند الله، فمعهم يبع
العرق ركبته، ومعهم إلى شحمة أذنيه، ومعهم كاد يعيب فيه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين
باعاً ويحدمهم ويسع آذانهم) (ق) فتمن يمكن - في عرق أهل المحشر وشده
كربهم، وارجع إلى صوائك فذلك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبع لك العرق -
وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول (تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه

ومنهم من يبلغ نصف الساق . ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه . ومنهم من يبلغ إلى العجز .
ومنهم من يبلغ الخصر . ومنهم من يبلغ منكبيه . ومنهم من يبلغ عنقه . ومنهم من
يبلغ رأسه . وأشار بيده عنقه وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير
هكذا (ومنهم من يعطيه عرقه) . وصرت بيده وأشار وأمره بيده فوق رأسه من غير
أن يمس الرأس ودور كفيه يميناً وشمالاً (رواه أحمد والضران وغيرهما)

باب في صفة طول يوم القيامة ودواهيته وأساميه

يوم القيامة يوم يقف فيه الخلائق شاحصة أصارهم . منفطرة قلوبهم . لا يتكلمون
ولا ينظرون في أمورهم . قال تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال عبد الله بن
عمر تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال (كيف كنتم إذا حمدكم الله كما
تجمع اسأل في الكفاية حين ألف سنة لا ينظر إليكم) (طب) فتأمل في طول هذا
اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك صرك عن المعاصي في صرك القصير —
واعلم أنه من طال استظاره في الدنيا لولم مع مائة للصر عن الشهوات . فانه يقصر
انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول
ذلك اليوم فقال (والذي نفس بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه
من الصلاة المكتوبة يصيبها في الدنيا) (هـ) وعمن في أمام قصار لأيام طوال .
واستحق عمر ك من عمر الدنيا . فإنك لو عشت عمر الدنيا وعشت في العبدية لتحص
من يوم مقداره خمسون ألف سنة لكل ربحك كثير أو بعك يسيراً . فاستعد بامسكين
لهذا اليوم العظيم شأنه المديد منه "تقريب أوانه" يوم ترى السماء قد انقضت .
والكواكب من هولاء قد انثرت . والبحور الزواهر قد سكدرت . والشمس قد كورت .
والجبال قد سيرت . والعثر قد عظمت . والنوحوش قد حشرت . والبحار قد سحرت .
والنومس إلى الأبد قد روحت . والجحيم قد سعرت . والجنة قد أزلت . يوم تدخل
فيه كل مرصعه عم أرصعت وتضع كل ذات حمل حملها . وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد . يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قل له الصديق
رضي الله عنه أراك قد شئت يا رسول الله قال (شيتني هود وأخواتها وهي الواقعة

والمرسلات وعم يشاءون وهذا الشمس كورت (ت) فيا أيها القاريء لو كنت متفكراً فيما قرأت لك كنت حذيراً بأن تشق مرارتك فيما شات منه شعر سيد المرسلين ، وإذا فنت بحركة لسان فقد حرمت ثمرة القرآن ، فإغيمه أحد ما ذكر فيه ، وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميتها لتقف على كثرة معانيها ، ونحن الآن نجمع لك بعض أسامها ، وهي يوم القيامة ويوم احسرة ويوم الندامة ، ويوم المسألة ويوم المناقشة ، ويوم الزلزلة ، ويوم الصاعقة ويوم القعدة ويوم القارعة ، ويوم الداهية ويوم احافه ، ويوم الضامة ، ويوم تلاق ويوم الانشقاق ، ويوم القصاص ويوم الحساب ويوم الحساب ، ويوم القصه ويوم الجراء ويوم الكاه ، ويوم الحشر ويوم العرض ويوم الحكم ، ويوم القص ويوم امع ويوم السم ، ويوم الخرى ويوم الدين ويوم ليقين ، ويوم لفرع ، ويوم الخرج ، ويوم تفتق ويوم لغز ، ويوم لتعان ويوم عرس ، ويوم موعود ويوم مشهود ، ويوم لا تجرى نفس عن نفس شيئاً ، ويوم لا يجرى واحد عن واحد ، ويوم حر حره من أحبه وأمه وأبيه ، يوم لا يجمع مال ولا بنون ، يوم نخشع فيه الأكمه وسكن الأصوات ونقل فيه الالتفات ، ونظير الخطينات ويشيب الصغير ويسكر الكبير ، وورثت الحميم وأعلى الحميم ، وورثت البار ويتس الكفار ، وتعبت الأيون ونحس اللسان ونطقت جوارح اللسان — في أيها الإنسان ما عرك برئت الكريم ، حيث أعفقت الأيوب ، وأرجبت السنور ، واسترت عن الخلائق قدرته المعجور ، فمدا فعل وقد شهدت عليك حوارحك ، فالويل كل الويل ، معشر الخائين ، يرسل الله سائداً المرسلين ويرى عبه ككتاب المزين ، ويعبر به هذه الصفات من دعوت يوم الدين ، ثم يعرفه عله ويقول (قرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) ثم يعرف قرب القسامه ويقول (اقتربت الساعة واشتق القمر) معوذ الله من هذه المعية ، ويسأله تعالى أن يتذكر كما هو مع رحمة

باب في صفة المساملة عند الحساب

تفكر أيها العبد المكين بعد ما تقاسيه من أهوال الحشر والقيامة، فيما يتوجه
عليك من السؤال، فتسأل عن جميع ما فعلت وجميع ما فعلت، فيها أنت في كرب
القيامة وعرقها وشدة قطائعها وأهوالها، إذ بزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام
عظام غلاط شداد، امرؤ أن يأخذوا نواصي المجرمين إلى موقف العرض على
الجبار فطأ بك نفسك إذا شهدت مثل هؤلاء الملائكة، وقد أرسلوا إليك
ليأخذوك إلى مقام العرض، وترجم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة الهول،
مستشعرين بما بدا من عص الجبار على عباده، وعند برولهم لا يبقى بي ولا صدق
ولا صالح ولا يحرون لأدقاهم خوفاً من أن يكونوا هم المذودين، فهذا حال
المقرين، فاطنك بالعصاة المجرمين، وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلق
من الخواب، وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله (فتسألن) الذين أرسل إليهم ولمسألن
المرسلين ولتقصن عليه نعم وما كن غائبين) فيبدأ سبحانه بالأقواء (يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا أحسنتم قالوا لا علم لك بك أنت علام الغيوب) فيا لشدة يوم
تذهل فيه عقول الأنبياء ودمعي علومهم من شدة تهبة، إذ يقل لهم، ما أجنتم
وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد عدوا، فتدهش عقولهم فلا يدرون عماداً
يحييهم، فيقولون من شدة تهبة لا عمل لنا بك أنت علام الغيوب) وهم في ذلك
صادقون، إذ ضرت منهم العقول، إلى أن يقربهم الله تعالى، ثم نقل الملائكة
فينادون واحداً واحداً، يا فلان بن فلانة، هم إلى موقف العرض، وعند ذلك
ترعد الفرائص وتضطرب أجوارح وتشتت عقول، ويسمى أقواء أن يذهب
بهم إلى سر ولا تعرض قبائح أعمالهم على الملك الجبار، ولا ينكشف سترهم على
ملأ الخلائق، وقبل الانتهاء بالانزال يضر نور العرش (وتسرقط الأرض بنور
ربها) فيظن كل واحد أنه المقصود بالأخذ والسؤال دون غيره، فيقول الجبار
سبحانه وتعالى عند ذلك (يا جبريل انني ما أرى) فيجيء له جبريل ويقول يا جبريل
أجبي حالك، فيصاحبها جبريل على عيبتها وغصبتها، ثم يلبث بعد ذلك أن تشرت

وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت ، وسمع الخلائق تعبطها ورفرها ، وانتهضت
خزنتها متوشبة إلى احلائق عضباً على من عصى الله تعالى وحالف أمره - فأحضر
بالك وأحضر في قلبك حانة قلوب العباد وقد امتلأت فرعاً ورعياً ، فتساقطوا
جثيئاً على الركب وولتوا مدبرين ، وسقط مصهم على الوجوه منكبين ، فبينهم
كذلك إذ رفرت لتار رفرتها الثانية ، فتصاعف خوفهم وتجادلت قواهم ، ثم زفرت
انثاء فتساقط الخلائق وشحصوا بأصدهم ينظرون من طرف حتى خشع .
واهضمت قلوب الظالمين فلعنت الخناجر ، ودهلت عقول السعداء والأشقياء
أجمعين ، ففرأوا والده من ولده ، والآح من أحييه ، والروح من روحه . وبقى كل
واحد منتظراً لأمره ، ثم يؤخذ واحد واحد فيبأله الله تعالى شامهاً (ق) (في معناه) ،
عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلاسه . وعن جميع حوارجه وأعضائه ، فيقول
له - (ألم أنعم عليك بالشلب فقياداً نبيته ، ألم أهمل لك في العمر فقياداً
أوبيته ، ألم أزرعت لك من أين اكسبته وبياد أمقنته ، ألم أكرمك بالعلم فاذا
عملت فيها علمت -) فكيف ترى حياتك وحطتك ، وهو بعداً غيب نعمه بمعاصيك
وأبيديه ومسويك . فإن أنكرت شهدت عليك حوارحك إلا أن الله تعالى وعد
المؤمن أن يترعيه ولا يظلم عليه غيره . وهو يدبر حتى لعنه مؤمن سر على
ساس عيوبهم فتوهم همك بها بعد وأنت في أيدي موكبي يث حتى اسهوايك
إلى عرش الرحمن فرمواك من أيديهم . وبذلك حاشيت سبحانه وتعالى بعظيم كلامه
(يا ابن آدم أدن مني فتوبت منه بقب حائف محزون وظرف حاشع دليل ،
وعطيت كتابك لدى لا يعادر صميرة ولا كيرة إلا أحصاها ، فكلم من فاحشة
بسيئها قد كرتها ، وكلم من طاعة عممت عن قوتها فاكشف لك عن مساوئها . فببت
شعري بأى قدم تقف بر يديه ، وبأى لسان تحب ، وبأى قب تعقل مانقول . فإن
عليه السلام) ليقمن أحذكم من يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب ، فيقول له
ألم أنعم عليك ، ألم أوتيت مالا ، فيقول بى ، فيقول ألم أرسل إليك رسولا ، فيقول بى ،
ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا لار ، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا لار . فيقول أحذكم
النار ولو لشق قمره ، فإن لم يجد فيكلمة طيبة (ح) أفق يامسكين من عصمتك ونفكر

في موقفك فأنك من أن يقال لك - سترتها عليك في الدنيا وأما أغفرها لك اليوم - فعند ذلك يعطيه سرورك وفرحك ، ويغضبك الأولون والآخرون . وبين أن يقال لللائكة - حذوا هذا العبد سوء فعله ثم الجحيم صلوه . وعند ذلك لو نكت السموات والأرض عليك لم يحوت ، فاستشعر عظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت من ضاعة الله ويحك تحزنك بديار الله لم تقم معك ، ولم ينفعك ما خلعتك فيها .

باب في صفة الميزان

لا يعم أيها العبد عن الفكر في الميزان ، وتصاير الكتب إلى الأيمن والشمال ، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق . فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فينقلهم كما يقط الخبز الحب وينطوى عليه ويلقيهم في النار فتنتعهم النار ، ويمادي عليهم شقاوة لا سماعة بعدها ، وقسم آخر لا سبته لهم ، فيمادي مادي ليقم المحادون لله عن كل حال - فيقومون ويسرحون إلى الجنة ، ثم يفعل ذلك ما من قيام الليل ، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى ، ويتدى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها - ويبقى قسم ثالث وهم الأكثرون ، حذبوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وحق على الله ولا يحق على الله تعالى أن تعال حبسهم أو سيئاتهم ، ولكن يأني الله إلا أن يعرفهم ذلك من فضله عند العفو وعذله عند العقاب ، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات ، وينصب الميزان ، وتشخص الأنصار إلى الكتب أيقع في اليمن أو في الشمال ، ثم إلى لسان الميزان أعيل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات ، وهذه حكمة هائلة تطش فيها عقول الخلق روى الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فتعسى ، فذكرت الأجرة فكنت حتى سال دمعها فنقط على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبني فقال (ما يبكيك يا عائشة) قالت ذكرت الأجرة ، هل تذكرون أهيكم يوم القيامة ، قال (وأنسى نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه ، إذا وصعت الموارد وورنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيحجب مبراه أم ينقص ، وعند

الصحف حتى ينظر أيسره يأخذ كتابه أو شياه . وعند الصراط (د) وقال أس
يؤتى أس آدم يوم عرامة حتى يقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه
نادى الملك بصوت يسمع الخلائق ، سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن
خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق ، شقى فلان شقاء لا يسعد بعدها أبداً ،
وعند حفة كفة الحساب تقس الرابية وبديهم مقامع من حديد ، عليهم ثياب من
نار ، فيأخذون نصيب النار إلى النار

باب في صفة رد المظالم وتعلق الخصماء بالمظالم

قد عرفت أيها العبد المسكين هول الميراث وخطره . وأن الأعين شاحصه إلى
لسان الميراث (من ثقت موارثه فهو في عبثه راضية وأما من حمت موارثه فأمه
هاوية) واعلم أنه لا يحوز من حظ الميراث إلا من حاز في الدنيا نفسه وورث فيها
يميزان الشرع أعماله وأفعاله . وإنما حسده لنفسه أن يتوسع عن كل معصية ويتدارك
ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى . ويرد المظالم حبة حبة . ويستحق كل من
تعرض له بلسانه ويده . ويشتت قلوبهم ويستدمحهم حتى يموت ولم يبق عليه حبة
ولا مرصة . فهذا يدح الحنة بعير حساب . وإن مات قبل رد المظالم أحاط به حصاؤه
هذا يأخذ يده . وهذا يقبض على باضته . وهذا يتعلق برفقه . هذا يقول ظمئى ،
وهذا يقول شتمنى . وهذا يقول استهزأت فى . وهذا يقول دكرتنى فى العيبة مع
يسومنى . وهذا يقول جاورتنى فأسأت جوارى . وهذا يقول عاملنى ففشتنى .
وهذا يقول ابعثى عيبنى وأحميت عى عيب بصاحتك . وهذا يقول رأيتنى محتاجاً
وكنيت غنياً فما أطعمتنى . وهذا يقول وحدي مطبوماً وكنيت قادراً على دفع الظلم
عنى فداهت الظلم وما راعيتنى . فهذا أنت كدك وقد أنشبت الخصماء فيك محالهم
وأحكوا في تلايك أيديهم وأنت مهتوت متحير من كثرتهم . حتى لم يبق في عمرك
أحد عامته عن درهم أو جالسته في مجلس . لا وقد استحق عليك مظلمة بعينة أو حياة
أو نظرة بعين استحقار . وقد عززت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك
ومولاك لعله يخلصك من أيديهم . ورد بندااء الجبار جل جلاله يقرع سمعك (اليوم
تجرى كل نفس بما كسبت لا ظم اليوم) فعنده ينحلح قلبك من الهينة وتوقن نصيبك

بأنوار ، وتذكر ما أدرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال (ولا تحبس الله عافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مبطلين مقضى رموسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفنتهم هواء وأبذر الناس) فما أشد حررك اليوم تمصصك بأعراض الناس ، وما أشد حزنك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على ساطع العدل وطولبت برد الحقوق وأنت مفلس فقير عاجز لا تقدر أن ترد حقاً أو تظهر عذراً ، فمنذ ذلك توحد حسناتك التي نعت فيها وتنقل إلى خصمائك عوصاً لهم عن حقوقهم ، قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تدرون من المفلس) قلنا المفلس بيننا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع ، قال (المفلس من أفتى من باقي يوم القيامة صلاة وصيام وركاء وبأني وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، وإن غلبت حسناته قل أن يسفح ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (ق) (تذكر بمسكن في يوم ترى صحبتك حبيه من حسنات من فيها نعت ، فيقول أين حسنات ، فيقال نقلت إلى صحفة خصمائك ، وترى صحبتك مشحورة بسنت صال في القصر عهد نعت ، فتقول يا رب هذه سنت ما فارقتها قط ، فيقال هذه سنت القوم الذين اغتصبوا وشتمتهم وطبستهم في المساعة ونحوه واخضعوا وترأصاف النعماء ، وأكثر أيها العبد من الخسرات في مسحة هذا عمر ليوم القصاص ، عسى أن يقربك من الله تعالى فتبدل لطفه بسى أذخره لأحبابه المؤمنين في دفع مصلم لعبادهم ، كما روى عن أسامة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في دار أبيه يصحك حتى بدت ثنياه ، فقال عمر ما يصحكك يا رسول الله بأني أنت وأمي ، قال (رجلان من أمتي حثيابين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب جد لي مضيق من أحبي فقال الله تعالى اعط أحبك مطبته ، فقال لم يبق من حسناتي شيء ، فقال تعالى للصلب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء ، قال يا رب يتحمل عني من أوراري) قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال (إن ذلك ليوم عظيم يوم يحشاح الناس إلى أن يتحمل عنهم من أورارهم) قال (فقال الله للظالم ارفع رأسك فطر في الجنان ،

فرفع رأسه فقال يا رب أرى مدائن من مصفة مرفعة وقصوراً من ذهب مكالمة
بالمزمار ، لأنى بي هذا ، أو لأنى صدق هذا ، أو لأنى شهيد هذا ، قل لمن عطف النور ،
قال يا رب ومن عطف عنه ، قل أنت تملكه ، قل ومدهو ، قل عقوقك عن أحييت .
قال رب إني قد عفوت عنه ، قال الله عن حدس أحييت فادخه الجنة) ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصحح
بين المؤمنين) (ك) أو شكر الآل في صفت من حلت صحفك عن المظالم كيف يكون
سرورك حين تغور ، قصاء وقد حلق الله عليك حله الرضا ، وعند ذلك صر قلبك
روحاً وسروراً وأنت وحك ، أنشرف كما يشرف القمر ليلة البدر ، فتقوم بأعداء الله
تبحر ترك من حلاتك . انظر رأسك وبصرة ليم " تعيم ورد الرضى بتألا من
حيبك ، وحلق الأوب والآخرين يصرون " ليك والملائكة يمشون بين يديك ومن
حملك ، يشربون عن رءوس لأشجار هذا فلان من ولا رضى الله عنه وأرضاه
وقد سعد معادة لا يشقى بعدها أسداً . وإن سكر الآخرى ، والعباد لله ، بأن حرج
من تحريك حريجة كنت تحسب هبة ، هي عند الله عطية ففتك لأجلها ، وقال
عبيك لعنى يا عبد السوء لا أتصل منك عابثك ، ولا تسمع هذا النداء إلا ويسود
وجهك . وعند ذلك " ليك الرابيه وقد عصمت لعصب حلقها فقدمت عليك
بدهن عنتها ، وصورها المنكرة فحدوا ساصيك يسحبك على وجهك ، والخلائق
يسطرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور حريك ، وتنادى الملائكة هذا فلان من
فلان كشف الله عن صناعته وعجزه . و منه نقبأخ مسدوبه ، فشق شقوة لا يسعد
بعدها أبداً . فبهه أحوالك في رد المظالم فثمها ثم مكر في الخطر الأعظم وهو حفر
الصراط أيضاً .

باب في صفة الصراط

ثم تفكر أيها العبد بعد هذه الأحوال في قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن
وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم
وقفهم إهم مسئولون) فالناس بعد هذه الأحوال يساقون إلى الصراط ، وهو حشر

ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ، من استقام في هذا العلم
على الصراط المستقيم مر على صراط الآخرة ونجا ، ومن حاد عن الاستقامة في الدنيا
وانقل طهره بالندوب ، عصى الله تعالى ، تعثر في أول قدم من الصراط ونزدي ،
فتفكر بامس لاحولك ولا قوة الا بربك ، تفكر الآن بما يحل من امرع بنواذك
إذ رأيت لصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمك شبيق
السر وبعثها ، وقد أوتيت أن تشي على صراط مع حذنه واضطراب قلبك وترلزل
قدمك وثقل طهرت مندوب ، وخرأق بين يديك رول أدامهم وسارهم ردية "مار
بالخط طيف ، وبه من مطر ما أظلمه وصرق ما أضغه ، فظنر إلى
حالك وأب تزحف على الصراط وتصعد به ورت مثل طهر أورارك ، قدمت
يمينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهايون في النار ، ورسول عليه سلام يقول (سلم سلم)
والزعقات بالابل و بشور قد ارتفعت من ومرجهم سكرتة من رول عن الصراط ، فكيف
بث لو رمت قدمك ولم سمعت بدمك ، وقت هذا ، كنت أجاهه ، ويسني قدمت لحياقي
يا ويني ليتي لم اتخذ فلانا حليلا ، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك ،
فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في ذركات جهنم ، وإن كنت به
مؤمنا وعنه عافلا فما أعظم حزنك فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط واضطراب
قلبك من خطر المور عليه ، وبين سلت فاميت به هولاً مرعاً ورعياً ، فان رسول
الله صلى الله عليه وسلم (يضرب الصراط بين طهراني جهنم فأكون أول من يخرج
نأمة من الرمس ولا ينكلم يومئذ إلا لرسول ، ودعوى الرسل يومئذ ، اللهم سلم اللهم
سلم) (ق) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال (يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاحصة
أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل النصف) وذكر الحديث إلى أ ، ذكر وقت سجود
المؤمنين فان (ثم يقول المؤمنين ارفعوا رءوسكم في دعون رءوسهم فبعضهم نورهم
على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسرى بين يديه ، ومنهم من
يعطى نوره أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نوره مثل الحبة ، ومنهم من يعطى
نوره أصغر من ذلك ، حتى يكون أحمرهم رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه ويضيء

مرة ويحبو مرة . فإذا أصاب قدمه فشي وإذا أظلم قام) ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم (فمهم من يمر كطرف لعين ومهم من يمر كإنقار ومهم من يمر كإسحاب ومهم من يمر كإتصاص سكواك ومهم من يمر كشدهامرس ومهم من يمر كشده الرحل حتى يمر لدى أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، نجر منه يد وتعلق أخرى ، وتعلق رجليه وتجر أخرى وتصب حواسه النار) قال (فلا يزال كذلك حتى يحاص . فإذا حلص وقت عليها ثم قال ، الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يخط أحداً إذ نجاني منها بعد درأيت . فيخلق به إلى عدير عند باب الجنة فيعس) لك هذه أهوال الصراط وعظمته ، فقول فيه فكرث الله يبعث في قلبك الخوف . فله لا ينحيث منها لا خوف يمنع عن معاصي الله تعالى ويحث على طاعته ، مع بحث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصك على تعظيم سنته . وكن منشوقاً إلى محالة الصالحين من أمته ومتركا بأدعيتهم ، فمسك أن تال من شفاعة أو شفاعتهم ، فتتجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

باب في صفة الشفاعة

أعلم أنه لا حق دحول لنا على طوائف من المؤمنين ، فإن الله تعالى يفصله بقل وهم شفاعة لأبياء والصدقيين من شفاعة علماء الصالحين ، وكل من له عند الله تعالى جاه ومبرة . فإن له شفاعة في أهله وقرائه وأصدقائه ومعارفه ، فكأن حرصاً على أن تكسب نفسك عند الله شفاعة . وذلك أن لا تحقر آدمياً أصلاً ، فإن الله تعالى جاح ولايته في عباده ، فليس لدى تخفيرة هو ولي الله ، ولا تستصغر معصية أصلاً . فإن الله تعالى جاح غصبه في معاصيه . فليس تمت الله فيها ، ولا تستحق طاعة أصلاً . فإن الله تعالى جاح رساه في طاعته . فليس رساه فيها . وكذلك الظلمة الظلمة أو النعمة تعطيها بمسكن أو نية الحسنة أو ما يجري مجرى . وشوهد للشفاعة في القرآن والأحاديث كثيرة . قال الله تعالى (ولستوف أعطيك ربك فقرص) وقال صلى الله عليه وسلم (أعطيت حسناً لم يعطني أحد قبلي ، نصرت بالرعب مسيرة شهر . وأحللت لي العائتم ولم تحل لأحد قبلي . وجعلت لي الأرض مسجداً

وترأها طهوراً وبما رحل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأعطيت الشعاعة ، وكل
 بيتي نُعِت إلى قومه خاصة وسُعِت إلى الناس عامة (ق) وقد صلى الله عليه وسلم
 (أ) سيد ولد آدم ولا فخر ، وأد أول من تشق لأرضي عنه ، وأنا أول شافع وأول
 مشفع ، يدي رواه أحمد تحت آدم من دونه (ت) وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (نصب لأبناء منابر من ذهب فيجلسون عليها وبيتي منبري
 لا أحلس عليه قائماً من يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعثني إلى اجنة ونسفي أمتي بعدى
 فأقول يا رب أمتي فيقول يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك ، فأقول يا رب عجل
 حاجهم ، فأرسل أشفع حتى أعطى صكاً كما به حال قد بعثهم إلى النار ، وحتى إن
 مالكا حازن النار يقول يا محمد ما تركك النار لعصب ربك في أمتك من بقية (ط)
 (ط) - هذه شعاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأحد أئمة من العباد
 والصلحين شعاعة أيضاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقبض للرجل قم يا فلان
 فاشمع يقوم أرجل فيشفع للقبيل وللأهل للبيت والرجل والرجل على قدر عمله)
 (ث) . وقال صلى الله عليه وسلم (إن احتاب شعاعني لأهل السكندر من أمتي
 أنزوها للطيعين المتقين ، بل هي لتلوث المحطين) (ق) .

قد عرفت مما تقدم أن سيداً محمداً صلى الله عليه وسلم هو الشافع المشفع يوم
 القيامة ، ولكن ليس معنى هذا أسأ بقدر عن نعم وتكفل على أسأ من أئمة صلى الله
 عليه وسلم ونظم في شعاعته - من طي هذا هو حضيء كل الخطأ ، وغير عامل
 بأوامر القرآن ، قال تعالى (من عمل صالحاً فله من أسأ فله) وقال
 عز وجل (من يعمل مثلاً ذرة خيراً يره ومن يعمل مثلاً ذرة شراً يره) وأما الستة
 فنهايك قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يسته فاصمة رضى الله عنها ، وهي بصمة
 منه وأحب أحاق إليه (اعمل فإني لأعني عنك من الله شيئاً) (ق) وفي هذا كفاية
 لطالب الحق .

باب في صفة الخوض

اعلم أن الخوض مكرمة عظيمة خصّ الله بها نبيا صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتملت الأحبار على وصفه ، ونحن نرحو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا عليه وفي الآخرة ذوقه ، فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً . قال أنس رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم اعطاه (أي نام) فرفع رأسه مبتسما فقالوا له يا رسول الله لم صحك؟ فقال (آية أزلت عني آتيا) وقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) أعطيتك (الكوثر) حتى حتمتها ثم قال (هل تدرون ما الكوثر) قالوا الله ورسوله أعلم قال (إن هرا وعذنيه رفي عز وجس في الجنة عليه خير كثير ، عليه حوص ترد عليه أمي يوم القيامة آيته عدد نجوم السماء) (م) وقال ثومان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن حوضي ما بين عدن إلى عمان لبلقاء ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوانه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً أول الثامن ورودا عليه فقراء المهاجرين) فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال (هم الثمث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتسمات ولا تفتح لهم أبواب الدد) (م) وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل من حوصا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإن لا رجو أن أكون أكثرهم واردة) (ت) فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرجح كل عبد أن يكون في حصة لواردين ، وليحذر أن يكون متمنيا ومعترا .

باب في صفة جهنم وأموالها

بأنها معد العاقل عن نفسه ، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا ، المشرفة على الانقضاء والروال ، دع لتفكر فيما أنت مرتحن عنه ، وتذكر فيما أنت واردا له ، فاستأجرت بأن المال مورد للجميع ، قال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الذين آمنوا وذر الظالمين فيها حثيا) فأنت من الورود على يقين ومن السجدة في شت ، تستشعر في قلبك هول ذلك المورد معساك تستعد لتسجدة

مه ، وتأمل في مال الخلاق وقد قابوا من دواهي القيامة ما قابوا ، فينأى في
 كرمها وأموالها وقرواً ينتظرون حقيقة أفعالهم وتشفع شفعاتها ، إذا حاطت بالحر من
 ظلمات ذات شمع ، وأضلت عليهم نار ذات طب ، وسمعوا لها زفيراً وجر جرة تفصح
 عن شدة العيظ والعصب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب ووجعت الأسم على الركب ،
 حتى حاف الأتقياء من سوء المقلب ، وجرح المنادى من الزبانية قتلاً ، أين فلان
 إن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المصيع عمره في سوء العمل ، فيبادرونه
 بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ، ويقولون
 له (دُفِ إناك أنت العزيز الكريم) فيسكن داراً صافية الأرجاء ، مطهرة المسالك ،
 شراب أهيا فيها الخيم ، ومستقرهم الجحيم ، الزانية تقمهم والهاوية تجمعهم ، فقد
 شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من طلثة المعاصي ، ينادون من
 أكثافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها — يا مالك قد حق علينا الوعيد — يا مالك
 قد أنقلنا الحديد — يا مالك قد مضت ما الجلود — يا مالك أخرجنا منها فإننا
 لا نعود — فنقول الزبانية هيهات ، لا تخرج لكم من دار الهوان فاحسوا فيها ولا
 تكلمون — ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نيتم عنه تعودون ، فعند ذلك يقنطون
 وعلى ما فرطوا في حب الله يتأسفون ، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن
 أيماهم والنار عن شمائلهم ، هم عرق في النار ، طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم
 نار وفراشهم نار ، فهم بين مقطعات اليراب وسراييل الفطران ، وصرع المقامع
 ونقل السلاسل ، هم يتحدحون في مضيقها ويتحطمون في دركاتها ، تعلى هم النار
 كعمل القدور ، يصب من فوق رؤوسهم احميم ، يصهر به ما في بطونهم وجلودهم ،
 ولهم مقامع من حديد تنهم بها حاهمهم ، فينجر الصديد من أفواههم ، وتنقطع من
 العطر أقدامهم ، وتسيل على الحدود أحداقهم ، ويسقط من الوجنت لجومها ،
 وكلما مضت جلودهم ثدوا جلوداً غيرها ، وقد عريت من اللحم عظامهم ، بقيت
 الأرواح منطوية بالعروق وعلائق العصب ، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون ،
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه ككش
 أملاح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة جلود بلاموت ، وبأهل النار

خود بلاموت) (ق) يكيف بك أيها العبد المسكين لو نظرت إلى أهل النار وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم . فهيب النار سار في بواطن أجزائهم ، وحيات الهاوية وعقاربها متشعبة بطواهر أعضائهم . هذا بعض من حملة أحوالهم . واعلم أن أودية جهنم بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها ، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصى العبد ربه ، بعضها فوق بعض ، الأعلى جهنم ثم صقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الحجيم ثم الهاوية . فانظر الآن في عمق الهاوية ، فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا ، فكما لا ينهي مطلب من الدنيا إلا إلى مطلب أعظم منه ، فكذلك لا ينهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها ، قال أبو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت وجبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتدرون ما هذا) قلنا الله ورسوله اعلم . قال (هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها) (م) ثم انظر إلى تفاوت الدرجات ، فكما أن نكاح الناس على الدنيا يتفاوت ، فمن منهمك مستكثر كالعريق فيها ، ومن خائف فيها إلى حد محدود ، فكذلك عذاب النار متفاوت ، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة ، فلا تتراعى أنواع العذاب على كل من في النار كيما قال ، من لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنمه ، إلا أن أقلم عذاباً لو عرصت عليه الدنيا عذابها لا تقديها من شدة ما هو فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة يتنعل بتنعلين من در يعلى دماغه من حراره نعيمه) (ق) فانظر يا مسكين إلى حال من حفف عليه واعتبر به ، وإذا تشككت في عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به ، ثم اعلم أنك أحطت في القياس ، فإن ما الدنيا لا تناسب ما جهنم ، وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف در جهنم فقال (أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء منصبة) (و) وقال أس يوثى بأعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اعمسوه في النار عمة ، ثم يقال له هل رأيت نعيماً قط ، فيقول لا ، ويوثى بأشد الناس صراً في الدنيا فيقال اعمسوه في الجنة عمة ، ثم يقال له هل رأيت ضرأً قط ، فيقول لا . ثم انظر بعد هذا نت الصيد الذي يسيل من

أبدانهم حتى يعرفون فيه وهو العساق قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن دلواً من عساق جهنم أتى في الدنيا لأشأ أهل الأرض) (ت) وهذا شراهم إذا استعاثوا من العطش كما أحر عنهم الجبار حل حلاله بقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فئس الشراب وساء مرتقفاً) ثم انظر إلى طعامهم وهو الرقوم قال تعالى (ثم إنكم أيها الصالحون المسكدين لا تكون من شجر من رقوم فاقنوا . من البطون . فشاربون عبه من اخيم فشاربون شرب الحميم) وقال تعالى (وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم) وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لو أن قطرة من رقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم) (ت) فكيف من يكون صغاره دنت . ثم انظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أحسامها وخطاها ومنظرها وقد سلطت على أهلها وأغرقت بهم ، فهي لا تفتر عن الشرب واللبس ساعة واحدة . قال صلى الله عليه وسلم (إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن السعة فيجدهم منها أربعين خريفاً وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن السعة فيجدهم منها أربعين خريفاً) (أحمد) وهذه الحيات والعقارب إنما نسلط على من سلط عليه في الدنيا ليجل وسوء الخلق وإبداء الناس ، ومن وفي ذلك وفي هذه الحيات فلم تشل له . ثم ينكر أيها العبد بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار . فإن الله تعالى يريد في أجسامهم ضلوا وعرضا حتى يتراب عذابهم بسوء فيحسون بلفح النار وندع العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صررس الكافر في النار مثل أحد وعلط جلده ميرة ثلاث) (م) ومع عظم الأجسام فإن النار تحرقهم مرات ويتجدد جلودهم ولحومهم . قال الحسن في قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غير ما) قال نأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا . فتأمل فيها لعبد — الخائف من حرارة الشمس — في عمل ما ذكرناه من أنواع عذاب جهنم . واعلم أن نقصين عمومها وأحزائها ومعناها وحزنها لا نهاية له . واعلم أيضاً أنه من أشد ما يلاقوه من العذاب حسرة موت نعيم الجنة وموت لقاء الله تعالى وموت رضاء مع عبيد بأنهم باعوا

ذلك بشن نحر فاطر يأسكن في هذه الأهوال . واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون، وأن هذا أمر قد قصي به وفرغ منه - قل الله تعالى (وأندهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غملة وهم لا يؤمنون) . والعجب منك يا ابن آدم تضحك وتلهو وتشتغل بمحققات الدنيا ولست تدري بماذا سبق القضاء في حقك ، أسعياً أم شقياً ، فإن قت هيت شعري ماذا مودى وإلى ماذا مصيرى ومرحى وما الذى سبق به القضاء في حقى ، فلك علامة تستأنس بها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك مسيل الخير وفعلت الخير وأنت مطمئن القلب واثق به فأبشر فإنك معد عن النار ، وإن كنت لا تقصد حيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه عنك ولا يتيسر لك فعله ، ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضى عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على الثبات ، ودلالة الدخان على النار ، فقد قال الله تعالى (إن الآرار لى نعيم وإن العجائر لى جهنم) فاعرض نفسك على الآيتين تعرف مستقرك من الدارين ، والله أعلم بما قصاه وقدره لكل عبد من عباده - نسأله السلامة برحمته .

باب في صفة الجنة ونعيمها

اعلم أن الدار التى عرمت مومنها وعمومها وهى جهنم . يقابلها دار أخرى فيها كل أنواع النعيم والسرور ، فأمن نعيمها وسرورها من بعد من إحداها استقرار لا محالة فى الأخرى ، فاملاً قلبك بالخوف بوصول الفكر فى أهوال الجحيم ، وأيقظ الرجاء بطول الفكر فى النعيم المقيم المعد لأهل الجنات . وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم ، بذلك تدل الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم - فتفكر فى أهل الجنة وفى وجوههم بصره النعيم ، يسقون من رحيق محتوم جالسين على منابر لياقوت الأحرار فى حديق من نلؤلؤ الرطب الأبيض ، فيها بسط من العبقري الأحصر ، متكئين على أرائك مصونة على أطراف أنهار مملوءة بالخمر والعسل والبن ، محفوفة بالعسان والورد من مريئة بالخمر نعيم من خيرات الحسن كائنات الساقية والمراحى ، لم يطمئئ بس قلبهم ولا جان ، يعيشون فى درجات

الجنان ، إذا احتالت إحداهن في مشتتها حمل معطفها سبعون ألفاً من الولدان ، عليهما من طرائف الحرير الأبيض ماتتجيز فيه الأبصار ، مكملات بالنيجان المرصعة بالؤلؤ والمرجان ، شكلات دججات عطرآت آمنات من الهرم والبؤس . مقصورات في الخيام في قصور من الباقوت ، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين ، ويطوف عليهم خدام وولدان ، كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون ، ينظرون إلى وجه الملك الكريم ، وقد أشرقت وجوههم نصرة النعيم ، لا يرهقهم قتر ولا دقة بل عباد مكرمون ، فهم فيما اشتبهت أنفسهم حالهون . لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب المنون آمنون ، يأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها ، تراها ملك أدمر ، وحسبها مرخان ، ويمطرون من سحاب فيها من ماء التسليم على كتبان اسكافور ، ويؤتون بأكواب من صفة مرصعة بالدر والياقوت ، كوب فيه من الرحيق المختوم مزوج به السلسيل العذب . كوب بشرق نوره من صفاء جوهره ، يبدو الشراب من ورائه رفته وحرته ، لم يصنعه آدمي يقتصر في صنعته ، في كف خادم يحكى صباء وجهه الشمس في إشراقها ، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وجمال خلقته . بما عجا لم يؤمن سار هذه صفتها ، ويوقن بأنه لا يموت أهلها . ولا تحل الفجائع بين رل بفنائها ، كف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ، ويتنها عبس دونها فواقه لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدن مع الأمن من الموت والجوع والعطش ، لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها ويسعى في أن يكون من أهلها . قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ينادى مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشتموا فلا تهتموا أبداً ، وإن لكم أن تمنعوا فلا تمنعوا أبداً) (م) فذلك قوله عز وجل (وودوا أن تتركوا الجنة أو دشتموها بما كنتم تعملون) . وإذا أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن ، فليس وراءه تعالى بيان ، واقرأ من قوله تعالى (ولن خاف مقام ربه جنتان) إلى آخر سورة الرحمن ، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور ، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل أولاً في عدد الجنان . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ولن خاف

مقام ربه جنتان) قال (جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) (ق) ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي، قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أفق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة، وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد) فقال أبو بكر رضي الله عنه، والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعى، فمن يدعى أحد منها كلها. قال (نعم وأرجو أن تكون منهم) (ق) ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجة العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً — وكما أن بين الناس في الطاعات الطاهرة والأحلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً، فكذلك فيما يجارون به تفاوت ظاهر. فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى. فقد أمرك الله بالمسابقة والمناسبة فيها، فقال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) — الآية التي توضح بها رأس هذا الكتاب. وقال عز وجل (وفي ذلك لمتنافسون) والمتنافسون) والعجب أنه لو تقدم عليك أحد أقربك أو جيرانك في الدنيا بزيادة درهم، أو علو شأن، أو اقتناء دابة، ثقل عليك ذلك وصاق به صدرك، وتنقص بسبب الحسد عيشك، مع غفلتك عن زاد علك في نعيم الآخرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما يتراءون الكواكب الدائر في الأفق من المشرق والمغرب تنصّل ما بينهم) (ق) قالوا يا رسول الله تلك ما لا ينبغي أن يبلغها غيرهم قال (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) (ق) وقال جابر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أحدثكم معرفة أهل الجنة) قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه عليك بأينما أنت وأمننا، قال (إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كلها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا حطر على قس بشر) قل قلت يا رسول الله ولئن هذه العرف؟ قال (لن أفسى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام) قل قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال (أمتي تطيق ذلك وسأجركم عن ذلك من لقي أحاه فسلم أو رد عليه فقد أفنى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء وصلى العداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام) (حل) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يقول يا أهل الجنة، يقولون ليك ربك وسعديك والخير في يديك، فيقول هل رصيتم؟ فيقولون وما لنا لا نرصى بآرنا وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون وأى شيء أفضل من ذلك؟ فيقول أحل عليكم رصواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا) (خ وم وت) فنعلم أحر العاملين.

باب في صفة حائط الجنة وأرضها وأشجارها وأنهارها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن حائط الجنة لبنة من قصعة ولبنة من ذهب ترابها ذغفران وطينها مسك) (ت) وقال عليه السلام (أهوار الجنة تتعمر من تحت تلأل أو تحت جبال المسك) (عقبى) وقال عليه السلام (إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، أقرأوا إن شئتم وطل ممدود) (ق)، وقال أبو أمامة أقبل أعرابي فقال يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤدية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤدى صاحبها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما هي) قال السدر فإن لها شوكة، فقال (قد قال الله تعالى في سدر محصوص يحصر الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم يفتح الثمرة مها على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما مهالون يشبه الآخر) (البارك).

باب في صفة طعام أهل الجنة وشرابهم

والله اعلم أم الجنة المذكور في القرآن من "النواك" و"البيرواس" والحلى وأصناف كثيرة:

قال الله تعالى (كلوا رزقوا منها من ثمرة رزقا قلوا هذا الذي رزقنا من قبل وأنوابه منشأها) وذكر الله تعالى شرابهم في مواضع كثيرة . قال تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهر من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من حمر لذه للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات) قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه خبر من أبحار اليهود فذكر أشنة بلى أن قال ، من أول إجارة ؟ يعنى على الصراط ، فقال (فقراء المهاجرين) قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ، قال (ريادة كبد الحوت) فقال فما غذاؤهم على أثرها ، قال (ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافه) قال فما شرابهم عليه ، قال (من عين فيها تسمى سلسيلا) فقال صدقت (م) . وقال أبو الدرداء فى قوله تعالى (خاتمه ملك) قال هو شرب أيضا مثل الفضة يحنمون به آخر شرابهم ، لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرحها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيب

باب فى صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وخيامهم

قال الله تعالى (يخلعون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير) والآيات فى تفصيل ذلك كثيرة ، أما الأحبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تلى ثيابه ولا يفتى شأنه (م) فى الجنة ما لا عن رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (ق) وقال رجل يارسول الله احبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلق تخلق أم نوح ، مسح ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك بعض القوم فقال عليه الصلاة والسلام (ممن تصحكون من جاحش سأل عالما) ثم قال (بل يشق عن ثمر الجنة) مرتين (ن) . وقال عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى (يخلعون فيها من أساور من ذهب) قال (إن عليهم السجائر أدنى لؤلؤة فيها تصبى مابين المشرق والمغرب) (ت) وقال عليه السلام (أخيرة درة مجرمة ملوثة فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية مباسم أهل نذيراهم (تحررون) (تجارى)

باب في صفة الحور العين

قد تكرر في القرآن وصفهم ، ووردت الأحاديث بريدة شرح فيه . روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (غُمدوة في سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقات قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها . ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأصامت ولملأت ما بينهما رائحة ، ولتصبها على رأسها خير من الدنيا وما فيها) (خ) يعني الحمار . وقال عليه السلام في قوله تعالى (كأنهن الباقوت والمرجان) قال (ينظر إلى وجهها في حدرها أصمى من المرأة ، وأن أدنى لؤلؤة عليها تنضي ما بين المشرق والمغرب ، وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينمذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) (أبو ليلى) وقال مجاهد في قوله تعالى (وأرواح مطهرة) قال من الحيض والمناظ والبول والبصاق والنجاسة والمني والولد . وقال رجل يارسل الله أياصع أهل الجنة قال (يُعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم) (ت) وقال عليه السلام (إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الحالدات فلا يبد ونحن الناعمات فلا بأس ونحن الراصيات فلا تسخط قطوب لمن كان لنا وكناله) (ت) وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يعنيان بأحسن صوت سمعه الإنسان والجن وليس بمزار الشيطان وسكن بتحميد الله وتقديسه) (طب) . وقال أبو هريرة إن في الجنة حوراء يقال لها العتياء إذا مشيت منى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة ، وهي تقول أين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

باب في مصير زوجات الدنيا في الآخرة

قال تعالى فيمن يدخل الجنة من المؤمنين (ومن صلح من آياتهم وأرواحهم ودرجاتهم) — وروى مالك أن الزبير بن العوام كان كثير الضرب لزوجته أسماء

بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فضرها يوماً حين خرجت من غير إذنه فشكت إلى أبيها فقال لها - أي بُنَيَّة - إصبري فإن الربير رحل صاح ولعله أن يكون زوجك في الجنة - قال ولقد ملعي أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوج في الجنة - قال الإمام أبو بكر بن العربي فإن كانت المرأة ذات أرواح فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تخير في الأزواج فأى زوج اختارته كانت له . وروى أن حديفة ابن إليان رضي الله عنه قال لروحه إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن سمعت الله فيها فلا تزوجي أحداً من عدي فإن المرأة لآخر زوج - وفي الحديث أن أم حبيبة قالت يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتان فيجتمعان في الجنة لهما تكون للأول أو للآخر . فقال (تكون لآخرهما خيراً) قال (القرطبي) . الدنيا) ثم قال (يأثم حسنه ذهب حس الخلق بحري الدنيا والآخرة) (القرطبي) . فاعلموا ذلك أيها الإخوان وحسنوا أخلاقكم مع من تحبونها من زوجاتكم في دار الدنيا لتكونوا معها في دار الآخرة إن شاء الله تعالى .

بعض الأخبار الواردة في أوصاف أهل الجنة

جاء رحل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ، هل في الجنة جيل فإياها تعجبني قال (إن أحدث ذلك أبنت نفوس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت) وقال له رحل إن الإبل تعجن قبل في الجنة من إبل فقال (يا عبد الله إن أدخلت الجنة فتك فيها ما شئت ففسك ولدت عيناك) (ت) وقال عليه السلام (إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حملاً ومصاله وشبابه في ساعة واحدة) (هـ و ت) وقال عليه السلام (إن أهل الجنة جرد مرد بيض حماد مكحولون ، أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوهم ستون ذراعاً في مرض جمعة أفرع) (ت) وقال صلى الله عليه وسلم (أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وينصب له قمة من لؤلؤ ويرجده وياقوت كما بين الجارية وصنعا ، وأن عليهم التيجان وأن أدنى لؤلؤة منها لتعوى ما بين المشرق والمغرب) (ت) .

باب في صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى

قال الله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وهذه الريادة هي النظر إلى وجه الله تعالى ، وهي المدة الكبرى التي ينسى فيها عيى الجنة . قال جرير بن عبد الله السجلى كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر ، فقال (إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لانصامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ فصبح محمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) من الصحيحين . وروى مسلم عن صهيب قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال (إذا دعى أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، قالوا ما هذا الموعد ، ألم ينقلوا ريداً ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخربنا من النار ، قال فيرفع الحجاب ويظرون إلى وجه الله عز وجل ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه) واعلم يا عبد الله أن النظر إلى وجه الله الكريم هو غاية الحسنى ونهاية النعمى ، وكل ما فصل من التعم عند هذه النعمة ينسى ، وليس لسرور أهل الجنة عند سمادة اللقاء منتهى ، بل لاسية مطلقاً شئ من لذات الجنة إلى لذة اللقاء . فلا ينسى أن تكون همته أيها العبد من الجنة شئ سوى لقاء المولى . نسأل الله الكريم أن يمن علينا بهذه النعمة ويهيئها لنا

باب في فضيلة الذكر

يدل على فضيلة الذكر قول الله تعالى (فادكرونى أدرككم) ضمن سبحانه وتعالى جزاء الدارك أن يذكره عنده . وهذا أصل عظيم ومه كرى من الله على عباده ، ومن الآيات قوله تعالى (ادكروا) الله ذكرأ كثيراً ، وقوله من شأنه (فإذا قضيت الصلاة فادكروا لله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) فادكروا الله عن رضى الله عنهم أى بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرص والصحة والسر والعلانية . قال تعالى (وادكروا ربك في نفسك تضرعاً وحقيقة ودون الجهر من القول بالمدح والالاء والثناء) ولا تنك من العافلين ويعبر ذلك من الآيات . يقول صلى الله

عليه وسلم (يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني ونحرك شفتاه في) (م وحب) وقال عليه السلام (من أحب أن يرتفع في رياس أخيه فيكثر ذكر الله عز وجل) (طب) وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل، فقال (أن تتوت ولسانك رطب يذكر الله عز وجل) (حب، وطب).

باب في فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما حس قوم محسباً يذكرون الله عز وجل إلا حسبت بهم الملائكة وعشنتهم بأرحمه وذكرهم الله تعالى فمن عنده) (م) وقال عليه السلام (ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه ولا يادام من السماء قوموا معقوراً لكم قد بذلت لكم سبائكم حسنت) (أحمد).

باب في فضيلة التهليل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلت أنا والمؤمن من قبي لا إله إلا الله وحده لا شريك له) (ت) وقد عليه السلام (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكنس له مائة حسنة ومحبت عنه مائة حسنة وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) (ق) وقال عليه السلام (من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده، إلا من عمل بأفضل من عمله) (أحمد وك).

باب في فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال سبحان الله ومحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطياه وإن كانت مثل شرب البحر) (ق) وقال رفاعة الرقي كنا يوماً نضي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأرفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده، قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ربنا لك الحمد حمداً كثيراً

طيباً مباركاً به، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال (من
 المتكلم آتياً) قال أما يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم (لقد رأيت بضعة
 وثلاثين ملكاً يتندرونها بهم بكتها أولاً) (خ) . وقال عليه الصلاة والسلام (الباقيات
 الصالحات هن لآله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا
 بالله) (حب و ك) وقال عليه السلام (أحب الكلام إلى الله تعالى أربع سبحان الله
 والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، لا يترك بأيهن بدأت) (م) وروى أبو مالك
 الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (الظهور شرط الإيمان ، والحمد لله
 تملأ الميراث ، وسبحان الله واقفه أكرم مملأ ، ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور والصدقة
 برهان والصبر صباه ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يعدون فبائع نفسه فونقها ،
 أو مشتر نفسه فمعتقها) (م) وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال
 سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة) (ت) وروى بسرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال (عليكم بالنسيج والتهيل والتفديس فلا تعملن واعتقدن
 بالآثام فإنها مستغفقات) (دوت و ك) يعنى بالشهادة في القيامة . وقال مصعب بن
 سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (أبجز أحدكم أن يكسب كل يوم
 ألف حسنة) فقبل كيف ذلك يا رسول الله فقال (يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب
 له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة) (م) وقال أبو هريرة قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش ، قول
 لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسم عسدى و سلم) (ن) وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال حين يصبح رخصت بالله رباً وبالإسلام
 ديناً وبالقُرآن إماماً وبمحمد صلى الله عليه وسلم سائراً ورسولاً ، كان حقاً على الله أن
 يرصيه يوم القيامة) (ن) واعلم أن الذكر النافع هو الذكر مع حضور القلب ، فأما
 الذكر باللسان والقلب عدل فهو قليل الخدوى . ولكن الإلـ في أول أمره
 يكون متكلف في استحضار قلبه فلا يأس من ذلك بل يستمر . ومتى ررق التوفيق
 في المداومة على الذكر انعرس في قلبه حب المذكور وأسس به ، ومن أسس بالله تعالى
 فقد صمما قلبه وشق من جميع أمراضه .

باب في فضيلة الاستغفار

قال علقمة والأسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم في كتاب الله عز وجل آيتان ما أدب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له ، (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا ليهبهم) وقوله عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غموراً رحيماً) وقال تعالى (فسبح بحمد ربك واستعمره إنه كان توأماً) وقال صلى الله عليه وسلم (من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل همّ مخرجاً ومن كل صيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب) (دور) وقال حذيفة كنت دَرَبَ اللسان على أُمِّي فقلت يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لسان النار ، فقال لني صلى الله عليه وسلم (فأين أنت من الاستغفار فإن لا تستغفر الله في اليوم مائة مرة) (ب) وقال صلى الله عليه وسلم (ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له) ثم تلا قوله عز وجل (والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا ليهبهم) (ت) وقال عليه السلام (إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أسألك هذه فيقول عز وجل استغفر ولدك لك) (أحمد) وقال عليه الصلاة والسلام (من قال سبحانك ظلمت نفسي وعمدت سوءاً فاعمر لي بإبه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، غفرت له ذنوبه ولو كانت كدب البحر) (هـ) وقال عبيد كرم الله وجهه العجب من يهلك ومعه النجاة ، فين وما هو قال الاستغفار

باب في فضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وروى أنه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم وأشرى ترى في وجهه فقال عليه السلام (إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال أما ترصني يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمته صلاة واحدة إلا صليت عليه عشرين ، ولا يسلم عليك أحد من أمته إلا سلمت عليه عشرين) (ن وحـ) وقال عليه السلام (إن أولى الناس بي

أكثرهم على صلاة (ت) وقال عليه السلام (من صلى على من أمتي كتبت له عشر حسنات وبحت عنه عشر سيئات) (ر) وقال صلى الله عليه وسلم (من صلى على في كتاب لم ترل الملائكة يستعفرون له مادام إسمي في ذلك الكتاب) (ط) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس أحد يسلم على " إلا ردت الله على روحه حتى أُرَدَّ عليه السلام) (د) وقبل له يارسول الله كيف نصلي عليك ، فقال (قولوا اللهم صلّ على محمد عبدك وعلى آله وأرواحه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنيك حميد مجيد) (ق) (اللهم صل وسلم وبارك على آله وأرواحه وذريته إلى يوم الدين وتقبل منا يارب العالمين) .

بعض دعاء عائشة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها (عيك بالخوامع اسكوا مل ، فوالى اللههم أن أسألك الخير كله عاجله وآجله ما عنت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما عنت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وأستعبدك مما استعبدك منه عبدك ورسولك صلى الله عليه وسلم وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين) (هـ دك)

بعض دعاء فاطمة رضي الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا فاطمة ما يمنحك أن تسمي ما أوصيت به أن تقول ، يا حي يا قيوم برحمتك أستعبدك لا تنكلي إلى نفسي طرفة عين وأصالح لي شأنك كله) (ت)

بعض دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبريدة الأسلمي رضي الله عنه ، (يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً عشرين يوماً لم ينسهن أبداً) قال

فقلت يا رسول الله قد (قل اللهم إني ضعيف فقوّ في رصاك ضعفي وحدّ إلى آخر
بتأصّتي واجعل الإسلام منّي رصاي ، اللهم إني ضعيف فقوّني وإني دليل فأعزّني
وإني فقير فأغنني بأرحم الراحمين) (ك) .

بعض دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذ أصبح (اللهم إن هذا حقّ حديد فافتحه على طاعتك واحتّمه لي
بمعمرتك ورصوامك وارزقني به حسنة تفلحها مني وزكها وضعفها لي ، وما علمت به
من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم) قال (ومن دعا بهذا الدعاء إذا
أصبح فقد أدى شكر يومه) .

بعض دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله
عليه وسلم طاف بالبيت سبعاً وهو يومئذ ليس بمنى ربوة حمراء ، ثم قام فخصى ركعتين
ثم قال (اللهم إنك تعلم سرّي وعلايتي فاقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي ،
ونعم ما في نفسي فاعمر لي دوني ، انهم إني أسألك إيماناً يأسر قلبي ، ويقنأ صادقاً
حقّي أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبتّه علي والرصّي بما قسمته لي باد الحلال والإكرام)
وأوحى الله عز وجل إليه أنّي قد غفرت لك ولم يأتني أحد من دريتك فبدعوني بمثل
الذي دعوتني به إلا غفرت له ، وكشفت عمومه وهمومه وترعت الفقر من بين عيبيه
وانجرت له من وراء كل تاجر وجاءه الدنيا وهي رعمة وإن كان لا يريدّها .

بعض الاستعاذات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم

(اللهم إني أعود بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطعم ومن
طمع حيث لا مطعم) (أحمد) (اللهم إني أعود بك من علم لا ينفع وقلب لا يتخشع
ودعاء لا يسمع ونفس لا تتسع وأعود بك من الجوع فانه يشّ الصّجيع ومن الخيانة
فانه يشّ البغاة ومن الكس والبخل واجبوا الحرم ومن أن أُرَدُّ إلى أرذل العمر
ومن فتنة الديّال وعذاب القبر ومن فتنة المحي والميت . اللهم إنا نسألك قروباً أو راحة

مُحِبَّةٌ مُبِيَّةٌ فِي سَبِيلِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِزَّكَ وَمَعْفِرَتَكَ وَمَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ
وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْعِزَّةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَتُفُورٍ بَاخِتَةٍ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ (ك) (اللهم
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سَجْدِ اللَّاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) (ق)
اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ لِقْسُوهِ وَلَعْنَتِهِ وَنَعَيْنِهِ وَالدَّالَةِ وَالْمَكْنَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ
السُّكْرِ وَالْفَقْرِ وَالْفُسُوقِ وَالشَّقَاقِ وَالْعَاقِ وَسُوءِ الْأَحْلَاقِ وَصَبَقِ الْأَرَارِقِ وَالسَّمْعَةِ
وَالزِّيَامِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْجَهْمِ وَالْعَمَى وَالْخُنُونِ وَالْجُدَامِ وَلِرَصِّ وَمِي
الْأَسْقَامِ (ك) (اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ بَعْتِكَ وَمِنْ تَحْوِيلِ عَاقِبَتِكَ وَمِنْ
بُخَاةِ نَقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ) (م) (اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِبَةِ الدُّنْيَا وَغَلَةِ
الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) (نوك) .

بعض الأدعية الماثورة عند حدوث الحوادث

إِذَا قَتَ مِنْ الْمَحْسُوسِ فَقُلْ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءَ وَطْئْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ
إِلَّا أَنْتَ) فَإِنَّهُ يَكْفِرُ لِمَنْ أَسْأَلَكَ . فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ دَيْنٌ فَقُلْ (اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ
عَنْ حَرَامِكَ وَاعْنِي بِفَصْلِكَ عَنْ سُوءِ) (ت) وَإِذَا رَأَيْتَ الْهَلَالَ فَكُفِّرْ ثَلَاثًا ثُمَّ قُلْ
(أَنْتُمْ أَهْلُهُ عِيَالِي وَالْإِيمَانُ وَالْبِرُّ وَالسَّلَامَةُ وَالْإِسْلَامُ وَتَوْفِيقِي يَا تَحِيَّ وَتَرْصِي
وَإِحْفَظْ عَنِّي تَحِطُّرِي وَرَبِّكَ اللَّهُ هَلَالٌ رَشِيدٌ وَحَيْرٌ آمَنْتُ بِحَقِّكَ اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ حَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَحَيْرَ قَدَرِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْخَشْرِ) (د) وَإِذَا
سَمِعْتَ وَفَاةً أَحَدٍ فَقُلْ (يَا اللَّهُ وَإِنَّا زَيْنُ رَاغِبُونَ وَإِنَّا رَسَائِلُ مُقْسُونَ ، اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ
فِي الْمُحْسِنِينَ وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَاحْلِفْهُ عَلَى عَقْبِهِ فِي الْعَابِرِينَ ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا
أَجْرَهُ وَلَا تَهْنِئْنَا بَعْدَهُ وَاعْمُرْ لَدُنْهُ) (س) فَإِذَا حَفَّتْ قُوَّةُ فَقُلْ (اللَّهُمَّ يَا
تَجْعَلْكَ فِي نُحُورِهِمْ وَبَعِيدَكَ مِنْ شُرُورِهِمْ) (نوك) فَإِذَا رَأَيْتَ اسْتِجْدَادَ دَعَاكَ فَقُلْ
(اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي بِرَحْمَتِهِ وَحَلَّاهُ تَمَّ لِحَاجَتِي) وَإِذَا ابْطَأَتْ فَقُلْ (اَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ)
(ق) وَإِذَا أَصَابَتْكَ مُمْ قُلْ (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِبْنُ عَبْدِكَ وَإِبْنُ أَمَتِكَ تَابَعْتِي يَدُكَ
مَاصٍ فِي حَكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ أَرْكَبَتْ

في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن يجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهب حزني وومي (قال صلى الله عليه وسلم) ما أصاب أحداً حزنٌ فقال ذلك إلا أذهب الله همّه وأبدله مكانه فرحاً (فقبل يارسول الله أفلا تتعسبنا فقال عليه السلام (بل يدعى لمن سمعها أن يتعسبها) (أحمد) وإذا وجدت رجماً فصع يدك على موضع الهم وقن (بسم الله ثلاثاً وقن سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) (م) .

فهذه الادعية لا يستعنى الإنسان عن حفظها — فإن قلت هي فائدة الدعاء وانقضاء لأمرد له — فاعلم أن من القضاء رد اللأ بال دعاء — فال دعاء سب لرد اللأ واستحلاب الرحمة ، كما أن الماء سبب لخروج لست من الأرض ، فلا تركن إلى القضاء في إحراج النبات بدون الماء ، لأن الله تعالى ربط الأساس بالمستند ، فكما أن لترس سبب في رد السهم ، كذلك الدعاء سبب في رد اللأ ، قال تعالى ادعوني أستجب لكم (وقال عليه السلام (الدعاء مح العباد) (ت) فقد أمرنا بالدعاء كما أمرنا بسائر العبادات ، وكل قضاء الله (قدره وتوفيقه للعد ، فهو إن وفقك للدعاء فقد فتح لك باب القبول .

باب في آداب الدعاء

اعلم أن الدعاء آداباً يسعى للداعي أن يراعيها وقت دعائه ويتأدب في مآذاه رجاء قبوله .

— أن يكون على وضوء في قدر في كل دعائه أو في معظمها وأن يكون مستقبل القبلة فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتت عرفة واستقصى العبة ولم يل وقت حتى عرفت الشمس م — وأن يرفع يديه حتى يرى بياض أظفه ولا يصفق ولا يشر بأصبعه — قال عليه السلام (من ركبكم كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يذهب منه آ) (ت) وأن يترصد الأوقات اشريفة كيوم عرفة وعاشوراء وشهر رمضان وليلة الجمعة ويومها لاسباب آخر ساعة منه ، ووقت الحر وبعد صلاة صبح ، وما بين الأذان والإقامة

وتكبيره الاحرام، وفي السجود، وقد جاءت الاحاديث بذلك، وأن لا يتكلم السجّع لقوله صلى الله عليه وسلم (إياكم والسجّع في الدعاء) (م) لأنه يذهب الخشوع قاله من غير تكلف، أو حطه من دعاء غيره فلا بأس وأن ينعم في قلبه التضرع والرهة والخشوع قال تعالى (ويدعون ناراً غاًوراً هياً وكانوا لنا خاشعين) وأن يشارك أئوبه وسائر المسلمين، فإن الله تعالى أكرم من أن يتكلم الداعي عن جميع المسلمين ولا يتكلم هو بالاجابة فيهم، وهو تعالى أكرم الأكرمين، وأن يحرم بالدعاء ويصدق رجاءه لقوله صلى الله عليه وسلم (لا يقول أحدكم اللهم اعصر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليكرم المأله فانه لا مكره له) (ق) ويلج في الدعاء وأن يكرره ثلاثاً فإن الله تعالى يحب المتحسين في الدعاء وأن لا ينطلي الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم (يستجاب لأحدكم ما لم يعجز فيقول دعوت فلم يستجب لي) (خ)، وأن لا يدعو فيما يكرهه الله تعالى.

وإعلم أن الأصل في قول الدعاء وسرعة الإجابة، التوبة من كل ذنب، والاقلاع عن كل معصية، والاقبال على الله تعالى بجميع الهمة.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حياً وميتاً ، فعلاً وقولاً . ولم يكن أحد أكرم على الله منه ، إذ كان حبيب الله وحببه . وكان صفيه ورسوله ونبيه . فاطر من أمه ساعة عند انقضاء مدته . وهن آخره حطة بعد حضور منيته . لا ، بل أرسل إليه الملائكة الكرام . بقدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن حدة الظاهر ، إلى رحمة ورضوان ، وحيات حسان ، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن . فاشتد مع ذلك في الروع كربه ، وطهر أنبيه وتتابع قلقه ، وعبر لونه ، وعرق جنته ، فبن رأيت منصباً شوية دافعا عنه مقدوراً ، وهن راعي الملك فيه أهلاً وعشيراً . وهن ساجدة إذ كمال للحق صدراً . وللخلق بشر ونبيراً ، هيات . بن امتن ما كان به مأموراً . واسع ما وجدته في الموح مسطوراً . فهذا كماله . وهو عند الله صاحب المقام المحمود . والخص المودود . فالعجب أنا لا نعتبر به . وسن عن ثقة بيا لبقاه . بن نحن أسراء الشهوات . وقرء المعاصي واسينات . فإنا لا نتعظ بمعصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين . وحب رب العالمين . فلما نظر أت مخلصون . أو توهم أننا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون هيات هيات ، أطر كيف كان كرب . بك صلى الله عليه وسلم عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى . قال ابن مسعود رضى الله عنه . ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فطر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال (مرحبا بكم حياكم الله وآواكم الله نصركم الله . وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله . بن لكم منه نذير مبين . ألا تغلوا على الله في بلاده وعباده . وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدة المنهى وإلى جنة المأوى وإلى انكاس الأذى . فاقروا على أنفسكم وعنى من دخل في دنكم بعدى مني السلام ورحمة الله) (البرار) وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته (من لأمتي بعدى) فأوحى الله تعالى إلى جبريل (إن بشر حبيبي إلى لا أحده في أمته ونشره بأنه أسرع أسس حرواح من الأرض إذا سئوا وسيدهم

إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى ندخلها أمته (فقال (الآن قرأ عيسى (طب) . وقالت عائشة رضى الله عنها أمر ما رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو في مرضه الأخير أن نقله سبع قرب من سبعة آبار ففعل ذلك فوجد راحة فخرج وصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعاهم . وأوصى بالانصار فقل (أما بعد يا معشر المهاجرين فكلمكم تزيدون وأصحت الانصار لا تريد على هيئتها التي هي عليها اليوم وأن الانصار عيبى التي أوتيت اليها . فأكروا كريمهم يعنى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم) ثم قال (إن عبدا حير بين الدنيا وبين ما عند الله فاحتر ما عند الله) فبكى أبو بكر رضى الله عنه وطلب أنه يريد نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (على رسلك يا أبا بكر ، سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم أمرا أفصل عندي في الصحبة من أبي بكر) (الدارمي) .

وقالت عائشة رضى الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومى وبين حجرى ونحرى — وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول (لا إله إلا الله إن لبوت لسكرات) ثم ينصب يده ويقول (الرفيق الأعلى) فقلت إذا والله لا يختارنا (ق) .

قالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار . ففرق عنه الرجال إلى منارهم وحوائجهم مستشريين وأحلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء . فبينما نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخرجن عنى هذا الملك يستأذن على) فخرج من في البيت غيرى ورأسه في حجرى فجلس وتنجست في جانب البيت ، فنادى الملك طويلا ثم إنه دعانى فأعاد رأسه في حجرى وقال للنسوة (أدخلن) فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحل يا عائشة ، هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله عز وحن أرسلنى وأمرنى لا أدخل عليك إلا يادن فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرنى ألا أقبضك حتى تأمرنى فإذا أمرك ؟ فقلت أكف عنى حتى يأذننى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل) فقالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر

يكن له عندما جواب ولا رأى . فوحنا وكأنا ضربنا عصا ما نخرج إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعطاهم ذلك الأمر وهيبة ملأت أحوالنا . فأت وجه جبريل في ساعة فلم تعرفت حبه وخرج أهل البيت فدخل فقال (إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف نحمدك وهو أعلم بالذي تحمدك . ولكن أراد أن يريتك كرامة وشرفاً وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمته) فقال (أجد مني وجعاً) فقال (أنشر فإن الله تعالى أراد أن يلملك ما أعد لك) فقال (يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي) وأحضره الخبر فقال جبريل (يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك ، لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق) قال (فلا تبرح إداً حتى يمضي) وأذن للنساء فقال (يا فاطمة ادني) فأبكت عليه ففاجأها . فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام . ثم قال (أدني مني رأسك) . فأبكت عليه ففاجأها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام . فكان الذي رأيت منها عجباً فسألناها بعد ذلك فقالت أحزنني وقال لي (إني ميت اليوم) فبكيت ثم قال (إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي) فضحكت وقررت انبيها منه (الحسن والحسين) فشمهما ثم قالت وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الميت (ما تأمرنا يا محمد) قال (الحقني برئي الآن) فقال (بل من يومك هذا . أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عليك ولم يهن عن الدحول على أحد إلا نادى عبرك ولكن ساعتك أمامك) وخرج قال وجاء جبريل فقال (السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أرسل فيه إلى الأرض أبداً ، طوى الوحي وطوى النبوة ، الدنيا وما كان في الأرض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي) . لا ولي بعد محمد أبداً بالخلق ما في البيت أحد يستطيع أن يخبر في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجوداً وإشفاقاً . قالت فقامت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه بين يدي وأمسكت صدره وحمل بعنقه حتى يغفل وجهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط فجعلت أسست ذاك العرق وما وجدت أطيب منه ، فكنت أقول له إذا

أفاق بأبى أنت وأمى ونفسى وأهل ما تلقى جهتك من الرشح فقال (يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شذقيه كنفس الحمار) فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهد أى بعثه إلى أبى فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحى. أحد وإنما صدم الله عنه لأنه ولاء جبريل وميكائيل وجعل إذا أغنى عليه قال (بل الرقيق الأعلى) كان الحيرة تعاد عليه ، فإذا طاق الكلام . قال (الصلاة الصلاة إنكم لاتزالون متماسكين ما صليتم جميعاً الصلاة الصلاة) كان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة . (طوبى) عن جابر . وهكذا توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة (ح) ولم يترك بعد وفاته مالا ولا بى بيتاً — هى وفاته عبرة نامة ، ومسيئين به أسوة حسنة .

ولما بلغ أبا بكر الخبر وهو فى بنى الحارث بن احررح جاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فطراهيه ثم أكعبه فقله ثم قل — بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما كان الله ليديفك الموت مرتين ، فقد والله توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى الناس فقال — أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد رب محمداً فله من الله ما لا يحصى — قال الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الآية . فكان للناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ (ح) .

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه

لم اختصر أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، جاءت عائشة رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يعنى التراء عن الفتى إذا حشرحت يوماً وصاق بها الصدر
مكشفت عن وجهه وقد ليس كذا ولكل قولى (وجاءت سكره الموت بالحق
ذلك ما كنت منه تحيد) اطروا ثوبى هدى فاغسلوها وكفنوا بهما ، فبن الحى
إلى الجديد أحوج من الميت . وفات عائشة رضى الله عنم عند موته :
وأبيض ينسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضى الله عنه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودحوا عليه
فقالوا ألا ندعو لك طناً يطر اليك ، قال قد طهر إلى طيبي وقال إني فعل لما أريد
ودخل عليه سيان الفارسى رضى الله تعالى عنه يعود ، فقال يا أبا بكر أوصنا .
فقال إن الله فتح عليكم الدي ولا تأخذ منها إلا بلاغت ، وعلم أن من صلى صلاة
الصبح فهو في دمة الله فلا تحقرن الله في دمه ، فيكف في نار على وحك ، ولما تقن
أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستحلف يستحلف عمر رضى الله
تعالى عنه فقال الناس له استحلفت عبناً طناً غليظاً فإدا نقول لك ، فقال أقول
استحلفت على حقي حبر حقيق . ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فجاء . فقال إني
موصيت بوصية . أعلم أن الله حقاً في النهار لا يقبل في الليل ، وإن الله حقاً في الليل
لا يقبل في النهار ، وبه لا يقبل لك الله حتى تؤدي لعريضة وربما نعت موارين من
ثقلت موارينهم يوم القيامة ماناعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم . وحق لميرن لا يوضع
فيه إلا الحق أن ينقش . وإما حفت موارين من حفت موارينهم به م بقاءه بانه
الاطل وحسنه عليهم . وحق لميرن لا يوضع فيه إلا الباطل أن يحف . وإن الله ذكر
أهل الجنة بأحسن أعمالهم ومجاور عن سبتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء ولا أبلغ
صنع هؤلاء . فإن الله ذكر أهل الدار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا
فيه . فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء . وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العقاب
ليكون المؤمن راغباً رهياً ولا يلقى بيده إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق .
فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون عائب أبك من الموت ولا بد لك منه ، وإن
صبرت وصيتي فلا يكون عائب أبك من الموت ولا بد لك منه ، وإن
تبعجرت . وقال سعيد بن المسيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من
الصحابة . فقلوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رددنا إيماننا بك لما بك . فقال
أبو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين . قلوا
وما لأفق المبين . قال قع بين يدي العرش فيه رياض الله وأهله وأشجار يعشاها
كل يوم مائة رحمة . فمن قل هذا لقول جعل الله روحه في هذا المكان (اللهم إني
استأدت الخلق من غير حاجة بك اللهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للتعليم وفريقاً للسعي ،

فاجعلني للنعم ولا تجعلني للسعي . اللهم إنيك خلقت الخلق فرقاً وميرتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً فلا تشقني بمعاصيك . اللهم إنيك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا يحصر لها بما عملت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أمشاء ما يقربني إليك ، اللهم إنيك قد قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك . اللهم إنيك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين . اللهم إنيك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما أهلاً فاجعلني من سكان جنتك . اللهم إنيك أردت بقوم الصلوات وصيقت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إنيك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأحيني بعد الموت حياة ضياء وقرني إليك زلي . اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله) ثم قال هذا كله في كتاب الله عز وجل .

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمرو بن ميمون كنت قائماً غداة أصيب عمر ما يبى وبنيه إلا عبد الله بن عباس — وكان إذا مر بين الصفيين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استروا حتى إذا لم ير فيهم خلا تقدم فكبر . قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ونحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس . فاهو إلا أن كمر فسمعت يقول . قننى أو أكلنى الكلب حين طعنه أو لؤلؤة . وطار القاتل بسكين له طرفين وكان لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه . حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم تسعة . وفي رواية سبعة . فلما رأى ذلك رحل من المسلمين طرح عليه عباءة . فلما طعن القاتل أنه مأخوذ طعن نفسه

وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه . فأما من كان يلى عمر فقد رأى ما رأيته . وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر . غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله . سبحان الله . صلى بهم عبد الرحمن صلاة حفيفة

فبما انصرفوا قال يا اباي العباس انظر من قتلتى قال فغاب ساعة ثم جاء فقال غلام
المغيرة بن شعبة ، فقال عمر رضي الله عنه . قتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً ثم
قال الحمد لله الذي لم يجعل مثبتي بيد رجل مسلم . قد كنت أنت وأبوك نحيان أن
يكثر العلوح بالمدينة . وكان العباس أكثرهم رقيقاً . فقال ابن عباس إن شئت فعدت
أى إن شئت فنتهم .

قال بعد ما تكلموا بساكنكم وصلوا إلى قتلكم وحجوا حجكم — فاحتمل إلى بيته
فانطلقنا معه . قال وكان الناس لم تصبهم مصيبه قبل يومئذ ، قال فقاتل يقول أحاف
عليه . وقاتل يقول لا بأس ، فأني بنيت فشرب منه فخرج من جوفه ثم أتى من فشرب
منه فخرج من جوفه فمروا أنه ميت ثم قال يا عبيد الله أنظر ما على من الدين .
فحسبوه فوجدوه ستة وثلاثين ألفاً أو نحوه ، فقال إن وقي به مال آل عمر فآده من
أموالهم وإلا فلي في بي عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فلي في قريش ولا تعدم
إلى غيرهم وأد عن هذا المال .

انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقبل عمر بقر أعليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين ،
لأنى كنت اليوم لمؤمنين أميراً . وقل يسأدن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه
فذهب عبد الله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تكى . فقال يقرأ عليك
عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه . فقامت كنت أريده لنفسى
ولا وثره اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارفعوني
فأسنده رجل إليه فقال مالدبك . قال ابسى نحب يا أمير المؤمنين قد أذنت . قال
الحمد لله ما كان شيء أم إلى من ذلك ، فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقبل يستأذن
عمر فإن أذنت لي فادخلوني وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين . وجاءت أم المؤمنين
حفصة والنساء يسترها فلما رأيناها قننا فوالت عليه فكت عنده ساعة . واستأذن
الرجال فولجت داخل فسمعنا نكاهها في داحس . فقالوا أوص يا أمير المؤمنين
واستحلف فقال ما أدرى أحق هذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسعى عليا وعثمان والزبير وطحمة وسعدا
وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة الثعيرة له .

في أصوات الأمانة بعد ذلك . وإلا فليستعن به أيكم أمر . فإن لم أعزله من عمر ولا حياة . وقال أوصي الخيفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرماتهم . وأوصيه بالأصهار حتى آتدين نبؤا الدار والايامن من قبلهم أن يقبل من محنتهم وأن يعفو عن سيئتهم ، وأوصيه بأهل الأصهار خيراً فإنهم رده الإسلام وجاه الأموال وعبط العدو ، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضائهم وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل لعرب ومادة الإسلام وأن يأخذ من حوائش أموالهم ويرد على فقرائهم . وأوصيه بدمه الله عز وجل ودمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوتي لهم بعدد ما وأب يقتلهم من ورائهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم .

قال فلما قصص حرحرنا به فاطلقت عشي فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت ادخلوه فدخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث . وعن بن عباس قال وضع عمر على سريرته فتكفنه الدس يدعون ويصلون . قبل أن يرفع وأن بهم ثم برعى الأرحل قد أحد بمكي فانتفت فإذا هو على بن أبي طالب رضى الله عنه فترجم على عمر . قال ما حدثت أحداً أحب إلي أن أرى الله مثل عمه منك . وأبى الله إن كنت لأطأ إيمانك ثم مع صاحبك . وذلك إنى كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول (ذهبت أماً وأبو بكر وعمر وخرجت أماً وأبو بكر وعمر . ودخلت أماً وأبو بكر وعمر) (ق) فإنى كنت لأرحو أو لأطأ أن يحملك الله معها .

وفاة عثمان رضى الله عنه

الحديث في قتله مشهور . وقد قال عبد الله بن سلام أنبت أحي عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه . فقال مرحباً يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوصة وهى حوچه في البيت . فقال (يا عثمان حصروك) قلت نعم . قال (عصفوك) قلت نعم فأبلى إلى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين ثديي وبين كتي وفان لي إن شئت نصرتك عليهم وإن شئت أظفرت عندما فاحترت أن أظفر عنده . فقتل ذلك اليوم رضى الله عنه . وقال عبد الله بن

سلام لمن حصر تشحط عثمان في الموت حين حرج ما د قال عثمان وهو يتشحط .
 قولوا سمعنا بقول اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي
 بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة ، وعن ثمامة بن حزن
 القشيري . قال شهدت الدار حين أشرف عليه عثمان رضي الله عنه فقال إئتوني
 بصاحبيكم الذين أباكم علي قال فجيء بهما جملان أو حماران فأشرف عليهما
 عثمان رضي الله عنه . فقال أشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير نر رومة . فقال (من يشتري
 رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين يحير له منها في الجنة) فاشتريتها من صلب مالي فأتتم
 اليوم تمنعوني من أن أشرب منها ومن ماء البحر . قالوا اللهم نعم . قال أشدكم
 والإسلام هل تعلمون إن جهرت جيش حميرة من مالي . قالوا نعم . قال أشدكم
 الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد صاق بأهله فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (من يشتري بقعة آل ولان يبردها في المسجد يحير منها في الجنة) فاشتريتها
 من صلب مالي فأتتم اليوم تمنعوني أن أصيب فيها ركعتين . قالوا اللهم نعم . قال أشدكم
 الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على نير بمكة ومعه
 أبو بكر وعمر وأن فتعرك الخيل حتى تساقطت حجارته بالحصى فقل فركه رحله
 وقال (أسكن نير ثم عبك إلا بي وصديق وشيدين) قالوا اللهم نعم ، قال الله أكبر
 شهدوا لي ورب لكفة في شهيد (ت و ن) وروى عن شريح من صبه أن عثمان
 حين صرب والدماء تسيل على لحيته حصر يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
 من الظالمين . اللهم إني استعديك عليهم واستعجلك على جميع أموري . وأسألك الصبر
 على ما ابتليتي .

وفاة علي كرم الله وجهه

قال الأصم الحنظلي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه أتته ابن
 التيج حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مصططح متافق فعاد الثانية وهو كذلك
 ثم عاد الثالثة فقام على يمشي وهو يقول :

أشدد حياربكم للنو ت فاب الموت لائقا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

فما بلغ الباب الصغير شد عليه أس منجم فصر به فخرجت أم كاثوم انفة على رضى
الله عنه فجعلت تقول مالى ولصلاة العداة قتل زوجى أمير المؤمنين صلاة العداة
وقتل أبى صلاة العداة . وعن محمد بن على أنه لما صرأ أوصى بيه ثم لم ينطق إلا
بلا إله إلا الله حتى قبض .

باب فى أن العبد يدفن فى الأرض التى خلق منها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا قضى الله للعبد أن يموت بأرض جعل
له إليها حاجته) (ت) وقال عليه السلام (إذا كان أحسن العبد بأرض أو ثقته الحاجة
إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره فتوفاه الله بها فبعثه الله فتقول الأرض يوم القيامة يارب
هذا ما استودعتنى) (هـ) وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
يطوف فى واحة المدينة فادأ بقبر يحمر فاقبل حتى وقف عليه . فقال (لمن هذا
القبر) فقالوا الرجل من الحبشة . فقال (لا إله إلا الله سبق من أرضه حتى دفن فى
الأرض أتى خلقها) .

ومن هذا ينحجب للعبد د سافر أن يخرج من المصلم وقصى جميع ديونه
أو يوصى بقصائنها . ويوصى كذلك بما له وما عليه فإنه لا يدري هل يرجع من هذه
السفرة أم لا . وقال أبو حاتم ما حدثنا نكر وعمر رضى الله عنهما فضيلة مثل
هذه القصيدة قبل هيسهما من ضية رسول الله صلى الله عليه وسلم

ضروره استغراق الأوقات فى الذكر والعبادات

إعلم هدا وهداك لله . أن الله تعالى جعل الأرض لولا عباده لا يستقروا
على ظهره . بل ليحذروها مبر لا يترودوا منها . إذ يحملهم فى سفرهم إلى أوطانهم ،
مع الاحراز من مصيدها ومضاهيها . واعلم أن لعمر يسير شاسير السفينة راكبها ،
فلا تأس فى هذا العالم مسافرون وأول متارلم المهد وأحرها اللحد . والوطن الجنة

أو البار ، والعمر هو مسافة السر ، فالنوم مراحه ، والشهوات قساسة ، والأفاس خطواته ، طاعة الله مضاعفة ، والأوقات رءوس الأموال ، والشهوات قطعان طريقه ، وريحه العود بقاء الله تعالى في دار السلام ، مع الملك الكبير والعيم المقيم ، وخسرانه البعد من الله تعالى والعذاب الأليم في دركات الجحيم ، واعلم أنك إن صمت لنفس لو احدى في غير طاعة ربك سوف تنحصر على ذلك يوم القيامة حمرة لا تنتهي لها وتندم بدماء شديداً ، ولقد نطقن لهذا الخطر العظيم فمن وفقهم الله من عبادهم ، فشتروا عن ساق الجذو وودعوا ملاذ النفس وشهوات الدنيا ، واعتصموا بقاء العمر ، هربوا الأوراء لإحياء الليل والنهار في طلب الغرب من الملك الجبار ، ولكن لما كانت النفس لا تصبر على نوع واحد من الأذكار ، لأنها جلت على السأمة والميل ، يجب أن تروح بالنقل من نوع إلى نوع بحسب كل وقت ، ومن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فيستغرق أوقاته في لطاعة ، ومن أراد أن تترجح كفة حسنة وتثقل موازين حيراته فليحس الطاعة أكثر أوقاته ، فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره في حطر ، ولكن لرجاء غير منقطع ، وانعموا من كرم الله منظر ، فعلى الله أن يعمر له مودة وكرمه ، وانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه (واذكر اسم ربك وينزل إليه نبيلاً ، وادكر اسم ربك لشكره وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً صويلاً ، وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسجد له وأمر سجوداً من الليل فسبح وأمر أن الليل لملك ترضى وتقم صلاة صرى شهيد ، ورغبت من الليل في أحببت بدهن سيأت) ثم انظر كيف وصف القرآن من عباده فقال تعالى (ومن هو قائم آتاه الليل ساجداً وقوماً يحمد الآخر ويرجو رحمة به ، تتدنى حوضه عن المصالحع يسجدون لهم خاشعون صلياً ، ولهم حور موصلاً ، ولهم من دونهم ساجداً وقوماً كائناً قبلاً من قبل ما يجمعون ، ولا يسجدون لهم يستعصرون) فكل هذا بين لك أن ينظر إلى الله تعالى هو مراحه الأوقات وعمرته بالذكر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحب عبادة الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهنة لذكر

الله تعالى (فلا تظن أن المتصود من سير الشمس والقمر واختلاف الليل والنهار وحلق الظل والنور والكواكب والنجوم أن يستعان بها على الدنيا فقط ، كلا ، بل لتعرف بها مقدير الأوقات فشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة ، قل تعالى (وهو الذي جعل الليل والنهار حلقة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) بيتس أن ذلك للذكر والشكر لا عبر . وقال عليه الصلاة والسلام (لم يوح إلى أن ادحر مالا وكن من الناحرين ولكن وحي إلى أن يسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (ابن مردويه) .

أيها المسلم - قرأنا في أول الكتاب ، إن الله تعالى لم يخلق الخلق إلا لعباده . وتقرأ الآن في نهاية الكتاب ، أن الليل والنهار والشمس والقمر والظل والنور والكواكب والنجوم لم تخلق إلا لمعرفة أوقات هذه العادة - ولما كانت الصلاة أفضل العبادات العملية فقد أوحى إلى حصره النبي صلى الله عليه وسلم فيها أوحى إليه أن (يسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقرأنا في سننه في الحصار الإسلامية قوله عليه السلام (وقرء عني في الصلاة) قل ذلك تعليلنا لما في الصلاة من لبيذ الحاجة وعظيم المشاهدة ، وهو أشرف وقت يكون فيه العبد مع ربه عز وجل . غير أن بعض المسلمين قد أعرضوا عن هذا المقام لعظيم وأصبح القيس منهم من يراقب الأوقات للذكر والصلاة ، وإليك حالات أكثرهم . يلهو العبد ويلعب ساعات طويلة أو يشتغل بأحقق الأمور الدنيوية ، فإذا جاء وقت الصلاة وأذن المؤذن ودعا الموحدين لما فيه فلاحهم ، فلا يحرك ساكنا ولا يلتفت إلى الداعي ، وقد يرى من العار أن يقوم من مجلس اللهو ويترك إخوان السوء ليتودى شعائر الدين ويسجد لب العالمين - وقد نسي هذا العاقل أن السجود لله تعالى هو أشرف عمل تتعب به الخلائق في السموات وفي الأرض . وأن تعبير الجبهة بالسجود وسام شرف العبودية ، لا يقلده الله إلا من أحب ، ونور يمشي به صاحبه على الصراط يوم تزل فيه الخلائق في قعر جهنم . قال عليه الصلاة والسلام (ما اقترص الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبده به ملائكته ، فتنهم ر' كع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقعد) (ق) .

الأفليك عن نفسه من لم يزل هذا الشرف العظيم ، وليسع جهده لنيله مادام في
العمر بقية ، وإلا فقد ندم يوم العرع الأكبر وباء بحرق مدين ، يوم تغر الخلائق
سجداً لربها ، ولا يستطيع هو أن يكون مع الساجدين - وليعلم أن الله تعالى لما
أراد أن يتم مكارم الأ-لاق ، ويضع في الأرض طاماً يسعد بني آدم في الدنيا
والآخرة ، بعد أن طوى العساد وددت الهمجية في أنحاء المعمورة ، وصلت الخلائق
في تباب سكر ، ودهمت في ضلالت المعاصي والمفحور - بعث نبياً محمد أصلي الله
عليه وسلم به دياً بعلين ورحمة ، يحرجه من ظلمات في نور ، وأرسله بدين
حصارته هي الحصاة الصحيحة ، ونعائمه هي المديحة الحقة ، وكفى أنه دين الله القويم ،
وقد تشرف هذا العاقل بالانتهاء إليه تعاضد فيه ، وسكن ماداً قدم بنفسه ؟ أبطر
أنه يعتبر مصباً بركوع وسجود أبيه أو شاك أجد الصوم بخوع وعطش أحبه ،
أو يكف صاحباً بطواف وحرمة بيته - كلا - فقد قال الله تعالى (وأبليس
للناس إلاما سعى) أي لا يكون له حظ في الآخرة إلا بما قدم نفسه لنفسه -
وهذا المصنف من المسلمين أحطار نفسه عن الناس ، لأنه قد ظهر أمام أعدائه مظهر
المستتر (وأمره) المستهتر بتعائمه - أما الأصناف الأخرى ذاك بياها -
تاجر الهمة تخرته عن شكر ناسط الأرزاق - وواحد شعبه يلهه وأهله عن ذكر
الدرى والخلاق - وزارع عطشه رراغته عن طاعة فائق الحب والنوى ، وصانع
شغافته صناعته عن عبادة باعث العزم والقوى ، وغنى أطفاه ماله فتكبر ولم يعرف
قبة الصلاة ، وفقير ارتاب في فقره ففسق وعصى مولاه ، وذو جاه أنساه جاهه
واجبات رب العالمين ، وذو منصب اغتر بمنصبه وترك حقوق أحكم الحاكمين ، وعالم
اغتر بعلمه ففقد ولم يعص مع لعالمين ، وجاهل رضى بحمله ولم يتعلم أمور الدين .
ودو صحة أحده نشوة لصحة فعبث وفسد ، ومريض تمنى لو شئ من مرضه لركع
وسجد ، وشاب سوف لتوبة وأمل طول لبقاء ، وشيخ تباطأه بل الموت وأشقاه
الإنظام ، وفرط كل هؤلاء في خدمة الإله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

هذه حالات بعض المسلمين في زماننا في أهم ركن من أركان الدين ، وهي حالات
موجبة للناسي والحرى - نعم - تنظر إلى الرجل فقراء موقوف الصحة والعافية ،

وموسى عليه في الرزق والأهل والأولاد، والله تعالى عنده نعم لا تحصى ولا تعد، ولكنه يسأها ويتجاهلها - أما إذا سقاء أحد شر به ماء، أو استصافه لينة في عمره فلا ينسى صديقه، ويتحدث به طول حياته، مع أن الله تعالى وسعه في ملكه، وأسبغ عليه نعمه طاهرة وباطنة، وأطعمه وسقاء عشرات السنين، مع لعصيان وكران الخيل، وسب ذلك، الجهل وأمراض القلوب، التي أزمئت، وطبات الدوب التي قد تراكمت، فتركنا حقوق الخالق وعطمت حقوق المخلوقين، ولكن الله كريم حلیم. لذلك كان زاماً على (بصفتي مسلماً) أن أذكر جميع إخواني المسدس بالواجبات المقدسة نحو الخالق سبحانه وتعالى، وأن أدعوم جميعهم على اختلاف طبقاتهم. أن يسارعوا إلى معرفة من ربهم، وأن يقبضوا على زمام دينهم بكل ما أوتوا من قوة، وأن يتعاونوا على نصرته مما لديهم من شوكة وسلطان، فليس من شهامة الرجال، ولا من علامات المروءة، أن يفرط في دين أودى في تدعيمه أشرف خلق الله وحبيه وصديه وحليبه، صلى الله عليه وسلم، ونهدم بديماً أسس على دماء شهداء الأمة، وصناديد الإسلام رضى الله عنهم، وأدرك بحادثة استشهاد سيد الشهداء سيدنا حمزة رضى الله عنه، في وقعة أحد فقد شح الوحنى ثلثته (ماتحت السرة) بالحرية حتى خرجت من بين رجله فوق وقع ميتاً، فجاءت هدمت عنه روح أبي سفيان وفتحت بطنه وأخرجت كبده ومصعته، وغير ذلك كثير مما كان يحصل للجاهدين، صحوا بأرواحهم الطاهرة ونذاوا نفوسهم في مرصدة الله تعالى لتثيت قواعد الدين، وإعلاء كلمة التوحيد، ووالله ما كانوا يفرطون في الصلاة مع القيام، عباد الجهاد - أم، الآن فلا جهاد ولا صلاة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فاعلم أيها المسلم أن الله تعالى قد منّ عليك بأكرم نعمة، فكتبك في ديوان الموحدين قل أن تحق، ووالله لو اعلمت على لثقت قواعد الدين، وهو يحط استمك في اللوح المحفوظ مؤمناً وموحداً، لفنى عليك التفرح والسرور - ولو أراد الله أن تكرن غير ذلك لما كان في الأمر حجة - فآلف شكر الله وآلف حمد عبي ما أكرم به وتفصل.

ويجاء إلى تحم منهاجاً للعبادة اليومية جمعت من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم ومن آثار الصالحين، على الله أن يوفقنا جميعاً للعمل به ولك أن تزيد ما تشاء.

باب في ترتيب العبادات اليومية

إذا استيقظت من نومك فقل ، الحمد لله الذي أحياها بعد ما أمانا وإليه الشور .
وقال عليه الصلاة والسلام (من تعار من الليل فقال ، لا إله إلا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مسح الله واهمده الله ولا إله إلا الله
والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى العظيم ، ثم قال اللهم اعمر لي عفر له ،
أو دعا أستجيب له . فإن توصاً نصلي قبلت صلاته) (ح) فوجب أن تقول هذا
عند قيامك من النوم ثم تطلب من مولاك التوبة والمعفرة ، ثم تستاك إن أمكن —
وتدخل بيت الخلاء برجلك اليسرى وتقول (بسم الله أعوذ بالله من الخس والخائات)
وتخرج برجلك اليمنى وتقول (عمر بك . الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني)
ثم تستقبل وقت الفجر ظاهراً من الحديثين الأكر والأصغر ، وبعد الوضوء تقف
مستقبلاً القبلة وتضع يديك على السماء وتقول (أشهد الا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) وتقول ذلك عقب كل وضوء ، قال عليه الصلاة
والسلام (ما من عبد توصاً فأحسن وضوءه ثم رفع يديه إلى السماء فقال أشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له
أبواب الجنة انما يدخل من أيها شاء) (د وغيره) ثم نصلي ركعتي المعجر في البيت
وأخرج لصلاة الصبح في المسجد ، إذا لم يملك مايع ، وفي عند الخروج (وقل رب
أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً)
وتقول أثناء الطريق — اللهم إني أسألك بحق السائلين عبيك ، وبحق مشاي هذا اليك ،
لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك وشفاعة مرصاتك ،
أسألك أن تقضي من الشئ وأن تعثر لي ديني ، إنه لا يعجزك الشئ إلا أنت ،
و — دحبت المسجد أو السجادة فادخل برجلك اليمنى وقل (بسم الله والحمد لله وتلاوة
والسلام على رسول الله ، اللهم اعترقني بي وافصح لي أبواب رحمتك . ويس تأخير
صلاه سبح لظهور النور قال عليه السلام (أسعروا ما أصبح فيه أعظم للأجر)
(ر) وفي صلاة الصبح (من يلج سر أحد صلى قبل ضوع الشمس وقبل غروبها)
(و) أي الصبح والعصر ، فادخلت من الصلاة فقل — استعمر الله العظيم الذي

لا إله إلا هو الخى القيوم وأنوب اليه - ثلاثا - اللهم أغنى على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك - اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حين نارتنا بالسلام
وأدخلنا دار السلام تباركت ياد الخلال والاكرام (م) ثم أحتم صلاتك بورد القرآن
الذى تحفظه والذكر المعروف ثم مسح ثلاثا وثلاثين واحمد الله ثلاثا وثلاثين وكره ثلاثا
وثلاثين وقيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،
قال عليه السلام (من مسح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكره
ثلاثا وثلاثين وحتم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير ، عمرت دنياه ولو كانت مثل ربد الععر) (م) ثم ص على النبي صلى الله عليه
وسلم بالنصيعة التي تعرف وأهمها ما ذكرناه في باب الخاص ، فاحسن لنفسك ورتا تقرأه
بعد صلاة الصبح من التسبيح والتكبير والاستعذار بما أوردناه في أبواب هذا الكتاب
وأهمها قراءة القرآن سواء عن ظهر القلب أو في المصحف ، بحيث يستغرق ذلك
إلى طوع الشمس . ف عليه السلام (لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة
العبادة إلى صوم الشمس أحب إلى من أن اعق أربع دقات) (د)

وبعد ذلك أخرج إلى عميت إن كنت صاحب عمل لجل برقك وإعيالك
- وهذا هو الحال ، وق عند الخروج - بسم الله توكلت على الله ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أهمها إن لا أملك نفسي بعباً ولا صراً ولا موتاً
ولا حياة ولا شوراً . ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتي ولا أني إلا ما وقيتي .
انهم موفقي لما نحب وترضى من القول والعمل ، في عافية ، يارب العالمين ، وبانه
بالسلام على من تلقاه في الطريق وكه هاشاً دثاً في وجوه إخوانك رحيمهم
وعص النظر أثناء سيرك حتى لا ترى عورات الناس - وبخاصة ما يقع نظرك عليه
من عورات النساء المتبرجات اللاتي ملأن الطرقات في هذا الزمن - واشغل قلبك
بتلاوة القرآن أو الذكر وأد عمك بما يرضى لله تعالى ، ولا تخش في ذلك لومة لائم ،
ثم إذا جاء وقت الظهر فصته - لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي به بالهاجرة ،
وليكن حديثك أثناء عملك لا حاجة للشرع فيه ، وإذا وجدت من يحوص في
الباطل أو يتحدث بالفحش وبداة الأعاط فاه عن ذلك ،

فإذا رجعت إلى بيتك فسلم على من فيه من الأهل والروحة وغيرهم . وإذا لم يكن فيه أحد فقل (السلام على عباد الله المؤمنين) . قال عليه السلام (من سره أن لا يجد الشيطان عنده طعاماً ولا مقيلاً ولا مبيتاً فليسلم إذا دخل بيته ، ولعلم على طعامه) (ط) . وقول عليه السلام (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، فقل للشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا لم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء) (م وغيره) . وكن حليماً بأهل بيتك ورحيماً بأولادك ولا تجهدهم إذا وجدت منهم محاجة في صنع طعام أو تهبة متاع فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما يقدم له ، ويعين أهل بيته على العمل .

وإذا كنت ممن يسرون أميناً للجهنم أو الذكرك أو لدراسة العلم فيحسن أن تنام قبل صلاة العصر بقدر ما يسمح به وقتك ، وبعد صلاة العصر تسمى في قضاء مصالحك ولا تنس أثناء ذلك ذكر الله والاستعمار . فقد الوقت يصحى من طروع فجر إلى طلوع الشمس وهو المراد بقوة تعالى (واستمعر بك) وسبح بحمد ربك ما حشوا ولا تكأ) فإذا جاء وقت المغرب فقل (اللهم هذا قبل بيتك وإدبار سهارك وأصوات دعاك وحضور صوابك أسألك أن يعز لي) (ت) ثم صل المغرب دون تأخير واحتم الصلاة . ويسمى أن تحاسب نفسك بقدر انقضى من عمرك مرحلة يجب أن تردد فيها قرأاً . هذا قصي يومك بحبر ووقفت فيه لأداء ما عليك فاشكر مولاك واسأله الزيادة . وإن قصرت في شيء فأمائك انيل عوص فيه ما فاتك في النهار . ثم اشتغل بأحياء ما بين المغرب والعشاء بالصلاة والذكر . فإن تيسر لك العكوف في المسجد إلى صلاة العشاء فهو أفضل لأنك تكون في صلاة ما دامت مستظراً للصلاة . وبعد صلاة العشاء احتم بورد الصباح ورد عليه ما تشاء

واحرص على ورد تقرأ في الصبح والمساء . كأن تقرأ في الصبح سورة (يس والواقعة) وفي المساء سورة (برك والسجدة)

أما أدب النوم فليحفظها أن سام صاهر نضاهر ولباط وتوى أن يقوم للصلاة قال عليه الصلاة والسلام (من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصي من انيل فعلته

عيناه حتى يصبح كُتِبَ له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى (ن و هـ) وأن تمام تائماً من كل ديب ، وأن تكون سليم القلب فلا تحدث نفسك بطم أحد أو إتيان معصية . وإذا تيسر أن تستقل القبة عند النوم كان ذلك أفضل ، وأن تدعو عند النوم بقولك (يا معلى ربي وضعت جنبي وبك أرفعه . إن أمسكت نفسي فارحمها . وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين) (ق) وأن تكرر الله أربعاً وثلاثين وتسبيحه ثلاثاً وثلاثين وتحمده ثلاثاً وثلاثين وذلك قبل نومك (ق) . وإذا كنت ممن أسعدهم الله تعالى بالتهجد بالليل فقم في النصف الثاني إلى طلوع الفجر - سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى الليل أفضل . قال (نصف الليل الغابر) أى الباقي (أحمد) .

وعليك بهيام الأيام الفاصلة مثل يومى الاثنين والخميس إن قدرت على ذلك ، ولا تفعل عن إيجاب الليالي والأيام الفاصلة لأنها مواسم الخيرات وخاصة ليلتى العبد ، قال عنه السلام (من أحب ليلتى العبد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) (هـ) . هذا أيسر الصادة وهو أفضلها عند المداومة عليها قال عليه الصلاة والسلام (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل) (ق) وقال عليه السلام (تكفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تقوموا) (ق) وقال عليه السلام (خير هذا الدين أيسره) (أحمد) وقال عليه السلام (لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يعله فلا تبغض نفسك عادة الله) (ح) وهك دعاء الصباح المستحب قراءته كل يوم .

دعاء الصباح

اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري . وأصحت مرتهاً بعمل فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمت في عدوى ولا تسمي . يا صديقي ، ولا تجعل مصيبتى في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي . ولا تسلط على من لا يرحمني اللهم هذا خلق جديد فافتحه على طاعتك واختمه لي بمغفرتك وورصواتك ، وارزقني فيه حنة تقبلها مني وركها وصعفها . وما عملت فيه من سيئة فاعف عن لي إنك غفور رحيم ودود . رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً

وبحمد صلى الله عليه وسلم نبياً . اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه ، وأعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ، ومن بقات الأمور وبقية الأقدار . ومن شر كل طارق يطرق إلا طارقاً يطرق منك بخير يارحم لذيبا ولا حرة ورحيمهما . اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلح في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يمرح فيها ، وأعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة العصب وسنة العفلة وتعاطي الكلفة . اللهم إني أعوذ بك من مآهة المكثرين والارراء على المقلين . وأن أضر ظالماً أو أجدل مظلوماً ، وأن أقول في العلم بغير علم ، أو أعمل في الدين بغير يقين . أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم . أعوذ بمعوك من عفاك وأعوذ برصاك من سخطك . وأعوذ بك منك . لا أحصى ثناء عبيك أنت كما أنثيت على نفسك ، اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وإن عبدك ، وعلى عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء بنعمتك عني وأبوء بذنبي فأعمرني إنه لا يعمر الدنوب إلا أنت . اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وآخره نجاحاً وأوسطه صلاحاً . اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره مكرمة . أصبحنا وأصبح الملك لله . والعظمة والكبرياء لله والخزوات والسلطان لله والليل والنهار وما سكن فيها الله الواحد لقهر . أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين .

باب في سعة رحمة الله تعالى

نحتم هذا الكتاب كما بدأناه ، بحمد الله تعالى والثناء عليه ، ونحتم أبوابه بهذا الباب على سبيل التماؤل ونرجو من الله أن يحتم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة . فقد قال تعالى (إن الله لا يعفر أن يشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله إن الله يعفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقال سبحانه (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .

ونحن نستعير الله تعالى من كل مارلت به القدم أو طمى به القلم في كتابنا هذا ،
ونستعمره من أقوالنا التي لا توافق أعمالنا - ونستعمره بما ادعينا وأطهرناه من
العلم بسين الله تعالى مع التقصير فيه - ونستعمره من كل نعمه أنعم بها علينا فاستعملناها
في معصيته - ونرجو به الاستعفار من جميع ذلك كله لنا ، ولأن صانع كتابنا هذا
أو كتبه ، أو سمعه ، أو ساعده على طبعه ، أو عمل على نشره ، أو أنفع به ، أن
يكرمنا بالمعفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً ، فإن الكرم
عظيم ، والرحمة واسعة ، والجود على أصناف الخلاق فائض ، ونحن خلق من خلقه
عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه - فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم (إن لله تعالى منه رحمة أرسل بها رحمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم
والهوام ، فيها يتعطفون ، وبها يتراحون ، وأحر تسعاً تسعين رحمة يرحم بها عباده
يوم القيامة) (م) وقال عليه السلام (لم يصفى الله الخلق كتب عبده فوق العرش
إن رحمتي سقت عصبي) (ح) وقال عليه السلام (إذا اجتمع أهل النار في النار
ومن شاء الله معهم من أهل لقمة قتل الكفار لسليبي أم تكفوا مسيبي ، قالوا بلى ،
فيقولون ما أعى عنكم إسلامكم إذا أنتم معاني النار ، فيقولون كانت لنا ديوب
وأعداؤها فيسمع الله عز وجل ما قلنا ، فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل
القبلة ، فيخرجون ، وإذا رأى ذلك الكفار ، قالوا يا ليت ك مسيبي فحرح كما
أخرجوا) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما يؤذ الدين كفر ولو كانوا
مسليين) (ن) بإسناد صحيح وعن عباد بن الصامت قال ، سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول (من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله
عليه النار) (م)

هذه الأحاديث وما أوردناه في فضيلة الرجاء تشرن بسعة رحمة الله تعالى -
فترجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ، ويتصل علينا بما هو أهل بمنه وسعة
جوده ورحمته ، واخذ الله رب العالمين . وللهلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين ، وعلى آله وأصحابه وأرواحه ودريته ، والتابعين إلى يوم الدين .

التحية الوفية

إلى رمز التقوى والصلاح - إلى مؤلف (طب القلوب) . أرف تحيتي

قصيدة

العبرى الفذير والأديب الكبير

الأستاذ عبد الستار عبد الفتى مروان

المدرس بالمؤسسة

وحى من الوحي أم نور من النور
أم بسمه من ضياء الحق تشرعها
أم أن نور الهدى شعت بوارقه
قد شفئك الوجد حتى رحت تبغثها
تعالج القلب في رفق وفي دعة
دواء مرضاك دين ليس يمدله
مزاجه من زوايا الزهد نغمته
يجي موت الآلى قضوا حياتهم
بظهر القلب مما فيه من دَرَن
من بعد ما لمست كفاك علتهم

• • •

(طب القلوب) وقلب الطب يجمع
فيه الشفا للذى ناءت بعكته
شط السلامة مضمون لعباره
في حر لفظ وفي إبداع تصوير
جهايد الطب في رفق وتيسير
والين جنبه هوج الأعاصير

• • •

قل للطبيب الذى ضلقت قريحته
في علة الجسم كم تمنى بتقصير

إكشفت عن الدَّاءِ طلي القلب مكنه وطهر القلب من رجس ومن رور
(بقراط) ألقي زمام الطب معتدراً وقدم السَّاح ميسوط الأسارير
واللس السَّاح (محموداً) وزينه بالدر ما بين مطوم ومشور

• • •

(يا حُجَّة الدِّين) شاء الله مبشركم على يدي متفحص الرُّشد موفور
(إحياء عليك) كاد الموت يُدركه واستل بازه في غير توقير
فأرسل الله من أجبا ذوابله بالجد ، لا يبتغي أجراً لمأجور
غاص الحار وهوح الريح عاصفة للبحث عن درهما في غير تقير
فصاد في راحته الدر مبسماً فال من شائبه كل تقدير

• • •

أسطمت بعد أقول دام كوكبه فلاح كالبدر من بعد الدُّباجير
قرئت ماحده من بعد ما لمست في حوضه الصِّبْدُ أشتات المعادير
أوجرت مُسْنَهه في غير ما حطلر فليس نمة ما يدعو لنفسير
سارعت كالنحل تحني زهره مرعا ونخرج الشهد طيباً بعد تكوير

• • •

هذا جهادك يا (محمود) ترفعه عنك الملائك في بشر ونشير
ما قلت ما قلت عن علم تعلّمه من شب مثك يلقى عن شكبير
لكنه الله يلقى من حقائقه في قلب من يثقي نوراً من النور
يعا يثاق إذا ما رحت أرصده فاعنذر قريصى فهذا فوق مقدور

• • •

(محمود) إدر، لم تقدم غيره عملاً لسوف تحظى بأجر غير محصور
يوم القيامة في الفردوس ترفعه يثماك ما بين تقديس وتكبير

فهرس الكتاب

صفحة	صفحة
٢٢ . . . أوقات الصلاة	١٧ . . . بيان عقيدة المؤمن
٢٣ . . . استقبال القبلة	١٩ قصيدة ابن البطيوس في التوحيد
٢٣ . . . شروط أداء الصلاة	٢٠ . . . فضائل القرآن الكريم
٢٤ . . . هيئة الصلاة	٢٢ . . . حكم الطهارة
٢٦ . . . مكروهات الصلاة	٢٢ . . . حكم النجاسة
٢٧ . . . الصلاة في البيت	٢٣ . . . حكم إزالة النجاسة
٢٧ . . . صلاة الجمعة	٢٣ . . . آداب قاضي الحاجة
٢٧ . . . مندوبات صلاة الجمعة	٢٤ . . . حكم الإستنجاء
٢٩ . . . صلاة الجماعة	٢٤ . . . مباحث الوضوء
٣٩ . . . الخشوع في الصلاة	٢٥ . . . فرائض الوضوء
٤٠ . . . الدواء النافع للخشوع	٢٥ . . . من الوضوء
٤١ . . . فضائل الصلاة	٢٦ . . . مكروهات الوضوء
٣٢ . . . وظائف الإمامة	٢٦ . . . نوافض الوضوء
٤٣ . . . آداب المسجد	٢٦ . . . وضوء المعذور
٤٣ . . . فضيلة الأذان	٢٧ ما يحرم على المحدث حديثاً أصغر
٤٤ . . . باب في الركاة	٢٧ . . . مبحث العسل وأسببه
٤٤ . . . فضيلة الإحسان	٢٨ ما يحرم على المحدث حديثاً أكبر
٤٤ . . . باب في الصيام	٢٨ . . . مبحث لتيمم وكيفيته
٤٥ . . . ما يجب على الصائم	٣٠ . . . مبحث فاقد الطهورين
٤٥ . . . فضائل الصيام	٣٠ . . . مبحث المسح على الجيرة ونحوها
٤٦ . . . باب في الحج	٣١ . . . مبحث الحيض ووقته
٤٦ . . . فضيلة الحج	٣١ . . . مبحث الثمار
٤٦ . . . آداب زيارة المدينة	٣٢ . . . مبحث الاستحاضة
٤٧ . . . الرجوع من الحج	٣٢ . . . فضيلة الوضوء
٤٨ . . . سب النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه	٣٢ . . . باب في صلاة

صحية

صحة

- ٩١ أثرية الطم وتهدية
 ٩٣ طريقة معرفة الإنسان عيوب نفسه
 ٩٣ بيان أقسام البدن
 ٩٥ حقيقة الدنيا
 ٩٧ صفة الدنيا
 ٩٩ ذم الدنيا
 ١٠٠ شهوة الفرج وفضيلة مخالفتها
 ١٠١ مرض السكر ومذاقه
 ١٠٢ علاج مرض السكر
 ١٠٦ مرض الحب ومذاقه
 ١٠٦ علاج مرض الحب
 ١٠٧ مرض العرو ومذاقه وعلاجه
 ١٠٩ مرض الرياء ومذاقه
 ١١٠ علاج مرض الرياء
 ١١٢ مرض العصب ومذاقه
 ١١٣ علاج مرض الغضب
 ١١٣ مرض الحسد ومذاقه
 ١١٤ علاج مرض الحسد
 ١١٥ مرض البخل
 ١١٦ دم "بخل ومدح السحاب
 ١١٧ علاج مرض البخل
 ١١٩ معنى العيبة
 ١٢٠ ذم العيبة
 ١٢٠ علاج العيبة
 ١٢٢ الأعداء المرحضة في العيبة
 ١٢٢ معنى الخيمة ومذاقها
 ١٢٣ خطر اللسان وفضيله الصمت
 ١٢٤ التكلم فيما لا يعني

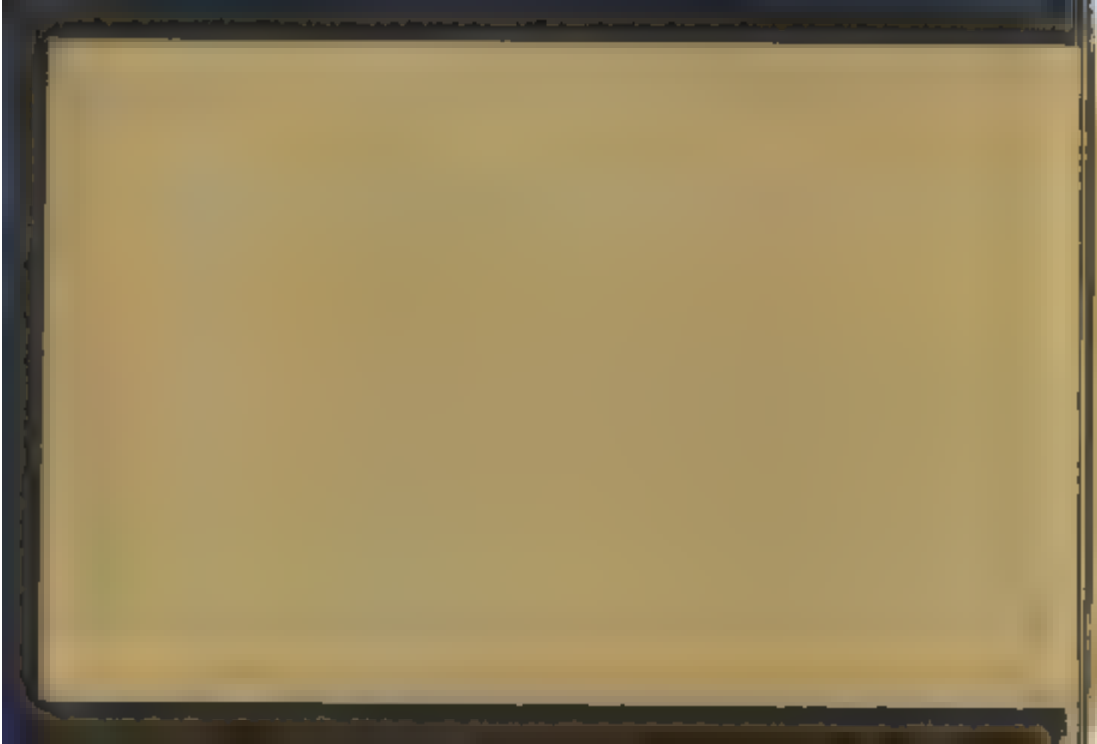
- أوصاف النبي عليه السلام ومعجزاته ٥٩
 ٦٣ فضيلة العلم والتفقه في الدين
 ٦٣ فضيلة لتعليم ودم كتاب العلم
 بيان العلم الغرض وما هو فرض
 ٦٤ كفاية
 ٦٥ بيان العلوم الشرعية
 بيان المحمود من العلوم والمنعوم
 منها
 بيان ما ورد في عباد السوء وعباد
 الاحرة وآفة العلم
 تعريف علم النصف وأحوال أهله ٦٧
 معنى القلب والنفس والروح والمقتل ٧٠
 معنى القلب
 معنى النفس
 معنى الروح
 معنى المقتل
 جنود القلب
 سرعة قلب القلب
 بيان أمراض القلب وعلاجه ٧٥
 بيان مداخل الشيطان للقلب
 علاج القلب من مداخل الشيطان ٧٨
 وساوس القلوب وما يؤخذ به العبد
 وما يعنى عنه
 معنى تهذيب النفس
 مجاهدة النفس
 مراقبة النفس
 محاسبة النفس ومعاقبتها
 ترويح النفس ومعانتها

سجدة	سجدة
١٥٦ . . . فضيلة الخلم	١٢٥ . . . فصول الكلام
١٥٦ . . . فضيلة السمو	١٢٥ . . . الخوص في الباطل
١٥٧ . . . فضيلة لرفق	١٢٦ . . . المراء والجدل
١٥٧ . . . فضيلة الشفقة والرحمة بالمخلوقات	١٢٦ . . . الخصومة
١٥٨ . . . نسب امامع عن معرفة الله تعالى	١٢٧ . . . الفحش والسب وساءه للسان
١٦٠ . . . كيفية التفكير في خلق الله تعالى	١٢٨ . . . اللعس
١٧٥ . . . بيان مجازي الفكر	١٢٨ . . . المزاح
١٧٨ . . . بيان حقيقة الشكر	١٢٩ . . . السحرية والاستهزاء
١٨٢ . . . الحسب المانع للحق عن الشكر	١٣٠ . . . إنشاء السر
١٨٥ . . . قصة "شكر"	١٣٠ . . . لوعده الكاذب
١٨٦ . . . حقيقة الرهد واصلته	١٣٠ . . . الكذب في القول وفي الخلف
١٨٨ . . . حقيقة الرضا	١٣١ . . . ذو اللسانين
١٩٠ . . . فضيلة الرضا	١٣١ . . . علامة حسن الخلق
١٩١ . . . حقيقة النصر	١٣٣ . . . فضيلة حسن الخلق
١٩٢ . . . حاح "مدياني نصر"	١٣٤ . . . فضيلة تقاعده الحرص وطمع
١٩٤ . . . قصده "نصر"	١٣٥ . . . علاج الحرص وطمع
٩٥ . . . حقيقة الصدق	١٣٧ . . . صدقة الجوع ودم اشبع
١٩٨ . . . فضيلة الصدق	١٣٨ . . . ذم الغنى ومدح الفقر
١٩٨ . . . حقيقة للاحلاص	١٤٢ . . . فضيلة "مقر"
١٩٩ . . . طريقه الحصول على الاحلاص	٤٥ . . . آداب الفقير في فقره
١٢٠٠ . . . فضيلة الاحلاص	١٤٦ . . . فوائد امال
٢٠١ . . . حقيقة لـ	١٤٧ . . . ماورد عن بناء للدور
٢٠٤ . . . فضيلة لـ	١٤٧ . . . حكمة خلق الامام
٢٠٥ . . . حقيقة التوكل ومراتب التوحيد	١٤٩ . . . عقوبة استعمال اواني الذهب والفضة
٢٠٨ . . . بيان حال لتوكل	١٤٩ . . . فوائد العرلة وآدابها
٢١٠ . . . أعمال المتريكل	١٥٠ . . . فوائد المحلطة
٢١٤ . . . فضيلة التوكل	١٥٢ . . . معنى لأحوة في الله تعالى
٢١٤ . . . التداوى وهو يناقص التوكل	١٥٤ . . . حقوق الاحوة والصحة

صفحة	مادة	صفحة	مادة
٢٤٨	عقوبة من يبيع أجر الأجير .	٢١٥	حقيقة الرجاء
٢٤٩	التأخذه وصر النباحة على الميت .	٢١٧	دواء الرجاء والسبيل الموصلة إليه
	الواصلة والمنوصلة والواشمة	٢١٩	فضيلة الرجاء والترغيب فيه
	والمستوشمة والنامصة والمتنمصة	٢٢٠	حقيقة الخوف
٢٤٩	والتفلجة	٢٢١	درجات الخوف في القوة والضعف
	عقوبة كشف الأعضاء والربثة في	٢٢٢	دواء الخوف والسبيل الموصلة إليه
٢٥٠	الملبس	٢٢٦	فضيلة الخوف والترغيب فيه .
٢٥٠	عقوبة المرأة أن تسأل زوجها إطلاق		أحوال الأنبياء والملائكة عليهم
٢٥٠	نمطر المرأة عند خروجها .	٢٢٩	السلام في الخوف
	إطلاق النظر وفضيلة غضه		أحوال بعض الصحابة والسلف
٢٥١	وخطر الخلوة بالأجنبية .	٢٢٩	في الخوف
	عقوبة تشبه الرجل بالمرأة والمرأة		وجوب الأمر بالمعروف والنهي
٢٥٣	بالرجل	٢٣٤	عن المنكر
٢٥٤	خطورة تولي القصد وخلق الأمان .	٢٣٧	المنكرات المألوفة بالمادة .
٢٥٥	عقوبة الراشي والمرئى في الحكم	٢٣٨	مواقعة الحدود وهتك المحارم
	السحر والتكهن ومن يصدقهما	٢٣٨	بيان ماورد في السماع . . .
٢٥٥	لعب النرد (الطاولة) وغيرها	٢٤١	عقوبة من ترك الصلاة أو أحرها
٢٥٦	تصوير الحيوانات والطيور	٢٤٢	تارك الزكاة
٢٥٦	اقتناء الكلاب والصور .	٢٤٣	فأن المس
٢٥٧	من يسب الدهر	٢٤٣	من يقتل نفسه
٢٥٧	ذكر أشرار الساعه	٢٤٤	شارب الخمر
٢٥٨	حقيقته التوبة	٢٤٤	الربا
٢٦٤	أقسام العباد في دوام التوبة .	٢٤٥	السواط
٢٦٦	دواء التوبة وطريق العلاج .	٢٤٦	عقوق الوالدين
٢٧٢	طريقة تشكيم عن الدوب . . .	٢٤٦	كل الربا
٢٧٨	وجوب المبادرة إلى العمل .	٢٤٧	كل مال اليتيم بغير حق .
٢٧٨	أسباب طول الأمل وفضيلة قصره	٢٤٧	اغتناب الأرض
٢٨٠	علامات ظهور الفتن والتجاة منها	٢٤٨	بعض الكيل والميزان .

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٢٢٢	بيان حقيقة الموت . . .	٢٨١	بيان حقيقة الكمال . . .
٢٢٥	ما يقال عند موت الولد . . .	٢٨١	بيان حقيقة النعم وأقسامها . . .
٢٢٦	حضر القبور وتفضيل الموق . . .	٢٨٣	بيان نعم الله تعالى في حق الإدراكات . . .
٢٢٦	تحسين كفن الميت والأمرع بالدفن . . .	٢٨٤	الإرادات . . .
٢٢٧	كثرة المصلين على الجنائز والتعزية . . .	٢٨٥	الأطعمة . . .
٢٢٧	تشيع الميت وحضور دفنه . . .	٢٨٧	الملائكة . . .
٢٢٨	أقاويل العارفين على الجنائز . . .	٢٩٠	طلب الحلال والآكل منه . . .
٢٢٨	حال قبر وآقاويل عند القور . . .	٢٩٢	فضيلة النفقة على الزوجة العيال . . .
	رياسة القبور والدعاء للميت . . .	٢٩٢	الورع وترك شهوات . . .
٢٢٩	والثناء عليه . . .	٢٩٣	الاكساب بالبيع وغيره . . .
	كيفية حصول المكاشفة بين . . .	٢٩٤	البكور في طلب الرزق وغيره . . .
٢٣١	البصيرة . . .	٢٩٤	الاقتصاد في طلب الرزق . . .
	منامات الصالحين تكشف عن . . .	٢٩٥	ماورد في الفس في التعامل . . .
٢٣٣	أحوال الموق . . .	٢٩٦	فضيلة الصدق في المعاملة . . .
٢٣٥	كلام القبر الميت (لسان الحال) . . .	٢٩٧	السياحة في البيع والشراء . . .
٢٣٥	القور في عذاب القبر وبعيمه . . .	٢٩٧	ماورد في الدين وهدى الدين . . .
	من قال منكر وكبير في القبر . . .	٣٠٠	مطل القادر في سداد الدين . . .
٢٣٨	وصية على الميت . . .	٣٠٠	بيان محبة الله تعالى للعبد . . .
٢٣٩	صفة صورة الصور . . .	٣٠١	علامات محبة العبد لله تعالى . . .
٢٤٠	صفة من المحتضر وأحوال أهله . . .	٣٠٣	بيان الأساليب المقوية لمحبة الله تعالى . . .
٢٤١	صفة من يرى . . .	٣٠٦	أخلاق السلف رضي الله عنهم . . .
٢٤٢	صفة صور . . .	٣١١	تورع الدرجات والتدراك في الآخرة . . .
٢٤٤	صفة المسألة عند الحساب . . .	٣١٢	بيان أسباب سوء الخاتمة . . .
٢٤٦	صفة الميزان . . .	٣١٦	النهى عن تمنى الموت . . .
٢٤٧	صفة المظالم وتعلق الخصماء بالمظالم . . .	٣١٦	فضيلة ذكر الموت . . .
٢٤٩	صفة الصراط . . .	٣١٨	سكرات الموت وكرهه . . .
٢٥١	صفة لشفاعة . . .	٢٢١	أحوال المحتضر عند الموت . . .
٢٥٢	صفة الخوص . . .	٢٢١	ما يفعل بالمحتضر . . .

صفحة	موضوع	صفحة	موضوع
٣٦٨	الله عنه	٣٥٣	صفة جهنم وهو الها
٣٦٩	بعض دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام	٣٥٧	صفة الجنة وبعيدتها
٣٦٩	بعض دعاء آدم عليه السلام	٣٦٠	صفة حائط الجنة وأرضها
	بعض الاستعدادات الماثورة عن	٣٦٠	صفة طعام أهل الجنة وشرابهم
٣٦٩	النبي صلى الله عليه وسلم	٣٦١	صفة لباس أهل الجنة وفرشهم
	بعض الأدعية الماثورة عند حدوث	٣٦٢	صفة الخورائين
٣٧٠	الحوادث	٣٦٢	مصير زوجات الدنيا في الآخرة
٣٧١	أدب لدعاء		الأخبار الواردة في أوصاف أهل
٣٧٣	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٦٣	الجنة
٣٧٦	وفاة أبي بكر رضي الله عنه		صفة الرقبة والطر إلى وجهه
٣٧٨	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٦٤	بورك ومعالى
٣٨٠	وفاة عثمان رضي الله عنه	٣٦٤	فصل في الذكر
٣٨١	وفاة علي كرم الله وجهه	٣٦٥	دعوى ليس الذكر
٣٨٢	العبد ينفق في الأرض التي خلق منها	٣٦٥	دعوى التهنيل
	ضرورة استغراق الأوقات في الذكر		دعوى التسبيح والتحميد ونقيصة
٣٨٢	والعبادات	٣٦٥	الأدكار
٣٨٧	ترتيب العبادات اليومية	٣٦٧	فصل في الاستعصر
٣٩٠	دعاء لصباح		دعوى الصلاة على رسول الله صلى
٣٩١	صفة رحمة الله تعالى	٣٦٧	الله عليه وسلم
٣٩٣	التحفة لشعرية	٣٦٨	بعض دعاء عائشة رضي الله عنها
٣٩٥	فهرس السكتات	٣٦٨	دعوى فاطمة رضي الله عنها
			دعوى بريدة الأسلمي رضي



رجاء

أرجو من القارئ الكريم أن يلاحظ هذه الأخطاء المتعمدة لأهميتها.

صواب	خطأ	صواب	خطأ	صواب	خطأ	صواب	خطأ
الأول	ثاني	٢٢	٩	١٠	١١	١٢	١٣
آخر دعاءهم	آخر دعائهم	١٩	١٢٩	١٤	١٥	١٦	١٧
قاموا	قاموا	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
قالوا	قالوا	٢١	١٧٥	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥
يصر على	يصر	٢	١٩٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦
دعواهم	دعواهم	٢	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١
دعواهم	دعواهم	٢٦	٢٦٧	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
حاربي	حاربي	٨	٢٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣
المصطفية	المصطفية	٣	٢٢٨	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦

عالم

3

371

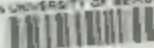
R. al- Atrask

297.48-M941A:c.1

معرفتي - محمود

طب القلوب أو صفة أحياء علوم الدين

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY



010-19907

American University of Beirut



237.48

M941A

General Library

